

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الجزائر 2  
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية  
قسم علم الاجتماع



## الموضوع:

دور الفضاء العمومي في بناء الرباط الاجتماعي  
بالأحياء الجديدة  
- حي الوثام بالأغواط أنموذجا -

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في علم الاجتماع  
تخصص: علم الاجتماع الحضري والأنثروبولوجيا الحضرية

تحت إشراف:

أ.د مدني صفار زيتون

من إعداد الطالب:

عبد السلام طائر عشور

لجنة المناقشة:

|              |                 |                      |                              |
|--------------|-----------------|----------------------|------------------------------|
| رئيسا        | جامعة الجزائر 2 | أستاذ التعليم العالي | أ.د محمد الرؤوف قاسمي الحسني |
| مشرفا ومقررا | جامعة الجزائر 2 | أستاذ التعليم العالي | أ.د مدني صفار زيتون          |
| مناقشا       | جامعة الجزائر 2 | أستاذ التعليم العالي | أ.د إبراهيم بن موسى          |
| مناقشا       | جامعة الأغواط   | أستاذ التعليم العالي | أ.د: بشير طلحة               |

السنة الجامعية 2021/2020



## إهداء.

إلى روح والذى الصاهرة الذى تعلمت منه حب العلم والعلماء.  
إلى عبير الحنة وريحها أُمى العزيزة حبضها الله ورعاها  
إلى نصعبى الآخر فى هذله الحياة زوجتى العزيزة  
إلى أبنائى z عبد مالك, أمين, محمد الصديق, عبد الحق.  
إلى كل من علمنى حرفاً.

عبد السلام

## شكر وعرفان

بالله على بدء، أود أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى المشرف على أهدروحتى السيد مدنى صغار زيتون، أولاً على قبوله الإشراف على أهدروحتى هذه، وثانياً على صبره وتشجيعه لى لإكمال مشروع بدأ منذ أكثر من خمس سنوات. كانت معرفته وعينه النافذة قيمة جداً بالنسبة لى فى هيكلة هذا العمل وفى تحسين جودة العروض التى أثرت وكذلك النتائج المفدمة.

كما أود أن أعرب عن تفضيرى الكبير لكل أساتذة مخبر التحليل السوسيوولوجى والأنثروبولوجى لجامعة الجزائر اللذين ساعدونى من قريب أو من بعيد وعلى التوجيهات ونصائح الحكيمة، وأوجه الشكر الخاص للأعضاء اللجنة المناقشة على قبولهم قراءة ومناقشة هذا العمل وعلى راسهم السيد محمد الرؤوف فاسمى الحسنى والسيد إبراهيم بن موسى والسيد بشير لصلحة.

فى الأخير، لم يكس كل هذا ممكناً لولا زوجتى نادية، التى كان عليها أن تشاركنى متاعبى اليومية خلال هذه الرحلة الصويلة. من خلال مراجعتها اللغوية لهذا البحث، ودعمها الثابت وفتحها التى لا تنزعج فى فدراتى، سمحت لى زوجتى ورفيقة عربى بالمثابرة على الرغم من العقبات التى واجهتها أثناء إنجاز هذا العمل، والمسؤوليات المهنية المضنية الملغاة على عاتقى. أظهر لها امتنانى الأبدى وإعجابى المتجدد دائماً.

عبد السلام

# الفهارس

## فهرس الموضوعات

|         |                |
|---------|----------------|
| أ.....  | إهداء          |
| ب.....  | شكر وعرهان     |
| 2.....  | فهرس الموضوعات |
| 8.....  | فهرس الأشكال   |
| 8.....  | فهرس الخرائط   |
| 9.....  | فهرس الجداول   |
| 11..... | مقدمة          |

### الباب الأول: الجانب النظري للبحث

#### الفصل الأول: الاقتراب المنهجي للدراسة

|         |                             |
|---------|-----------------------------|
| 19..... | أولاً: موضوع الدراسة.       |
| 19..... | ثانياً: بناء الإشكالية.     |
| 25..... | ثالثاً: مؤشرات الدراسة.     |
| 26..... | رابعاً: فرضيات الدراسة.     |
| 26..... | خامساً: دوافع الدراسة.      |
| 28..... | سادساً: الصعوبات والعراقيل. |
| 30..... | سابعاً: تحديد المفاهيم.     |
| 31..... | 1: الفضاء العمومي.          |
| 39..... | 2: الرباط الاجتماعي.        |
| 44..... | 3: إعادة الإسكان.           |
| 47..... | 4: الأحياء الجديدة.         |

#### الفصل الثاني: التوجهات النظرية

|         |   |
|---------|---|
| 52..... | أولاً: المقاربات نظرية في دراسة الفضاء العمومي      |
| 52..... | 1-مقاربة يورغن هابرماس « Jürgen Habermas »          |
| 56..... | 2-مقاربة هنري لوفيفر « Henri Lefebvre »             |
| 56..... | 3-مقاربة مانويل كاستلز « Manuel Castells »          |
| 58..... | 4-مقاربة ارفينغ غوفمان « Erving Goffman »           |
| 59..... | ثانياً: المقاربات النظرية في دراسة الرباط الاجتماعي |
| 60..... | الرباط الاجتماعي عند علماء الاجتماع الأوائل         |

|    |  |
|----|--|
| 72 | الرباط الاجتماعي عند علماء الاجتماع المعاصرين      |
| 75 | ثالثا: المقاربات النظرية في دراسة الأحياء الجديدة. |
| 75 | 1-مقاربة التخطيط العمراني:                         |
| 77 | 2-المقاربات السوسولوجية في دراسة النمو الحضري:     |
| 82 | خاتمة الفصل  |

### الفصل الثالث: الدراسات السابقة

|     |  |
|-----|--|
| 84  | أولا: دراسات عن الفضاء العمومي   |
| 84  | 1-على المستوى العالمي  |
| 90  | 2-على المستوى القاري والعربي   |
| 92  | 3-على المستوى الوطني   |
| 97  | ثانيا: دراسات عن الرباط الاجتماعي  |
| 98  | 1-على المستوى العالمي  |
| 101 | 2-على المستوى القاري   |
| 101 | أ-دراسة ميدانية بعنوان: أنماط التكيف الاجتماعي لدى شرائح اجتماعيه متباينة في المدن الجديدة |
| 103 | 3-على المستوى الوطني   |
| 107 | ثالثا: دراسات عن الإسكان   |
| 107 | 1-على المستوى العالمي  |
| 117 | 2-على المستوى العربي:  |
| 121 | 3-على المستوى المغربي:   |
| 125 | 4-على المستوى الوطني   |
| 139 | خلاصة الفصل  |

### الفصل الرابع: أشكال الفضاء العمومي وعلاقته بالرباط الاجتماعي

|     |                                 |
|-----|---------------------------------|
| 142 | الأشكال المختلفة للفضاء العمومي |
| 142 | الأشكال المادية                 |
| 176 | الأشكال اللا مادية              |
| 186 | خاتمة الفصل                     |

### الفصل الخامس إعادة الإسكان

|     |                        |
|-----|------------------------|
| 188 | أولا: أوروبا الغربية   |
| 191 | ثانيا: أمريكا الشمالية |
| 194 | ثالثا: الدول العربية   |

|     |  |
|-----|--|
| 205 | رابعاً: سياسة الإسكان في الجزائر .....                         |
| 205 | الإسكان قبل الثورة التحريرية .....                             |
| 206 | الإسكان ثناء الثورة التحريرية .....                            |
| 207 | الإسكان بعد الاستقلال .....                                    |
| 211 | أزمة السكن في الجزائر .....                                    |
| 213 | مراحل الإسكان في الجزائر .....                                 |
| 215 | الصيغ السكنية في الجزائر .....                                 |
| 218 | إعادة الإسكان في الجزائر .....                                 |
| 220 | المجمعات السكنية بين التصميم العمراني والتصميم الاجتماعي ..... |
| 222 | الإسكان ومسألة الاندماج .....                                  |
| 225 | الرباط الاجتماعي في المجتمع الجزائري .....                     |
| 229 | خامساً: الإسكان في ولاية الأغواط .....                         |
| 229 | السكان .....   |
| 232 | الإسكان وجودة الحياة .....                                     |
| 232 | خاتمة الفصل .....  |

### الباب الثاني: الجانب الميداني

#### الفصل السادس: دراسة جغرافية وتاريخية لمدينة الأغواط

|     |   |
|-----|---|
| 237 | دراسة جغرافية .....                                     |
| 240 | دراسة تاريخية .....                                     |
| 240 | نشأة المدينة (الأغواط من قصر إلى مدينة) .....           |
| 246 | بداية التكوين القصور: .....                             |
| 247 | الأغواط قبل الاستعمار .....                             |
| 247 | القصر أو المدينة التقليدية القديمة .....                |
| 249 | دحول الفرنسيين ونشأة الساحات لعمومية .....              |
| 252 | المورفولوجيا الاجتماعية والسكانية للمدينة القديمة ..... |
| 254 | الفضاءات العمومية قبل الاحتلال .....                    |
| 256 | المورفولوجيا الاجتماعية للمدينة الحديثة .....           |
| 264 | المورفولوجيا المكانية للمدينة القديمة .....             |
| 270 | المورفولوجيا الثقافية .....                             |
| 271 | المورفولوجيا الفضاء السياسية للمدينة الحديثة .....      |
| 272 | المورفولوجيا السكانية .....                             |



|     |  |
|-----|--|
| 276 | المورفولوجيا الخدماتية .....   |
| 281 | المدينة أو الإضافات الكولونيالية داخل المدينة القديمة أو على أطرافها ..... |
| 281 | الأغواط بعد الاستقلال .....  |
| 284 | استخدامات الأرض في مدينة الأغواط .....                                     |
| 284 | المناطق السكنية: .....   |
| 294 | خلاصة الفصل .....  |

### الفصل السابع: الإجراءات المنهجية للدراسة

|     |  |
|-----|--|
| 296 | أولاً: مجالات الدراسة .....                                    |
| 296 | الإطار المكاني: .....  |
| 297 | الإطار الزمني: .....   |
| 299 | ثانياً: المناهج المتبعة في الدراسة .....                       |
| 300 | المنهج التاريخي .....  |
| 300 | المنهج الاثنوغرافي (منهج دراسة الحالة) .....                   |
| 302 | ثالثاً: أدوات جمع البيانات المستخدمة في الدراسة .....          |
| 302 | 1-الملاحظة .....   |
| 305 | 2-المقابلات: .....   |
| 313 | 3-الوثائق والسجلات .....                                       |
| 313 | رابعا العينة المستخدمة في الدراسة .....                        |
| 313 | عينات الدراسة .....  |
| 314 | بالنسبة للعينة التمثيلية من السكان: .....                      |
| 315 | التقيئة واختيار العينات .....                                  |
| 316 | الخصائص العامة للعينة الفردية .....                            |
| 317 | الدراسة الميدانية (الوثام بمدينة الأغواط كميدان للدراسة) ..... |
| 317 | إنتاج البنية المجالية للحي: .....                              |
| 318 | تحديد المجال الزمني (مراحل تَشَكُّل الحي) .....                |
| 322 | تحديد المجال السكاني (المكون الاجتماعي) .....                  |
| 322 | اهتمامات الدراسة .....   |
| 324 | 2-الرباط الاجتماعي أحد اهم مواضيع هذه الدراسة .....            |
| 327 | 3-تغيير الحي وتغيير الروابط والعلاقات الاجتماعية .....         |
| 338 | خلاصة الفصل .....  |

الفصل الثامن: الدراسة الميدانية وعرض وتحليل البيانات الميدانية ونتائج الدراسة

- أولاً: مورفولوجيا الفضاءات العمومية وعلاقته بإعادة بناء الرباط الاجتماعي. .... 341
- 1-فضاءات الوظيفة العمرانية..... 343
- 2-الفضاءات الثقافية والترفيهية ..... 348
- 3-الفضاءات الخدماتية والتجارية. .... 356
- 4-مؤسسات التنشئة ..... 361
- 5-الأنماط السكنية والفضاءات المشكلة لها. .... 364
- 6-الفضاءات الغير مادية:..... 366
- ثانياً: الإسكان وازمه الرباط الاجتماعي ..... 367
- الإسكان وإعادة إنتاج الفضاء العمومي:..... 367
- 1-تلازم أزمة السكن مع أزمة الرباط..... 367
- 2-الأحياء السكنية بين الاندماج والاستبعاد..... 371
- 3-الفضاءات العامة داخل الحي الجديد بوتقة للتفاعل الاجتماعي: ..... 373
- ثالثاً: مراحل تشكل العلاقات في الأحياء الجديدة من الصراع إلى الاعتراف..... 374
- 1-مرحلة الحذر ..... 375
- 2-مرحلة الترقب الحذر ..... 376
- 3-مرحلة الهجوم والاحتلال ..... 377
- 4-مرحلة الصراع:..... 377
- 5-مرحلة تقاسم الغنيمة ..... 377
- 6-مرحلة الاعتراف ..... 378
- رابعاً: الفئات الاجتماعية ومحددات الفضاء وإعادة بناء الرباط الاجتماعي ..... 379
- 1-النوع (الجندر) ..... 379
- 2-السن..... 380
- 3-المكانة والوضع الاقتصادي ..... 382
- 4-طبيعة العمل ..... 382
- 5-المستوى الثقافي ..... 384
- خامساً: نتائج الدراسة ..... 384
- 1-الفضاءات العمومية تتفاوت في دورها في إعادة بناء الرباط الاجتماعي ..... 384
- 2-فضاءات عمومية تنتج التباين الاجتماعي ..... 387
- 3-الأحياء السكنية علاقات اجتماعية أم علاقات تعايش؟..... 388
- 4-التمييز المجالي وبناء الرباط الاجتماعي..... 389

|            |  |
|------------|--|
| 391        | 5-الرباط الاجتماعي واستعمال الفضاءات العمومية بالحي الجديد ..... |
| 392        | 6-نقص الفضاء العمومي يخلق نوع من الصراع على استعمالاته .....     |
| 392        | 7-الرباط الاجتماعي وفضاءات الاستهلاك .....                       |
| 394        | 8-مسألة إنتاج الفضاءات العمومية والعلاقات الاجتماعية .....       |
| 395        | سادسا: قضايا للنقاش .....  |
| 395        | 1-مسألة الحدود: .....  |
| 397        | 2-مسألة الانغراس: .....  |
| 399        | 3-مسألة إنتاج المجال .....                                       |
| 401        | 4-مسألة استهلاك المجال .....                                     |
| <b>404</b> | <b>الخاتمة</b> .....   |
| 409        | قائمة المصادر والمراجع .....                                     |

فهرس الأشكال

| الرقم | عنوان الشكل   | الصفحة |
|-------|---|--------|
| 01    | التوزيع السكاني حسب المناطق                             | 229    |
| 02    | الهرم السكاني لشكان ولاية الأغواط لسنة 2018             | 231    |
| 03    | منحنى توضيحي للزيادة السكانية بمدينة الأغواط 1852-2018  | 276    |
| 04    | رسم بياني يبين تطور الحضيرة السكنية بين سنة 1966 و 2018 | 290    |

فهرس الخرائط

| الرقم | عنوان الخريطة                                  | الصفحة |
|-------|--|--------|
| 01    | موقع ولاية الأغواط                             | 237    |
| 02    | مخطط مدينة الأغواط قبل الدخول الفرنسي          | 246    |
| 03    | الأغواط قبل 1952                               | 253    |
| 04    | مخطط مدينة الأغواط سنة 1954                    | 266    |
| 05    | مراحل النمو العمراني للمدينة (1852-2018)       | 270    |
| 06    | مخططات المدينة القديمة والتدخلات الاستعمارية   | 282    |
| 07    | الأغواط سنة 1974                               | 286    |
| 08    | موقع ميدان الدراسة (حي الوئام) بالنسبة للمدينة | 297    |
| 09    | الصيغ السكنية والمرافق المنتشرة بالحي          | 323    |

## فهرس الجداول

| الصفحة | عنوان الجدول  | الرقم |
|--------|---|-------|
| 211    | الإجازات السكنية الحضرية الخاصة بمشروع مليون وحدة سكنية البرنامج الخماسي 2005-2009. | 01    |
| 230    | التجمعات الحضرية بالولاية ونسبة التحضر بها.   | 02    |
| 231    | البرامج السكنية المنجزة بمدينة الأغواط 2000-2018.                                   | 03    |
| 268    | تطور عدد سكان مدينة الأغواط ما بين سنة 1852 و 2018                                  | 04    |
| 277    | استخدامات الأرض في المدينة الحالية.   | 05    |
| 279    | المرافق التعليمية ومجتمع التعليم المتمدرسة بالحي                                    | 06    |
| 289    | تطور الحاضرة السكنية بمدينة الاغواط (1962-2018)                                     | 07    |
| 293    | الحاضرة السكنية بمدينة الأغواط ونسب توزيعها   | 08    |
| 355    | توزيع الملاعب الجوارية بالحي  | 09    |
| 357    | توزيع المقاهي بالحي   | 10    |
| 359    | توزيع الحمامات بالحي  | 11    |
| 367    | التجزئات بحي الوئام   | 12    |
| 371    | أنواع الروابط بالحي   | 13    |

# مقدمة

## مقدمة

الفضاءات العمومية من أهم العناصر الأساسية المكونة للمدينة القديمة والحديثة، فلا يمكننا أن نتصور مدينة بدون شوارع وطرق، ولا يمكن أن تستغني المدينة عن الأسواق والفضاءات التجارية والحدائق والمنتزهات، كما لا يمكن للمدينة الحديثة أن تخلو من المرافق العمومية التي يحتاجها السكان في حياتهم اليومية. غير أن هذه الفضاءات تأخذ نسبا وأشكال تختلف من مدينة إلى أخرى ومن عصر إلى آخر، وذلك حسب أهميتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وهذه الفضاءات العمومية هي الأماكن التي يتواصل فيها أفراد، فالفرد يقضى جزء كبير من حياته داخل هذه الأماكن. فالموظف والعامل والتاجر يقضي أكثر من ثلث وقته في مقر عمله.

إنّ الفضاءات العمومية هي محطات للتواصل والتفاعل بين الأفراد والجماعات يتجلى ذلك من خلال تتبع لمسارات الحياة اليومية للسكان بكل أطيافهم وأعمارهم وجنسهم، هذه الفضاءات تتيح للفرد فرص بناء شبكة من العلاقات الاجتماعية من خلال التواصل والتفاعل والالتقاء مع الآخرين، وتأخذ هذه العلاقات الاجتماعية عدة أشكال في الحياة اليومية كالتواصل المباشر عبر تبادل التحية، طلب معلومات أو مساعدة، أو تواصل ضمني غير مباشر يكون تبادل النظرات، وتعابير الوجه والتصرفات والإيماءات. هذه الممارسات والتصرفات بكل صورها وتجلياتها داخل هذا الوعاء العام المكشوف تارة والمستتر في بعض الأحيان، يتولد عنه بيئة اجتماعية بكر تؤسس لنشأة مجتمع جديد وهوية حضرية جديدة بداياتها ومهد ولادتها الفضاءات العمومية للحي الجديد.

فإذا كان المسكن هو فضاء خاص للنوم والراحة والتواصل بين أفراد العائلة الواحدة، وتوكل له الحماية من العوامل الطبيعية، فإن الفضاء العمومي هو الفضاء الذي يتواصل فيه أفراد المجتمع، وهو المكان الذي تنسج فيه العلاقات الاجتماعية وتتطور وتنمو، وينشأ فيه الصراع، ويحدث فيه التوافق والتفاهات، وتتعايش في فضاءاته فئات وانساق متباينة.

في العصر الحديث شهدت مدن العالم توسعات عمرانية كبيرة نجمت عن التحضر المتسارع نتيجة الزيادات الطبيعية السكانية الرهيبة والهجرة الريفية نحو المدن، وقد سارعت معظم الدول والحكومات للتصدي لهذه الظاهرة، واجتهد المفكرون من مخططين واجتماعيين واقتصاديين وجغرافيين كل في مجاله، فظهرت هناك عدة نظريات ودراسات عمرانية واجتماعية واقتصادية وبيئية، فهناك من اقترح مدن جديدة مستقلة تماما عن المدن الأخرى فيما رأى البعض إنشاء مدن توابع ومنهم من اقترح إحداث عمليات عمرانية وتجديد داخل المدن القديمة القائمة. غير أن هذه الدراسات

معظمها تأخذ الجوانب العمرانية والمعمارية أساسا لها في التخطيط وإيجاد الحلول الآنية متناسية الجوانب الاجتماعية الثقافية وخصوصيات كل مجتمع.

التحضر الذي شهده العالم فرض توسعات عمرانية جاءت حسب الإمكانيات الاقتصادية والديمغرافية والسياسية لكل دولة، ولابد أن نستحضر في هذا السياق الجانب الاجتماعي من خلال التغيرات التي مست الرباط الاجتماعي والكيفيات التي أعيد بها بناؤه والتي كانت الفضاءات العمومية مسرحا له داخل الأنسجة العمرانية المستحدثة.

في مدن جزائر ما قبل الاستقلال، أنتجت فرنسا الاستعمارية أثناء تواجدها فضاءات عمومية تتماشى مع الثقافة الفرنسية، لتلبية رغبات وحاجيات المعمرين آنذاك، فأنشأت الأنسجة العمرانية الشطرنجية (plan hippodamien) للمدن التي بنتها، حيث الشوارع العريضة المترصفة المستقيمة والمتعامدة، وهي شوارع مكشوفة تسهل الحركة والرؤيا وخاصة مع ظهور السيارة، وزودتها بالحدائق (square) ذات الشكل المربع والمستطيل على الطراز الغوطي والفيكتوري، وأدخلت نمط العمارات الجماعية (H.L.M)، وراحت تزج بكل ما هو مرتبط بالثقافة الأوروبية من فضاءات عمومية في مفاصل المدينة المحلية، وحاولت في مرحلة متأخرة من خلال مشروع ديغول سنة 1958 تدارك أخطائها والبحث عن إيجاد الحلول للمشاكل الاجتماعية التي يعيشها الأهالي ولكن بنظرة غربية بحتة، مما أدى إلى فشل معظم هذه المشاريع وسرّع في إخفاقها.

في المرحلة التي جاءت بعد 1962 تبنت السلطات الجزائرية سياسة انتهجت النظام الاشتراكي الذي هو الآخر بعيدا كل البعد عن المقومات الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، فأنتج فضاءات جديدة مشوهة ترتبط أساسا بالنظريات الماركسية في التخطيط، فشهدت التوسعات العمرانية الحديثة معالم ورموز وساحات ومرافق كتلك التي نجدها في دول أوروبا الشرقية (الساحات المفتوحة، أسواق الفلاح، العمارات المبعثرة المتعددة الطوابق، المصانع العمالية الكبرى). ورغم المحاولات العديدة لاحتواء الثقافات المحلية من خلال زرع بعض الفضاءات التي ترتبط بحياة الأفراد اليومية ومتطلباتهم الثقافية والاجتماعية (الحمام، المسجد، السوق الأسبوعي) غير أنها تبقى منقوصة لعدة أسباب أهمها ما تعلق بمنابع تفكير العقول المنتجة للتعمر، فلا يمكننا إنتاج مدن ناجحة بعقول ذات ثقافة تبتعد كل البعد عن عالم الطبقة المراد إسكانها بالمدينة.

في جزائر مرحلة ما بعد الاشتراكية وخاصة بعد أحداث 05 أكتوبر 1988، وتحت ضغوطات الشارع المتزايدة تخلت الجزائر عن النظام الاشتراكي، وتبنت (النظام الرأسمالي) فأحدث ذلك



اختلالات كبيرة في المنظومة العمرانية وفي كفاءات إنتاج التعمير وافرز ذلك ترسانة من القوانين كان أهمها قانون التهيئة والتعمير، وقانون التوجيه العقاري، وما تلتها من قوانين ومراسيم تنفيذية وتنظيمية، تعرضت من خلالها الفضاءات العمومية إلى نكسة أخرى وتم إخضاعها لقانون تتحكم فيه سلطة "الريع" العقاري، وأصبح ينظر إلى الفضاءات العمومية بنظرة ليبرالية متوحشة، افتقدت المدينة المحلية هويتها والروح الاجتماعية والثقافة التي كانت تتغذى عليها قبل الاستعمال واكسبها روحا مادية بشعة تركز للمادية والفردانية أساسها الصراع على تقاسم المجال المدني على أسس البقاء فيها لسلطة المال، قوانين على الطراز الغربي الفرنسي بالتحديد ألغت الجماعة وشيئت الفرد. لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة معالجة إشكالية الفضاء العمومي ودوره في إعادة بناء الرباط الاجتماعي في الأحياء الرسمية المستحدثة في المدينة الجزائرية من خلال نموذج التوسعات العمرانية الأخيرة التي شهدتها مدينة الأغواط الحديثة وخاصة تلك التي أنجزت بعد أحداث 05 أكتوبر 1988، والتي أحدثت تغييرا جذريا في التوجه العام للدولة الجزائرية.

جاءت الدراسة في ثمانية فصول، الفصل الأول هو اقتراب نظري ومفاهيمي يسلط الضوء على تحديد موضوع الدراسة وبناء الإشكالية التي تبحث عن العلاقة بين الفضاء العمومي كإطار عام يتجلى في أشكال مادية تتكون منها المدينة الجديدة من جهة، والرباط الاجتماعي من خلال تتبع مسارات المعاش اليومي للأفراد داخل الأحياء الجديدة للمدينة من جهة أخرى، وبعد ضبط أهم المفاهيم التي تتعلق بالموضوع والمتمثلة في مفاهيم الفضاء العمومي، الرباط الاجتماعي، الإسكان والأحياء الجديدة، وتحديد هدف الدراسة الذي نسعى من خلاله تأكيد دور الفضاء العمومي في بناء الرباط الاجتماعي، وتبيان الدوافع الذاتية بحكم الخبرة والمهنة والموضوعية التي تعنى بأهمية الموضوع في دراسة المدن ومحاولة الربط بين التخطيط العمراني والبناء الاجتماعي في علاقته الجدلية بين المكان والإنسان.

الفصل الثاني جاء في مبحثين، المبحث الأول تطرقنا فيه إلى التوجهات النظرية في دراسة الفضاء العمومي وخاصة مقاربات كل من يورغن هابرماس وهنري لوفيفر ومانويل كاستلز وارفينغ غوفمان. بالإضافة إلى المقاربات ساهمت في دراسة الرباط الاجتماعي داخل المجتمع الحضري، واعتمدنا على أعمال الرواد وخاصة ابن خلدون وفيردناند تونيز وفيرير وإميل دوركايم وجورج وزيمل وشارل كولي، وخاصة دراستهم للمجتمع وآثار التحولات التي عرفت العلاقات الاجتماعية، حيث كانت فكرة الرباط الاجتماعي لديهم تدور حول نظرة تاريخية للعلاقة بين الفرد وجماعة انتماءه من

جهة، وظروف التحولات من جهة أخرى. وأعمال المحدثين من أمثال غودلييه وبيار بوفي وجينز وسلفدور جينز وبرينو لاتور وريتشارد سينيت وروبرت بوتنام. وهي دراسات ارتبطت بالمجتمع الحديث والتحولات التي عرفتتها مدينة القر العشرين.

الفصل الثالث تطرقنا فيه للدراسات السابقة حول الموضوع، فهناك دراسات عديدة تعرضت لدراسة الفضاء العمومي من جوانب اجتماعية وسياسية وعمرانية وجغرافية، وهناك من تطرقت لمشكلة الرباط الاجتماعي في المدينة الحديثة والأزمات التي عرفها، وأخرى درست المشكلات التي نتجت عن توسع المدينة وعن عمليات إعادة الإسكان، لكن لم نجد من تطرق لربط المواضيع الثلاثة حسب علمنا في دراسة واحدة.

لقد قسمنا هذه الدراسات حسب طبيعتها إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول حول الفضاء العمومي وخص الدراسات التي أنجزت في هذا المجال على المستوى العالمي والقاري والعربي والوطني، هذه الدراسات تطرقت لموضوع الفضاء العمومي جوانبه الاجتماعية والعمرانية والجغرافية والسياسية، والقسم الثاني وهي مجموعة دراسات على المستوى العالمي والوطني حول الرباط الاجتماعي باعتباره أهم محاور اهتمام علم الاجتماع الحضري، والقسم الثالث ضم الدراسات عن الإسكان كظاهرة تتعرض لها كل مدن العالم والكيفيات التي عولجت بها هذه الظاهرة من خلال دراسة بعض النماذج التي عرفتتها بعض الدول في جهات مختلفة من المعمورة، سواء كانت هذه الدول متقدمة تمتلك كل الإمكانيات للتغلب عن مشكلة الإسكان أو فقيرة متخلفة تحاول إيجاد ابسط السبل للتغلب على ظاهرة الاكتظاظ وتجديد المدن وتوسعها. وما ارتبط بالأحياء الجديدة وعمليات الإسكان والسكن السياسات السكنية.

الفصل الرابع تطرقنا إلى بعض الأشكال المادية للفضاءات العمومية التي نرى أنها مهمة في دراستنا هذه بناء على الملاحظات الميدانية وكثافة استعمالها في حياة الأفراد وكذلك تلك التي تعتبر حقولا مهمة في التفاعلات اليومية للسكان وتشكل مجالات للتواصل بكل أشكاله، وهي من أهم المكونات الفيزيائية للمدينة. وتعتبر الفضاءات العمومية عصب حياة المدينة ومركزها الاقتصادي والاجتماعي منذ القديم، الفضاء العام يمكن حصره في دراستنا هذه فيما يعرف بالفضاءات العمومية وهو ظاهرة خارجية لتجلي "الفكرة" وهي بمثابة العلاقات الاجتماعية، والتي تتمثل في أشكال عديدة تتجلى في المدينة، منها المادية كالشارع والساحة والمسجد والحمام والمقهى... الخ، ومنها الغير مادية كالهاتف والوسائط وشبكات التواصل والجمعيات والأحزاب.

تطرقنا في الفصل الخامس عمليات إلى الإسكان في الدول الرأسمالية وخاصة أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية، وفي دول العالم الثالث وخاصة أمريكا اللاتينية والإسكان في الدول العربية والجزائر ومحليا الإسكان في مدينة الأغواط. فالإسكان له علاقة بالسياسات المتبعة من طرف الدول وبالنمو السكاني والاقتصادي، وهو أحد عوامل المسببة للحراك المكاني والاجتماعي، وله تأثير كبير على البناء الاجتماعي لسكان هذه الأحياء أو المدن الجديدة، وعلى الرباط الاجتماعي، وبذلك فهو مؤشر مهم لمعرفة الكيفيات التي يعيد بها الأفراد بناء الرباط الاجتماعي في المجتمعات المستحدثة عبر عمليات الإسكان. ويعد الإسكان مشكلة تؤرق المسؤولين والمخططين في معظم دول العالم، وهي مشكلة ثقيلة ماليا واجتماعيا على الحكومات والدول، وأصبح السكن مطلباً ضرورياً للكثير من السكان في العالم، بما فيها الدول المتقدمة والمتخلفة، ومشكلة الإسكان ترتبط بعدة عوامل أهمها النمو الديمغرافي والوتيرة السريعة للتحضر بالإضافة للأوضاع الناتجة عن ظروف الاقتصادية، والبيئية الخاصة بالدول، وفي هذا السياق، تعرضنا لبعض أبرز التجارب الدولية والعربية والوطنية والمحلية.

الفصل السادس هو عبارة عن دراسة اجتماعية وعمرانية تاريخية لمدينة الأغواط منذ نشأتها حيث كانت البداية مع قصر لبني الأغواط ثم ظهور مجموعة من القصور لقبائل متناحرة وصولاً إلى مدينة محاطة بسور موحدة على يد أحد المصلحين يسمى سيدي الحاج عيسى، ثم دخول المستعمر الفرنسي في 4 ديسمبر 1852 وزوال السور ووفاة ثلثي سكان المدينة في معركة غير متكافئة، وظهور الفضاءات العمومية ذات الطابع الاستعماري (الحديقة والمدرسة والشوارع الواسعة ودار البلدية والثكنات العسكرية).

الفصل السابع يتعلق بالإجراءات المنهجية للدراسة، بدء بتحديد مجال الدراسة في إطاره المكاني والمتمثل في أحد الأحياء الجديدة بمدينة الأغواط والذي عرف عدة عمليات ترحيل نحوه بطرق مختلفة منها ما هو قسري ومنها ما هو طوعي ومنها ما هو اختياري والمتمثل في حي الوثام وهو أحد الأحياء المخططة الذي بدأ التعمير به سنة 1994 طبقاً وفق المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير للمدينة. الدراسة تعددت منابعها وأدواتها والمناهج المتبعة في ذلك، فهناك الجانب المونوغرافي والوصفي ودراسة الخرائط والوثائق والمقابلات الفردية والجماعية والملاحظات بكل أنواعها المباشرة والغير مباشرة، والمقابلات مع عينات قصدية من السكان، ومقابلات مع عدد من

الفاعلين الاجتماعيين، وكانت الفضاءات العمومية المكونة للحي عرضة للدراسة والتتبع من ردهة المسكن إلى الشارع إلى الحي إلى الأحياء الأخرى إلى وسط المدينة ومن السكن إلى مقر العمل أو الساحة أو المسجد أو السوق أو أي مكان عام.

الفصل الثامن جاء فيه عرض وتحليل البيانات الميدانية ونتائج الدراسة، حيث قمنا بتحديد الفضاءات العمومية المنتشرة بالحي وتقسيمها حسب الوظائف المنوطة بها ومعرفة الفئات التي تترتد بها، ورصد ممارسات الأفراد والمعاملات التي تجري هناك من خلال نتائج الملاحظات والمقابلات ومن ثم معرفة نوع وكثافة العلاقات الاجتماعية التي ينتجها كل فضاء. ومن ثم تم تحليل البيانات وتفسير النتائج التي تعتبر من أهم المراحل الأساسية وأخرها التي يشتمل عليها البحث الاجتماعي عامة.

# الباب الأول: الجانب النظري للبحث

## الفصل الأول:

### الاقتراب المنهجي والنظري للدراسة

أولاً: موضوع الدراسة

ثانياً: بناء الإشكالية

ثالثاً: مؤشرات الدراسة

رابعاً: أهداف الدراسة

خامساً: دوافع الدراسة

سادساً: الصعوبات والعراقيل

سابعاً: تحديد المفاهيم

## الباب الأول: الجانب النظري للبحث

## الفصل الأول: الاقتراب المنهجي للدراسة

يعتبر الفصل الأول المنطلق الأساسي، الذي سوف تركز عليه مختلف مجريات وتفاصيل الدراسة، من خلال تضمنه للإطار العام الذي سوف نستعرض فيه بشكل مفصل ومتدرج، كل من إشكالية البحث وما يرتبط بها من مقاربات نظرية مختلفة، وأعمال بحثية ودراسات سابقة ومشابهة لموضوع البحث، إلى جانب الإجراءات المنهجية المتبعة في هذه الدراسة.

## أولاً: موضوع الدراسة.

تحاول هذه الدراسة تحديد الفضاءات العمومية، بمختلف أشكالها وتجلياتها المادية والمعنوية المختلفة المجددة داخل المناطق العمرانية الجديدة ، ومعرفة دورها في بناء الرباط الاجتماعي داخل الأحياء الجديدة عبر مراحل الإسكان المختلفة التي عرفها الحي موضوع الدراسة، وذلك من خلال الربط بين متغيرين رئيسيين يشكلان مسألتين من أهم مسائل علم الاجتماع الحضري ، أولهما مسألة الرباط الاجتماعي داخل التجمعات الحضرية وخاصة تلك المستحدثة منها نتيجة توسع المدن والمراكز الحضرية، وذلك من خلال ملاحظة العلاقات الاجتماعية التي تظهر في الفضاءات العمومية، ونوع الرباط الاجتماعي الذي ينتج كل فضاء عمومي، وأنماط العلاقات الاجتماعية داخل الفضاءات العمومية، ولمعرفة كذلك المعنى من وراء الفعل الاجتماعي الذي يمارسه الأفراد داخل الفضاءات العمومية. وثانيهما الفضاءات العمومية باعتبارها تمثل المجالات التي يتم عبرها التواصل بين الأفراد والتي يمكن من خلالها الملاحظة والتتبع لمرحلة نشأة ونضج العلاقات الاجتماعية عبر المسارات التي يخرعها السكان في حياتهم العامة، وتعتبر الأحياء الجديدة البوتقة التي تنسج في فلكها العلاقات الاجتماعية. إن محاولة الربط بين المسألتين والبحث عن العلاقة التي تربط فيما بينهما، وذلك فمن خلال تحديد الفضاءات العمومية المكونة للمدينة الجديدة المتمثلة في الأشكال المادية التي تجسدها على الأرض والبحث في التفاعلات الاجتماعية المختلفة التي تنتجها، والدراسة تسعى في عمومها إلى تبيان الدور الذي تلعبه للفضاءات العمومية في بناء الرباط الاجتماعي داخل الأحياء الجديدة، فهي تتمحور حول المجتمع المرحل وعن العلاقات الاجتماعية وكيف يعاد نسجها داخل هذه الأحياء الجديدة المستحدثة، وماهي الفضاءات الأكثر فاعلية وتأثيراً في ذلك ، ومعرفة الاستراتيجيات التي يتبعها السكان في الحصول على السكن وكيف يتم تحديد المجال ورسم الحدود بين الأحياء في أذهان السكان، وكيف تساعد العلاقات الاجتماعية في انغراس السكان في مكان الإقامة الجديد، من خلال دراسة ميدانية تتبعه لإحدى التوسعات العمرانية الحديثة والمتمثلة في حي الوئام بمدينة الأوغاط.

## ثانياً: بناء الإشكالية

المدينة مورفولوجيا تنقسم إلى فضاء عام وآخر خاص. الفضاء العمومي تجسده الطرقات والشوارع والأزقة والممرات والساحات والحدائق والأسواق والمرافق العمومية، ويشمل كل الفضاءات المغلقة والمفتوحة التي يدخلها الأفراد كالحمامات والمقاهي والمساجد والمدارس وقاعات السينما والمسرح والمكتبات... الخ، عكس الفضاء الخاص الذي يتجسد في السكن وبعض الأماكن ذات الاستعمال الشخصي. يتميز الفضاء العمومي بسهولة الولوج إليه واستعماله من طرف الجمهور، وله وظائف ظاهرة مباشرة، منها ما هو تنظيمي كالشوارع والطرقات العامة ومنها ما هو اقتصادي كالفضاءات التجارية والأسواق، ومنها ما هو خدماتي كالمرافق العمومية والمؤسسات التربوية، ومنها ما هو روحي كدور العبادة ومنها ما هو ثقافي المسارح والمكتبات ومنها ما هو ترفيهي كالحدائق والمسارح.

الفضاء العمومي هو الإطار الفيزيقي الذي تدور في فلكه معظم التفاعلات الاجتماعية، وهو المكان الذي تتعامل فيه مجموعة من الناس تشترك في بعض الروابط العامة مثل الاهتمام، العرف، المعتقد، وهو محيط اجتماعي ضروري لا يمكن الاستغناء عنه في حياة سكان المدينة، وهو كذلك يعمل على تلبية العديد من المصالح الاجتماعية والشخصية.

المنتبع لتاريخ تطور المدينة عبر التاريخ يلاحظ أن الفضاء العمومي كان ولا يزال أهم عنصر في المدينة رغم ما عرفه من تحولات، فالمدينة منذ نشأتها الأولى مكونة من عمومي وخاص، العمومي تجسده الساحات والأسواق ومراكز الحكم والعبادة، حيث كانت الفضاءات العامة هي النواة الأولى التي تبنى حولها باقي أجزاء المدينة، ففي مدينة بابل بالعراق لعبت "الزقورة" والمنطقة المقدسة دوراً أساسياً في كونها تمثل فضاء عمومي تستقطب سكان المدينة في المناسبات والأعياد.

والمدينة الإغريقية عرفت عدة فضاءات عمومية أهمها والأكروبوليس (Acropole) والبينكس (Pnyx) والأقورة (agora) هذه الأخيرة تمثل المركز المدني الرئيسي للمدينة اليونانية القديمة، وأحد أهم أجزائها، وهي فراغ مميز للتجمع واللقاءات المختلفة لأفراد المجتمع في مناسباتهم العامة<sup>1</sup>، وقد تميزت بمساحتها وتشكيلها البارز في النسيج الحضري للمدينة الإغريقية، ومثلت بحق مساهمة عظيمة في الحياة الثقافية، والدينية والسياسية والتجارية، فهي الفضاء أو الساحة التي يتجمع فيها السكان والفلاسفة لأغراض تجارية وسياسية وتدور فيه النقاشات والحوارات<sup>2</sup>. وهي المكان الذي يجمع حوله المؤسسات

1- لويس ممفورد، المدينة على مر العصور أصلها وتطورها ومستقبلها، ت: إبراهيم نصحي، ج1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016، ص239

2 -Martin Rolland. Recherches sur l'agora grecque. Études d'histoire et d'architecture urbaines, Paris, De Boccard. 1951. 1 vol. in-08, 570 pp, 83 fig., 12 pll. (bibliothèque des écoles français d'Athènes et de Rome)? fasc. 174).



السياسية والدينية والمعالم الممجدة للأبطال والمحلات التجارية، وهو مكان ذو خصوصية ارتبطت بحياة الاجتماعية لسكان المدينة الإغريقية.<sup>1</sup>

المدينة الرومانية هي الأخرى عرقت عدة فضاءات عمومية لها أهمية كبيرة في الحياة العامة للسكان من أبرزها المنتدى الروماني المعروف بالفوروم (Forum)، والذي كان يرتبط بمركز المدينة ويشمل مجموعة عناصر أو منشآت أساسية هي (الكوريا) مقر مجلس البلدي، و(البازليكا) صالة النشاط التجاري وملتقى رجال الأعمال، ومقر مجلس القضاة، كما يشمل الفوروم سوق المدينة بما يضمه من حوانيت وساحة رئيسية. هو ميدان عام مستطيل الشكل محاط بالعديد من الأبنية الحكومية الرومانية الهامة آنذاك. كانت تقام فيه الاحتفالات الشعبية والانتخابات الحكومية، وكان مركزاً لإلقاء الخطابات العامة وإجراء المحاكمات، وكان جوهر التجارة والحياة الاقتصادية الرومانية. ومن الفضاءات العامة نجد الكوميتيوم (Comitium) وهو مكان مخصص للاجتماعات العامة والانتخابات والمجالس والمحاكمات في الهواء الطلق، والفوريم وميدان إله الحرب المريخ (Champ de Mars) وهو الآخر فضاء عام كرس للعبادة وممارسة الطقوس الدينية الممجدة للانتصارات الحربية لروما.

في المدينة الإسلامية كانت النواة الأولى التي تبنى عليها المدن هي المسجد والساحة والسوق<sup>2</sup>، وهي الملامح الأصلية للمدينة العربية الإسلامية<sup>3</sup>، ففي المدينة المنورة كان التكوينات المعمارية الدينية المتمثلة في المسجد النبوي (الجامع) وتوسع مساجد بالأحياء، بالإضافة إلى ساحة فضاء تقام عليها صلاة العيد، كما اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنشاء السوق فكان سوق المدينة فضاء واسعاً لا بناء فيه، وربطت الشوارع والطرق باعتبارها شرايين الاتصال بين هذه التكوينات المعمارية. فقد كشفت الروايات التاريخية عن أن المدينة خط بها شوارع رئيسية تمتد من المسجد باعتباره نواة المدينة إلى أطرافها<sup>4</sup>، كلها فضاءات ووسائط مادية وفضاءات للتفاعل الاجتماعي.

إن التحولات التي عرفتتها المدينة الحديثة أحدثت تغييرات كبيرة على بنية الفضاء العام وحدوده المادية والاجتماعية، وعلى الرباط الاجتماعي، فالتحضر المتسارع صاحبه نمو للمدن كظاهرة عالمية حديثة عرفتتها كل دول العالم، كانت له تداعياته على الفضاءات العمومية للمدينة، وبالتالي على نسق العلاقات الاجتماعية. كانت بداياته الحقيقية لهذه التحولات مع ظهور الثورة الصناعية في أوروبا في أواسط القرن الثامن عشر، وما أفرزتها من حركة تجارية، وارتفاع مضطرد في عدد سكان المدن، ثم

1-Michel De Sablet, Des espaces urbains agréables à vivre, édition Du Moniteur, Paris, 1988. p95

2-Gérard Coulon. Les voies romaines en Gaule, éditions Errance, «Promenades archéologiques», 2007, p.263.

3- الكناني كامل، تخطيط المدينة العربية الإسلامية الخصوصية والحداثة، مجلة المخطط والتنمية العدد (15) 2006، جامعة بغداد.

4- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، العدد 128، علم المعرفة، الكويت، أغسطس 1988، ص 49-51.

ما لبث هذا النمو أن انتقل إلى معظم مدن العالم وخاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، كان سببه الرئيسي في أوروبا هجرة سكان الإرياف نحو المدن بحثا عن العمل في الصناعة والتجارة والخدمات. أدى التحضر إلى اختلالات كبيرة في البنى الاجتماعية للسكان، وطفت على السطح عدة مشكلات اجتماعية وتخطيطية كان لها انعكاسات سلبية على الحياة الاجتماعية للسكان، مما استدعى إلى إجراء تغييرات مجالية عميقة في مورفولوجيا المدينة، وهذا ما دفع بالدول والحكومات إلى التفكير في إيجاد حلول للمشكلات الطارئة على المدينة الحديثة، وإعادة النظر في تخطيطها وفق المعطيات الجديدة والمتطلبات الراهنة، وبرزت عدة نظريات تخطيطية واجتماعية في هذا المجال كحلول تهتم بتخطيط المدن وتوسعها وحركة نموها مست فضاءاتها العمومية والخاصة. ومن بين الحلول الأكثر شيوعا هو توسيع نطاق المجال الحضري للمدن القائمة، بإنشاء أحياء جديدة لخفض الكثافة السكانية وتخفيف الزحام المروري ولفك الضغط على المرافق العامة والخدمات بوسط المدينة، ولتلبية حاجيات السكان الجدد فيما يتعلق بالسكن والخدمات والعمل والترفيه.

المدينة بيئة فيزيقية واجتماعية وثقافية، أساسها العمران والأفراد، وهي بذلك العلاقة بين العمارة والوقائع الحضرية في سياق تفاعلي، هذا التفاعل الذي يحمل في طياته كل التناقضات الاجتماعية التي تخلفها الحياة الحضرية في جزئياتها اليومية، والمدينة فيزيقيا هي مجموعة أجزاء تضم الأحياء، والقطاعات المتباينة التي تكون خصائصها الأساسية مختلفة فيما بينها<sup>1</sup>. والفضاءات العامة هي الأشكال المادية الأكثر تجسيدا والتي يقضي الفرد داخلها معظم أوقاته، لها دور مهم في بناء وتطور الرباط الاجتماعي، لما تمارسه من ضغوطات في رسم مسار المعاش اليومي للفرد بداخلها، وما تفرضه من تحولات في البناء الاجتماعي، ففي الفضاءات العمومية للمدينة تدور كل الحوارات والنقاشات مكونة فضاء لا ماديا، وفي فضاء أحيائها تتسج وتتطور العلاقات الاجتماعية مع مرور الوقت، وفي أماكنها العامة تحدث الصراعات والخلافات، وما يدور بداخلها من أحداث يؤسس إلى تكوين ذاكرة جماعية تكون لها دور في شكل الروابط الاجتماعية وبناء هوية الحي.

مسألة الرباط الاجتماعي في المجتمعات الحضرية أحد اهتمامات علم الاجتماع الحضري، والرباط الاجتماعي يرتبط ارتباطا وثيقا بالفضاءات العمومية باعتبارها البوتقة التي تتم بها عمليات التواصل بين أفراد المجتمع، فالفرد يقضي جزء كبير من يومه متنقلا بين هذه الفضاءات لغايات مختلفة تحتم عليه التفاعل مع الآخرين. وفي المدن التوابع والأحياء الجديدة منذ أن تبدأ بها عمليات الإسكان تبدأ روابط اجتماعية جديدة في التشكل، فهناك تبادل دائم بين المسكن، باعتباره مكانا خاض،

1 -Rossi Aldo, L'architecture de la ville, trad par, Françoise Brun, L'Équerre, Paris, 1981.

والشارع، باعتباره مكان عام<sup>1</sup>، ومع مرور الوقت تتكون وتنمو الصداقات وعلاقات الجيرة، وتبدأ عمليات "تملك الفضاء" بشقيه المادي والرمزي ويظهر ذلك عند الفرد من خلال إمكانية التحرك، والاسترخاء والتملك والعمل والشعور والإعجاب والحلم والتعلم والإبداع وفق رغباته ووفق مشاريعه.

الأحياء الجديدة هي "أحياء الطارئة"<sup>2</sup> أكثر مما هي اختيارية، هي البيئة الأكثر حداثة اجتماعيا، فهي عادة ما تتميز بفتور في العلاقات الاجتماعية وهشاشة في الرباط الاجتماعي، فالسكان الجدد عادة ما يتحفظون في علاقاتهم مع الجيران، ولما يكونون نسق من العلاقات الشخصية وخاصة في السنوات الأولى من سكنهم في الحي الجديد. وقد تصبح الفضاءات العمومية، حلبة للصراع بين الأفراد والجماعات من أجل امتلاكها والسيطرة عليها عبر مراحل تبدأ بالاستعمال ثم الاستغلال وأخيرا السيطرة، وخاصة في المراحل الأولى للإسكان، ويمكن أن نسمي المرحلة الأولى بمرحلة الاستكشاف، حيث تبدأ من خلالها عملية البحث عن نقاط ارتكاز يعتمدها الأفراد للاستحواذ على الفضاء العمومي بطرق تختلف في طبيعتها، ومن ثم تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة التصادم، يستعمل خلالها الأفراد كل مظاهر القوة الجسدية والرمزية للدفاع عن نواتهم في تجليات مجالية تحدد الأنا ودون مرعاه للأخر، صراع قد يطول ومعركة لا يتحدد فيها الفوز، فالكل ضد الكل مما يجعل فكرة التقاسم "للغنيمة" فيما بين السكان ممكنة، وقد تكون لأطراف أخرى رسمية وغير رسمية دور في التخفيف من حدة الصراع أو إفشاله، وغالبا ما يكون الاعتراف والتسامح أو الانسحاب آخر المراحل.

كباقي مدن العالم عرفت المدن الجزائرية نموا حضريا متسارعا بدأ بعد الحرب العلمية الثانية واشتد أثناء الثورة التحريرية نتيجة القمع الذي مارسه فرنسا على سكان الأرياف ما ساعد على هجرة هؤلاء السكان نحو المدن، وبعد الاستقلال بقيت عملية نمو المدن تسير بوثيرة قوية نتيجة تواصل النزوح الريفي. فسارعت الدولة الوطنية منذ الاستقلال إلى إحداث توسعات عمرانية عديدة وإنشاء أحياء سكنية بالكامل للقضاء للتصدي لمشكلات المدن، حيث تعد المشكلة السكانية وزيادة الضغط على الموارد والخدمات من أخطر المشاكل التي تواجه مجتمع المدينة.

شهدت الأغواط نموا حضريا متسارعا منذ الاستقلال، هذا النمو الذي زادت حدته وتسارعت وتيرته منذ سنة 1990، لعدة أسباب منها الهجرة الريفية للعشرية السوداء نحو المدينة، وكذلك الطلب على اليد العاملة والنمو الطبيعي للسكان، نجم عن هذا النمو السكاني السريع ظهور أحياء جديدة كبيرة نسبيا مخططة بطريقة عمرانية مختلفة أملت التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية التي عرفت الجزائر في السنوات الأخيرة.

1 -Maurice Halbwachs، La mémoire collective. Presses Universitaires de France, Paris, 1968, p17.

2 - Hughes Lagrange. Le Déni des cultures, Éditions Le Seuil, septembre 2010, p 82.

هذه الأحياء المخططة هي أحياء سكنية الغاية الأولى منها القضاء على أزمة السكن والاكتظاظ بالمدينة، لقد صاحب هذا الحراك المجالي للسكان والتغير المورفولوجي للأشكال العمرانية والفضاءات العمومية في المدينة حراك اجتماعي على كل المستويات أدى إلى تغير في البنى والعلاقات والممارسات الاجتماعية وفي نسق العائلة، أثر على الرباط الاجتماعي بصفة عامة، وهذا ما سوف نتطرق له عبر هذه الدراسة.

إن النمو الحضري لمدينة الأغواط نتج عنه أحياء جديدة تم إنشاؤها من خلال مخططات رسمية تضم مجتمعات جديدة، ومن بين هذه الأحياء حي الوئام مجال دراستنا. إن تغيير مكان الإقامة والسكن بحي جديد يخلق مسارات جديدة في حياة الأفراد والجماعات، قد يؤثر ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على مسار حياتهم الاجتماعية، بدء من كيفية استعمال الفضاء العمومي وإعادة صياغته من جديد وفق متطلباته، ويؤدي إلى ظهور متطلبات وتطلعات جديدة لدى الأفراد، تؤدي هي الأخرى عادة إلى ظهور أشكال جديدة للحياة الاجتماعية<sup>1</sup>، إن الإسكان في الأحياء الجديدة هو الطريق المؤسس لبداية ملامح العلاقات الاجتماعية المستحدثة التي ينسجها الأفراد داخل الفضاءات العمومية المكونة للحي، وتعتبر مسارات الأفراد في الفضاءات العمومية من خلال معيشتهم اليومي وما تفرزه من ممارسات اجتماعية أحد المؤشرات عن علاقة الأفراد بالفضاء العمومي والكيفيات التي يتخذونها في التعامل مع الآخر من خلاله، وعن التمثلات التي يكونونها عنه وعن مكان إقامتهم الجديد بصفة عامة.

اعتمادا على ما سبق ومن خلال المعيشة الميدانية والملاحظات المتكررة لحركة السكان وتفاعلاتهم في الأماكن العمومية لمجال الدراسة ومن خلال المقابلات الموجة الاستكشافية نسعى لمعرفة دور الفضاءات العمومية في إعادة بناء الرباط الاجتماعي بالأحياء الجديدة.

ويتسنى لنا ذلك من خلال معرفة ما يلي:

- العلاقة بين أنماط شبكات التفاعل والأشكال المادية للفضاء العمومي.
- كيفية عمل الفضاءات العمومية على إنتاج قيم ومعايير وقواعد مشتركة بين السكان الجدد.
- أهمية الاحتكاك المباشر وعلاقة ذلك بطبيعة وشكل الفضاءات العمومية.
- كيف تتم عملية الاندماج والتنشئة داخل الفضاءات العمومية.
- كيف تعمل الفضاءات العمومية على تشكل هوية الأفراد والجماعات داخل المجمعات المختلفة المكونة للحي الجديد.

1 -Paul-Henry Chombart de Lauwe. Groupe d'Ethnologie sociale. In : Revue française de sociologie, 1963, 4-4. Problèmes noirs. p. 445.

- الميكانيزمات التي يتبناها السكان الجدد من خلال الممارسات اليومية في استعمالات الفضاءات العمومية المختلفة.

### ثالثا: مؤشرات الدراسة

الفضاءات العمومية بالأحياء الجديدة هي الأماكن التي يتجسد عبرها الرباط الاجتماعي، فهي الإطار المادي الذي تدور فيه مجمل العلاقات بين الأفراد خارج نطاق المجال الخاص.

#### 1: أبعاد ومؤشرات مفهوم الفضاءات العمومية

**البعد الاجتماعي:** ومن مؤشرات

- طبيعة الفضاءات العمومية (ترفيهية، ثقافية، خدمية، تجارية، دينية، سياسية)
- أهمية الفضاءات العمومية في الحياة العامة (عدد المستخدمين، مدة الاستعمال، كثافة الاستعمال، الفئات الاجتماعية المعنية)
- الممارسات من خلال أشكال التواصل والتفاعل بين الأفراد في الفضاءات العمومية (التنافس، الصراع، الانسحاب، التسامح...)

**البعد الفيزيقي:** ومن مؤشرات نجد الأشكال المادية للفضاءات العمومية (مبنية، مفتوحة، مغلقة، المساحة، عدد الطوابق، الكثافة، عددها، الهيكل، التواتر، الانتشار، التوزيع)

**البعد الاقتصادي:** ومن مؤشرات القيمة العقارية (الموقع، المساحة، الملكية).

#### 2: أبعاد ومؤشرات مفهوم الرباط الاجتماعي

- الخلفية الاجتماعية والثقافية للوافدين
- أصول السكان الجدد (حضرية، ريفية، بدوية)
- الفئات الاجتماعية (المهنة، الجنس، العمر)

#### 3: أبعاد ومؤشرات مفهوم الأحياء الجديد.

- البعد التخطيطي (الحجم، الطبيعة، الموقع، المرافق)
- البعد اجتماعي (الاكتظاظ، النمو الحضري، المشكلات الحضرية)
- البعد العلائقي (التواصل، التحفظ في العلاقات، التنافس، الصراع)

#### 4: أبعاد ومؤشرات مفهوم الإسكان

أ- أبعاد تخطيطية: التنظيم الحضري، التصدي لازمة السكن، القضاء على السكن الغير لائق، توفير الخدمات. ومؤشراتها: الصيغ وأنماط السكن، عدد الأفراد بالمسكن، الهجرة الريفية، الزيادة الطبيعية،

ب- **أبعاد اجتماعية:** الرفاهية، الاندماج الحضري، العدالة الاجتماعية، الأمن النفسي والاجتماعي للفرد، الحق في المدينة ومن مؤشراتنا نقص الأحياء الغير رسمية والهشة، تدني قيمة الإيجار، معدل شغل المسكن، السكن اللائق.

#### رابعاً: فرضيات الدراسة

- الفضاءات العمومية بمختلف صورها وتجلياتها وأشكالها المادية وللامادية لها دور كبير لا يمكن تجاهله في عملية بناء الروابط، ونسج العلاقات الاجتماعية داخل الأحياء الجديدة التي استقبلت، -على شكل دفعات متتالية عبر فترات زمنية وعن طريق استراتيجيات مختلفة-، مجموعات سكانية متجانسة للغاية وأخرى غير متجانسة من وجهة نظر خصائصها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، غير أن هذه الفضاءات تتباين في شدة تأثيرها.

- أنماط شبكات التفاعل ترتبط في بعض الأحيان بالأشكال المادية للفضاء العمومي.

- الفضاءات العمومية بالأحياء الجديدة تعمل في الغالب على إنتاج قيم ومعايير وقواعد مشتركة

بين سكان الحي الواحد.

- الاحتكاك والتواصل والتفاعل المباشر له علاقة بطبيعة وشكل الفضاءات العمومية.

- عملية الاندماج والتنشئة تتخذ من بعض الفضاءات العمومية ميدان لها.

- الفضاءات العمومية تعمل على تشكل هوية الأفراد والجماعات داخل المجمعات المختلفة

المكونة للحي الجديدة.

- يتبنى السكان الجدد ميكانيزمات مختلفة ومتعددة من خلال الممارسات اليومية في استعمالات

الفضاءات العمومية المختلفة.

#### خامساً: دوافع الدراسة

الباحث لا يختار أبداً موضوع بحثه بمحض المصادفة، فهناك علاقة ما تربط الباحث بموضوع

بحثه<sup>1</sup>. فعلى حد قول فرديناند دو سوسور (Ferdinand de Saussure) وجهة النظر تخلق الموضوع،

فالنظرة العلمية للواقع هي التي تساعد على اكتشاف الأسباب العلمية للظواهر وتحديد وضبط الموضوع،

باستعمال المبدأ الأصولي الذي يشكل أداة القطع مع الواقعة الساذجة.<sup>2</sup> فمن خلال المكتسبات العلمية

المتحصل عليها خلال سنوات الدراسة سمحت لنا بملاحظة الواقع ملاحظة علمية وبدا لنا أن الفضاء

بمثابة السائل الذي تجري من خلاله كل العلاقات التي تبني بين أفراد المجتمع، هذا الفضاء مقسم إلى

قسمين: فضاء خاص له خصوصيته فهو أناني يحاول حماية حدوده والدفاع عنها ضد الآخر، يكشف

عن علاقات شخصية بين الفرد والانا تارة وبين الفرد وآخر الموجود معه داخل الفضاء الخاص الممنوع

1- سيرج بوغام، ممارسة علم الاجتماع، ترجمة: منير سعدياني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، 2012، ص.27.

2- بيار بورديو وآخرون، حرفة عالم الاجتماع، ترجمة: نظير جاهل، ط1، دار الحقيقة، بيروت، 1993، ص.43.

عن العام. وفضاء عمومي تدور في فلكه كل العلاقات العامة بين الأنا والآخر وما يفرزه من علاقات اجتماعية واقتصادية تنتقل بين الصراع والاعتراف والتسامح، وهو موضوع دراستنا، إن النظرة العلمية للواقع المعاش وما يفرزه من ظواهر اجتماعية، تتكشف من خلالها للباحث الأثار التي يمكن تتبعها للوصول إلى المعرفة العلمية التي تقوده بدورها إلى توالد المواضيع.

ويمكن أن نقسم دوافع اختيار الموضوع إلى أسباب موضوعية وأخرى ذاتية.

### الأسباب الموضوعية:

هناك حلقة مفقودة يشوبها الغموض بين الفضاء العمومي كمكون مادي في المدينة الحديثة والرباط الاجتماعي كمكون اجتماعي يرتبط بالأفراد والجماعات، هذه الحلقة التي من خلالها نحاول إيجاد العلاقة التي تربط المجال وتمفصلاته المادية من جهة وتحركات الأفراد والجماعات من خلال تتبع مساراتهم في المعيش اليومي من جهة أخرى، ويرجع سبب اختيار مدينة الأغواط كميدان للدراسة، والأحياء الجديدة بالتحديد، إلى الحقيقة الأولية العامة وهي التغيير العنيف والسريع الذي شهدته المدينة على المستوى المجالي والاجتماعي خلال السنوات الأخيرة الماضية.

لقد عرفت المدينة توسعا عمرانيا فاق توقعات المخططات التوجيهية حيث نجد أنها (تفوقت على بعض مدن الهضاب العليا ومدن الشمال)<sup>1</sup>، وأصبحت تتجه بخطى سريعة نحو التقدم والتنمية على كل المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وما شهده المجتمع لمحلي من تغييرات خلخلت البني الاجتماعية التقليدية وما صاحب ذلك من أثار على الحياة العامة والعلاقات الاجتماعية بشكل خاص، وكانت شرارة هذا التغيير وبذرتة الأولى منذ اكتشاف حقول الغاز بالمنطقة وازدهار الصناعات البترولية والغازية بمنطقة حاسي الرمل التابعة إقليميا لولاية الأغواط، وما تبع ذلك من مشروعات وتطورات على المستوى الأيكولوجي والديمغرافي نجم عنه توسع عمراني مخطط وآخر غير مخطط، أثر على هيكل الحياة الاجتماعية والاقتصادية وبالتالي على الروابط الاجتماعية. مما دفع بنا إلى محاولة معرفة العلاقة بين الفضاء العمومي المسجد داخل مناطق النمو العمراني وخاصة في الأحياء الجديدة وتطور العلاقات الاجتماعية، لعنا من خلال هذه الدراسة دور المساهمة في فك الغموض التي يشوب العلاقة بين الفضاء العمومي والرباط الاجتماعي داخل المدينة الحديثة، بناء على المعطيات الجديدة التي يعرفها المجتمع المحلي، مما يتطلب اختصاصات كثيرة في صناعة المدينة ولعل هذه المساهمة تكون بادرة لربط العمراني بالاجتماعي، وإضافات جديدة للزاد المعرفي لعلم الاجتماع الحضري وإشراكه ميدانيا بطريقة رسمية تتبناها السلطة في التصدي لمشكلات المدينة الجزائرية الحديثة على المستويين التخطيطي والاجتماعي.

1 -Marc Cote, Dynamique urbaine au Sahara, in Insaniyat n°05.Mai Aout 1998, p89.

### الأسباب الذاتية:

أما الأسباب الذاتية، لها علاقة بالجانب المهني، فالتطور العمراني الذي عايشته ميدانيا كمهندس معماري مشارك في عمليات إنجاز مخططات التعمير، وبالتحديد منذ سنة 1992، انطلاقا من المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير (PDAU) المصادق عليه سنة 1995 ومخططات شغل الأراضي المتعاقبة، وانتهاء بمراجعة هذه المخططات سنة 2015، وكذلك المرافقة لعمليات الإسكان بصيغها المختلفة التي عرفتھا المدينة كرئيس مصلحة البناء بمديرية التجهيزات العمومية لولاية الأغواط منذ سنة 2001، هذه الممارسة الميدانية لعمليتين مهمتين في تطور المدينة ألا وهما النمو العمراني وعمليات الإسكان بالإضافة إلى الزاد في مجال الهندسة المعمارية وعلم الاجتماع الحضري، وكذلك العلاقة التي تربطني بالمدينة مجاليا واجتماعيا، كل ذلك جعل مني أولي اهتماما كبيرا للتحويلات التي تعرفها المدينة.

وهي محاولة منا للبحث عن أجوبة مقنعة لتساؤلات عدة حول تكوّن الرباط الاجتماعي والكيفيات التي يتم بها إعادة نسج العلاقات الاجتماعية، وكيف يؤثر الفضاء العمومي في سلوك الأفراد في الأحياء المستحدثة، وعبر الأنماط السكنية المختلفة، ومعرفة ما إذا كان هناك علاقة بين الشكل أو مورفولوجيا المكان العام وأنماط الرباط الاجتماعي باعتبار هذه الأحياء بوتقة لإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية ومختبر للعمليات الأيكولوجية، هذه الأسئلة التي لم تستطع الهندسة المعمارية، وعلم التخطيط العمراني، وعلم الجغرافية الحضرية، وكل العلوم الأخرى المتدخلة في صناعة المدينة الإجابة عنها، بالإضافة محاولة فتح المجال أمام الدراسات الاجتماعية الميدانية للمجتمع المحلي من أجل إيجاد آليات وأدوات جديدة غير تلك المتبعة في تخطيط المدن، للتصدي للظواهر السلبية التي أفرزها التخطيط والتحضر المتسارع، وذلك من خلال تبني مقاربات محلية تراعي خصوصيات المجتمع المحلي ومكوناته الثقافية وتحفظ له هويته وبناءه الاجتماعي قبل وأثناء وبعد عمليات الإسكان، باعتبار أن الإسكان هو أهم العمليات المجسدة للنمو الحضري، وقد يكون لهذه الدراسة الأثر في إعادة النظر في الكيفيات المعتمدة من طرف الدولة والأطراف الفاعلة الأخرى في تجسيد الفضاءات العمومية داخل المدن والأحياء الجديدة.

### سادسا: الصعوبات والعراقيل

إن دراسة موضوع الفضاء العمومي، ومحاولة حصره في العلوم الاجتماعية، وبالضبط في ميدان علم الاجتماع الحضري-الذي بدأ يهتم بتحليل البعد العمراني لدراسة الجوانب الرئيسية للحياة الاجتماعية<sup>1</sup>، له مخاطر كثيرة، قد تعرض الباحث للخروج عن الإطار العام للدراسة، نظرا للتجاوزات

1-أنظر:

Laure Célérier, « Yves Grafmeyer, Jean-Yves Authier, Sociologie urbaine », Lectures [En ligne], Les comptes rendus, 2009, mis en ligne le 22 novembre 2009, consulté le 01 septembre 2020. URL : <http://journals.openedition.org/lectures/825>



التي يتعرض لها هذا المفهوم من عدة اختصاصات بدءاً بالفلسفة وعلم السياسة وعلوم الاتصال والهندسة المعمارية والتعمير والجغرافيا الحضرية.

إن صياغة المفهوم صياغة صحيحة داخل إطار علم الاجتماع الحضري، لا يتأتى ذلك إلى في نهاية البحث<sup>1</sup>، ويتطلب من الباحث الكثير من الحيطة والحذر في التعامل مع المادة العلمية حول الموضوع وعدم الانسياق وراء الأفكار ولآراء الموجودة في العلوم والاختصاصات الأخرى، إن ذلك قد يؤدي بالباحث إلى الانزلاق والخروج عن الهدف المنشود من الدراسة، فمحاولة ربط مفهوم الفضاء العمومي بأحد أهم اهتمامات علم الاجتماع ألا وهو الرباط الاجتماعي، واختيار الأحياء الجديدة كمجال للدراسة ليس بالشيء الهين وفيه كثير من المخاطرة، ويتطلب فترة زمنية طويلة.

هناك عدة معوقات كان التغلب عليها من الصعوبة بمكان، وكان ذلك بمثابة تحدياً، اخذ منا جهداً كبيراً ووقتها طويلاً، كان ذلك على مستويات عدة، وتخلل كل مراحل الدراسة بدءاً من مرحلة القراءات والمرحلة الاستكشافية ثم النزول إلى الميدان، ويمكن تلخيص كل ذلك في المعوقات التالية:

**المعوقات الأبيستمولوجية.**

**ندرة المادة العلمية:** من أهم المعوقات الأبيستمولوجيا، وخاصة خلال مرحلة القراءات وجمع المادة العلمية، تلك المتعلقة بشح المادة العلمية من مراجع وأدبيات حول الموضوع، وخاصة الشق المتعلق بالفضاء العمومي في الدراسات العربية والوطنية، باعتبار أن الفضاء بالمفهوم الحضري حديث النشأة، وقليلة المراجع التي تتبنى هذه الأطروحة على المستوى الوطني والإقليمي، وكل ما وجد، وخاصة تلك الدراسات التي جاءت بعد مرحلة الاستقلال، كانت تعني بفضاء عمومي في ظل الأيديولوجيا الاشتراكية والتسيير الموجه والمخطط، فكانت عبارة عن توجهات تخدم الجانب السياسي أكثر من الجانب الاجتماعي، بالإضافة إلى قلة البيانات والإحصائيات الوطنية الرسمية المحينة وتباينها في بعض الدراسات.

**اللغة:** لأن التأسيس لمفهوم الفضاء العمومي في العلوم الاجتماعية حديث النشأة لم تتبلور الصورة النهائية له، وخاصة في الدراسات العربية، وأغلب ما كتب حول الموضوع هنا في الجزائر موجود باللغة الفرنسية مما تطلب منا جهد كبير أثناء الترجمة والتدقيق في استعمال المفاهيم، بالإضافة إلى أن الدراسات الحديثة أغلبها متوفرة باللغة الإنجليزية وهي لغة غير متحكم فيها جيداً مما تطلب منا الوقت الكثير.

**المعوقات المفاهيمية:** هناك صعوبة في تحديد بعض المفاهيم نظراً لتعدد استعمالها ومعانيها، فمفهوم الفضاء العمومي مثلاً لم يتم لحد الآن بلورة رؤيا واضحة المعالم حول مفهومه العام نظراً

1- ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ترجمة محمد علي مقلد، مركز الإنماء لقومي، بيروت، لبنان، 1990، ص 28.

لحادثة توظيفه في علم الاجتماع الحضري، فهناك المجال العام وهناك الفضاء العام وهناك الفضاء العمومي وهي كلها مفاهيم متقاربة لها مدلولات مختلفة من ميدان إلى آخر، فنجدها توظف في بعض الدراسات بنفس المعنى، ومعناها في الغالب يرتبط بالاختصاص، حيث كان من الصعوبة الاستقرار على مفهوم واحد واستعماله في كل المواقف نظرا للتداخل الحاصل في استعماله من طرف عدد كبير من التخصصات من داخل علم الاجتماع ومن خارجه، وهناك تباين في معانيه من مفكر إلى آخر ومن لغة إلى أخرى. ولاختلاف بين مفهوم الرباط الاجتماعي والرابط الاجتماعي اقل حدة ونجد استعمالتهما متقاربة واحدة وخاصة في اللغة العربية، ومفهومي الإسكان وإعادة الإسكان هما الآخران معناهما يختلفان من نظام سياسي إلى آخر ومن أيديولوجية إلى أخرى، ولهما دلالات متباينة حسب طبيعة السكن وأنماطه والسياسات المتبعة من طرف الدول، وحسب طبيعة السكان وخلفياتهم، وتعريف الأحياء الجديدة هو الآخر يعاني من نفس الإشكال وهو متعلق بطبيعة الأرض واستعمالاتها والقوانين المتحكمة في عمليات التعمير وقياس درجات التحضر.

### معوقات ميدانية

إن عدم توفر المعطيات والبيانات الدقيقة والكافية عن ميدان الدراسة، واتساع رقعته، كان من أكبر العوائق، رغم المساعدة التي تلقيتها من الإدارات العمومية والدوائر الرسمية بحكم وظيفتي كإطار بمديرية التجهيزات العمومية لولاية الأغواط، فميدان الدراسة عبارة عن حي كبير يمثل حوالي ربع المدينة، حيث تلقيت صعوبة كبيرة في الإحاطة بكل مكوناته الفيزيائية، وكان العامل البشري وكيفيات التعامل معه من الصعوبة بمكان، فالأفراد كثيرا ما يمتنعون عن الكلام والإجابة ولإفصاح عن بعض الحقائق أثناء المقابلات التي قمت بها، وقد يتحايلون أحيانا في تعاملاتهم مع الغرباء لأغراض أمنية ومصالحية، فكان من الصعوبة كسب ثقتهم في بعض الحالات، وخاصة أن فترة الدراسة تزامنت مع الظروف السياسية التي شهدتها البلاد، المتمثلة في الحراك الشعبي مما زاد من صعوبة التواصل بحرية مع الأفراد وخلق نوع من الثقة عند المبحوثين، ثم كان لانتشار وباء كورونا في المراحل الأخيرة من الدراسة الميدانية أثناء عملية المراجعات الميدانية دور في تأخر إنجازها.

### سابعاً: تحديد المفاهيم

المفهوم "هو مصطلح عقلي للخصائص المشتركة لمجموعة من الأشياء أو الأحداث التي تميزها عن غيرها، ويعطى هذا التصور اسماً أو مقترحا.<sup>1</sup> وهو السمات أو الخصائص الجوهرية التي تميز الأشياء أو الأحداث أو الأسماء من بعضها البعض وترسم صورة ذهنية لمنطوق الشيء ذاته.<sup>2</sup> فالمجال

1- خليل يوسف وآخرون، مفاهيم العلوم العامة والصحة في الصفوف الأربعة الأولى، ط1، مطابع وزارة التربية والتعليم، اليمن، 1995، ص10.

2- محمد محمود الخوالدة، وآخرون، طرائق التدريس العامة، ط1، مطابع الكتاب المدرسي، صنعاء، 1995، ص125.

العام، والفضاء العمومي، قد يتقاربان أحيانا في المعنى لكن لا ينطبقان ولا يستعملان في نفس التخصص، والرباط الاجتماعي والرباط الاجتماعي هما الآخران يعرفان نفس الإشكال، إن تحديد مفاهيم الدراسة هو بمثابة الضبط المعرفي للموضوع أو المصطلح أو الشيء المبحوث فيه، ويقصد بتحديد المفاهيم تبيان ما تعنيه من مقاصد وما تظهره من صفات المصطلحات المقترحة، ويتضح المفهوم عندما يعقله الإنسان وتميزه عن بقية المفاهيم الأخرى التي يشترك معها في نفس الخصائص والصفات، وهذا ما سوف نحاول اعتماده في هذه الدراسة لضبط المفاهيم جيدا من أجل التحكم في مدخلات ومخرجات الموضوع.

هناك أربعة مفاهيم ترتبط ارتباطا وثيقا ومباشر بموضوع الدراسة يجب تحديدها وحصرها ولا يمكن للدراسة أن تتم بدون تحديدها والتحكم في استعمالها ودراستها بغية توظيفها منهجيا في متن الدراسة وهي: الفضاء العمومي، والرباط الاجتماعي، وإعادة الإسكان، والأحياء الجديدة. وتحديدها هو بمثابة الضبط المعرفي، ويقصد بتحديد المفاهيم تبيان ما تعنيه من مقاصد وما تظهره من صفات، ويتضح المفهوم عندما يعقله الإنسان ويميزه عن غيره من المفاهيم الأخرى التي يشترك معها في نفس الخصائص والصفات.

المفاهيم هي بمثابة تصورات مجردة لا تكسب معناها إلا من خلال ظواهر تتحقق في الواقع. وحقيقة الأمر أن مسألة المعنى في علم الاجتماع هي مسألة شائكة، وتطرح كذلك إشكالية الموضوعية. وبالنظر إلى هذه الاعتبارات وغيرها يمكننا أن نحدد اتجاهين حول ما ينبغي أن يكون عليه تحديد المفاهيم وتعريفاتها. فهناك أولا، الاتجاه الواقعي والذي يستند أساسا على البعد الإجرائي. وثانيا، الاتجاه التصوري، الذي يقوم على أطر عامة تركز على رؤى نظرية متباينة في غالبيتها: "إن المفاهيم تختلف من حيث درجة التجريد المتضمنة في محتوى كل مفهوم، فهناك مفاهيم تشير إلى أشياء تتحقق في الواقع، وأخرى تشير إلى أحداث ملموسة، وثالثة تشير إلى العلاقات بين الأشياء أو بين الأحداث، وتعد المفاهيم من النوع الأخير هي أعقد أنواع المفاهيم وأكثرها تجريدا... لذلك يصبح من الضروري وضوح العلاقة بين التصور وبين ما يشير إليه في الواقع"<sup>1</sup>

### 1: الفضاء العمومي.

أول هذه المفاهيم مفهوم الفضاء العمومي الذي نرى انه يرتبط بالمكان والأفراد ويتجسد ذلك في التفاعلات الاجتماعية والتمثلات التي يبديها الأفراد عبر مكوناته المتعددة، وسوف نولي له اهتمام كبير نظرا لتعدد معانيه واستعمالاته في كل العلوم، فمفهوم ذو أبعاد متعددة تتقاطع في دراسته مجموعة كبيرة من التخصصات المتباينة كالفلسفة والعلوم السياسية وعلم الاجتماع والجغرافية الحضرية والهندسة

1- محمد علي محمد: علم الاجتماع والمنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1986، ص92.

المعمارية والتعمير والتخطيط الحضريين، وهو ما يجعل المفهوم ذو أهمية كبيرة، فالفضاء العمومي هو أقرب المفاهيم إلى علم الاجتماع الحضري من المجال العام والفضاء العام، وهو مفهوم له أشكال مادية مجسدة في النسيج العمراني الحضري، ترتبط ارتباطا وثيقا بالحياة اليومية العامة للأفراد والجماعات. وسننطلق في تعاريفنا من مصطلح المجال العام مرورا بمصطلح الفضاء العام ووصولاً إلى المفهوم الذي اعتمدها والمتمثل في الفضاء العمومي.

وهو أي مساحة مادية أو افتراضية يمكن لأي فرد عادي -أيا كان مستواه الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وأيا كان انتماءه الفكري والأيدولوجي وأيا كان توجهه السياسي أن يعبر فيها عن رأيه بحرية منفرداً أو في جماعة، دون قيود ودون تأثير من أي طرف أو جهة رسمية أو غير رسمية.<sup>1</sup> وهنا يبدو المفهوم أكثر تجريداً ويتخذ بعداً فلسفياً. وقد يكون له بعد سياسي، حيث يتم عبره تجمع مجموعة من الأفراد للمشاركة في حوارات ومناقشات عقلانية، ويمثل هؤلاء فئة بعيدة عن السلطة، وتكون هذه المشاركة على قدم المساواة، عن طريق إبداء الرأي والشعور بالهوية بما يسهم في تشكيل الرأي العام الذي يعمل على تقييم الأداء الحكومي.<sup>2</sup>

عبارة "فضاء عمومي" باللغة الفرنسية "espace public" دخلت قاموس التعمير خلال سنوات 1970 من القرن الماضي<sup>3</sup>. هذا في فرنسا، ما يعني أن مفهوم "فضاء عمومي" حديث النشأة نسبياً وخاصة في علم الاجتماع والتعمير على حد سواء، وهو في طور التبلور ولم تتحدد لحد الآن كل معالم معانيه.

الفضاء العمومي هو أحد أهم المكونات المادية للمدينة الحديثة والقديمة على حد سواء، فلا يمكن أن تصور مدينة بدون شوارع وساحات ومرافق عامة، والفضاءات العمومية هي أماكن يتم الولوج إليها واستعمالها من طرف الجمهور لأغراض عامة أو خاصة، تتميز بسهولة الوصول إليها بمقابل أو بدونها، لها وظائف اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية، وهي أهم المصادر لنشأة ما يعرف بالمجال العام في المجتمعات الغربية الحديثة، هذا المفهوم الذي اخذ في البداية بعداً فلسفياً وسياسياً مع كائنا في القرن الثامن عشر، وانتشر كمصطلح في العلوم الاجتماعية في القرن العشرين مع يورغن هابرماس، حيث يعتبر أن "الفضاء العمومي هو مجموعة من الأفراد الذين تجمعوا لمناقشة القضايا ذات الاهتمام المشترك، هذه الفكرة التي ولدت في أوروبا الحديثة، ساعدت في تكوين الفضاءات العامة البرجوازية التي عملت بمثابة قوى ثقل مقابلة لقوى الحكم المطلق، حيث تهدف هذه الفضاءات إلى التوسط بين

1- سمية عبد المحسن، حول مفهوم المجال العام وجدوى دراسته في مجتمعاتنا، مقال نشر بتاريخ 09 أيار 2016، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، مصر. العدد الخامس 2016.

2- Jennifer Stromer Galley, New voices in the public sphere: Political conversation in the internet age, Ph.D. Dissertation, University of Pennsylvania, 2002, P: 28.

3- Jean-Claude DAVID, Espace public au Moyen-Orient et dans le monde arabe, entres urbanisme et pratique citadines, in Géocarrefour Année 2002 77-3 pp. 219-224 .

المجتمع والدولة، وتحميل الدولة المسؤولية أمام المجتمع من خلال التشهير، وهي نفس الفكرة عن الجمهور الذي تحدث بها كانط. ويتضمن الإشهار النقدي للحصول على المعلومات المطلوبة حول أداء الدولة، بحيث يمكن فحصها وانتقادها أمام الملأ.<sup>1</sup>

يرى تايلر أن الفضاء العمومي هو "الملك أو الصالح العام للمواطنين"، وهو تعبير عن لغة متداولة لدى العمرانيين وتعني المساحات الخارجية التي يرتادها الجمهور، أي تلك الفضاءات التي يمكن الولوج إليها من طرف أي شخص، مثل الشارع، الساحة، الحديقة، موقف السيارات. وتعتبر مفاهيم مثل المجال العام والفضاء العمومي والميدان العام، بتجلياتها المادية المحددة والحقيقية، واللامادية والتجريدية، كلها صور وأشكال مختلفة تعبر عما هو عام سواء كان "فضاء عاما موضعيا أو فضاء عام فوق موضعي"، و أن الفضاء العام هو "فضاء عام فوق موضعي" مشكل من مجموعة من الفضاءات العامة وهو يعلو فوقها، الفضاء العام عنده وهو "فضاء عام موضعي" ينشأ عن اجتماع الناس في مكان ما، وهنا يعطي بعدا فلسفيا واجتماعيا تجريديا للفضاء العام رغم انه يقرنه بالموضع دون تحديده ماديا فهو يقرنه بالنقاش والأعياد والشعائر. فهو يعرفه على أنه فضاء مشترك يتواصل فيه أفراد المجتمع عبر جملة متنوعة من الوسائط: المطبوعة، والإلكترونية، والمقابلات الشخصية المباشرة أيضا، وذلك لمناقشة مسائل ذات اهتمام مشترك، والتوصل من خلال ذلك إلى تشكيل تفكير مشترك في هذه المسائل.<sup>2</sup> وهنا لا نغفل الجانب العلائقي والتواصلي في كل هذه العمليات التي تحدث داخل هذا المجال الذي أصبح افتراضيا داخل عالم الشبكات الذي يتشكل منه المجتمع الحالي.

و"الفضاء العام هو مصطلح متعدد المعاني، فهو معنوي ومادي، معنويا يعني المجال العام أو النقاش العام. ومادي، يتطابق أحيانا مع فضاءات اللقاء والتفاعلات الاجتماعية، وأحيانا يعني المناطق الجغرافية المفتوحة للجمهور، ويرمز أحيانا إلى فئة من الأفعال".<sup>3</sup>

وترى حنة آرننت (Hannah Arendt) أن الفضاء العمومي يتميز بالعمومية كما يتضح ذلك من خلال الآراء والأفكار التي تتم عبر فضاءاته الفضاء العمومي.<sup>4</sup> هو بذلك كل حيز أو مكان أو فضاء مادي أو غير مادي يستعمله الأفراد لتبادل الآراء والأفكار وتتجسد فيه السلوك والتصرفات والعلاقات بطريقة علنية، ويوظف ويستعمل من أجل الاستفادة المشتركة. فهو مفتوح للجمهور العام، أي للذين

1 - Alain Létourneau, Remarques sur le journalisme et la presse au regard de la discussion dans l'espace public », in ( P. J. Brunet, P.-J, Éd.) L'Éthique dans la société de l'information, /L'Harmattan, Paris, 2001, p. 49.

2- تشارلز تايلر، المتخيلات الاجتماعية الحديثة، ترجمة الحارث النبهان، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، بيروت، لبنان، 2016، صص 103، 106.

3 - François Tomas, L'espace public, concept moribond ou en expansion ?/ Public space : a dying or expanding concept ? Geocarrefour, 76, p. 75 à 84.2001

4 - Cottureau Alain et Ladrière Paul, Pouvoir et légitimité : éd. école des hautes études en sciences sociales, Paris, 1992, P30.

يستعملونه من أجل المنفعة العامة. وانه فضاء حيوي منتج نشط، متحرك ديناميكي، ذي استراتيجية وهدف معين، ألا وهو تسيير الشأن العمومي للمجتمع.

يتجلى الفضاء العمومي ويظهر في شكل هيئات ومؤسسات تقدم الخدمة العمومية وتحاول إيجاد الحلول للمشاكل والمسائل العامة، ومن أمثلة ذلك المدرسة والأسرة والساحات العمومية، والمساجد والزوايا ومؤسسات الدولة الخاصة بالتعليم والصحة والخدمات، وفضاءات ووسائل الاتصال الجماهيري والأحزاب والجمعيات والمنظمات الحكومية وغير الحكومية، والنقابات والمؤتمرات، ومجالس حقوق الإنسان والمظاهرات والاحتجاجات والمؤسسات الثقافية.... إلخ.

وهو يتجلى في المجالات ذات الأهمية السوسيو-سياسية كالرأي العام والمشاركة السياسية والديمقراطية والشرعية والانتخابات والإعلام، حتى إننا نجد في جميع ميادين الحياة العامة بصفة استمرارية أو انتقالية، متجددة بتجدد الظروف المديّة والبشرية وبتغير المجتمع والزمان والمكان.

وهو يشمل الساحات والشوارع، والحدائق... بحيث يكون الدخول إليها، متاح لجميع الفئات الاجتماعية دون تمييز. ويمكن أن تقام فيه أنشطة ليست بالضرورة محددة، بشرط أن تتوافق مع شروط استعمال المجال التي وضعتها السلطات العمومية.<sup>1</sup> فيما يعتبره الهيلوش بأنه "مجموع المجالات المخصصة للمرور والتجمع المفتوحة أمام ولوج الجميع، فهو يشمل كل المجالات الموجهة للاستعمال العمومي المباشر والمهياة لهذه الغاية كالطرق والساحات والحدائق والمنتزهات والشواطئ وغيرها".<sup>2</sup> وهي تتقاطع في سمة العمومية التامة والخالصة وهي بذلك اهم المحرضات الرئيسية على التواصل بشكل كبير ومكثف بين الأفراد.

وهناك فكرة جوهرية تقر بأن الفضاء العمومي يقوي الرابطة الاجتماعية<sup>3</sup>، فهو الإطار الذي تدور في فلكه معظم التفاعلات الاجتماعية، والمقصود بالثق المادي من الفضاء العمومي أو كما ارفينغ غوفمان (Erving Goffman) بالأماكن العمومية "public places" وشبه العمومية "semi-public places" وتشمل الشوارع والمنتزهات والمطاعم والمسارح والمتاجر وأرضيات الرقص وقاعات الاجتماعات وأماكن التجمع الأخرى لأي مجتمع، وهي الأماكن التي تحدد سلوك الفرد في حياته اليومية.<sup>4</sup>

1 - J-Rémy, L-Voyé : ville : ordre et violence ,1er édition PUF.Paris.1981, p.165.

2- محمد الهيلوش، إشكالية تهيئة وتدبير المجال العمومي بالمدن المغربية منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، الدورة الخامسة والعشرون، 2014، ص 180-190.

3- أرماندو سلفاتورى، المجال العام الحدائة الليبرالية والكاثوليكية والإسلام، ترجمة احمد زايد، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012، ص20.

4 - Goffman, Erving. Behavior in Public Places: Notes on the Social Organization of Gatherings. The Free Press. New York. 1963. p.4

الفضاءات العامة عند تيري باكو، هي الفراغات والمساحات والبناءات ذات الاستعمال العام، والتي يمكن الولوج إليها مجاناً أو بمقابل، وأهمها وأكثرها استعمالاً من العامة وتشمل شبكة الطرقات والشوارع والمساحات والأفنية والحدائق وكل طريق موجه للعامة سواء في المدن أو في التجمعات الحضرية.<sup>1</sup> وهو هنا يربطها بالجانب المورفولوجي ويستثني منها المرافق العامة وذات الاستعمال المشترك.

ويعرفه لويس كيري (Louis Quéré) بأنه: "فضاء رمزي أين يسمح للأفراد بالتمركز والتموضع داخل المجتمع واتجاهه. فالمفهوم يحمل في طياته فكرتين أساسيتين، الأولى أنه مجال عمومي للتعبير الحر، ينظر إليه كفضاء للاتصال. والثانية أن الأفراد بداخله يبرزون آراءهم خلال النقاش العلني بحيث يلجئون إلى استعمال دلالات عقلانية في محاولة إيجاد حلول مناسبة للمسائل العامة".<sup>2</sup> ويرى انه فضاء يشمل: "تلك العلاقات المبنية بين الأفراد المعروفين بذواتهم وأفعالهم في المجتمع، بحيث يبنون هذه العلاقات من أجل التبادل والتفاهم والتعاون الاجتماعي".<sup>3</sup>

ويرى دومنيك فولتن (Dominique Wolton) إنه: "مجموع المسارح الموجهة سياسياً والتي تطرح فيها المشاركة الجماعية وأين تلتقي أشكال الفضاء السياسي والفضاء الاجتماعي".<sup>4</sup> فهو بذلك يعطيه المعنى السياسي بالمفهوم الديمقراطي فهو مسرح للنفس والتبادل الحر.

ويعرفه ريتشارد سينييت (Richard Sennett) بأنه<sup>5</sup>: "المكان الذي يحتوي على الإشارات والرموز التي تكون تحت تصرف الأفراد والذين يقومون بترجمتها وتأويلها من أجل بناء علاقات تبادلية بينهم".<sup>6</sup> ويتفق ذلك مع ما يذهب إليه فيليب بروتون (Philippe Breton) بقوله: "إنه ذلك الفضاء غير المادي الرمزي، أين يتجادل فيه الأفراد المسائل السياسية التي تهتم أفراد المدينة".<sup>7</sup> وهو نفس ما يراه جون مارك فيري (Jean Marc Ferry) بان "الفضاء العمومي يكون علني، أين تتكون الآراء عن طريق المناقشة الحرة التي تترجم فعلياً في المناقشات السياسية".<sup>8</sup>

1 - Thierry Paquot, L'espace public, Éditions La Découverte, Paris, 2015, p.11.

2 - Bautier Roger, Habermas et le champ de la communication : Revue CinemAction, éd. SFSIC collet, N°36, Paris, 1992, P89.

3 - Louis Quéré, Agir dans l'espace public, les formes de l'action, éd. de l'EH, ESS, Paris, 1990, P102.

4 - Dominique Wolton, Communication politique construction d'un modèle : Revue Hermès, N°4 le Nouvel espace public, éd. CNRS, Paris, 1989, P27.

5 - SENNETT, Richard, Les tyrannies de l'intimité, Paris, Seuil, 1979.

6 - Quéré Louis, Op.cit., P102.

7 - Philippe Breton, L'explosion de la communication, éd. casbah, Alger, 2000, P214

8 - Jacques Lenoble, et André Bertin, L'espace public comme procédure, pouvoir et légitimité, Figures de l'espace public, textes réunis par Cottureau Alain, et Ladriere Paul, éd. École des hautes sciences sociales, Paris, 1992, P65.

ويرى آخرون أنه المكان الذي نعيش فيه جميعاً أو مكان العيش المشترك،<sup>1</sup> وهو الأمكنة التي يتقاسم فيها فرد المجتمع أفرانهم وأحزانهم، ويسميه اولدنبارغ على أنه «المكان الثالث». <sup>2</sup> الذي تتعامل فيه مجموعة من الناس، بعيداً عن البيت باعتباره المكان الأول وهو محور العلاقات العائلية والحميمة، والمكان الثاني ويشمل مقر الدراسة أو العمل وهو بالنسبة له يمثل مجموع العلاقات الإنسانية والمهنية التي تنشأ في أماكن والدراسة. والمكان الثالث هو فضاء عام يرتاده الأفراد الذين يشتركون في بعض الروابط العامة تتعلق بالمكان، والعرف، والمعتقد، والاهتمام، مثل المقاهي والنوادي والملاهي والساحات العامة، فهو مكان الراحة والهروب من تعب الحياة اليومية، ويتمثل في الأماكن الأساسية للحياة العامة غير الرسمية، وهو ضروري ومهم للمجتمع وكذلك للأفراد، لأنه يدعم الحياة اليومية النابضة بالحياة للسكان ويسهم في الحفاظ على الأمان والنظام والروابط الاجتماعية، وكذلك يعمل على تأييد العديد من المصالح الاجتماعية والشخصية.

ويرى بارك أن (الفضاءات الحضرية تختلف عن بعضها البعض بنوع ومميزات الحياة الاجتماعية التي تتكرس فيها وبأنماط الحياة أو أثمان الأرض السائدة فيها في نفس الوقت)<sup>3</sup> وهنا يقصد بالفضاءات الحضرية كل القطاعات المجالية والوظيفية لاستعمالات الأرض، ويرى أنها تجعل من المدينة ومختبر اجتماعياً لدراسة الظواهر الحضرية.

وقد يأخذ الفضاء العام أبعاداً فلسفية أو أماكن في رؤوسنا وفي فجوات كلامنا أو كما يسميها ميشال فوكو بالأماكن الأخرى (heterotopies)<sup>4</sup>، وهناك المعنى التجريدي الذي يتمثل في الوسائط التي عبرها يتم النقاش العام مثل الصحافة والإذاعة والتلفزيون. وكذلك شبكة الأنترنت من خلال مواقع للتواصل الاجتماعي المتعددة (فيسبوك، تويتر، لينكدان، بينتريست، غوغل بلاس، تمبلر، انستغرام، في كي، فليكر... الخ) التي تربط الفضاء الافتراضي بالفضاء الحضري.<sup>5</sup>

ودراسة الفضاءات العمومية هو من أجل الوصول إلى معرفة العلاقات بين الأفراد التي تنشأ عبر تلك التمثلات والخطابات وللممارسات للحياة اليومية، التي يكون الفضاء العام أكثر من الفضاء الخاص مسرحاً لها.<sup>6</sup> الفضاءات العمومية بالأحياء السكنية هي الأماكن التي تتطور داخلها علاقات

1 - Charles Parraton et Maude Bonenfant, Vivre ensemble dans l'espace public, Québec Presses de l'Université, Canada, 2009.

2 - Ray Oldenburg, Ray. The Great Good Place: Cafés, Coffee Shops, Bookstores, Bars, Hair Salons, and Other Hangouts at the Heart of a Community. New York: Marlowe.1999.

3- عبد الرحمان المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2016، ص.191.

4- ميشال فوكو، الجسد الطوبولوجي، أماكن أخرى، ترجمة محمد العرابي، منشورات الانتهاكات، العدد السادس، بدون سنة نشر، ص33.

5- مانويل كاستلز، شبكات الغضب والأمل، الحركات الاجتماعية في عصر الأنترنت، ترجمة هايدي عبد اللطيف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017، ص33-34.

6 - Abdelkader Lakjaâ, Les périphéries oranaises : urbanité en émergence et refondation du lien social, in Les Cahiers d'EMAM n° 18— Juillet 2009., pp. 29-44.



الجيرة والعلاقات الاجتماعية بصفة عامة. مثلا تتسج هذه العلاقات في فضاءات البيع مع التجار وبين المتبضعين أنفسهم حول قضايا الأحوال الصحية والزواج والنجاحات وتقديم المساعدات والنصائح ومساعدة المسنين ومناصحة الصغار وتقديم الخبرات والمهارات لهم.<sup>1</sup> ومن هنا يمكن اعتبار الفضاء التجاري هو الآخر جزء من الفضاء العمومي، لأنه منتج لنمط من العلاقات الاجتماعية.

وهناك من يسميها المجالات العمومية، ويقسمها إلى عدة أنواع حسب الوظيفة التي وجدت لأجلها، أهمها الشارع والنهج والممر. وظيفتها التنقل والعبور. وهناك قسم مخصص للحياة الاجتماعية والتنزه، وتظم الساحات الموجودة بين العمارات سواء كانت مفتوحة أو محاطة والبيادين والحدائق، والمنتزهات التي تكثر فيها المساحات الخضراء.<sup>2</sup> نرى أنها نظرة عمرانية تخطيطية بحثة تهمل الجانب العلائقي بأنماطه المختلفة. فلا بد من الجمع بين التصميم والاستعمال، من خلال الاهتمام بالجانب الفيزيائي المعبر عن الفراغ المحدد بالمباني المحيطة به، والجانب الروحي الذي يعني مختلف العلاقات وأنشطة الحياة الاجتماعية والخاصة في المدينة.

سنحاول هنا حصر المفهوم في الأشكال المادية الفضاءات العمومية التي تزخر بها المدينة والتي تختلف في درجة عموميتها من خلال نسبة الأفراد المسموح لهم بالولوج إليها ودرجة استعماله، أعلاها فضاءات العبور وأشهرها على الإطلاق الشارع الذي تصل فيه نسبة مشاركة الأفراد إلى مائة بالمائة ثم تأتي بعد ذلك الساحات العامة وخاصة تلك المفتوحة منها، ومحطات النقل، وهناك الفضاءات الذكورية في عمومها مثل قاعات حلقة الرجال والمقاهي وقاعات الشاي وبعض من الحدائق مثل حديقة القدس الموجودة بوسط المدينة، وهناك النسائية البحتة مثل قاعات الحلاقة النسوية التي كثر عددها في الآونة الأخيرة، وهناك التي تقتسم فيها الأوقات مثل الحمامات وقاعات الحفلات ومنها ما يقتسم المكان مثل المسجد، وهناك المختلطة مثل مؤسسات الخدمة العمومية والتجارية ومرافق التسلية ووسائل النقل الجماعي، وهناك الفضاءات العمومية التي يصنعها عالم الشبكات الافتراضية والذي يتعدى حدود المكان مما يجعلنا نعتبره استثناء لا يمكن إدراجه بصفة رسمية في هذه الدراسة. وهناك فضاءات عمومية تهتم بفئة معينة ومجال مخصص بعينه مثل فضاءات التنشئة في أشكالها المادية من مدارس بكل أطوارها ومراكز للتكوين، وهي فضاءات عمومية لها أهمية في الحياة الاجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها وهي تعتبر أماكن لإعادة إنتاج المجتمع، وهناك عامل مهم يتمثل في الزمن والوقت المستهلك داخل هذه الفضاءات فكلما كان الوقت المستعمل طويلا كلما كانت إمكانية التواصل

1 - Nora Semmoud., Nouvelles significations du quartier, nouvelles formes d'urbanité : la périphérie du Sud-Est d'Alger. Les Cahiers d'EMAM n° 18, Juillet 2009., pp. 45-54.

2- خلف الله بوجمعة، تخطيط المدن ونظريات العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016، ص42.

متاحة، وهناك المحفزات أو المحرضات والمقصود بها كل ما هو باعث على الانفعال ودافع للمشاركة الجماعية كالغناء والرقص والفرح والحزن.

ويتكون الفضاء العمومي من عشر "عناصر تأسيسية"<sup>1</sup>،

1- فهو فضاء فيزيقي، بوصفه مكان حقيقي (réel) جغرافي، حضري، ريفي، أو افتراضي (virtuel) يتمثل في شبكات التواصل الاجتماعي، أين يتجلى ضمنه "العمومي"، وتجتمع داخله الجماعات والأفراد) أو تقديري وكذلك الأشياء (des êtres) الأجهزة، النصوص، الكفاءات، البنى... وأشباه الأشياء، كائنات هجينة (hybrides) حسب تعبير برينو لاتور (Bruno Latour)

2- فضاء رمزي أين تتجلى داخله المواقف والآراء والقناعات التي تساهم في وضع الأسس للفعل أو الالتزام والتأسيس للعبة السياسية.

3- "جمهور" متمثل في جمع من الأفراد المتفاعلين فيما بينهم، يعرضون أفعالاً وأشكالاً من الالتزام الجماعي.

4- فضاء للكلام أو الخطاب، بمعنى مكان للتبادلات، التفاعلات، النقاشات، الاحتجاجات، والنقد. هذه الأماكن تكون ممثلة في المقهى، السوق، المسجد، الجمعية، الجرائد، وسائل الاتصال، والشبكات الاجتماعية...

5- خطابات تمثل تعبيراً عن حالات التفاعلات، عن النقاشات والانتقادات وعن الآراء المتبادلة.

6- سيوررات ممارسات الأفعال، المطالب، التنظيمات والقرارات.

7- الرؤية والإعلان بصفاتها توضيحاً لطريقة التجلي في الفضاء العمومي.

8- دينامية للمشاركة تشتغل تبعا لنمط الاندماج/ الإقصاء (النساء، الأقليات، المهاجرون...) أي وفق علاقات القوة والسلطة.

9- تفاضل وتنافس بين الفاعلين يفترض هرمية وتقسيماً للأدوار والمهام والنشاطات.

10- بتعبير كاستورياديس (Castoriadis) مخيال اجتماعي يمثل أساس السيرورة الإبداعية للتجلي في الفضاء العمومي وأساس بناء العالم المشترك ونمط المشاركة الجماعية.

ومنه نستنتج أن للفضاء العمومي معنيين، فهو فضاء مادي (فيزيقي) يتجسد في الأماكن ذات الاستعمال المشترك كالمساحات العمومية، المقاهي، الأسواق، المساجد وغيرها، وهو أيضاً فضاء رمزي لأنه مجال للتواصل والحوار والآراء والمنافسات وغيرها.

في مجال التخطيط الحضري الفضاء العمومي "فضاء مفتوح"، ويتضمن كل من الشوارع والحدائق ومناطق الترفيه والمساحات وغيرها من الفضاءات الخارجية التابعة للدولة في ملكيتها وتسييرها،

1 - Mohamed Nachi, Les espaces publics au Maghreb. Éléments pour la construction d'une problématique sociohistorique contextualisée à partir du cas tunisien. Éditions du CRASC, 2013.

بالإضافة إلى ذلك الفضاءات شبه العامة التي يديرها الخواص أو يتقاسم الخاص والعام في ملكيتها وإدارتها، أو التي يتم إدارتها عن طريق القطاع الخاص فقط، وعلى ضوء تزايد سياسات الخصوصية في العالم منذ النصف الثاني من القرن العشرين<sup>1</sup>، والتي عرفت الجزائر كذلك بعد الانفتاح على اقتصاد السوق نهاية القرن الماضي، يمكن فهم الفضاء العام باعتباره "فضاء مفتوح للعامة"، وفقاً لمعايير علم الاجتماع يوسع مفهوم الفضاء العام إلى "أي حيز مكاني يمكن للأفراد اللوج إليه. وهكذا، إضافة إلى الفضاءات الكلاسيكية، مثل الشوارع والحدائق العامة، ومجموعة كبيرة من فضاءات التنقل، مثل مرافق النقل (محطات القطار والمترو والمطارات والطرق السريعة ومواقف السيارات) أو فضاءات الاستهلاك (مراكز التسوق في معظمها) يمكن تحليلها وفقاً لمعيار علم الاجتماع، حيث إن إمكان اللوج هو ما يكفل حرية حركة الأشخاص والسلع. بل هو أيضاً ما يسمح بظهور التمثلات الجماعية التي يتم من خلالها إنتاج صور المدينة. ومن هذه الفضاءات التي نرى أنها تدخل في هذا الإطار أماكن العمل والعبادة والتعليم والمرافق المستحدثة كقاعات الحلاقة والأفراح...

الفضاء العمومي: هناك من يطلق عليه "المجال العام" أو الفضاء العام" أو حتى الفضاءات الحضرية... غير أننا نحبذ في دراستنا هذه تسمية "الفضاء العمومي" لعدة اعتبارات أهمها إعادة التأصيل للمفهوم داخل حقل علم الاجتماع الحضري وربط المعنى التجريدي بالمعنى الواقعي المادي المسجد عبر الأماكن المشكلة للنسيج الحضري وربطه كذلك بالجانب القيمي المتمثل في تفاعلات الأفراد من خلاله.

المعنى الإجرائي: الفضاءات العمومية هي كل مكونات المدينة المجالية العامة والخاصة المفتوحة والمغلقة التي يستعملها الجمهور أو فئة أو طبقة معينة منه لها اهتمام مشترك أو لغرض عام أو خاص. وتختلف درجة العمومية من فضاء إلى آخر، أعلاها وأكثرها استعمالاً وعمومية الشارع. وهو بدوره مقسم حسب درجة استعماله فهناك الشارع النهج أو الرئيسي وشارع ثانوي وزقاق وحارة والممر، وقلها عمومية المؤسسات الإدارية الخاصة والاقتصادية والأمنية، وهي كل مكونات المدينة التي يمكن أن يتواصل من خلالها الأفراد خارج إطار المسكن والعائلة.

2: الرباط الاجتماعي.

التعريف اللغوي:

في معجم اللغة العربية المعاصرة جاء ما يلي: رابطة مفرد: جمع رابِطات وروابِطُ: مؤنَّث رابط. وهي علاقة بين شيئين. رابطة الدَّم: القرابة، صلة الرحم. جماعة يجمعهم أمر يشتركون فيه "رابطة الأدباء،

1- ستيفان تونيلا، سوسيولوجيا الفضاءات الحضرية العامة. ت: إدريس الغزواني، مجلة إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع، مج. 2019، عدد. 46، ص ص. 147-162.

القراء، الخريجين. الرابطة الإسلامية". وترايط يترايط، ترابطاً، فهو مُترايط، ترايط القوم: تلاحموا، اتحدوا وتماسكوا "ترايط المسلمون بفضل عقيدتهم، وترايط الأفكار والمعاني".<sup>1</sup> والرابط لغة هو "كل ما يصل طرفين بقوة مع دوام ذلك ولو لم يكن هذان الطرفان يرغبان في هذا الربط"<sup>2</sup>

ويعرف قاموس الأكاديمية الفرنسية الرباط "le lien" كما يلي: "الرباط، كل ما يربط ويوحد الناس معاً. لذلك نقول: رابطة الزواج. الرابطة الزوجية. إنه رباط مقدس. رباط غير قابل للذوبان. رباط الاهتمام، وصلة الصداقة. روابط الدم والطبيعة. روابط اللحم والدم".<sup>3</sup>

أما في قاموس لاروس (Larousse) ضمن عبارة (lien) قد ورد أنه: السلسلة، الحبل، الحزام، كل ما استعمل لإبقاء الأشياء مع بعضها البعض أو مربوطة، الغلق، الرابطة التي تغلق بحزام من الجلد. ويعني أدبيا تقييد حيوان أو إنسان واقتياده الى السجن، فيقال تحرر من رباطه. الصلة بين الأشياء المجردة، منطقية أو ترابطية: علاقة النتيجة بالسبب بين حدثين. الصلة بين شخصين. فرض قيود دائمة: روابط القسم.

والرباط لغة هو اسم لفعل ربط، والمقصود به لغة الوثاق أو الحبل، وسوسولوجيا هو العلاقة أو الصلة التي تربط بين شخصين أو عدة أشخاص. ومن هنا يمكن القول إن مفهوم الرباط الاجتماعي ومفهوم الرباط الاجتماعي يلتقيان في العلوم الاجتماعية على نفس المعنى السوسولوجي وإن اختلفا في المعنى اللغوي.

### التعريف السوسولوجي:

في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، نجد عبارة "الصلة"، (وهي علاقة اتصال بين الكائنات البيولوجية.... وعبارة "الألفة الاجتماعية" ويقصد بها القوى الجاذبة التي تجعل بعض الأفراد يقتربون من البعض الآخر، وذلك بسبب المشاركة الوجدانية بينهم أو لانتمائهم لجماعة معينة من حيث السن أو الوظيفة الاجتماعية أو الأيديولوجية أو وحدة القيم أو تشابه التجارب الشخصية).<sup>4</sup>

ويرجع معنى كلمة رباط (lien) بالفرنسية إلى أصل الكلمة اليونانية (ligament) والتي تعني البحث عن الربط والارتباط. والروابط الاجتماعية هي مختلف العلاقات التي تربط الفرد بالمجموعات

1- احمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص847.

2- خواجه عبد العزيز، سوسولوجية الرباط الاجتماعي بناءات مفاهيمية ومسارات نظرية، ط1، داية للطباعة، غرداية، الجزائر، 2018، ص9.

3 -Dictionnaire de l'académie française, 5ème Edition, P :1832. « Lien, tout ce qui attache et unit les personnes ensemble. Ainsi on dit : le lien du mariage. Le lien conjugal. C'est un lien sacré. Un lien indissoluble. Lien d'intérêt, lien d'amitié. Les liens du sang et de la nature. Les liens de la chair et du sang. »

4- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي فرنسي عربي، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص11.

الاجتماعية، والتي في نفس الوقت تسمح له بأن يكون اجتماعيا وأن يندمج في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه.<sup>1</sup>

ويعرف قاموس الاقتصاد والعلوم الاجتماعية الرابطة الاجتماعية بأنه كل (ما يشد الأفراد والجماعات بعضهم إلى بعض. يمكن أن يتعلق الأمر بروابط مباشرة أو بعلاقات أولية مرتكزة على المعرفة المتبادلة مثل العلاقات الزوجية، العائلية، علاقات الصداقة، علاقات الجوار، إلخ. أو روابط غير مباشرة حيكّت بواسطة مؤسسات مركبة مثل الوسط المهني، جمعيات، نقابات، أحزاب، إلخ. وهناك ثلاث أنواع من الروابط تتمتع بمكانة خاصة في العلوم الاجتماعية: التبادل السوقي ويشمل التجارة، شعاع العلاقات. والتبادل غير السوقي ويشمل تداول سلع رمزية، مبادلة النساء في المجتمعات التقليدية، إلخ. وأخيرا، الرابطة السياسية المرتكز على الشعور بالتضامن في جماعة وطنية.<sup>2</sup>)

وفي ويكيبيديا نجد التعريف الفرنسي لمفهوم (lien social) سوسولوجيا هو مجموع الانتماءات، والانتساب، والعلاقات التي تجمع الأفراد والمجموعات الاجتماعية فيما بينها. وهو يمثل القوة التي تربط بين أعضاء جماعة محلية، الجمعية، بيئة اجتماعية ما، وهذه القوة يمكن أن تتغير عبر المكان والزمان، وهذا يعني أن الرابطة الاجتماعية يمكن أن يكون بشكل أو بآخر يتميز بالقوة وفقاً للسياق والوضع الذي تتواجد فيه الظاهرة المدروسة. عندما تصبح الرابطة الاجتماعية ضعيفة أو ذات طبيعة متهاكلة، يتعامل بعض الباحثين والتيارات السياسية مع المشكلة من زاوية "أزمة" الرابطة الاجتماعية لأن نوعية وحدة الرابطة الاجتماعية تعملان كمحددات لنوعية وحدة العلاقات الاجتماعية لأعضاء الجماعة.<sup>3</sup>

في حين يرى فريديريك لوبارون في قاموسه المعنون بـ: "علم الاجتماع من الألف إلى الياء" أن الرابطة يتواجد بين فردين أو أكثر تكون العلاقات الشخصية الداخلية مباشرة بينهم، والتي تستند على مختلف أشكال التفاعل. وبالتالي نستطيع تعريف الرابطة الاجتماعية باعتباره تفاعلا خاصا، ومنتظما بين فردين، وإحدى ركائز الرابطة الاجتماعية هي إجبارية التبادل كما وصفها الأنثروبولوجيون أمثال مارسال موس، وبرونسلاف مالينوفسكي.<sup>4</sup>

ويعرف فاروجيا الرابطة الاجتماعية هو مجموعة من الأعراف والنظم، التي تسمح، من خلال "التبادلات الطقسية"، للأفراد المجتمعين للعيش معا في المجتمع. هذه الأعراف والقوانين، التي أصبحت هياكل اجتماعية داخلية، تعمل في النفس كقيود اجتماعية، لم يعد ضغطها محسوساً بشكل فردي على هذا النحو لأنه تم دمجها في الوجود وإعادة تحويلها إلى هابيتوس من خلال قنوات مختلفة من التنشئة

1 - Pierre Ansart et André Akoun, Dictionnaire de Sociologie, le Robert. Seuil, paris, 1999, p.307.

2 - Danièle Claude. E, Dictionnaire d'Économie et de Sciences Sociales, Ed BERTI, Alger, 2009, P.581.

3 - [https://fr.wikipedia.org/wiki/Lien\\_social\\_\(sociologie\)](https://fr.wikipedia.org/wiki/Lien_social_(sociologie))

4 - Frédéric Lebaron, la Sociologie de A à Z, Dunod, Paris.2009, p.77.

الاجتماعية. رسمي (مدرسة، الجيش، عملية الإنتاج المنظمة) وغير الرسمية (الأساطير، الرموز، الحكايات، الأساطير، أماكن الذاكرة). ووفقاً لفاروجيا (Farrugia)، فإن "الرباط الاجتماعي يتكون من مجموعة من القيم المتميزة، المتكاملة أو المنفصلة، والجاذبة والطاردة المركزية. هذه القيم المرتبطة أو المنفصلة التي تشكل الرباط الاجتماعي هي من خمسة أنواع: عاطفية، وأخلاقية، ودينية، وسياسية، واقتصادية".<sup>1</sup>

ويعرفه رشيد حمادوش بأنه (تلك العلاقات الاجتماعية، التي تتم وتجمع بين الأفراد في حالات الوجه لوجه، سواء أكانت علاقات شخصية أو لا شخصية، فالرباط الاجتماعي بالنسبة لنا مجموع علاقات اجتماعية سواء تعلق الأمر بالألفة، أو الأنسة الاجتماعية، أو الروابط الاجتماعية، أو أي شكل من أشكال الرباط الاجتماعي).<sup>2</sup>

أما التعريف السوسيولوجي فيشكل مصطلح الرباط من مجموع محددات لا يكتمل التعريف إلا بها وهي أساسيات لوجوده وتتمثل في:

- علاقات قوية بين فردين أو مجموعة أفراد أو أكثر دون اختيار مسبق
- وجود إجراءات، قيم، معايير وقواعد مشتركة بين الأفراد.
- احتكاك مباشر لفترة تقصر أو تطول عبر فضاءات عمومية للتلاقي والتواصل.
- تتم من خلالها عملية اندماج وتنشئة تتخذ من كل ما هو عام فضاء لها.
- تشكل هوية الأفراد والجماعات
- تتم العمليات السابقة ضمن مجتمع أوسع له ثقافته وقيمه، وهو مجتمع المدينة أو الحي.
- التحضر يكشف عن حتميات متنوعة ومتعددة الأوجه للرابطة الاجتماعية، حيث تختلف الطرق التي يتم بها إنشاء هذه الرابطة وفقاً لأنواع التواصل الاجتماعي التي يتم تطويرها عبر الزمان والمكان، ويحدث ذلك بصفة جلية خاصة في التوسعات العمرانية والمدن الجديدة. وتنتج التقاليد الشفوية، بشكل عام، أنواعاً من التواصل الاجتماعي مدفوعة بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والدينية. وتسترشد العلاقات بين الأفراد وبين المجتمعات إما بالاهتمام بالنمو الديموغرافي أو بالسعي إلى التوسع الإقليمي. وهذا ما يدفع بالسكان استدراك الفرص لزيادة قدراتهم والإمكانيات المتاحة لهم. على الرغم من أهمية كل من الروابط الناتجة عن العلاقات الاجتماعية، وكل العمليات التي أدت إلى إنشائها في المجتمعات

1 -Francis Farrugia, La crise du lien social. Essai de sociologie critique, collection logiques sociales, L'harmattan, Paris, 1997, p.30.

2- رشيد حمادوش، مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص.34.

الحضرية، تبقى الفضاءات العمومية بالنظر إليها كمحدد فيزيقي لإنشائها وتطورها، طبعاً بعد المحددات البيولوجية كالأبوة<sup>1</sup> التي تحدث عادة في الفضاءات الخاصة بالنتشئة العائلية.

يرى بيار-إيف كوسي (Pierre-Yves Cusset) في كتابه الرباط الاجتماعي (le lien social) أن أبسط تعريف لهذا المفهوم هو بانه (مجموع العلاقات التي تربطنا بالعائلة، الأصدقاء، الجيران، وصولاً إلى الآليات التضامن الجماعي، مروراً بالمعايير والقواعد والقيم، التي تزودنا بالحد الأدنى لمعنى جماعي (collective)).<sup>2</sup>

من أهم المهتمين والدارسين للرباط الاجتماعي على المستوى العالمي نجد سيرج بوغام (Paugam, S) الذي تطرق إلى صعوبة إدراك مفهوم الرباط الاجتماعي، مستغفراً لهذه الغاية أعمال كل من تونيز ودوركايم وسيميل وإلياس، الذين حللوا أغلبية العلاقات التي تربط الفرد بمحيطه الاجتماعي، ويرى انه كلما كانت الأوضاع التي يعيشها الفرد غير مواتية، ازدادت صعوبة نسج علاقات اجتماعية مستقرة تضمن بدورها استقرار حياته.

والرباط الاجتماعي والرباط الاجتماعي يلتقيان في الجمع، الذي هو "الروابط الاجتماعية"، ويتفق علماء الاجتماع على أن اختصاصهم هو علم الروابط الاجتماعية على الحال التي يفرضها الوسط الاجتماعي ويمررها.

وقد عرفت العلاقات الاجتماعية بأنها (الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد والمجتمع وهي تنشأ من طبيعة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع)<sup>3</sup>. والروابط الاجتماعية هي مجموع العلاقات التي تتشكل بين الأفراد عن طريق الاحتكاك وعبر الزمن وداخل الفضاء العام والخاص، ومن هنا يتحدد "الأنا عبر الآخر"<sup>4</sup>. وتتكون الهويات وتتحد تارة وتتصارع في بعض الأحيان عبر التمثلات الرمزية والمكانية هذه الأخيرة التي تتجسد عبر استعمالات الفضاء العام بصفة جلية داخل المجالات المختلفة في الحياة اليومية داخل المدينة.

والعلاقات بين الأشخاص هي أنظمة حيوية تتغير باستمرار أثناء وجودها، أنها دائماً (نوع من التنظيم الاجتماعي). تشبه العلاقات الكائنات الحية، إذ أن لها بداية وعمراً زمنياً وأيضاً نهاية. تنمو هذه العلاقات وتتحسن تدريجياً، ففي البداية يتعرف الأشخاص على بعضهم ثم إما أن تصبح العلاقة أكثر دفئاً أو تتدهور حتى تنتهي ثم يمضي كل طرف في حياته لتكوين علاقات جديدة مع آخرين. طرح العالم النفسي جورج ليفينجر (George Levinger) أحد النماذج الأكثر تأثيراً لنمو العلاقات، وتم

1 - Harris Memel-Foté, Le système politique de Lodjoukrou, Présence Africaine .Paris, 1980, p.119.

2 - Pierre-Yves Cusset, Le lien social : Domaines et approches, 2ed, Armand-Colin, collsction128, 2011,

3- نبيل عبد الهادي، تشكيل السلوك الاجتماعي، دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن، 2016، ص116.

4- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العروبة والإسلام والغرب، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012. ص245.

صياغة نموذج لوصف العلاقات الرومانسية للبالغين من جنسين مختلفين، ولكن تم تطبيقه على أنواع أخرى من العلاقات بين الأشخاص أيضًا. ووفقًا لهذا النموذج، فإن التطور الطبيعي للعلاقة يسري في خمس مراحل تبدأ بالتعارف بين الأشخاص ثم مرحلة بناء العلاقة وبعد ذلك الاستمرار وأخيرًا مرحلة التدهور، وهو ليس حتميًا أن تمر جميع العلاقات بهذه المرحلة، وأخيرًا الإنهاء والذي يكون في حالتنا هذه إما بالموت أو بتغيير الإقامة أو باختلاف في الرؤى والأهداف أو انقضاء المصالح المشتركة.<sup>1</sup>

الرباط الاجتماعي معرض للإصابة ببعض الأمراض من خلال التحولات التي تحدث أثناء عملية تطوره وهي تتمثل في ثلاث مخاطر هي أولاً: خطر تفاقم العزل وإهمال لفئات من المجتمع وخاصة كبار السن، ثانياً: خطر التدهور في نوعية العلاقات الاجتماعية في الفضاء العام، وثالثاً: خطر "التكلس" الذي قد يصيب الرباط الاجتماعي من جراء تفاقم ظواهر العزل الإقليمي والتعليمي نتيجة زيادة التوترات بين الجماعات سواء كانت على أساس عرقي أو ديني أو ثقافي.<sup>2</sup> وهي ظواهر بدأت تطفو للسطح داخل مجتمعاتنا وخاصة بالمدن الكبيرة.

### التعريف الإجرائي للرباط الاجتماعي:

نقصد به هنا مجموع العلاقات التي تنتج عن تواصل الأفراد في الأماكن العامة من خلال المعيش اليومي أثناء تنقلاتهم وقضاء حاجياتهم وفي أماكن العمل، وعند استعمال وسائل النقل الجماعي، وداخل أماكن التسوق والترفيه، وهي كل العلاقات الاجتماعية التي تظهر في الفضاءات العمومية والتي يعاد من خلالها تشكل البناء الاجتماعي للحي، وهو نسق من العلاقات الاجتماعية، التي ينتجها الاحتكاك بين الأفراد داخل الفضاء العام والخاص والتي تؤسس لتكوين ذاكرة جماعية، وهو كل العلاقات الأفقية والعمودية التي تنمي الرأسمال الاجتماعي والإنساني والمهني والثقافي للأفراد، وهو كل التفاهات والتناقضات والصراع التي تقضي إلى تعاقدات لا مرئية وغير مكتوبة يلتزم بها الأفراد تجاه بعضهم البعض.

### 3: إعادة الإسكان

إعادة الإسكان كظاهرة اجتماعية مرتبطة بعاملين رئيسيين مهمين هما النمو الديموغرافي والهجرة الريفية نحو المدن، بالإضافة إلى عامل ثالث غير ثابت، لا يقل أهمية والمتمثل في الكوارث سواء كانت طبيعية كالمجاعات والزلازل والبراكين والفيضانات أو من صنع الإنسان كالحروب والنزاعات الإقليمية والطائفية. وحينما نتكلم عن إعادة الإسكان يتبادر إلى الأذهان عدة مفاهيم مرتبطة بها ارتباطاً

1 - George Levinger, Development and change .In H.H. Kelley, et al. (Eds.), Close relationships. (pp. 315–359). W.H. Freeman and Company, New York.:1983.

2 - Pierre-Yves C, Les évolutions du lien social, un état des lieux. Dans Horizons stratégiques 2006/2 (n° 2), pages 21 à 36.p.22.



تلازميا، مثل الأحياء القصدية، السكن الغير لائق، السكن العشوائي، السكن الغير رسمي، مدن الصفيح... الخ من المسميات التي لها تقريبا نفس المدلول.

وإعادة الإسكان هي عملية ترحيل للسكان من مكان إقامتهم القديم إلى مكان إقامة جديد، تقوم بموجبها الدول والحكومات إعادة إسكان بانها نتيجة لتدخل خارجي عمومي ومسيطر واختيار لطموح شخصي.<sup>1</sup> ويكون انتقال السكان إلى مكان إقامتهم الجديد بطرق مختلفة، قد يكون على شكل ترحيل جماعي أو فردي بعد استشارة السكان، وقد يكون طوعي من قبل الأشخاص أنفسهم كما لدى سكان الأحياء التساهمية والترقوي المدعم ووقد يكون اختياري لا يرتبط بالزمن كما هو لدى سكان البناء الذاتي.

إعادة الإسكان إذا نظرنا إليها في السياق الزمني هي نتيجة لعملية الترحيل التي هي عملية مفصلية تربط بين مرحلتين مهمتين في حياة المرحلين (ما قبل الترحيل - ما بعد الترحيل) والترحيل هي الكيفية التي بموجبها يتم نقل مجموعة من السكان من مكان إقامة اعتادوا عليه إلى مكان إقامة جديد سواء كان ذلك بطريقة إرادية أو قسرية، قد يتم ذلك في ظروف عادية كما قد يتم في ظروف طارئة واستثنائية، وقد يكون على مراحل أو دفعة واحدة وقد يستغرق وقتا طويلا أو قصيرا، وقد يكون مخطط له مسبقا كما يمكن أن يكون فجائيا ، وقد يكون انتقائيا أو عشوائيا، وقد تكون في نفس المكان أو إلى مكان بعيد، وفي العادة تكون من مكان اقل ملائمة للحياة إلى مكان أكثر ملائمة يتوفر على متطلبات الحياة الكريمة، والمرحلة التي تسبق عملية الترحيل فترة حساسة والتي ينبغي الانطلاق منها، نذكر بعض العلماء الاجتماعيين الذين تطرقوا لها، ففي كتاب *La favela d'un siècle à l'autre* للاجتماعية البرازيلية (Licia Valadares) والتي كشفت من خلال دراستها عن مدى تماسك سكان الأحياء القصدية الشعبية لمدينة ريو دي جانيرو، رافضين الانتقال نحو الضواحي ومحاولين التفاوض مع السلطات لتحسين أوضاع حيهم وتفاذي كسر البنية الاجتماعية المتشكلة في هذا الحي منذ زمن طويل.<sup>2</sup>

والإسكان هو توطين لمجموعة من الأفراد في مكان إقامة جديد، وتعتبر إعادة التوطين قسرية إذا كان الأفراد أو المجتمعات المتأثرة لا يمتلكون حق رفض امتلاك الأراضي بما يؤدي إلى التهجير، وقد تؤدي إعادة التوطين القسرية، إلى ظهور صعوبات إلى جانب التعرض للفقر على المدى الطويل للأفراد والمجتمعات المتأثرة بالإضافة إلى الضرر البيئي والتوتر الاجتماعي في المناطق التي نزع

1 -Lanzaro, Sous la direction de Driant Jean-Claude, Sortir de l'hébergement d'insertion vers un logement social en Ile-de-France Des trajectoires de relogement, entre émancipation et contraintes. Université de Paris-est.2014.

2 - Licia Valladares, La favela d'un siècle à l'autre. Éditions de la MSH, coll. Horizons américains, Paris, 2006, p229.

إليها هؤلاء الأفراد، أثبتت الدراسات انه يجب تجنب إعادة التوطين القسرية أو التقليل منها على أقل تقدير، وذلك لتخفيف حدة الآثار السلبية على الأفراد الذين يتم تهجيرهم من جهة والمجتمعات المضيفة من جهة أخرى بحيث يراعى الحرص والعناية في تخطيط تلك الإجراءات وتنفيذها. ويؤكد الخبراء أن المشاورات المباشرة للمتعاقل في أنشطة إعادة التوطين مع المرقلين يمكن أن تساعد على التقليل من الآثار السلبية للعملية وتساعد في عملية الاندماج الحضري السريع للسكان الجدد<sup>1</sup>.

عملية إعادة الإسكان ترتبط مباشرة بنمط السكن ونوعية المسكن، فكلما كان المسكن مريح كان له تأثير إيجابي على حياة الفرد، وكلما كان الترابط بين الأنماط السكنية متناسق كان له، هو الآخر، تأثير إيجابي على الحياة العامة لسكان الحي، فالتخطيط الحلقي في السكن الاجتماعي الذي يضم مساحة مفتوحة حولها الوحدات السكنية، تشعر السكان بخصوصية وتملك للفضاء الموجود داخل التجمع، إن الفضاءات الداخلية بالمجمعات السكنية تعمل كمتنفس للسكان، وتحقق إطلالة مناسبة لجميع الوحدات السكنية وتوفر خصوصية الجوار للوحدات السكنية فهي تعمل على تشجيع الترابط الاجتماعي بين السكان وتعطيهم الشعور بالانتماء والاحتواء للمجموعة السكنية<sup>2</sup>.

إن تغيير مكان الإقامة له تبعاته المادية والاجتماعية، ففي الجانب الاجتماعي عندما يقوم المرء بتغيير مكان إقامته يكون قد عرض شبكة كبيرة -طبعاً تخصه هو بالدرجة الأولى- ومعقدة من العلاقات الاجتماعية للتلف والتمزق، مهما كانت نوعيتها، فالعلاقات النفعية أو كما يسميها زيجموند باومان<sup>3</sup> علاقات الجيب العلوي هي أول ما يمزق ويزول، باعتبار الفرد يحتفظ بها في جيبه ويخرجها مهما أراد، ومتى سنحت الفرصة باعتبارها علاقات عذبة وعابرة ومقرونة بالرغبة الفردية.

وفي هذا السياق يؤكد عبد القادر لقعج بأن "الحاجات المتعلقة بالمسكن فيسيولوجية ونفسية وكذلك ثقافية أيضاً، وذلك لكيلا يكون انسجام العائلة مع المسكن الذي لم تختره متبوعاً بالصراع، فمفهوم السكنى يجب ألا يختزل في مجرد المبيت (se loger) بل هو يتضمن القدرة على تملك الفضاء بحسب نماذج ثقافية معينة<sup>4</sup>.

وتتبر عملية الانتقال إلى المسكن أو ماكن الإقامة الجديد مرحلة مفصلية في عمليات الإسكان وتأخذ أشكالاً وصيغاً مختلفة من عنيفة إلى سلسة وطوعية، فالترحيل العنيف يسمى بالاجتثاث<sup>5</sup>

1- مؤسسة التمويل الدولية، سياسة مؤسسة التمويل الدولية ومعايير الأداء الخاصة باستمرارية التنمية الاجتماعية والبيئية. نيويورك، 2006، ص17.

2- احمد عبد الكريم احمد سليمان، السلوك الاجتماعي ضمن بعض الأحياء الداخلية والجوارية للإسكان الأفقي المخطط لذوي الدخل المحدود في المنطقة العربية. مجلة المخطط والتنمية، 2012، ص128-142.

3- زيجموند باومان، الحب السائل عن هشاشة الروابط الإنسانية، ترجمة حجاج أبو جبر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2016، ص56.

4 - Abdelkader Lakjaâ: introduction-Rapports à l'espace résidentiel act de la journée d'étude du 29 juin 1988.p10.

5 - Pierre Bourdieu et Abdelmalek. Sayad, Le Déracinement, la crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie, Paris, Minuit, 1964.

(déracinement) وهو ا ترحيل قسري بطرق تعسفية ووحشية كما حدث أثناء الثورة التحريرية، ورد هذا المفهوم في دراسة لبيار بورديو وعبد المالك صياد، حيث قام المستعمر بهدم البناء الاجتماعي لسكان الأرياف دون أن يقيم مكانه بناء اجتماعي آخر، حيث قام بإبعاد الفلاحين والرقيين عن راضيهم بطردهم أو وضعهم في محتشدات (regroupement)، وظهر نتيجة هذا الاقتلاع من الأرض التي ارتبط بها الإنسان الريفي رباط قوي بين أفراد العائلة الواحدة الكبيرة أو القبيلة نوع آخر من الرباط قائم على الجيرة وخصوصية الظروف المعيشية الجديدة.

وهناك نوع من الترحيل القسري فهو اقل حدة في آثاره الاجتماعية من الاجتثاث وهو يتعلق بترحيل سكان الأحياء القصدية والغير رسمية، وهو نقل السكان بطريقة قسرية إلى أماكن إقامة لم يختاروها غير أنها تتوفر على ظروف معيشية أحسن من الأولى، وحدث هذا في الجزائر بعد الاستقلال وخاصة في المدن الكبرى منها. وهناك الترحيل الطوعي بعد المفاوضات أو برغبة من المرحلين أنفسهم كما هو الحال في الإسكان الخاص بالصيغ السكنية الحالية. (ADL-PLF-LPP).

### تعريف إجرائي

مما سبق يمكن القول إن إعادة الإسكان هدفها المعطن القضاء على أزمة السكن بالمفهوم الواسع، وهي عملية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمكان والزمان والأفراد وما يترتب عن ذلك من علاقات بين الأطراف الفاعلة في العملية، وتتمثل عملية إعادة الإسكان في انتقال السكان بطرق متعددة منها القسرية والطوعية والاختيارية بصفة جماعية أو فردية، نحو سكنات جاهزة أو شبه جاهزة، أو تجزئات مهيئة للبناء السكني، والغرض من ذلك الإقامة الدائمة.

### 4: الأحياء الجديدة

الحي السكني أحد اهم مكونات المدينة وهو نسيج عمراني بخصائص اجتماعية وبيئية وخدمية تحقق متطلبات سكانه ضمن مفهوم الطبيعة البشرية للاجتماع والتعارف والتعاون فيما بينهم. وتُعد الأحياء السكنية إحدى حلقات الانتماء الإنساني للمكان، التي تبتدئ بانتماء الإنسان إلى المسكن، وتنتهي بانتمائه لمدينته وولائه لوطنه، ففقدان حلقة الانتماء للحي قد يؤثر بشكل أو بآخر في بقية سلسلة الانتماء والولاء، فيجب -إضافة إلى ما يوفره الحي السكني من متطلبات الحياة اليومية للسكان -أن يقوي روح الجماعة والتقارب بين سكانه. ونتيجة للنمو المتسارع في توفير متطلبات السوق من الوحدات السكنية بسرعة ووتيرة تفوق سرعة ووتيرة تطوير الأحياء وتنسيقها وتوفير كامل منظومة الخدمات والمرافق الخاصة بها، لم تصل جودة كثير من الأحياء السكنية المعاصرة إلى مستوى جودة الوحدات السكنية المقامة فيها، وعجزت غالبية الأحياء عن الوفاء بوظائفها الاجتماعية، وهو ما أخل بمنظومة العلاقات الاجتماعية بين الجيران. وما الحي السكني إلا جسد وروح، يتكون الجسد من

عناصر الحي ومكوناته العمرانية والمعمارية، (مثل: الشوارع وبنائها التحتية، والحدائق، والمساحات، والمساكن، والمساجد، والأسواق، ومباني الخدمات الأخرى)، وأما روحه فتظهر وتسمو بالعلاقات الإنسانية (الاجتماعية منها والبيئية والنفعية) بين السكان، وبينهم وبين محيطهم العمراني والبيئي. ونجد تأكيداً لأهمية تقوية العلاقات الإنسانية والإيجابية بين سكان الحي الواحد فيما يأمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من العناية بحقوق الجار وأهمية مراعاتها والحفاظ عليها في الأحاديث الشريفة، مثل: "ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"، وقوله: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره..."، وغيرها كثير من الأحاديث الشريفة. وإذا علم ذلك وجب على المصممين والمخططين العمرانيين التعامل مع تصميم الحي السكني بوصفه كياناً يتفاعل مع متطلب العلاقات الإنسانية الإيجابية بين السكان وبيئتهم السكنية العمرانية والطبيعية، وأن يعامل الحي السكني بوصفه كائناً حياً قابلاً للنمو الديناميكي المتفاعل مع الاحتياجات المتغيرة للسكان، مع العناية بالاستدامة البيئية، وتقوية الروابط الاجتماعية، والعمل على خفض تكاليف إقامة الأحياء السكنية وصيانتها.

والحي الجديد هو تجمع من أفراد يعيشون داخل منطقة جغرافية ذات خصائص مكانية معينة، وترجع أهمية هذا البعد المكاني إلى سببين رئيسيين أولهما أن العوامل المكانية تساعد في تفسير قيام المجتمع وبقائه وتنظيمه، وثانيهما أن أفراد المجتمع بما يطورونه من تنظيمات وميكانيزمات للتفاعل بينهم يعدّلون وباستمرار من الوسط أو القاعدة المكانية التي يعيشون في إطارها وحدودها، معنى ذلك أن العلاقة جد وثيقة بين المكان وخصائصه ومتغيراته، وبين التنظيم الاجتماعي وطريقة الحياة التي يعيشها أفراد المجتمع.

والأحياء الجديدة باعتبارها شكل من أشكال الجماعات الاجتماعية لها عدداً من الخصائص الأساسية التي تعد من أهم مقومات بناء المجتمع المحلي، وهي احتوائها على تجمعات الأفراد وتحديدها لبناء الدور والمكانة وشمولها على مجموعة من المعايير التي يلتزم بها الأعضاء.

يعرف روبرت اليكسن (Robert Ellickson) الحي السكني بأنه منطقة جغرافية تتواجد ضمن مدينة كبيرة أو بلدية، ويقتصر استخدام أراضي الحي السكني على السكن الخاص دون الاستخدامات التجارية.<sup>1</sup> وتختلف الأحياء في معيارها الراقى أو المتدني تبعاً لسكانها أو قيمه أرضها أو جهتها، ويختلف نوع قاطني هذه الأحياء نسبة إلى صنع الإنسان الأحياء والمدن كامتداد لحاجاته الاجتماعية والاقتصادية. وبمنظرة سريعة إلى وضع إنساننا الحالي في هذه البيئة، نجد أننا نفتقد لكثير من الحاجات الاجتماعية حتى أننا لا نتيح الفرصة لأنفسنا في التعرف على إخواننا المحيطين بنا سواء في المساكن

1 - Robert Ellickson, Order Without Law: How Neighbors Settle Disputes, Harvard University Press, Massachusetts, 1994.

التي نقطنها أو في الساحات والحدائق وذلك لإنماء وتفعيل الحس الاجتماعي والذي هو جل أساس تطور الأحياء.

علم اجتماع الأحياء هو حقل فرعي من علم الاجتماع الحضري وهو علم يهتم بدراسة المجتمعات المحلية<sup>1</sup> التي تتعايش داخل الأحياء السكنية، والتفاعل البشري والعلاقات الاجتماعية والأثار الذي يخلفها العيش داخل هذه المجمعات السكانية الصغيرة.<sup>2</sup> كما تستخدم الأحياء أيضًا في الدراسات البحثية من الرموز البريدية والتفاوتات الصحية، إلى الارتباط بمعدلات التسرب من المدرسة أو استخدام الأدوية.<sup>3</sup> أو الجنوح، ودراسة معدلات البطالة والفقر... الخ. كما تم تكريس بعض الاهتمام للنظر إلى الحي باعتباره ديمقراطية صغيرة، أو كيان اجتماعي يتميز بخصوصية استقلالية تنظمها في المقام الأول أفكار المعاملة بالمثل بين الجيران.

الحي الجديد أو الضاحية، كما يسميه عبد العاطي السيد، هو حيز فيزيقي امتداد للمدينة لا يمكن فصله عنها، وهو يصنفها وظيفيا إلى ستة أصناف هي: الضاحية التقليدية للطبقة العليا، والضاحية المنعزلة أو المستقلة، والضاحية السكنية، والضاحية المتخلفة، والضاحية المتنوعة، والضاحية الصناعية. يضم مجتمع الضواحي خليط من السكان وأنماط مختلفة من السكن تسكنها جماعات غير متجانسة، والملاحظ في هذه الأحياء هو توطين عدد كبير من المهن، ويكشف السكان عن اهتمام واضح بشؤون المجتمع المحلي.<sup>4</sup>

في بلدان أوروبا الغربية وخاصة مدنها الكبرى فرض تمدد المناطق على الأطراف نفسه على شكل حلقات صنفت إلى ثلاث حلقات خارج الحدود المدينة القديمة. وبسبب عدم وجود مصطلح خاص بين ما هو حضري منها، وما هو ريفي، وصفت هذه المخططات الجديدة بأنها مخططات للضواحي، ففي باريس تتمركز الأحياء الجديدة فيما يسمى بالحلقة المحيطية الثانية وتتميز باستمرارية النسيج العمراني وبهيمنة المناطق السكنية بنمط يخلط بين السكن الجماعي والسكن الفردي أو المنفصل، إلى جانب انسجه من تقسيمات الأراضي، وان الفراغات القابلة للترك فيها قليلة ويتم إعادة تشكيلها بسرعة، بالمقابل التناقضات الاجتماعية-الاقتصادية تبدو أكثر وضوح.<sup>5</sup>

1 - Wellman, Barry. & Leighton, Barry. Networks, neighborhoods and communities: Approaches to the study of the community question. Urban Affairs Quarterly, 14(3), (1979, March), 363-390.

2 - Henry.G.Overman,. Neighborhood effects in large and small neighborhoods. Urban Studies, 39(1): 117-130. January 2002

3 - Donald I, Warren, The functional diversity of urban neighborhoods. Urban Affairs Quarterly, Volume: 13 issue: 2, page(s): 151-180, Issue published: December 1, 1977

4- السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري الجزء الثاني، ط4، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2017، ص 186-192.

5- كلود شالين، السياسات الحضرية الجديدة، ترجمة: سمير نور الدين الوتار، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 2013، ص.191-198.

هناك من يعرف الأحياء الجديدة بأنها امتداد لمركز حضري قائم، يحوي مجتمع جديد مرحل بطرق مختلفة لأجل خلق نوع من التوازن الحضري لحل ازمه سكنية أو تحسين واقع قائم هذا بالنسبة للأحياء الرسمية والمخطط لها. وعادة ما يراعى في تخطيطها تحقيق التوازن البيئي في المخطط وتحقيق التوازن بين مبدئي الفصل والتداخل بين الاستعمالات.<sup>1</sup>

والأحياء الجديدة اجتماعيا هي مجتمعات جديدة غير متجانسة في بداية نشأتها، والمناطق الحضرية الجديدة كسياسة جاءت بهدف الخروج من حيز الاختلالات المجالية التي صاحبت نمو وتطور المدن والكثافة السكانية المرتفعة للمدن الكبرى بالجزائر.<sup>2</sup> وخاصة تلك الموجود بالساحل ومدن الهضاب العليا والمدن السهبية والصحراوية وخاصة البترولية منها على غرار الأغواط، ورقلة وتقرت. الأحياء الجديدة هي البوتقة التي يعاد في فلها تشكل العلاقات الاجتماعية بين الأفراد المقيمين بها، والحي الجديد هو فضاء يضم داخله مجتمع جديد في طور التشكل تمثل فيه اللقاءات شكلا من أشكال التفاعل اليومي، فهناك اللقاءات المركزة التي عادة تكون بين الأصدقاء أو زملاء العمل أو الأهل أو الأقارب، أو لقاءات غير مركزة تكون مع العابرين وممن لا نعرفهم ويكون التواصل معهم لغاية معينة، إن اللقاء هو مسار خطي يبدأ بلحظة تواصل واتجاه مسار لا بد منه ينتهي بتفاعل تحكمه مؤشرات مثل الانتباه والاهتمام والمتابعة وحسن الإصغاء حسب الموقف، ومعايير تتعلق بالثقافة السائدة في المجتمع.<sup>3</sup>

### تعريف إجرائي

وفي بحثنا هذا يمكن تعريف الحي الجديد إجرائيا بأنه توسع عمراني مجالي رسمي تم التخطيط له ضمن المخططات التوجيهية للتهيئة والتعمير، وانجز على مراحل في ارض قابلة للتعمير على أطراف المدينة، بهدف القضاء على ازمه السكن، والكثافة السكانية بمركز المدينة، مع مراعاة جملة من المعايير التقنية والاقتصادية والبيئية والاجتماعية والثقافية. يتكون ماديا من أنماط مختلفة من السكن ومرافق عمومية جوارية لتلبية حاجيات السكان وارتفاعات وشبكات مختلفة، ومشكل اجتماعيا من مجتمع جديد غير متجانس، وهو مقر إقامة جديد ودائم.

1- مختار هشام أمين. تخطيط وتنمية المجتمعات الجديدة في جمهورية مصر العربية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الهندسة جامعة القاهرة، بدون سنة نشر، ص 43.

2- سناء روابحي. الخصائص الاجتماعية والعمرانية للمناطق الحضرية الجديدة دراسة ميدانية بمدينة باتنة-حملة 03 انموذجا-رسالة دكتوراه، جامعة باتنة -سنة 2019، ص 15.

3- مأمون طربية، علم الاجتماع في الحياة اليومية قراءة سوسولوجية معاصرة لوقائع معاشة، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان: 2011، ص 28.

## الفصل الثاني:

### التوجهات النظرية

أولاً: التوجهات نظرية في دراسة الفضاء العمومي

ثانياً: التوجهات النظرية في دراسة الرباط الاجتماعي

ثالثاً: التوجهات النظرية في دراسة الأحياء الجديدة

## الفصل الثاني: التوجهات النظرية

### أولاً: المقاربات نظرية في دراسة الفضاء العمومي

لقد حضي هذا المفهوم بالتبني الواسع على مستوى الاستخدام العلمي والعملية في حياتنا اليومية ويتجلى ذلك في البحوث والدراسات التي نشرت والمؤتمرات التي عقدت عن هذا الموضوع، فهو موضوعاً مشتركاً تتقاسمه العديد من العلوم، وعليه نرى ضرورة عرض هذه الدراسات في ظل الاتجاهات النظرية التي خرجت منها، وبذلك يمكن أن نتحدث عن الاتجاه الجغرافي، والذي يتم التركيز فيه على التهيئة، وهناك الاتجاه الاقتصادي الذي يتعلق بالإنتاج والتسويق والاستهلاك، ثم هناك ما يسمى بالاتجاه الاجتماعي الذي يشغل بال السوسيولوجيين ولكي يكون بحثنا متكاملًا سوف نعتمد هنا على أعمال بعض المنظرين اللذين درسوا الفضاء العمومي، ويظهر ذلك جلياً في أعمال يورغن هابرماس وهنري لوفيفر ومانويل كاستلز وارفينغ غوفمان .

### 1-مقاربة يورغن هابرماس « Jürgen Habermas »

من خلال تتبع هابرماس لنشوء الفضاء العام ثم انحطاطه وهبوطه، وحيث الفضاء العمومي في نظره حلبة النقاش العام التي تدور فيها المساجلات، وتتشكل فيها الآراء والمواقف حول القضايا التي تجسد اهتمامات الناس وهمومهم. ويعتقد هابرماس أن الفضاء العام في المجتمعات الغربية قد بدأ ينشأ أول الأمر في بعض الفضاءات العمومية والمتمثلة في الصالونات والمقاهي في لندن وباريس وعدد من المدن الأوروبية الأخرى، وكان الناس يلتقون في هذه الأماكن ويناقشون قضايا الساعة من خلال ما يقرؤونه في النشرات والصحف التي بدأت بالصدور آنذاك. واكتسبت المناقشات السياسية أهمية خاصة رغم قلة عدد المشاركين فيها، إلا أن الصالونات أدت دوراً حيوياً في نمو الديمقراطية في مراحلها الأولى، لأنها أتاحت فرصة لتداول الآراء وتبادلها حول القضايا السياسية من خلال النقاش العام. ويمثل الفضاء العمومي، من حيث المبدأ على الأقل، التقاء الناس بوصفهم أفراداً متساوين في منديات شبه مفتوحة للمناقشات العامة. غير أن الوعود التي انطوت عليها المراحل الأولى من تطوره لم تتحقق بكاملها. فقد أوشك النقاش الديمقراطي على الاختناق تحت وطأة صناعة الثقافة. وأدى انتشار وسائل الإعلام الجماهيرية وسطوة صناعة الترفيه الجماهيرية إلى تشويه طبيعته إلى حد بعيد، ذلك أن مناقشة القضايا السياسية أصبحت مرهونة بما يدور في البرلمانات وفي وسائل الإعلام، فيما تجذرت سطوة المصالح التجارية والاقتصادية وهيمنت على الصالح العام،



ولم يعد الرأي العام يتشكل من خلال النقاش العقلاني المفتوح، بل غدا محصلة لعمليات الاستمالة والتلاعب والسيطرة المفروضة عليه، كما تبدو على سبيل المثال في الحملات الدعائية والترويجية.<sup>1</sup> وأشار هابرماس على أن نجاح المجال العام يعتمد على مدى الوصول والانتشار، ودرجة التحكم الذاتي بحيث يكون المواطنون أحراراً يتخلصون من السيطرة والهيمنة والإجبار، ورفض الاستراتيجية بحيث كل فرد يشارك على قدم المساواة مع الآخرين، والفهم والثقة والوضوح في المضمون الإعلامي، وأخيراً وجود سياق علّامي ملائم.<sup>2</sup>

وتعرف أونيل سوزان (Susan O'Donnell) الفضاء العمومي بأنه مساحة للمشاركين حيث يتم تبادل الأفكار بحرية وهو فضاء للنقاش والحوار، فضاء المواطنة المجسدة لعقد التشاركية الجماعية المستوعبة للمختلف، وهو فضاء يتشكل بالمشاركة المستمرة لآليات الحوار والمناقشة.<sup>3</sup> والفضاء العمومي هو جزء من مكان ما في المدينة ويمكن تعريفه بصورة مطلقة، بأنه النقطة من المجال الفيزيائي التي يتموضع فيها الإنسان أو شيء يوجد. وهذا يعني إما تموضعاً، وإما مكانة بالنسبة لغيره، ورتبة في نظام معين، أما الحيز المشغول فيمكن تعريفه بأنه الامتداد والسطح والحجم الذي يشغله فرد أو شيء في المجال الفيزيائي بأبعاده وجرمه في الأصح.<sup>4</sup>

تشكل دراسة هابرماس "الفضاء العمومي: تاريخ الإشهار كبعد مكون للمجتمع البرجوازي" الذي نشرها سنة 1962، والتي كانت في الأصل موجهة إلى جمهور محدود وخاص، حيث لقيت الدراسة صدى كبير لدى الطلبة الألمان<sup>5</sup>، وهي أهم مرجع يتناول بالتفصيل إسهامه في وضع نظرية الفضاء العمومي، بحيث أثار فيه الصلات الوثيقة بين الفضاء العمومي والمجتمع المدني كإشكالات سيّاسيّة ستقود الفلسفة السيّاسيّة المعاصرة إلى التمييز بين المجال الذي يشمل الدولة ومؤسساتها من جهة، وبين الميدان الخاص، الذي يتصل بالحياة الشخصية للأفراد وحقوقهم المدنيّة من جهة أخرى. لذلك عمل على تحديد القيمة السيّاسيّة والنظرية لهذا المفهوم معاً، وتتبع تطوره في تاريخ الفلسفة مركزاً على الحرية الديمقراطية للفضاء العمومي في القرن الثامن عشر بأوروبا والذي ساهمت في تشكله الطبقة البورجوازيّة، وحاجتها إلى هذا الفضاء لتخطي المرحلة الإقطاعية، حيث رصد كل

1- انتوني غدنز، علم الاجتماع، ت: فاير الصياغ، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005. ص 511-512.

2- حاتم سليم العلاونة، دور مواقع التواصل الاجتماعي في تحفيز المواطنين على المشاركة في الحراك الجماهيري ورقة مقدمة للمؤتمر العلمي 17 بعنوان "ثقافة التغيير"، كلية الآداب جامعة فيلادلفيا، عمان، 2012، ص 6-8.

3- نها السيد عبد المعطي، مرجع سابق، ص 143.

4- بيير بورديو، بؤس العالم الجزء الأول رغبة الإصلاح، ترجمة: محمد صبح، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، دمشق، سوريا، 2010، ص 240.

5 - Trom Danny. Habermas Jürgen, L'espace public. Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise, Paris, Payot, réed. 1988. In: *Politix*, vol. 2, n°5, Hiver 1989. Domaines d'élection, sous la direction de Bastien François, Florence Haegel et Jean-Baptiste Legavre. pp. 95-96.

مجالات الاستعمال العمومي للعقل<sup>1</sup>: مثل الصالونات الأدبية، الجرائد والمجلات، النقاشات العموميّة المنتشرة آنذاك والمتزامنة مع النمو الاقتصادي وصعود البورجوازيّة على مستوى الإنتاج وتطور الرأسمال الصناعي والمالي<sup>2</sup>.

"ويمثل الفضاء العمومي في نظر هابرماس حلبة النقاش العام التي تدور فيه المساجلات وتتشكل فيها الآراء والمواقف حول القضايا التي تجسد اهتمامات الناس وهمومهم"<sup>3</sup>.

الفضاءات العمومية تضمن عدة أدوار في الحي أو المدينة، هذه الأدوار التي تتحول إلى قضايا يتحملها الفضاء العمومي في وجه المخاطر داخل التجمع أو المدينة، وهناك أربع قضايا مترابطة يتكفل بها الفضاء العمومي وهي قضية الحركة والتي تعني الولوج إلى كل فضاء حضري من طرف كل السكان، وقضية الاستعمالات الحضرية الاحتفالية والثقافية والتجارية، وقضية التنشئة والتي تعني الاتصال بين سكان المدينة فيما بينهم بأشكال وطرق متعددة، وأخيرا قضايا الهوية<sup>4</sup> التي تصبح بالقوة حضرية، حيث يتعين على الهوية الشخصية والجماعية أن تتشكل من جديد مع كل تنقل لمكان ما في المدينة<sup>5</sup>.

وقد تفقّد الفضاءات العمومية أدوارها ويبرز ذلك عبر تنامي ظاهرة التفكك والتفرقة ويحدث ذلك داخل المدينة حينما يتوقف الفضاء الحضري عن لعب دوره كونه فضاء من شأنه أن يسهل التنظيم الاجتماعي بين الأشخاص والمجموعات السوسيو-اقتصادية وتحقيق "التضامن التنظيمي" الذي يتعزز مع تنامي التفرقة وظهور الأحياء الخاصة وإزاحة الأفراد والجماعات الغير مرغوب فيها وغير النافعين<sup>6</sup>.

رغم أن الدراسة تحاول تكوين نظرية عامة حول الفضاء العمومي، لكنها كانت ذات بعد سياسي فلسفي نقدي، لم تتطرق إلى الفضاء العمومي بالمفهوم العمراني في جوانبه المادية الذي نحن بصدد دراسته، غير أن ما نستشفه منها هو أن التحولات التي شهدتها الفضاء العمومي كمفهوم عام كان له الدور الكبير في بناء الراي العام لدى سكان المدن وتحديد الخطوط الفاصلة بين

1- تجدر الإشارة إلى أن الفيلسوف كانط هو المنظر الحقيقي للفضاء العمومي في مقاله التأسيسي ما التنوير؟ بحيث دافع بقوة عن الجراءة في استعمال العقل، تلك الجراءة التي تفترض الشجاعة والاستقلالية والمسؤولية والإرادة. وكذلك من خلال سؤاله الآخر، كيف تكون الطبيعة ممكنة؟ ويجب أن الطبيعة لا توجد إلا لأن هناك عقولا تفكر فيها، وبالتالي ليست الطبيعة شيئا غير تمثل الطبيعة.

2 - Jürgen Habermas, Trad: Marc Buhot de Launay. L'espace public : Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise, Broché, Paris, 1988, p.246-247.

3- أنتوني غدنز: علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، مرجع سابق: ص 511.

4 - Michel Bassand et autres, vivre et créer l'espace public, presses polytechniques et universitaires romandes, 2001.p13.

5- ميشال اجي، أنثروبولوجيا المدينة، ترجمة: سعيد بلمبخوت، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2019، ص30.

6- نفس المرجع، ص31.

المجال الخاص والعام، وتحديد المسؤوليات الفردية والجماعية داخل الفضاء الحضري المكون للمدينة، ومنه بناء شبكة من الروابط والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يكون للفضاء العمومي مجالاً حيويًا لها.

هذه الدراسة التي قدمها هابرماس هي مقارنة نظرية تؤسس لمفهوم الفضاء العمومي في المجتمع الغربي وقد تم نقدها، من طرف فريزر حيث تنطلق من بعض عناصر التفكير في هذا السبيل من أجل فضاء عمومي ما بعد برجوازي، إذ كتبت تقول: "يتمثل اقتراحه في إعادة تأسيس نظرية الفضاء العمومي التي تتعرض لخطر فقدان قيمتها السياسيّة"<sup>1</sup>، كذلك هناك نقد هام صاغه مساعده العلمي الأول أوسكار نيغت (Oskar Negt) الذي شغل منصب معيد في الفريق العلمي لهابرماس رفقة زميله ألكسندر كلوج (Alexandre Kluge) في العديد من كتبهما<sup>2</sup> المشتركة التي تعود إلى العقد السابع من القرن الماضي. وقد اتخذ هذا النقد شكل نظرية جديدة بديلة تُدعى "الفضاء العمومي المعارض"، أو "الفضاء العمومي البروليتاري". ويُراد منه نقد نظرية هابرماس حول الفضاء العمومي البرجوازي، من منطلق أنّ البرجوازيّة لم تكن وحدها من ساهم بشكل كبير وأساسي في نشأة الفضاء العمومي خاصة في واقع أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بل إنّ هناك طبقة اجتماعيّة أخرى، أي الطبقة العاملة، بدونها لا يمكن أن توجد البرجوازيّة، إلى جانب فئات اجتماعيّة أخرى من قبيل الطلاب، الشباب الأجير، النساء، الأجراء...، حاول نيغت أن يلفت انتباه أستاذه هابرماس إلى مجموع الديناميّات الاجتماعية والسياسيّة التي تركت بصمات حقيقيّة في تاريخ أوروبا، مُركّزاً على الفضاء العمومي الألماني خلال ثورة 1918، وعلى الفضاء العمومي الفرنسي حيث لعبت حركة ماي 1968 الدور الأبرز في ظهور فضاء سياسي عمومي مهّد لديمقراطيّة فرنسيّة جديدة مغايرة تماماً لديمقراطيّة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. فإلى أيّ حدّ تسمح دراسة هابرماس بفهم ميكانيزمات وآليات تشكل وتحرك الفضاء العمومي الأوروبي؟ هل صحيح أنّ البرجوازية وحدها لعبت الدور الأبرز في ظهور الفضاء العمومي، أم أنّ هناك طبقات وفئات اجتماعية أخرى ساهمت بدورها ولعبت أدواراً في نشأة الفضاء العمومي؟ وما حدود نظرية هابرماس؟<sup>3</sup>

1 - Jürgen Habermas, op.cit., p 148.

2 - Alexander Alexander, Oskar Negt, Public Sphere and Experience: Analysis of the Bourgeois and Proletarian Public Sphere, Translated by Peter Labanyi, Jamie Owen Daniel, and Assenka Oksiloff, p. cm. — (Theory and history of literature ; v. 85), The University of Minnesota is an equal-opportunity educator and employe, 1993.

3 - Oskar Negt: l'espace public oppositionnel, traduction par Alexander Neumann, Payot, Paris, 2007.

## 2-مقاربة هنري لوفيفر « Henri Lefebvre »

يبقى الصراع من اجل امتلاك وسائل الإنتاج عامل حاسم في السيطرة على الفضاء العمومي سواء المادي منه أو المعنوي من اهتمامات علم الاجتماع، ويعتبر عالم الاجتماع الفرنسي هنري لوفيفر أحد الأوائل الذين اعتبروا "الفضاء"، بأبعاده التجريدية المثالية، موضوعا للتحليل الاجتماعي بناء على الفلسفة الماركسية وسياسية اليسار. وأنتج مفاهيم جديدة في تحليل الفضاء والحضر مثل «الحق في المدينة» و«الثورة الحضرية». ويذهب بعيدا في ذلك، حيث يتطرق، هنري لوفيفر في كتابه «La production de l'espace»، إلى علاقة الفعل الثوري بالفضاء العام، ويجادل بأن الثورة التي لا تنتج فضاءات عامة هي ثورة عاجزة عن تغيير الحياة العامة، وأن كل ما يمكن أن تحدثه هو تغيير في التركيبة الأيديولوجية السياسية أو البنية المؤسسية لا غير.<sup>1</sup> ومن هنا نجد أن الفضاء العمومي عند هنري لوفيفر هو إنتاج اجتماعي، متهما بذلك التخطيط التقليدي بأنه ذو طابع أيديولوجي، لأنه يعتبر "الفضاء" موضوع دراسة بحث، غير سياسي. وبالنسبة له الفضاء ليس موضوع علمي خالي من الجانب الأيديولوجي والسياسي.

ووفقا لـ: لوفيفر يتم تعريف التحضر من خلال ثلاث مفاهيم مترابطة هي الفضاء والحياة اليومية وإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية الرأسمالية، وبهذا تكون المدينة باعتبارها الإطار المجالي العالمي، الذي يعاد فيه إنتاج الأفراد بواسطة ممارستهم حياة اليومية. فالعلاقات الاجتماعية الرأسمالية يعاد إنتاجها داخل الاستعمال اليومي للفضاء، ويقول إن الرأسماليين، يتخلصون من الأزمات التي تنتجها الرأسمالية باستغلالهم للفضاء، لقد أوضح كيف أن البرجوازية الغربية استعملت الفضاء، وكيف حافظ هو الآخر على ديمومتها " رغم أن الرأسمالية لم تستطع إيجاد الحلول لتناقضاتها، غير أنها ساهمت في التقليل من حدتها، وخاصة بعدما كتب ماركس كتابه "رأس المال" الذي اعتبر نقدا لاذعا لها استقادت منه في تنمية وتطوير نفسها.

## 3-مقاربة مانويل كاستلز « Manuel Castells »

مانويل كاستل في كتابه « المسألة الحضرية »<sup>2</sup>، ناقش مسألة التحضر واعتبرها ظاهر اجتماعية، ويتعلق الأمر بداية بمقاربة تاريخية من خلال دراسة لنشأة المدينة وما يصاحبها من عمليات تحضر، محاولا الإجابة على التساؤل الذي يطرحه، ماهي عملية الإنتاج الاجتماعي للأشكال المكانية للمجتمع؟ فبنظرة عامة، منذ العصر الحجري الحديث إلى غاية المدينة الميتروبولية

1 -Henri Lefebvre « La production de l'espace » Anthropos première édition 1974 réédition 2000.p43.

2 - Manuel Castells: La question urbaine. Paris, François Maspero, 1981.

الأمريكية، وبوصف دقيق لظاهرة التبعية التي تعاني منها المدن وخاصة بأمريكا اللاتينية، وما يترتب عنها من آثار على النمو الحضري، بالإضافة إلى بعض الملاحظات عن مدن الدول الاشتراكية المكونة لجزء من هذه الدراسة التاريخية، ففي الجزء الثالث الذي يعطي لهذا العمل أصالة وأهمية بالغة عن طريق تحليل هيكل الفضاء الحضري، وهو بذلك -كاستل- يضع أول صياغة لنظرية عن الفضاء ضمن نظرية المجتمع التي من شأنها إطالة عمر المادية التاريخية في مجال لم يكن لحد الآن لديه صياغة محددة.

ويرى انه في الحقيقة ليست هناك محددات للحقيقة التي نسميها التحضر، فعلم الاجتماعي حاول أن يعالج نوعين من المشاكل أولا العلاقة بالمجال، أي التمهصلات الحقيقية للعناصر المادية للفضاء مع مجموع البنى الاجتماعية، وتانيا وما يمكن أن نطلق عليه عمليات الاستهلاك الجماعي، من خلال معالجة عدة مشاكل مرتبطة بدرجة كبيرة بدائرة الاستهلاك الجماعي، أي عمليات الاستهلاك الذي يكون فيها التنظيم والتسيير جماعي نظرا لطبيعة وأبعاد المشكلة، هذه الإشكالية في رأيه لها أساس إيديولوجي ساعد في تكوين علم الاجتماع الحضري<sup>1</sup>.

وقام بدراسة نظرية لعناصر الهيكل المجالي، وأعطى امثله ميدانية من الواقع عن ذلك مثل: التموضع الصناعي والسكن والنقل، كتعبير مكاني عن مختلف المكونات للهيئات الاقتصادية، والتنظيمات التشريعية والرموز الحضرية، وكيف تعمل لصالح الهيئات السياسية-التشريعية والأيدولوجية.

من خلال كل هذا نستنتج أن الصراع هنا مكون من ثلاث أجنحة، الجناح الأول تمثله الدولة مجسدة في القوانين وتشريعات التنظيم الحضري، الجناح الثاني وهو الفضاء ويمثله الشكل والمكان أي الهيكل المجالي، والمكون الثالث وهو المجتمع باعتباره الدائرة الكبرى التي تتصارع في فلكها كل الأطراف.

إن ما يميز المجتمعات الغربية باعتبارها مجتمعات استهلاكية وبوصفها مجتمعات حضرية، ففي القرن السابع عشر وعندما نتكلم الإنجازات الكبيرة للصناعة وعن المسألة الاجتماعية يقودنا ذلك إلى وصف الظروف العمالية<sup>2</sup>.

ماهي المدينة إذا؟ هل هي عالم صغير، وتقسيم للفضاءات في التنظيم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي، أو على العكس من ذلك هي مظهر متميز وتابع نسبيا للبناء

1 - Manuel Castells, théorie et idéologie en sociologie urbaine, in sociologie et société, volume 1, n°2, novembre 1969.p 171-192.

2 -Touraine Alain. Manuel Castells, La Question urbaine, 1972. In : Sociologie du travail, 14<sup>e</sup> année n°4, Octobre-décembre 1972.p. 471-472.

الاجتماعي؟ ماهي مكانة الحضري في التنظيم الاجتماعي؟ ويرى انه في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة أن العمليات التي تهيكّل الفضاء هي التي تعنى بإعادة الإنتاج البسيطة واسعة لقوة العمل، ومجموع الممارسات المسماة حضرية التي تبيّن ترابط العملية-الحضرية-مع البناء الاجتماعي كله.<sup>1</sup> ويتساءل توران، ألم يضعنا كاستلر أمام معضلة؟ ويضيف قائلاً، ألم يختزل مجتمعنا في إشكاليه الاستهلاكية، أو بالأحرى ربط التحضر بنسق إنتاجي يعرف أساساً بالصناعة، أي في لحظة النشاط الاجتماعي أين تتم العلاقات بين الطبقات ومؤسساتها، وإنتاج الربح. فالمدينة فيما مضى كانت مكان الذي تتمركز فيه السلطة ويستعمل فيه الربح المالي وبهذا اكتسبت شيئاً فشيئاً وظائف ذات صبغة اقتصادية، وحافظت على التمييز بين الوظيفة الاقتصادية والتحضر (انظر المسألة الحضرية).<sup>2</sup>

#### 4- مقارنة ارفينغ غوفمان « Erving Goffman »

يعتبر ارفينغ غوفمان من أهم المنظرين في دراسة التجمعات والتظاهرات والمظاهرات السياسية في الفضاءات العمومية الحضرية. وتعتبر دراسته والتي جاءت بعنوان السلوك في الأماكن العامة، ملاحظات حول التنظيم الاجتماعي للتجمعات. وهو الكتاب الذي صدر سنة 1963 باللغة الإنجليزية، يدرس سلوك الأفراد في الفضاء العمومي، وأصدر بعده كتاب العلاقات في الأماكن العامة: دراسات صغرى للنظام العام، الذي نُشر في عام 1971. سوف نتطرق هنا للكتاب الأول السلوك في الأماكن العامة، الذي جاء في 248 صفحة من القطع المتوسط من أربعة أجزاء، الجزء الأول يضم مقدمة وإشكالية الدراسة، والتعريفات التمهيديّة، والجزء الثاني بعنوان تفاعل غير مركّز، المشاركة، بعض القواعد حول توزيع المشاركة، بعض القواعد حول مواضيع المشاركة، الجزء الثالث يتعلق بالتفاعل المركّز، فيدرس من خلاله التزامات الوجه، المعارف، الارتباطات، الغير معروفين، والجزء الرابع: الالتزامات التي يمكن الوصول إليها، حدود الاتصال، قانون المشاركة المتبادلة، المشاركة غير المحتوات، الجزء الخامس: التفسيرات، بناء ووظيفة المواقف الظرفية، ضيق و رخاوة، المعنى الرمزي للمواقف الخاطئة وأخير الاستنتاجات.

اهتمت هذه الدراسة بالسلوك في الفضاءات العمومية، وتحديدًا ذلك الجانب من النظام العام المتعلق بسلوك الأفراد بحكم وجودهم من مع الجماعة. واقتصر الاهتمام على تنظيم الأفعال

1 - Manuel Castells: La question urbaine, op.cit., P.298.

2 - Touraine Alain. Manuel Castels, La Question urbaine, op.cit., p. 473.

التواصلية، التعبيرية واللغوية، ويؤكد على أن تنظيم سلوك التواصل ليس كل ما في النظام العام، ولكن من المؤكد أن هذا التنظيم مهم بما يكفي للنظر فيه بمفرده<sup>1</sup>.

وفي الجانب المنهجي للدراسة استخدم الباحث ثلاث وحدات اجتماعية أساسية، كانت جميعها ذات طبيعة تفاعلية. أول وحدة هي المقابلة الفردية وجهاً عن طريق المحادثة، والثانية وحدة اجتماعية نفسية أوسع توفر الإطار المرجعي من حيث حدوث الارتباطات. والوحدة الثالثة كان لقاء اجتماعياً<sup>2</sup>. حاول إرفينغ غوفمان لأول مرة بالتفصيل تطوير مفهومه لنظام التفاعل والمناسبات الاجتماعية. من خلال تحليل حالات اللقاء والتجمع والالتزامات من المنظور "إيكولوجي"<sup>3</sup>، والكيفيات التي يتم بها تنظيم السلوك في الفضاءات العمومية لدى المجتمعات الغربية، ويرى غوفمان أن التجمعات الاجتماعية لها أهمية كبيرة في تنظيم الحياة الاجتماعية. ويجادل بأن جميع الناس في بيئة اجتماعية لديهم بعض التردد بشأن القواعد التي تحكم السلوك، ويتجه الأفراد إلى الإحساس بأن قواعد المشاركة في التجمعات أمر حاسم لرفاهية المجتمع، وأن هذه القواعد طبيعية، ومصونة، ويرى أن هناك ميل في المجتمع الغربي لتعريف هذه الأماكن على أنها مشهد لمناسبة اجتماعية مهيمنة يجب أن تخضع لها المناسبات الثانوية التي قد يشهدها المكان، وعلى الفرد أن يتبع مجموعة من التصرفات، المتفق عليها ليندمج في إطار الجماعة، ويجب أن يملك معرفة عن قواعد التعامل الذي يمثلها<sup>4</sup>.

### ثانياً: المقاربات النظرية في دراسة الرباط الاجتماعي

يحتل مفهوم الرباط الاجتماعي مكانة هامة ورئيسة في علم الاجتماع العام، فمعظم المنظرين في علم الاجتماع والعلوم الإنسانية بصفة عامة يرون أن الرباط الاجتماعي التي تنتجها العلاقات الاجتماعية هو أساس علم الاجتماع<sup>5</sup>، وكل المقاربات النظرية الثلاثة (الوظيفية، والصراعية والتفاعلية) ساهمت في تفسير الرباط الاجتماعي داخل المجتمع الحضري، وسوف نتطرق في هذا المحور لهذه الدراسة على أعمال بعض الرواد والمحدثين في دراسة الرباط الاجتماعي.

1 - Goffman, Erving. Behavior in Public Places, op. cit., p. 242.

2 - Ibid., p.243.

3 - Ibid., p.48.

4 - Ibid., p.21.

5- إبراهيم عيسى عثمان، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص245.

## الرباط الاجتماعي عند علماء الاجتماع الأوائل

اهتم علماء الاجتماع الأوائل، من أمثال ابن خلدون، فيردناند تونيز، وفيبر، وإميل دوركايم<sup>1</sup>، وجورج وزيميل<sup>2</sup>، وشارل كولي وغيرهم، بفهم كيفية نشوء المجتمع الحديث وآثار التحولات البنوية العميقة التي حدثت فيه على العلاقات الاجتماعية، حيث كانت فكرة الرباط الاجتماعي لديهم تدور حول نظرة تاريخية للعلاقة بين الفرد وجماعة انتماءه من جهة، وظروف التحولات من جهة أخرى.

**الرباط الاجتماعي عند ابن خلدون (1332-1406):**

تطرق ابن خلدون لمفهوم الرباط الاجتماعي من خلال مفهوم العصبية "في الحقيقة إن مفهوم العصبية يستهدف عند ابن خلدون معنى سياسياً أكثر منه معنى اجتماعي، وتعد ظاهرة العصبية ظاهرة منتشرة في المجتمع القبلي ومحركه الأساسي بالنسبة للعلاقات التي تربط أفراد المجتمع، " فالعصبية هي حالة ذهنية عاطفية تظهر في العلاقات والسلوكيات التي تتسم بها مجموعة من البشر في حالة البداوة".<sup>3</sup>

يقول ابن خلدون: "ولا يصدق دفاعهم وزيادهم، إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد، لأنهم بذلك تشتت شوكتهم ويخشى جانبهم، إذ نعمة كل واحد على نسبه وعصبيته أهم. وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوي أرحامهم وأقرباهم موجودة في الطباع البشرية، وبهذا يكون التعاضد والتناصر".<sup>4</sup> ومعنى ذلك أن العصبية أحد أشكال الرباط الاجتماعي الذي يميز المجتمعات العربية، فهي أساس تماسك الروابط الاجتماعية، وهي ترتبط حسب ابن خلدون بصلة الدم والمساواة والشعور، ويعود هذا إلى الأثر الكبير للقرابة في الحياة الاجتماعية للأفراد والجماعات.

يقول ابن خلدون: "إن صلة الرحم طبيعي في البشر، إلا في الأقل منهم ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام"، ومن الملاحظ أن الجماعات البدوية غالباً ما يكون تجمع أعضاء ضمن مجموعات، ويكون ذلك بصفة تلقائية حيث أم يندمجون جميعاً اندماجاً كلياً في تلك الجماعة.<sup>5</sup> فالأفراد يتمسكون بالعصبية التي ينتمون إليها، وهم مدفوعون بها لتجسيد الانتماء عن طريق الممارسات التي تتجلى في الحياة اليومية، فالفرد يفقد شخصيته ويتمصص شخصية جماعته في الأوقات العصبية كالمشاجرات والانتخابات والصراع بكل أنواعه وأشكاله وتمثالاته المختلفة.

1- إميل دوركايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، ت: حافظ الجمالي، المكتبة الشريفة، بيروت، 1982، ص 176-177.

أو: Emile Durkheim, De la division du travail social, Paris, PUF, 1986, p 141-142.

2 - Georg Simmel, Sociologie, étude sur les formes de la socialisation, PUF, Paris, 2013.

3- الصغير بن عمار: الفكر العلمي عند ابن خلدون، ط 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1984، ص 41.

4- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، حامد احمد طاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2004، ص 239.

5- عبد الغني مغربي، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص 144.



رباط العصبية المبني على رابطة الدم أساس العلاقات بين الأفراد المنتمين إلى نفس الوحدة الاجتماعية، هناك عصبية غير قرابية وهي تتجسد في علاقات المنفعة والتكتلات مع جماعات أخرى، العلاقات الاجتماعية هي على درجات من القوة أشدها تلك التي تتعلق برباط الدم والمصاهرة ثم تلك التي تتعلق بالمنفعة المتبادلة لأن الإنسان مدني بطبعه فإنه لا بد له من الاجتماع الإنساني، كما يقول كأرسطو والفارابي، وهو بذلك ويقر بأن عدم كفاية الفرد لنفسه يدفعه إلى التعاون مع الجماعة.

يرى ابن خلدون أن الرباط له أوجه كثيرة تتعلق بالجوانب الاقتصادية والسياسية والثقافية والأسرية، ففي حالة الرباط السياسي تكون العلاقات بين الأفراد والجماعات تعاونية تستهدف تسيير أمور الجماعة، والتضحية من أجل تحقيق أهدافها والعمل على رفاهيتها، ويرى أن الدولة من أقوى مظاهر الرباط الاجتماعي وهي التي تحدد معالمه وصورته السياسية وهي تخضع لقوانين عامة مثلها مثل الظواهر الفردية، وظواهر الحياة بالنسبة للكائنات الحية.<sup>1</sup> ومن ذلك يتبين لنا أن ابن خلدون يعتبر العصبية أساس الرباط الاجتماعي وهي مجموعة من التمثلات العاطفية تتجسد في العلاقات والسلوكيات التي تتسم بها مجموعة من البشر في حالة البداوة خاصة، وهي مفهوم يقصد به المعنى السياسي أكثر منه المعنى الاجتماعي، ويتجلى من خلال التماسك عند وجود خطر خارجي يتهدد الجماعة، وهو مبني على القرابة أو صلة الرحم بمعنى أنه كلما طغت صلة القرابة على روابط أفراد المجتمع كلما ازدادت، ووجود هذه الصلة يقوي من النعرة على ذوي القربى والأهل والأرحام، مما يؤدي هذا إلى تعزيز التماسك الاجتماعي.

إشكالية الرباط الاجتماعي طرحت منذ استفحال ظاهرة التحضر وطغيان الفردانية في أدبيات العلوم الاجتماعية منذ «الثورة الصناعية» في القرن التاسع عشر. وعلى الرغم من أن كارل ماركس في معرض بلورته نظريته بشأن النظام الرأسمالي الجديد، لم يأخذ بعين الاعتبار تأثير صيرورة التحضر السريع في العلاقات الاجتماعية والثقافية، بل أبرز انعكاس آثار العلاقات الإنتاجية الرأسمالية الجديدة على العلاقات الاجتماعية التي تحدها «المصلحة» الشخصية «الباردة» والحسابات الأنانية: «لعبت البورجوازية في التاريخ دوراً ثورياً تاماً. فحيثما استولت على السلطة، حطمت جميع العلاقات الإقطاعية، الأبوية، العاطفية. ومزقت دون رحمة جميع العلاقات المعقدة المتنوعة التي كانت تشد الإنسان الإقطاعي إلى من هم طبيعياً أعلى منه مقاماً بصورة طبيعية، لكي لا تبقي على أي علاقة أخرى بين الإنسان والإنسان سوى علاقة المصلحة الصرفة والإلزام

1- . إحصان محمد حسن: الموسوعة في علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1999، ص 11.

القاسي بـ«الدفع فوراً». لقد أغرقت أقدس انفعالات الوجد الديني، والحمية الفروسية ورقّة البورجوازية الصغيرة الرخيصة في صقيع الحساب الأناني، وحولت الكرامة الشخصية إلى مجرد قيمة تبادل.... لقد مزقت البرجوازية الحجاب العاطفي والتأثر الذي كان يغطي العلاقات العائلية واختزلها إلى مجرد علاقات مالية.<sup>1</sup>

### الرباط الاجتماعي عند فرديناند تونيز (1855-1936):

تبدو الإسهامات السوسيولوجية لتونيز من خلال مؤلفه الضخم (الجماعة والمجتمع المدني)، الذي يعد أول وأهم عمل انجزه، تعرض فيه إلى دراسة الرباط الاجتماعي في القرية والمدينة، وتحديد مستويات التماسك والعلاقات الإنسانية، حيث اعتبر أن الإرادة الإنسانية هي الركيزة الأساسية لكل العلاقات الاجتماعية، وتوصل إلى وجود نوعين من الجماعات، أطلق على الجماعة الأولى مصطلح "الجماعة المحلية" هي تعبير عن الإرادة الرئيسية أو الفطرية أو الطبيعية، وعلى النوع الثاني من الجماعات مصطلح "المجتمع"، وهي تمثل التحكمية أو التعاقدية أو العقلية.

يرى تونيز بأن المجتمعات الحديثة كانت مجرد روابط تطورت داخل ما يسمى عنده بمفهوم الرابطة (communauté) من جهة ومفهوم المجتمع (société) من جهة أخرى، والتحضر هو الذي نقلها أي المجتمعات من حالتها البدائية الريفية إلى حالتها الحديثة الحضرية، فالمجتمع عنده هو وليد التحضر والتعمير السريع الذي انطلق مع الثورة الصناعية في أوروبا الغربية، حيث تقترض أطروحة تونيز تعايش كل من الرابطة والمجتمع في نفس اللحظة التاريخية، أن المجتمع لا ينشأ مرة ودفعة واحدة، بل ينشأ عبر مراحل، يمثلهم سكان الأرياف وسكان المدن<sup>2</sup>. ففي المجتمع المحلي (الرابطة) العلاقات الإنسانية تنبع من الإرادة الإنسانية وبمعنى آخر العلاقات الاجتماعية تسودها الإرادة الفطرية، وهي علاقات تعتبر خاصة تميز الجميع كعلاقات الإباء بالأبناء، والعلاقات داخل الأسرة، وعلاقات القرابة، وعلاقات الجيرة، والعلاقات بالأصدقاء، وهي بذلك علاقات تتسم بالدفء العميق والإشباع، أما مجتمع التعاقد (المجتمع) العلاقات فيه تسودها الإرادة العقلية، فهي علاقات تقوم على الانفصال، فكل فرد يعتمد على نفسه بمعزل عن الآخرين، ويشعر بحالة من التوتر إزاء الأفراد الآخرين، وإن وجد هناك تناغم فإنه يتم بطريقة غير شخصية عن طريق التعاقد<sup>3</sup>.

1- كارل ماركس وفريدريك إنجلز، البيان الشيوعي، ت: العفيف الأخضر بيروت: منشورات الجمل، 2015، ص 61.  
2- للاطلاع أكثر انظر:

فرديناند تونيز: الجماعة والمجتمع المدني، ت: نائل الحريري، لمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، دبي، 2018.  
او بالفرنسية: Ferdinand Tönnies (1922), Communauté et société. Catégories fondamentales de la sociologie pure. Introduction et traduction de J. Leif Paris : Retz-Centre d'Études et de .Promotion de la Lecture, 1977, 285 pages. Collection : Les classiques des sciences humaines.

3- السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري الجزء الأول، ط4، دار الميسرة، عمان الأردن، 2017، ص 36.

وهو بذلك ويرى أن العلاقات التي تقوم على رابطة الدم هي التي تكون بين الأم وأبنائها والأب وأبناءه، والزوج وزوجته، وهي السائدة في نسق العائلة النووية. وهناك العلاقات التي تقوم على الجوار وخاصة تلك التي تقوم على وحدة الفضاء العمومي، وهناك روابط الصداقة، وتتميز بالمنفعة المشتركة، أما فيما يتعلق بالإرادة العقلية، يرى تونيز أن هذه الإرادة تتمثل في المجتمع الذي يتكون من أفراد يتفاعلون ويندمجون معا وفقاً لـرغباتهم التي منبعها العقل، وتهدف جميعاً إلى مصالح مشتركة، والمجتمع بهذا التصور ليس ناتجاً عن الطبيعة، إنما نتاجاً للعديد من العمليات التي يفرزها التحضر كتقديم المصلحة الذاتية وتحكيم العقل في المعاملات إلى جانب التضامن التعاقدية. ومن أبرز أنماط هذا الرباط نجد العلاقات القائمة حول تبادل المنفعة المشتركة التي تكون الفضاءات العمومية مسرحاً لها. بخصوص لأسباب نشأة الجماعة الإنسانية يعطي تونيز تفسيراً لذلك حيث ينطلق من طبيعة الإرادة الإنسانية باعتبارها علاقة ذات قيمة في ذاتها، فتفضي بذلك إلى تقوية الروابط الاجتماعي.

قدم تونيز تصنيفاً جديداً للمعايير الاجتماعية فهو يرى أن القانون والمواضعات يميزان المجتمع العام، وأن الأخلاق والاتفاق، ويميزان المجتمع المحلي، بينما الأعراف تسود النموذجين على حد سواء.<sup>1</sup> وحدد خصائص كل من المجتمع المحلي والمجتمع العام، وجعلها على نقيض، حيث نجد أن المجتمع العام حقيقة عامة، تتعدد فيه الهويات ويغطي فيه مبدأ العمومي، بينما المجتمع المحلي وحدة محدودة النطاق، الفضاء العمومي فيها معلوم الحدود والأفراد والهوية مشتركة بين أفرادها، وبالتالي تزيد به الحاجة إلى الروابط بين أعضائه، مما يجعل سمة التماسك الاجتماعي أكبر منه من المجتمع العام، بينما يخضع المجتمع العام لسيطرة القانون، تبرز فيه الروابط التعاقدية وتتمو فيه الطبقية، ونجد أن المجتمع المحلي يسيره سلطة الدين والعادات والأعراف والتقاليد، التي تجعل الأفراد يمثلون لها، العواطف والمشاعر والمشاركات الجماعية، لها الغلبة في المجتمع العام لغير المصلحة الخاصة والمنفعة، ومن هنا يبرز التنافس والصراع والانتهازية. أساس وحدة المجتمع المحلي هو الأسرة، بينما تلعب الجماعة الدور الأساسي في المجتمع العام.

### الرباط الاجتماعي عند ماكس فيبر (1864-1920)

يرى فيبر أن العلاقة الاجتماعية هي تصرف مجموعة من الأشخاص في تتابع متوافق بصورة تبادلية، فهي فعل تبادلي حول معنى أو محتوى مثل الصداقة أو التعاطف أو الصراع أو العداوة أو

1- 2 نيكولا تيماشيف: نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة محمد عودة وآخرون، ط 8، دار المعارف، سنة 1989، ص 157

التنافس، ... الخ، ويمكن للعلاقة أن تكون لها صفة عابرة أو دائمة مشكلة بذلك مبادئ راسخة، ويمكن أن يتغير محتواها، فهي مرتبطة كل الارتباط بما يسميه بأنماط الفعل الاجتماعي.<sup>1</sup> ويقسم فيبر العلاقة الاجتماعية إلى "جماعية" وهي تخص العلاقات الاجتماعية التي يكون فيها ضبط الفعل بناء على إحساس شخصي أي فعل انفعالي عاطفي، "ومجتمعية" وهي نمط من العلاقة الاجتماعية التي تضبط بناء توازن مصالح ذي دوافع عقلانية سواء كان الفعل موجه كفعل عقلائي قيمي أو غائي.<sup>2</sup>

ويعرف الفعل الاجتماعي بأنه (صورة للسلوك الإنساني الذي يشتمل على الاتجاه الداخلي أو الخارجي الذي يكون معبراً عنه بواسطة الفعل أو الإحجام عن الفعل، إنه يكون الفعل عندما يخصص الفرد معنى ذاتياً معيناً لسلوكه، والفعل يصبح اجتماعياً عندما يرتبط المعنى الذاتي المعطى لهذا الفعل بواسطة الفرد بسلوك الآخرين ويكون موجهاً نحو سلوكهم).<sup>3</sup> ولكي نفهم عمل الفرد وأفعاله أو سلوكه الاجتماعي على مستوى المعنى لابد من النظر إلى دوافع الفرد ونواياه واهتماماته والمعاني الذاتية التي يعطيها لأفعاله والتي لم تكمن خلف سلوكه، أي أنه لابد من فهم معنى الفعل أو السلوك على المستوى الفردي ومن وجهة نظر الفرد نفسه صاحب هذا السلوك وبنفس الطريقة لابد من النظر إلى النوايا والدوافع والأسباب والاهتمامات التي تكمن وراء سلوك الجماعة التي يعتبر الفرد عضواً فيها. أي أنه لابد من فهم الفعل الاجتماعي على المستوى الجمعي ومن وجهة نظر الفرد كعضو في جماعة.

إذن لابد لنا من أخذ هذين المستويين في الاعتبار عند دراستنا وتحليلنا لفهم وتفسير الفعل الاجتماعي الإنساني للفرد سواء من خلال مواجهته للظواهر الاجتماعية بنفسه أو من خلال مشاركته للجماعات الاجتماعية التي ينتمي إليها.

أعطى فيبر لمفهوم الفعل الاجتماعي معنى واسعاً بوصفه الموضوع الأساسي للبحث السوسيولوجي من وجهة نظره فلقد ضمنه كافة أنواع السلوك ما دام الفاعل يخضع عليه المعنى. وهناك خاصيتين في مفهوم فيبر حول الفعل الاجتماعي فهو يصرح بمدخل ذاتي لنظرية علم الاجتماع وذلك بتركيزه على أن المفاهيم النظرية في علم الاجتماع يتعين صوغها في ضوء نموذج محدد للدفاعية التي تحرك الفاعل والذي يمثل بدوره تصوراً مفترضاً، أما الخاصية الثانية فتتعلق بمدلول مصطلح المعنى وهو مصطلح أعتبر من المصطلحات التي لعبت دوراً في الجدل الذي أثير في

1- ماكس فيبر، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة: صلاح هلال، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، مصر، 2011، ص56-59.

2- ماكس فيبر، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص76.

3- <https://ar.wikipedia.org/wiki/ماكس-فيبر>

ألمانيا حول مسألة التاريخ ومناهج العلوم الاجتماعية عشية ظهور أعمال ماكس فيبر، المهم أنه عندما استخدم هذا المصطلح كان يعني به الإشارة إلى السلوك في ضوء الغرض والمرمى الذي يسعى إلى تحقيقه الفاعل. ونظراً لتحديده لعلم الاجتماع بوصفه علماً عاماً وشاملاً للفعل الاجتماعي فإن هذا افتضاه أن يبذل جهداً في تصنيف الأفعال وتتميطها ويقصد بالعام والشامل من وجهة نظره. أوضح ريمون آرون من تحليله لأعمال فيبر فهم المعنى الذي يخلعه الإنسان على سلوكه وهذا المعنى الذاتي هو المعيار الذي على أساسه يمكن تصنيف الأفعال الإنسانية لفهم بناء السلوك، فمحاولته لتصنيف الأفعال هذه حكمت تفكيره لدرجة كبيرة عندما قام بتفسير خصائص وأغراض المجتمع المعاصر وفقاً لما أتى به، يعد الرشد والعقلانية خاصة أساسية للعالم الذي نعيش فيه، وتفصح هذه العقلانية عن نفسها من خلال علاقاتها بالأهداف المحددة. المشروع الاقتصادي مثلاً يكون رشيداً عندما تضبط الدولة بواسطة البيروقراطية، بل إن المجتمع بكامله يتجه نحو التنظيم البيروقراطي، وحتى العلم نفسه يعد من وجهة نظر فيبر مظهر العملية العقلية التي تميز المجتمع الحديث.

وضع فيبر تصنيفاً لأنماط الفعل الاجتماعي والتي يمكن الاستعانة بها في بناء النماذج المثالية للسلوك حيث حدد أربعة أنماط للفعل الاجتماعي وفقاً لمساره واتجاهه على النحو التالي:<sup>1</sup>

- 1- الفعل العقلي الذي غايات محددة ووسائل واضحة، إذ أن الفاعل يضع في اعتباره الغاية والوسيلة التي يقوم بتقويمها تقويماً عقلياً فالمهندس الذي يصمم مشروعاً معمارياً والمضارب الذي يحسب ما يعود عليه بسبب مضارباته والقائد الذي يختار أفضل الخطط التي تحقق له النصر كلها أمثلة للفعل الاجتماعي الفعلي.
- 2- الفعل العقلي الذي توجه قيمة مطلقة: وفي هذا النموذج يكون الفرد واعياً بالقيم المطلقة التي تحكم الفعل وهي قيم يمكن أن تكون أخلاقية أو جمالية أو دينية ويوصف الفعل بأنه موجه نحو قيمة مطلقة في الحالات التي يكون فيها مدفوعاً لتحقيق مطالب غير مشروطة ومعنى ذلك أن الاعتقاد في القيمة المطلقة واعياً ومتجهاً نحوها من أجل ذاتها خالياً من أية مطامح خاصة، ولهذا فهو يختار الوسائل التي تدعم إيمانه بالقيمة.
- 3- الفعل العاطفي: وهو سلوك صادر عن حالات شعورية خاصة يعيشها الفاعل والأمثلة على هذا النمط من السلوك عديدة حينما يختار المرء الوسائل على أساس صلتها بالغايات أو القيم وإنما باعتبارها تتبع من تيار العاطفة.

1- فهمي سليم العزوي وآخرون، مدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، ط1، 2006. ص415-417.

4- الفعل التقليدي: وهو سلوك تمليه العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة ومن ثم يعبر عن استجابات آلية اعتاد عليها الفاعل، ولا شك أن ضرباً من السلوك هذا شأنه سوف يظل دائماً على هامش الفعل الذي توجهه المعاني.

وتحتل أنماط الفعل الاجتماعي هذه أهمية خاصة في النسق السوسولوجي الذي صاغه ماكس فيبر ويرجع ذلك إلى عوامل منها:

1- أن فيبر تصور علم الاجتماع باعتباره دراسة شاملة للفعل الاجتماعي ومن ثم أصبح تصنيف أنماط الفعل يمثل أعلى مستويات التصور التي تستخدم في دراسة المجال الاجتماعي والمثال على ذلك أن تصنيفه لنماذج السلطة مشتق مباشرة من تحديده لأنماط الفعل الاجتماعي.

2- أن علم الاجتماع عند فيبر يستهدف فهم معاني السلوك البشري ومن هنا يجيء أهمية هذا التصنيف كمدخل ضروري لتحليل بناء السلوك.

3- وأخيراً فإن تصنيفه لنماذج الفعل يعد إلى حد ما أساس تفسيره للحقبة التاريخية المعاصرة إذ يعتقد فيبر أن الخاصية الأساسية المميزة للعالم الذي يعيش فيه هي العقلانية.

العلاقات الاجتماعية في مفهوم ماكس فيبر كانت الخطة الثانية ذات الأهمية، وهي دراسته لمفهوم العلاقات الاجتماعية إذ ساعده دراسة هذا المفهوم على التحول من دراسة الأفعال الفردية إلى أنماط السلوك. ففي تصوره للعلاقات الاجتماعية -يقصد بها سلوك جمع من العاملين- تتحدد بمضمونات معنى هذا السلوك وبالقدر الذي يضع كل الآخر في حسابانه ويوجه سلوكه في ضوء هذا.<sup>1</sup>

فالعلاقة الاجتماعية عند فيبر تعني تبادل الأفعال بين الأفراد على أساس فهم كل منهم للمعاني التي يضيفها كل فرد على سلوكه، إذا أن هناك مجرى للفعل لكن ذلك لا يعني بالطبع أن يكون المعنى الذاتي هو نفسه بالنسبة لكل الجماعات التي تتجه اتجاهها متبادلاً في علاقة اجتماعية معينة، ولقد قدم تلخيصاً لفئات العلاقات الاجتماعية والتي يمكن ملاحظتها واقعياً في خمسة فئات هي:

- أ- العرف أو الإصلاح أي التماثل الفعلي للعلاقات الاجتماعية.
- ب- العادة وهي العرف الذي يستمد وجوده من الألفة والتعود.
- ج- الأسلوب أو العرف الذي يتسم بالتجديد والحدثة.
- د- العادة التقليدية وهي العرف الذي ينبثق عن الرغبة في الهيبة الاجتماعية.

1- ماكس فيبر، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص53.

هـ- القانون وهو مجموعة القواعد التي تنطوي على إلزام أو عقاب لمن يخرج عليها، ومع أن القانون يستند إلى العادة والعرف لكن الفارق بينه وبينهما هو عنصر الإلزام المتضمن في القاعدة القانونية.

فبغير لا يجعل الفعل معتمداً فقط على العلاقة بين الوسائل والغايات وإنما يربطه باستمرار بنسق اجتماعي معين وبالظروف التي يتم في ضوئها تحقيق الغايات ومن ثم يذكرنا باستمرار أن كل المفاهيم التي يقدمها لا تكفي في ذاتها وإنما لا بد وأن يستخدمها علماء الاجتماع في تشييد النماذج المثالية لتفسير مشكلات ملموسة بل والأكثر من ذلك أن هذه النماذج بدورها ليست غاية مطلقة ولكنها وسيلة التفسير والتعليل الصحيح.

### الرباط الاجتماعي عند إميل دوركايم (1858-1917):

لتفسير أشكال الرباط الاجتماعي وأنماط التضامن السائدة في حالة ما قبل المجتمع الصناعي وبعده، استخدم دوركايم ثنائياته الشهيرة (والتضامن الآلي، التضامن العضوي)، فهو يميز بين المجتمعات الحديثة والمجتمعات التقليدية انطلاقاً من شكل التضامن السائد في كل واحد منها، تتميز المجتمعات البسيطة (الريفية) بحسبه بهيمنة النشاط الزراعي، وبساطة الوسائل المستعملة في ذلك، وهذا ما يجعل الأفراد متعاونون فيما بينهم لإنجاز مختلف الأنشطة، ويفرض هذا نمط ضعيف لتقسيم العمل الاجتماعي، لا يكاد يتعدى دور عمل المرأة وعمل الرجل، أما في المجتمعات الصناعية الحديثة (المدينة) المعقدة، فإن تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فرض ما يسمى بالتخصص الوظيفي بين أفراد المجتمع، ويسود هنا شكل التضامن العضوي، بحيث كل فرد يؤدي دوره من خلال الوظيفة التي يشغلها في السوق والمجتمع. ويرى بأن التقسيم الاجتماعي للعمل هذا، هو الذي أزال أشكال التضامن التقليدية (التضامن الآلي) في المجتمعات البسيطة ليحل محلها شكل جديد تسوده أنماط تضامن عضوية حيث علاقة الفرد بالجماعة تتحدد من الوظيفة التي أسندت إليه داخل منظومة تقسيم العمل، فدرجة تقسيم العمل هي التي تحدد تعقد العلاقات الاجتماعية.

أ - التضامن الآلي: ويسود هذا النوع من العلاقات في المجتمعات الريفية حيث يرتبط الفرد بالمجتمع ارتباطاً كلياً على نحو مباشر، ويكون ذلك "على حساب الشخصية الفردية فتضعف الحرية ولا تتحقق الإرادة، والذاتية" نتيجة للضغط الصارم للتقاليد والعادات والقيم وهي التي تؤدي إلى نوع من واحد من الأفكار والتصورات والتشابه في أنماط السلوك الخلقية.<sup>1</sup> ذلك أن المجتمع البسيط الصغير الحجم، قليل السكان، درجة تشعبه وتعقده منخفضة، مستوياته الإنتاجية والاقتصادية متدنية،

1- محمد إسماعيل قباري: أصول الأنثروبولوجيا العامة، منشأة المعارف، القاهرة، 1971، ص 225.

تقدمه التكنولوجي محدود إلى درجة كبيرة، يتسم هذا المجتمع بعلاقات اجتماعية قوية ومتماسكة<sup>2</sup>، حيث يكون ارتباط الفرد بالمجتمع بصفة مباشرة، وقد شبه دوركايم آلية التضامن في المجتمع البدائي بميكانيكية الجزئيات التي تدور في أفلاك ومسارات داخل بنية الأجسام غير العضوية، ذلك أنها حركة آلية لا إرادية، تشبه تماما حركة الإنسان البدائي داخل عشيرته من خلال تصرفاته وسلوكه مع أعضاء قبيلته، فضميره هنا يستدّ لما يقره الضمير الجمعي من قواعد منظمة للسلوك الثابت في المجتمع، ولهذا السبب نجد أن الفرد يسلك سلوكاً آلياً، وكلما ازداد المجتمع بدائيةً ازدادت آلية التضامن حيث يزداد الضمير الجمعي قوة في هذه المجتمعات. والشعور الجمعي يكون عادة واضحا، وله وظيفة محددة تتمثل في الربط بين الأجيال، فهو بذلك يعيش داخل الفرد ويحدد سلوكه الاجتماعي، ويكون له فاعلية أكثر عندما يكون التشابه الخاصة المميزة لأعضاء المجتمع الآلي. وتتمحور وسائل الضبط بالنسبة لهذا المجتمع حول الدين، العادات، التقاليد، الأعراف، القيم والانفعال، والروح المسيطرة على عقول أبناءه أساسها المودة والرحمة والشفقة.<sup>1</sup> وهذه السمات نجدها منتشرة في المجتمعات البسيطة الريفية والبدوية، فالفرد في مثل هذه المجتمعات لا يستطيع التنصل من قيم المتعارف عليها، كما أنه يراعي في سلوكه وتصرفاته وبناء علاقاته البيئية الاجتماعية المحيطة.

ب - التضامن العضوي: خاصية من خصائص المجتمع الحضري ونجده في المجتمعات المتطورة حيث يسود تقسيم العمل، إذ يستند التضامن هنا إلى نسق متكامل من الوظائف المتباينة، تلك التي تنظم وتوحد بين العلاقات، ويكشف دوركايم عن نمط من أنماط السلوك الخلقي، الأمر الذي جعله يقول بمقولة الضمير الخلقي في علم الاجتماع الأخلاقي الذي يتميز بالقهر.<sup>2</sup>

### الرباط الاجتماعي عند جورج زيمل (1858 - 1918)

"كان زيمل على خلاف معاصريه، ماركس، ودوركايم وفبير، أكثر اهتماماً بالمستوى الكبير للحياة الاجتماعية. فقد كانت طبيعة العلاقات، والصراعات والتناقضات التي تظهر حولها، هي المحاور المركزية لهذا التحليل. وكان أحد المتغيرات التي اعتبرها حاسمة لتشكيل العلاقات هو حجم المدينة لأنه سبب تعقيدات أكبر ومدى أوسع للعلاقات الممكنة. ولهذا، جذبت المدينة الحديثة اهتمامه، كما يذكر ساوندرز: يؤدي بحث زيمل حول التأثيرات الاجتماعية للحجم إلى استنتاج أن الالتزامات، في جماعة كبيرة (كما في مدينة حديثة)، تمتد عبر عدد من الحلقات الاجتماعية

1- إحسان محمد حسن: الموسوعة في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 563

2- محمد إسماعيل قباري، مرجع سابق، ص.226.



المختلفة، ويزداد مدى الحرية الفردية، وتتصف العلاقات الاجتماعية بالموضوعية العالية، ويتعمق وعي الفرد لذاته.<sup>1</sup>

والمدينة حسب زيمل تمثل بامتياز الفضاء الذي تتجسد فيه الفردانية والحرية وهي الشكل الأكثر تطوراً للحداثة<sup>2</sup>، فالتقسيم الذي شهدته مفاصل المدينة الحديثة من ساحات وشوارع وأماكن للاستهلاك والراحة والعمل وما إلى ذلك من فضاءات مستحدثة شكل هو الآخر أحد العوامل المساعدة على التحولات في الروابط الاجتماعية داخل هذه المدن الحديثة. ويرى زيمل أن المنافسة المفتوحة وعزلة الأفراد بفعل تقسيم العمل أثرتا بشكل سلبي على الثقافة الفردية وتطورها لسكان المدن<sup>3</sup>. وفي نفس السباق أشار زيمل كذلك إلى أن الفردية والاستقلالية مسموح بها في المدن بدرجة غير معروفة في المناطق الريفية.<sup>4</sup>

ويرى زيمل أن مفهوم المجتمع يغطي معنيين أحدهما هو (مجموع الأشكال العلائقية التي بفضلها يتحول الأفراد إلى مجتمع)<sup>5</sup>. فالتفاعل بين الأفراد بالنسبة إلى زيمل هو الذي يحدد مفهوم المجتمع من خلال عمليات القرب والمسافة الاجتماعية في المدن الكبرى، فالمدينة ليست فضاءات للسكن والطرق والمرافق الاجتماعية والاقتصادية فحسب... بل هي كذلك مجال لبناء للعلاقات الاجتماعية بين السكان المتميزين. هذه العلاقات المتميزة باللامبالاة والتحفظ الاجتماعي، حيث تقضي مظاهر التحضر الحديثة إلى تغير جذري في النمط الكلي للحياة الاجتماعية للسكان. فهناك علاقة طردية بين حجم المدينة وعدد السكان وكثافتهم وتباينهم وتجانسهم.

فهنا العلاقات الاجتماعية والرباط الاجتماعي هو أساس تكوّن ونشأة المجتمع. فإمكانية حدوث المجتمع يرى زيمل أنها تتم من خلال (الشروط القبلية الثلاثة لأشكال الاجتماع انطلاقاً من ثلاث مفاهيم هي الدور والشخصية الفردية والبنية)<sup>6</sup>. وهنا يجدر بنا إلى إضافة شرط رابع وهو الفضاء العمومي الذي تدور في خده هذه العلاقات ففضاء المسجد، مثلاً، علاقاته تختلف عن

1- ديفيد س. ثورنس، كيف تتحول المدن النظرية المدنية وحياة المدنية، ترجمة: أحمد رامو، منشورات وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، 2010، ص 77.

2- انظر:

-Rémy, Jean. Georg Simmel : ville et modernité, L'Harmattan, Paris, 1995.175p.

-Jonas Stéphane. « La grosztadt-metropole européenne dans la sociologie des pères fondateurs allemands» chapitre 1 dans RÉMY, Jean (dir.) Georg Simmel : ville et modernité, L'Harmattan, Paris, 1995. p. 19-35.

3- جورج زيمل، الفرد والمجتمع المشكلات الأساسية للوسولوجيا، ت: حسن أحجيج، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017، ص252.

4- لوجلي صالح الزوي، علم الاجتماع الحضري، منشورات جامعة غار يونس، ليبيا، 2002، ص 45

5- جورج زيمل، مرجع سابق، ص46-47.

6- نفس المرجع، ص74

علاقات الحمام، وعن علاقات المقهى، وكل فضاء طبيعة علاقاته وكيفيات نسجها وإنتاج النظام الاجتماعي، تختلف من فضاء إلى آخر.

إن التمثلات الاجتماعية في ظل الأنظمة الشمولية تفرض حدوداً بين الخاص والعام، وتكون طبيعة العلاقات الاجتماعية هشة وسطحية في الأحياء، لأن طبيعة النظام السياسي لا تسمح ببناء الجمعيات والحركات الاجتماعية ولا تعطي فسحة للمجتمع المدني للتعبير عن تطلعاته وآماله بكل حرية. كما أن الشكل الإيكولوجي للمدينة الكبيرة يفرض علاقات اجتماعية محدودة بين أفراد غير متجانسين ولا يتعارفون فيما بينهم، بحيث لا يكون الفرد شفافاً، وتتكشف حدود السر والكذب والأشياء المستورة. وتبعاً لذلك، تتميز العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين الأفراد بعملية الحجب/الكشف، والتردد بين المستور والمكشوف.<sup>1</sup>

أهم ما يميز تصورات زيمل أنه بدأ بخصائص اجتماعية وليست إيكولوجية، كالحجم والكثافة واللاتجانس كمسلمات يستتبط منها مختلف الخصائص والنتائج السيكلوجية، ولذلك تراه يشرع في تحديد ما يمكن أن يترتب على التعقيد النظامي غير المحدود للمدن الكبرى من نتائج على سيكلوجية الأفراد، وينتهي زيمل إلى نفس النتائج التي توصل إليها ويرث على أساس متغيرات الحجم والكثافة واللاتجانس، مثال ذلك كان زيمل على يقين بأن ساكني الحضر في حاجة ماسة إلى مزيد من الدقة والتوقيت ليتمكنوا من الوفاء بالتزاماتهم وسط هذه الشبكة المعقدة للوظائف الحضرية، وأن من أهم نتائج هذا التعقيد تطوير اقتصاد السوق والتنظيمات البيروقراطية الكبرى وسيطرة روح العقلانية والعلاقات اللاشخصية، وهذا ينعكس بدوره على شخصية الحضري، فلكي يتوافق الحضري مع هذا التعقيد النظامي عليه أن يكون أكثر عقلانية، وإحساساً "بالكم" و "الوقت" إن "المال" و "العقل" وليس "الروح" أو "القلب" يصبحان من أهم المقومات التي تضمن بقاء واستمرار وتوافق الشخصية الحضرية.

**الرباط الاجتماعي عند تشارلز كولي (1864-1929):**

حاول شارل كولي معالجة موضوع الرباط الاجتماعي بناءً على تصنيفه للجماعات الاجتماعية، ووفقاً لنوع العلاقات والاتصال والتفاعل بين أفراد المجتمع، قسم كولي الجماعات إلى "جماعة أولية" وهي التي تتخذ من الفضاء الخاص -العائلة والمسكن- مجالاً لها، و"جماعة ثانوية" حيث تتخذ من الفضاءات العمومية مجالاً لها، حيث يسود في الأولى علاقات الوجه للوجه،<sup>2</sup> يكون فيها الاتصال مباشر مبني على معرفة عميقة بين عدد محدود من الأفراد على عكس الثانية، معنى

1- عبد الرحمان رشيق، السياسة العمرانية والعلاقات الاجتماعية في المغرب، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 18 المجلد الخامس، خريف 2016، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ص16.  
2- محمد إسماعيل قباري، مرجع سابق، ص 227.

ذلك أن العلاقات مباشرة قائمة على الاتصال المباشر ، حيث يعرف كل فرد الآخر معرفة عميقة، وهي أولية تدور في الفضاء الأول للتنشئة العائلية لأنها تكسب الفرد تجارب مبكرة وكاملة للوحدة الاجتماعية تتم عن وحدة الفضاء وخصوصيته، والفرد في الجماعة الأولية يكون سريع التأثير بضغوطها واحتياجاتها، لكونه على اتصال مباشر واحتكاك متواصل معها، ومن ثم فهي عامل ذو فعالية في الضبط الاجتماعي، التي تقوم أساسا على التعاطف الودي وعمق العلاقة بين أفرادها، كما يسودها التعاون والتضامن، و تذوب شخصية الفرد ضمن هذه الجماعة بحيث يحدث اندماج كلي بين الأعضاء، ويجد الفرد نفسه جزءا لا يتجزأ من الجماعة، وتقوم الصلات على أساس الدم والأخوة والصداقة والمعرفة الشخصية، ما يؤدي إلى عمق التماسك الاجتماعي ، ومن البديهي أن هذه الجماعة "الأولية" ليست مستقلة استقلالاً كاملاً عن المجتمع الكبير، بل هي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً به وتعد انعكاساً لروحه<sup>1</sup>. نجد أن فكرة "الجماعات الأولية" هي فكرة مسيطرة على كتابات كولي، الأمر الذي جعله ينبه إلى أهميتها وضرورتها للبناء الاجتماعي<sup>2</sup>.

أما "الجماعة الثانوية" فهي توجد عادة في المجتمع الذي تتعدد فضاءاته العمومية، والذي يشمل عددا كبيرا جدا من الأفراد، ويتميز بالحراك الجغرافي والمهني لأفراده، مما يجعل التأثير وجها لوجه الذي هو موجود في الجماعة السابقة "الأولية" يكاد يكون مستحيلا فتحل العلاقات غير الشخصية محل العلاقات الشخصية، وتتسم العلاقات بالسطحية والنفعية والجزئية، ويتحكم في هذه الجماعة القانون الوضعي، وتتمثل الجماعة الثانوية بصورة واضحة في أغلب المنظمات ووحدهات العمل أو الرابطة التجارية أو النوادي بالمدينة، وعلى وجه العموم فهذه الجماعة توجد من أجل تحقيق هدف محدد واضح لدى الجميع<sup>3</sup>.

ومن هنا نستنتج إن كولي يركز على أن وجود الجماعات الأولية في المجتمع يتجلى من خلال الروابط الاجتماعية، ذلك أن هذه الجماعات تعكس روح المجتمع، كما أن هذه الجماعات لها صفات تؤكد عمق تماسكها ودورها الفعال في تحقيق الضبط الاجتماعي الذي يمكن تحقيقه بنجاح في المجتمعات المحدودة العدد، وبانتقال صفة هذا المجتمع نحو التعقد في الثقافة وبسبب تعدد الفضاءات العمومية للمدينة وازدياد عدد أفراد المجتمع، مما يقلل من فرص الاحتكاك والتعارف بين الأفراد فيتعرض الرباط الاجتماعي إلى التراخي ويصبح غير قابل للتحقيق بالصفة التي يمكن ان

1- حسين عبد الحميد رشوان: المجتمع، دراسة علم الاجتماع، ط2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1993، ص 99 - 100.

2- محمد إسماعيل قباري: مرجع سابق، ص228.

3- حسين عبد الحميد رشوان: مرجع سابق، ص100.

تتحقق في المجتمعات الصغيرة والمحدودة العدد، وبذلك فإن شكل الجماعات يتغير بالتالي، فنتقل إلى شكل الجماعات الثانوية التي تسودها السطحية والمنفعة الشخصية.

### الرباط الاجتماعي عند علماء الاجتماع المعاصرين

ويرى غودلييه أن المجتمع هو (مجموعة من الأفراد ومن الجماعات التي تتفاعل فيما بينها، مستندة إلى قواعد وقيم مشتركة للفعل والتفكير، وتعتبر نفسها جزءاً من 'الكل' نفسه الذي تعيد إنتاجه، أو تجد نفسها مضطرة إلى إعادة إنتاجه في كل لحظة تحاول من خلالها الدفاع عن مصالحها الخاصة. هذا المجتمع يوجد دائماً قبل ولادة كل فرد).<sup>1</sup> وهي خاصية تختص بها كل المجتمعات سواء البدائية كالتالي يتحدث عنها الكاتب أو المجتمعات الحديثة، والغاية من هذه العلاقات هو الدفاع عن المصالح المشتركة للمجتمع باستعمال الفضاء الديني والسياسي.

يرى معظم الباحثين الفرنسيين في المجال الاجتماعي وعلى رأسهم بيار بوفي (Pierre Bouvier) أن الروابط الاجتماعية لم تعرف وجودها واستعمالها كمصطلح، إلا في أواخر القرن العشرين، وأصبحت كصبغة للعلاقات الاجتماعية، والنظام الاجتماعي، أو السلام الاجتماعي، أي لا يؤدي شخص غيره داخل النظام الاجتماعي<sup>2</sup>. وإنما يعيشون ضمن علاقات وروابط اجتماعية، تعتمد على التبادل والتعاون، كالاتحادات بين الدول و المجتمعات، نظراً لوجود روابط مشابهة ومشاركة بينهم وكذلك الضمان الاجتماعي، فالرباط الاجتماعي اليوم يحمل معان مختلفة، إذ يساهم في خلق الحماية للأفراد والإقرار الضروري لوجودهم الاجتماعي<sup>3</sup>.

كما يجب علينا أن الرباط الاجتماعي ينشأ من مجموع العمليات المتبادلة بين طرفين اجتماعيين في موقف وفضاء اجتماعي معين، بحيث يكون سلوك أي منهما منبهاً لسلوك الطرف الآخر ويجري هذا التفاعل عادة عبر وسيط معين ويتم خلال ذلك تبادل رسائل معينة ترتبط بغاية أو هدف، وتتخذ عمليات التفاعل الاجتماعي أشكالاً ومظاهر مختلفة إلى علاقات اجتماعية معينة. فالتفاعل عند جيدنز هو عملية تفاوضية فاعلة ومستمرة تدور في إطار زمني ومكاني محدد، بناء على معرفة متبادلة بين الفاعلين في المجتمع يسند إليها الحفاظ على استمرارية الاتصال في التفاعل. ويشمل إنتاج التفاعل ثلاثة أبعاد أساسية، أولاً: تكوينه كتفاعل له معنى اعتماداً على الاستيعاب المتبادل للنوايا والمقاصد باستعمال اللغة كوسيط، والفضاء الذي تدور فيه اغلب أشكال التفاعل اليومي، ثانياً: تكوينه كنظام أخلاقي بوصفه التجسيد الواقعي للحقوق والوفاء بالالتزامات،

1 -Maurice Godelier, Au fondement des sociétés humaines : Ce que nous apprend l'anthropologie .Flammarion, Champs essais, Paris, 2010, p160-161.

2 -Pierre Bouvier, Le lien social, édition Gallimard, 2005, p17.

3 - Serge Paugam, Le lien social, PUF, coll. « Que sais-je ? », Paris, 2008.. p.4.

من خلال المعايير التي تتسم بالإلزام والتيسير في نفس الوقت، وثالثاً: تكوينه كتفعيل لعلاقات قوة معينة، هذه القوة التي تشير في أكثر معانيها عمومية إلى القدرة التحويلية للفعل الإنساني، أما بالمعنى العلائقي فهي خاصة للتفاعل.<sup>1</sup>

" أن البناء الاجتماعي يعني القواعد والموارد (الوسائل المادية والثقافية التي تمكن الناس من القيام بالفعل الاجتماعي)، ومن ثمة فإن المدارس والمصانع وغيرها من المؤسسات الاجتماعية لها قواعدها ومواردها، ويؤدي استخدام هذه القواعد والموارد إلى إعادة إنتاج هذه المؤسسات، فالأفراد أو الفاعلون هم الذين يعيدون إنتاجها.<sup>2</sup>

ويرى سلفدور جينز أن علم الاجتماع يدرس الإنسان في حضن المجتمع، ويرصد مختلف العلاقات الاجتماعية التي يسلكها الإنسان مع الآخرين داخل بنية المجتمع، بالتركيز على البعد الاجتماعي فهما وتفسيراً وتأويلاً.<sup>3</sup> فالمجتمع هنا هو الفضاء اللامادي الذي ينشئ فيه الفرد شبكة علاقاته الاجتماعية. فهي علاقات تتميز بالديمومة ولا تزول إلا تدريجياً "ب وفاة الفرد"<sup>4</sup> مباشرة بل تبقى في ذاكرة الجماعة فترة طويلة من الزمن وتتحول إلى مشاعر ورموز يخترنها الأفراد في ذاكرتهم. لقد ساعد الحجم الأكبر على مواجهة المدى والتعقيد الأكبر للعلاقات بوجود استبدال طرق الارتباط غير التقليدية أكثر بطرق ارتباط تقليدية أكثر. وأدى هذا بدوره إلى زيادة إمكانية الحرية والاختيار الفرديين، ولكن، في الوقت نفسه، أمكن أن يضعف نوعية العلاقة. وانطلاقاً من هذا العمل في ثلاثينيات القرن الماضي، طور ويرث، العضو في مدرسة شيكاغو، تحليله حول كيف أدت الزيادة في الحجم، والكثافة والتغاير إلى تحول العلاقات الاجتماعية، مما سبب تنوعاً أكبر وانتقالاً مما يسمى علاقات أولية، للأسرة والأقارب، إلى علاقات ثانوية أكثر انقساماً تكونت من خلال الروابط التقليدية. ولكن ويرث حلل المدينة من أعلى إلى أسفل؛ واستنتج فرضياته من ادعاءاته حول زيادة حجم المدينة وتعقيدها أكثر منها من التحليل الإجرائي المفصل للحياة اليومية، وهو، على غرار زيمل، يميل تحليله إلى أن يكون شكلياً أكثر من اعتماده على الروايات المباشرة للتجارب التي يعيشها الناس فعلاً. كان هناك، في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، عدد من الانتقادات للمجتمع الجماهيري التي احتجت بأن الأفراد أصبحوا متغربين ومنفصلين عن تحقيق العلاقات

1- انتوني جينز، قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع نقد إيجابي للاتجاهات التفسيرية في علم الاجتماع، ترجمة: محمد محي الدين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2000، ص 215-221.

2- حسام الدين فياض، العلاقات الاجتماعية، 2016، متاح على الرابط المباشر (<https://koutobe.blogspot.com>) ص ص 14-15 يوم 2017/06/28 ساعة 15:19.

3- جميل حمداوي، نظريات علم الاجتماع، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2017، ص7.

4 - Horace Miner, Saint-Denis :un village québécois, Traduit de l'anglais par Édouard Barsamian et Jean-Charles Falardeau, Édition complétée le 2 janvier, 2008 à Chicoutimi, Québec.

الاجتماعية. وتبنى هذه الحجة أيضاً أولئك الكتّاب الذين اعتبروا نشوء الضواحي كمشهد للتماثل، والرتابة ومحدودية عدد العلاقات الاجتماعية.<sup>1</sup>

وإذا انتقلنا إلى التفكير الأكثر حداثة حول حياة المدينة في أواخر القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين، فإننا نجد أن معظم التأثيرات المهمة مستمدة من البحث الذي يشد الانتباه إلى الانتقال إلى الهوية على اعتبارها واحدة من العوامل الرئيسية لفهم كيف تُصاغ الحياة الاجتماعية وظهور التنوع والاختلاف أكثر من التجانس والتماثل. وإلى جانب هذا، يمكن أن نضع عمل لاتور (Bruno Latour) الذي يشير إلى أن الحياة الاجتماعية ليست حول النظام، كما زعم الكثير من المحللين الاجتماعيين في الماضي، ولكن حول التنظيم، إنها حول العمليات الاجتماعية وهي، بالتالي، نشاط متطور ومشروط يرتبط بالزمان والمكان، وهذا يوفر نقداً للروايات الأكثر تطرفاً للعلمة، التي تفترض أن مجموعة مشتركة من العمليات ستشكل كل الأمكنة والناس، وسينيت (Richard Sennett) محلل آخر معاصر لفت أيضاً الانتباه مؤخراً إلى الطبيعة المتسمة بالفوضى للحياة اليومية وأخطار محاولة التظاهر بالكثير جداً من البناء والتنظيم.<sup>2</sup>

وهناك رؤيا آخر، حيث يرى العالم السياسي روبرت بوتنام (Robert Putnam) أن التجربة الأولية للمعايشة مع المختلف تؤسس بناء على رأس المال الاجتماعي، وتقود الناس في الواقع إلى الانسحاب بعيداً عن هؤلاء الجيران المختلفين، وعلى النقيض، نجد أن البشر الذين يعيشون في جماعات محلية متجانسة يبدوون ميلاً وفضولاً اجتماعياً أكبر نحو الآخرين المختلفين في العالم الأوسع.<sup>3</sup>

ومثلاً ذهب إليه ابن خلدون قديماً، هناك من يرى أن القبيلة أصبحت فاعلاً سياسياً حقيقياً، وشرعياً على نحو خاص، بل أكثر من ذلك: ربما يكون التجذر داخل الفضاء القبلي قد أصبح ضماناً لشرعية سياسية مؤكدة ومعلنة<sup>4</sup>. قد يساهم في بناء فضاءات مادية داخل المدينة، ويحضرني إنني ذات مرة كنت في زيارة لـاحد بلديات ولاية الأغواط، وعند معاينتي للمخطط العمراني للمدينة، قلت لرئيس المجلس الشعبي البلدي مازحا بلديتكم تتكون من ثلاث "فرق" اثنان كبيرتان والثالثة اقل شأنًا، فقال لي كيف عرفت ذلك، فقلت له هذا موجود في المخطط العمراني الذي أمامنا، إن قراءة

1- ديفيد س. ثورنس، المرجع السابق، ص 77-78.

2- ديفيد س. ثورنس، المرجع السابق، ص 78.

3 - Jean-Louis Thiébaud, « Les travaux de Robert D. Putnam sur la confiance, le capital social, l'engagement civique et la politique comparée », Revue internationale de politique comparée, vol. 10, no 3, 2003, p. 341-355

4- يزيد بن هونان، القبيلة كأفق سياسي في الجزائر، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 15 المجلد الرابع، شتاء 2016، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ص 44.

المخططات العمرانية للمدن المحلية (العير مخططة من طرف الدولة)، يمكن أن يعطي لنا دلالات عن التكوين القبلي و البناء الاجتماعي لسكان المدينة أو القرية ،كما يقول ابن خلدون (إن القبيلة إذا قوي سلطانها ضعف سلطان الدولة، وإذا قوي سلطان الدولة ضعف سلطان القبيلة)<sup>1</sup>، فالمورفولوجيا العمرانية تتم عن مورفولوجيا اجتماعية واضحة المعالم أحيانا، هذا قبل أن تتدخل الدولة في تخطيط المدينة وفرض سلطة خطابها العمراني.

### ثالثا: المقاربات النظرية في دراسة الأحياء الجديدة.

يعذ تخطيط المدن وظهور الأحياء الجديدة وتوسع المدينة ظاهرة حضرية عرفت المدينة منذ نشأتها قبل 5000 سنة<sup>2</sup>. فمن الطبيعي أن تنمو المدينة ويتوسع نطاقها الحضري بطريقة مخططة أو غير مخططة، وهي على حد تعبير روبرت بارك ظاهرة طبيعية<sup>3</sup> عالمية عرفت كل المجتمعات الحديثة حيث ازدادت حدتها مع الثورة الصناعية التي عرفت مدن أوروبا في القرن الثامن عشر، وظهرت عدة أفكار لمواجهة مشكلات تضخم المدن، وكان من أشهرها فكرة المدن الحدائقية ل: ابنزر هوارد "E.Howard"، وفكرة المدينة الشريطية ل: سوريا ماتا (Soria Mata)، ومدينة الغد ل: لو كوربيزيه.. الخ ، جاءت هذه الأفكار كلها كأسلوب لتوجيه النمو العمراني للمدن الحديثة، و ثم ما لبثت أن انتقلت هذه الأفكار إلى كل مدن العالم، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وحصول اغلب دول العالم الثالث على استقلالها .

وهناك ثلاثة مقاربات في دراسة تطور ونمو المناطق الحضرية الجديدة وهي:

#### 1-مقاربة التخطيط العمراني:

وسوف نعتمد هنا على مقاربتين نظرية كأفكار لدراسة الأحياء الجديدة نرى أنها الأكثر ملاءمة

لدراستنا وهي:

#### 1.1-المجاورة السكنية ل: كلارانس بيرري (Clarence Perry)

ظهرت فكرة المجاورة السكنية للمخطط كلارانس بيرري في عام 1929م، من اجل التصدي لبعض المشاكل الحضرية التي عرفت المدن الأمريكية والأوروبية، كظاهرة التفكك الاجتماعي واختناقات المرور والسكن الغير لائق، تقوم الفكرة على تجميع المساكن مع بعضها ومع ما يحيط بها بطريقة تعمل على الحد من تأثير مرور الآليات في المجاورة التي تضم المساكن والخدمات (المدرسة الابتدائية، الحدائق، المحلات التجارية).

1- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص.239.

2- محجوب عطية الفادي، علم الاجتماع الحضري، دار المكتبة الوطنية، ط1، تونس، 2004، ص.166.

3- السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري الجزء الأول، مرجع سابق، ص.47.

الاعتبارات التي تحكم تخطيط المجاورة السكنية:

- الحجم: تبلغ مساحتها واحد ميل مربع ويتراوح نصف قطر المجاورة السكنية بين ربع ونصف ميل من المدرسة الابتدائية إلى أبعد نقطة في المجاورة.
  - مركز المجاورة: يجب أن يتضمن مدرسة ابتدائية تقع ضمن مناطق خضراء عامة بالإضافة إلى مباني الخدمات الأخرى والمناطق الترفيهية التي يجب أن تتوافق مع حجم المجاورة وحدودها.
  - المراكز والمحلات التجارية: توضع على الطرق الشريانية المحيطة بالمجاورة أو على التقاطعات الرئيسية وفي العمارات وبالقرب من حدود المجاورة.
  - الحدود: وهي شبكة من الطرق المحيطة بالموقع تسمح بالمرور العابر من خلالها ولا تخترق المجاورة لتحافظ على استقلالية المجاورة وتميزها.
  - المناطق المفتوحة: إذ يلزم تزويد المجاورة السكنية بمسطحات من المناطق المفتوحة بمعدل 10% من المساحة الكلية.
  - الخدمات: وتجمع كلها في المجاورة في حين أن الخدمات كبيرة المساحة مثل المخازن والمستودعات توضع على الأطراف الخارجية للمجاورة.
  - نظام الطرق الداخلية: التي يجب تخطيطها وتصميمها بحيث لا تشجع على المرور العابر مع تخطيط شوارع محلية للمرور الاضطراري داخل المجاورة ويجب أن تنتهي نهايات مغلقة أو ميادين أو ما يعرف ب (cu-de-sac).
  - السكان والكثافة: عدد السكان المقترح في المجاورة هو العدد اللازم لقيام مدرسة ابتدائية ويتراوح بين 9000/5000 نسمة. أما الكثافة فقدرت بحوالي 10 أسر لكل فدان.
- تعتبر فكرة المجاورة السكنية ذات أهمية اجتماعية كبيرة وهي من اهم النماذج الناجحة في التخطيط الحضري نظرا لمرونتها في التعامل مع البيئة الطبيعية ومراعاتها للمعايير الاجتماعية، تبقى المشكلة الرئيسية تتمثل في العامل الاقتصادي حيث أن تقديرات إنشائها عادة ما تكون مكلفة وخاصة في الدول الفقيرة لما تحتاجه من اعتمادات مالية لتحقيق وإنجاز مثل هذه المشاريع.

## 1.2- فكرة المنطقة السكنية لـ: توماس أدامس (Thomas Adams) 1

الفكرة موجهة أساسا لمعالجة النمو العمراني في المدن والمشاكل الناجمة عنه، وذلك بالاعتماد على العلوم الاجتماعية والاقتصادية واستخدامات الأرض. يقسم الحي إلى تجمعات سكنية متدرجة

1 - Thomas Adams, the design of residential areas: basic considerations, principals, and methods, Cambridge Harvard university press, 1934.



تحيط بمركز المدينة وتنتشر بها الحدائق والطرق الحداثية والمناطق التجارية. وهي فكرة مثالية أثبتت نجاحها من الناحية البيئية، وحققت مجتمعات من أفضل المجتمعات العمرانية الاعتبار التي تحكم تخطيط المجاورة السكنية:

- الحجم: يعتمد في ذلك على حجم المدينة.
- السكن: اعتماد السكن الفردي المستقل المحاط بحديقة ومنطقة خضراء.
- مركز المنطقة السكنية: مثلها مثل المجاورة السكنية يجب أن يتضمن مركز المنطقة السكنية علة مدرسة ابتدائية تقع ضمن مناطق خضراء عامة بالإضافة إلى مباني الخدمات الأخرى والمناطق الترفيهية التي يجب أن تتوافق مع حجم المجاورة وحدودها.
- المراكز المدنية والمحلات التجارية: توجد على حدود المنطقة السكنية، وبجانب واحد توجد المنطقة الصناعية ومنطقة النشاطات وبمساحة محدودة.
- الحدود: يمكن تمييز نظامين متكاملين من الطرق، طرق ذات نظام إشعاعي لربط الحي بالمدينة وطرق ذات نظام شبكي لخدمة الحي السكني.
- المناطق المفتوحة: إذ يلزم تزويد المجاورة السكنية بمسطحات من المناطق المفتوحة بمعدل 10% من المساحة الكلية.
- الخدمات: الاتزان في استعمالات الأرض من خلال الفصل بين الأنشطة، حيث نجد التوزيع العادل في انتشار على حدود المنطقة السكنية.
- نظام الطرق الداخلية: وابتداع الطرق الحداثية كفضاءات من خلال المسطحات الخضراء لربط المساكن بالمدارس والخدمات والأنشطة. وهي بذلك أماكن للتفاعل والتواصل الاجتماعي بين الأفراد أثناء مساراته اليومية داخل الحي.
- السكان والكثافة: يعتمد في العدد الأمثل لسكان المنطقة السكنية على حجم المدينة، وعادة ما تكون بين 600 مسكن لكل 42 إلى 84 هكتار، وتم تقييد الكثافة والتحكم فيها بما لا يتعدى 50 مسكن ولا يقل عن 15 مسكن لكل هكتار.

## 2- المقاربات السوسولوجية في دراسة النمو الحضري:

هناك عدة مداخل في دراسة النمو الحضري وسوف نعتمد أربعة مداخل هي:

### 1- المدخل الأيكولوجي:

بدءا من مدرسة شيكاغو التقليدية برعاية بارك وبيرجس وويرث اللذين كان لهم السبق في إعطاء الإيكولوجيا الحضرية أهمية قصوى في تتبع وتحليل الظاهرة الحضرية والنمو الحضري الذي

عرفته مدينة شيكاغو، من خلال إنجاز سلسلة من الأبحاث والدراسات الميدانية الامبريقية. فادا كانت المدينة هي بؤرة ومركز التغيرات الاجتماعية، فان الحي الجديد هو الشطر من هذا النسيج المترامي الأكثر هشاشة ولأسهل للتمزق والتلاشي والأكثر عرضة للتغيرات الاجتماعية السالبة، أو ما يمكن أن نسميها بأزمة الرابط الاجتماعي وما تخلفه من صراعات مبطنة وظاهرة. ويمكن تصنيف المدخل الأيكولوجي إلى أربع مداخل فرعية حسب تصنيف السيد عبد العاطي:<sup>1</sup>

### 1.1- المدخل التقليدي المحدث:

وهو محاولة، بقيادة جيمس كوين وأموس هاولي، لفهم وتفسير الطريقة التي ينتظم بها السكان في بيئتهم الجديدة، حيث يرون أن التحليل للأيكولوجي يتعدى حدود المكان والتوزيع المكاني، وان قوى المنافسة ليس المتغير الوحيد لتفسير والتحليل الأيكولوجي، فهناك عامل التعاون هو الآخر له دور في تنظيم وتمييط العلاقات الاجتماعية. وهنا يمكن أن نستنتج أن البدايات الأولى لتأهيل المكان تخلق نوع من الصراع على فضاءاته التي تكون في الأول غير واضحة وغير محددة المعالم وغير كافية، فاختلاف الوحدات السكنية في الحي الجديد مثلا لا يعني بالضرورة تنافسها، فمع مرور الوقت يحدث نوع من التآلف على أساس تقاسم الأدوار والعمل، في حين الوحدات المتجانسة والمتماثلة يقوم بينها نوع من التعاون التعايشي، وإذا ما اعتبرنا الحي نسق اجتماعي قائم بذاته يمكن دراسة خصائصه من خلال نمط الأنشطة المنظمة التي تنشأ عن التفاعل المتواتر والمتكرر في فضاءات العمومية للحي الجديد.

### 2.1- المدخل سوسيو-ايكولوجي: يرى كل من دونكان (O.D.Duncan) وشنور

(L.Schnore) أن التنظيم بمعناه الأيكولوجي وحده هو الموضوع الأكثر ملاءمة في الدراسات السوسيوولوجية لفهم الحقيقة الاجتماعية، فالتنظيم يؤدي للارتباط والتعاون المتبادل بين السكان، وان الروابط الاجتماعية هي محصلة لاعتماد متبادل بين السكان يؤدي إلى الاندماج الاجتماعي والتكامل الوظيفي في آخر المطاف. ففي الأحياء السكنية الجديدة يمر التنظيم الاجتماعي بعدة مراحل حيث تعرف هذه الأحياء الجديدة في بداية نشأتها تغيرات كبيرة على مستوى التنظيم مع قديم أعداد هائلة من السكان الجدد لكن مع مرور الوقت وبعد تشعب الحي يحدث نوع من الاستقرار والثبات داخل التنظيم الاجتماعي.

### 3.1- مدخل تحليل المناطق الاجتماعية: وهو مقارنة تتخذ من التحليل المتعدد الأبعاد

(السوسيو- اقتصادية والسوسيو-ثقافية والدراسات المقارنة) واستعمال إجراءات وطرق منهجية

1- السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري، ج2، مرجع سابق، ص.66-81.

تساعد على توضيح أنماط التمايز والتدرج كما توجد بالمنطقة الحضرية المراد دراستها وتحديد المنطقة الحضرية بدقة ومن مهام هذا المدخل انه يساعدنا على تحديد الأنماط المتكررة فيما يتعلق بالتنظيم المكاني داخل الحي الواحد ومقارنته مع بعض أجزاء المدينة أو الأحياء الأخرى مما يساعدنا على التوصل إلى بعض التعميمات، وهو طريقة بحث أكثر كفاءة لدراسة التغير الاجتماعي داخل الحي الجديد، وهو مدخل يساعدنا على المقارنة بين التنظيمات المكانية في فترات زمنية مختلفة، وهو أسلوب أكثر لاختبار المناطق الحضرية فمفهوم المنطقة الحضرية عند شيفكي ويل لا ينفصل عن مفهوم المنطقة الطبيعية ومفهوم الثقافة الفرعية.<sup>1</sup>

#### 4.1- المدخل الإقليمي: الاتجاه الإقليمي هو اتجاه حديث في المعالجة الأيكولوجية

والسوسولوجية للمجتمع الحضري الحديث لمجتمعات الضواحي والأطراف، فالتوسعات الحضرية العمرانية للمدينة بحكم موقعها تعتبر مسرحاً نشطاً للتغير المكاني والاجتماعي الذي يستوجب الدراسة والاهتمام، بهدف الكشف عن الخصائص المميزة للمناطق المحيطة بالمدينة والوقوف على نوعية المشكلات التي عرفتتها المدينة الحديثة في مراحل تطورها الأخيرة.

الإقليم حسب التعريف الأيكولوجي الحديث هو المدينة وضواحيها المباشرة والمجاورة، ويشير أصحاب الاتجاه الإقليمي الحضري في الإيكولوجيا إلى أن حياة سكان الضواحي والأطراف متأثرة ومرتبطة مباشرة بمؤثرات المدينة الأم. ويعتبر الفين بوسكوف (Alvin Boskoff)<sup>2</sup> أحد أهم أصحاب هذا الاتجاه ويقدم تخطيطاً للبناء الأيكولوجي الحديث للمدينة يتمثل في المدينة المركزية ويحيط بها نطاق الضواحي ثم الأطراف الحضرية والمنطقة الرابعة هي المدن التابعة وأخيراً المناطق التي تقع خارج المحيط الحضري وهي المناطق الريفية.

بحسب هذا التقسيم يعتبر الحي مجال الدراسة يقع في الوحدة الثانية وهي نطاق الضواحي، أين تكون عمليات التوسع الحضري الفيزيقي والمكاني محل للدراسة في ضل التغيرات اللاحقة التي تطرأ على التنظيم الاجتماعي وأشكال الأسرة والمكانة والخصائص السكانية والثقافية للحي. ولا يجب معالجة هذه الوحدة (الحي الجديد) كنسق متكامل ومستقل دون الرجوع إلى المدينة المركزية وباقي الوحدات الأخرى المكونة للإقليم، فالتغيرات التي تطرأ على الجزء (وحدة) تؤثر على الكل (مجموع الوحدات) والعكس صحيح. فلا يمكن متابعة مسارات الأفراد دون الخروج من نطاق الحي المدروس.

#### 2- مدخل دراسات المجتمع المحلي: يعتبر الوصف الاجتماعي الواقعي هو العلامة المميزة

لدراسة المجتمع المحلي في بدايته بعيداً عن المسائل الحضرية، بهدف إيجاد وسيلة لإقناع الساسة

1- السيد عب العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري، ج2، مرجع سابق، ص.72-75.

2 - Alvin Boskoff ,The Sociology of Urban Regions, Appleton-Century-Crofts, Inc.1962,

والصفوة بالحاجة إلى الإصلاحات الاجتماعية. وكانت الدراسات حول تكوين الطبقة وتدرج المكانة، والحراك الاجتماعي، وخبرات العمل. وكانت البدايات الحقيقية لهذا الاتجاه مع روبيرت وهيلين ليند<sup>1</sup> في دراستيهما ميدل تاون (Middle town) وهي محاولة منظمة لفهم مجتمع محلي أمريكي هو مدينة مينسي (Muncie) بولاية إنديانا، وكذلك سلسلة دراسات يانكي سيتي (Yankee City) التي أشرف عليها لويد وارنر<sup>2</sup> لمجتمع اليانكي سيتي وخاصة المجلد الأول بعنوان الحياة الاجتماعية في مجتمع محلي (The social life of modern community) يتطرق إلى العلاقات الاجتماعية وضهور بناءات اجتماعية تنظم سلوك الأفراد بواسطة قوانين وإجراءات.<sup>3</sup>

وبعد الحرب العالمية الثانية ركزت معظم الدراسات الاجتماعية على دراسة الواقع المعاش من خلال حياة الأسرة والرباط الاجتماعي من خلال التفاعل بين الأسرة وأماكن الإقامة وفضاءات التواصل، ولاحظ هربرت غانز (H. Gans) أن علاقات القرابة الممتدة بين جماعات الريف والمنتقلين من هم للمدينة هي أهم موجهاً الحياة الاجتماعية للمهاجرين، واستطاع أن يبرهن على وجود علاقة قوية بين فضاء المدينة وخاصة فضاء السكن والجوار وتصرفات الأفراد، وهنا خالف ويرث في نظريته "الحضرية كأسلوب للحياة".

## 2-1- المدخل التركيبي

يرى أصحاب المدخل التركيبي بقيادة كل من أوسكار لويس وهربرت غانز أن الاختلاف في الاتجاهات والسلوك أو العلاقات الاجتماعية بين السكان في مختلف مناطق الإقامة إنما يرجع إلى السمات أو الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للسكان. ويتحدد سلوك الأفراد بوضعهم الاقتصادي وسماتهم الثقافية ومكانتهم الزوجية والأسرية، وتتأثر علاقات الجيرة. بطول مدة الإقامة في مجتمع والسن وجود الأطفال ومدى الاستقرار في المنزل أثناء اليوم بالإضافة لقيم المجتمع العامة.

## 2-2- مدخل الثقافة الفرعية

مدخل الثقافة الفرعية أو الثانوية للحضرية بزعامة كلود فيشر (Claude. Fischer). حيث يرى أن زيادة حجم المدينة وكثافتها وعدم تجانسها يؤدي إلى خلق بيئة ملائمة لظهور العديد من الثقافات الفرعية المختلفة، وأنه كلما زاد حجم السكان في المجتمع بشكل عام أصبح أقل ترابطاً وذلك نتيجة ظهور جماعات مختلفة تتعارض مع بعضها البعض مما يولد الصراع داخل المجتمع إلى

1- Lynd, Robert S.; Lynd, Helen Merrell. Middletown: A Study in Contemporary American Culture. Harcourt, Brace and Company. New York .1929.

2 - Lynd, Robert S.; Lynd, Helen Merrell. Middletown in Transition: A Study in Cultural Conflicts: Harcourt, Brace and Company. New York, 1937.

3- نيقولا تيماشيف، مرجع سابق، ص23-23.

جانب أن تلك الجماعات تنتزع ولاء أفرادها من المجتمع بوجه عام. ويعتبر أن الضرورة الوظيفية والعلاقات السابقة والافتقار إلى جماعات بديلة التي تجعل جماعة الجيرة تأخذ شكلاً أولياً وشخصياً للعلاقات بين أفرادها، وأكد أن ذلك يتأثر بحجم المجتمع.

فسر فيشر العلاقة بين زيادة حجم المجتمع وعدم توافر الشروط المدعمة لإعادة نسج روابط الجيرة داخل الأحياء الجديدة من خلال الاعتبار أن مسئوليات مواجهة الحاجات والمشكلات المحلية للمجاورة تلقى في المدن على عاتق تنظيمات أخرى تعلو فوق مستوى الجيرة. وأن الجوار المكاني للأقارب وزملاء العمل امر غير متاح في المدن حيث تؤدي قوى السوق في مجال الإسكان إلى تشتت أفراد الجماعة فيزيقياً، وأنه كلما كبر حجم المجتمع زادت احتمالات حرية الأفراد وعدم ارتباطهم بالضرورة بجماعات الجيرة حيث يتيح تعدد الجماعات الأخرى البديلة وتنوعها في البيئة الحضرية فرصاً أكبر للتفاعل وتدعيم الروابط الوثيقة بالآخرين خارج الحدود المحلية للجيرة مما قد يؤدي إلى ضعف علاقات الجوار.<sup>1</sup>

وبخصوص العلاقات القرابية داخل المجتمع الحضري، يشير فيشر أن الحياة الحضرية قد ساعدت الناس على تجاهل العلاقات القرابية فالغالبية العظمى من الناس في المدينة يبقون على الروابط القرابية خارج نطاق اهتماماتهم والتزاماتهم غالباً يتجه الناس في المدينة نحو تدعيم الروابط غير القرابية وذلك من أجل الرغبة في المخالطة الاجتماعية والحصول على الدعم والمساعدة في بعض الحالات الطارئة ولكنهم عادة ما يتجهون إلى الأقارب من أجل الحصول على المساعدات الكبيرة في الحالات الصعبة والأزمات.

ومما سبق يمكن القول بأن مدخل الثقافة الفرعية للحضرية يقف موقفاً وسطاً بين كل من نظرية لويس ويرث والنظرية التركيبية، فهو يتفق مع نظرية لويس ويرث حول التأكيد على تأثير العوامل الأيكولوجية في المجتمع وهذا ما تعارضه النظرية التركيبية ومن ناحية أخرى نجد أنها تتفق مع النظرية التركيبية حول التأكيد على أهمية السمات المميزة للأفراد في تدعيم علاقات الجوار.

1 Cf. Claude S. Fischer, C. Ann Steuve, Robert M. Jackson, Lynne M. Jones, Kathleen Gerson, Mark Baldassare, Free Press, 1977 .

### خاتمة الفصل

تعرضنا في هذا الفصل إلى المقاربات النظرية التي درست متغيرات البحث الأساسية الثلاثة، فمتغير الفضاء العمومي تعرض للدراسة من طرف الفلاسفة وعلماء السياسة وعلماء الجغرافيا وعلماء الاجتماع وعلماء التخطيط، وحاولنا من خلال المقاربات المعتمدة تبين أهمية هذا في بناء الرباط الاجتماعي الذي هو متغير ثاني أساسي في الدراسة وهو كذلك تعرض للبحث والمسالة من طرف معظم علماء الاجتماع كل في مجاله، ثالثا متغير الإسكان والأحياء السكنية الجديدة ومعضلة السكن وما لها من آثار على بناء الروابط الاجتماعية وعلى استعمالات المجال العمومي.

## الفصل الثالث:

### الدراسات السابقة

أولاً: دراسات عن الفضاء العمومي

ثانياً: دراسات عن الرباط الاجتماعي

ثالثاً: دراسات عن الإسكان

## الفصل الثالث: الدراسات السابقة

موضوع الدراسة التي نحن بصدد الحديث عنها يتمحور حول ثلاثة مفاهيم أساسية في علم الاجتماع الحضري الأول يتعلق بمفهوم الفضاء العمومي كمكون رئيسي في مورفولوجيا المدينة، والمفهوم الثاني يخص الرباط الاجتماعي كظاهرة اجتماعية تنمو وتتشكل في الأحياء حديثة التكوين والمدن الجديدة، والمفهوم الثالث هو السكن من خلال عمليات الإسكان المختلفة، إن الدور الذي يلعبه الفضاء العمومي في بناء الروابط الاجتماعية داخل المدن والأحياء وخاصة حديثة الإنشاء منها، يبدو من الأهمية بمكان، فالدراسات حول هذا الموضوع حديثة، ونظرا لندرة الدراسات التي تناولت متغير الفضاء العمومي في علاقاته بمتغيري الرباط الاجتماعي والإسكان بالأحياء الجديدة، سوف نعرض الدراسات التي تناولت كل متغير على حدى وحسب تسلسلها الزمني وهي كالتالي:

### أولا: دراسات عن الفضاء العمومي

#### 1-1- على المستوى العالمي

##### 1-1-1-دراسة يورغن هابرماس حول نظرية الفضاء العمومي.

تشكل دراسة هابرماس "الفضاء العمومي : تاريخ الإشهار كبعد مكون للمجتمع البرجوازي" الذي نشرها سنة 1962، والتي كانت في الأصل موجهة إلى جمهور محدود وخاص، حيث لقيت الدراسة صدى كبير لدى الطلبة الألمان<sup>1</sup>، وهي أهم مرجع يتناول بالتفصيل إسهامه في وضع نظرية الفضاء العمومي، بحيث أثار فيه الصلات الوثيقة بين الفضاء العمومي والمجتمع المدني كإشكالات سياسية ستعود الفلسفة السياسية المعاصرة إلى التمييز بين المجال الذي يشمل الدولة ومؤسساتها من جهة، وبين الميدان الخاص، الذي يتصل بالحياة الشخصية للأفراد وحقوقهم المدنية من جهة أخرى. لذلك عمل على تحديد القيمة السياسية والنظرية لهذا المفهوم معاً، وتتبع تطوره في تاريخ الفلسفة مركزاً على الحرية الديمقراطية للفضاء العمومي في القرن الثامن عشر بأوروبا والذي ساهمت في تشكله الطبقة البرجوازية، وحاجتها إلى هذا الفضاء لتخطي المرحلة الإقطاعية، حيث رصد كل مجالات الاستعمال العمومي للعقل<sup>2</sup>: الصالونات الأدبية، الجرائد

1 - Trom Danny. Habermas Jürgen, op.cit., pp. 95-96.

2- تجدر الإشارة الى ان الفيلسوف كانط هو المنظر الحقيقي للفضاء العمومي في مقاله التأسيسي ما التنوير؟ بحيث دافع بقوة عن الجراءة في استعمال العقل، تلك الجراءة التي تفترض الشجاعة والاستقلالية والمسؤولية والإرادة. وكذلك من خلال سؤاله الآخر، كيف تكون الطبيعة ممكنة؟ ويجب أن الطبيعة لا توجد إلا لأن هناك عقولا تفكر فيها، وبالتالي ليست الطبيعة شيئا غير تمثل الطبيعة.



والمجلات، النقاشات العموميّة المنتشرة آنذاك والمتزامنة مع النمو الاقتصادي وصعود البرجوازيّة على مستوى الإنتاج وتطور الرأسمال الصناعي والمالي<sup>1</sup>.

الفضاءات العمومية تضمن عدة أدوار في الحي أو المدينة، هذه الأدوار التي تتحول إلى قضايا يتحملها الفضاء العمومي في وجه المخاطر داخل التجمع أو المدينة، وهناك أربع قضايا مترابطة يتكفل بها الفضاء العمومي وهي قضية الحركة والتي تعني الولوج إلى كل فضاء حضري من طرف كل السكان، وقضية الاستعمالات الحضرية الاحتفالية والثقافية والتجارية، وقضية التنشئة والتي تعني الاتصال بين سكان المدينة فيما بينهم بأشكال وطرق متعددة، وأخيرا قضايا الهوية<sup>2</sup>.

رغم أن الدراسة تحاول تكوين نظرية عامة حول الفضاء العمومي، لكنها كانت ذات بعد سياسي فلسفي نقدي، لم تتطرق إلى الفضاء العمومي بالمفهوم العمراني في جوانبه المادية الذي نحن بصدد دراسته، غير أن ما نستشفه منها هو أن التحولات التي شهدتها الفضاء العمومي كمفهوم عام كان له الدور الكبير في بناء الراي العام لدى سكان المدن وتحديد الخطوط الفاصلة بين المجال الخاص والعام، و تحديد المسؤوليات الفردية والجماعية داخل الفضاء الحضري المكون للمدينة، ومنه بناء شبكة من الروابط والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يكون للفضاء العمومي مجالا حيويا لها.

هذه الدراسة التي قدمها هابرماس هي مقارنة نظرية تؤسس لمفهوم الفضاء العمومي في المجتمع الغربي وقد تم نقدها، من طرف فريزر حيث تنطلق من بعض عناصر التفكير في هذا السبيل من أجل فضاء عمومي ما بعد برجوازي، إذ كتبت تقول: " يتمثل اقتراحي العام في إعادة تأسيس نظريّة الفضاء العمومي التي تتعرض لخطر فقدان قيمتها السيّاسيّة"<sup>3</sup>، كذلك هناك نقد هام صاغه مساعده العلمي الأول أوسكار نيغت (Oskar Negt) الذي شغل منصب معيد في الفريق العلمي لهابرماس رفقة زميله ألكسندر كلوج (Alexandre Kluge) في العديد من كتبهما<sup>4</sup> المشتركة التي تعود إلى العقد السابع من القرن الماضي. وقد اتخذ هذا النقد شكل نظرية جديدة بديلة تُدعى "الفضاء العمومي المعارض"، أو "الفضاء العمومي البروليتاري". ويُراد منه نقد نظرية هابرماس حول الفضاء العمومي البرجوازي، من منطلق أنّ البرجوازيّة لم تكن وحدها من ساهم بشكل كبير وأساسي في نشأة الفضاء العمومي خاصة في واقع أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بل إنّ

1 - Jürgen Habermas, op.cit., p 246-247.

2 - Michel Bassand et autres, vivre et créer l'espace public, presses polytechniques et universitaires romandes, 2001.p13.

3 - Jürgen Habermas, op.cit., p 148.

4 - Alexander Kluge, Oskar Negt, op.cit.

هناك طبقة اجتماعية أخرى، أي الطبقة العاملة، بدونها لا يمكن أن توجد البرجوازية، إلى جانب فئات اجتماعية أخرى من قبيل الطلاب، الشباب الأجير، النساء، الأجراء...، توصل نيغت إلى أن هناك ديناميكيات متعددة منها الاجتماعية والسياسية التي كان لها الأثر البارز في تاريخ أوروبا، وكان اهتمامه الأبرز على الفضاء العمومي الألماني خلال ثورة 1918، وعلى الفضاء العمومي الفرنسي حيث ساعدت الحركة الطلابية سنة 1968 في إعادة بلورة الفضاء السياسي العمومي الفرنسي وظهور ديمقراطية حديثة تختلف عن تلك التي عرفتها فرنسا أثناء قيام الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. متسانلا كيف لدراسة هابرماس هذه أن تساعد على فهم السيرورة التي عرفها الفضاء العمومي الأوروبي؟ وكيف للبرجوازية وحدها أن تقضي إلى بلورة الأفكار الأساسية في نشأة الفضاء العمومي، وما إذا كان هناك طبقات اجتماعية غير البرجوازية تلك ساهمت في نشأة الفضاء العمومي؟ وما حدود نظرية هابرماس؟<sup>1</sup>

### 1-2-دراسة أوسكار نيغت: الفضاء العمومي المعارض.<sup>2</sup>

حاول أوسكار نيغت دراسة الفضاء العمومي عبر التاريخ، أي كما تجسّد لدى اليونان والرومان، واعتبر دراسته بحثاً فينومينولوجياً، انكبّت دراسته أول الأمر على الأشكال العمومية الأولى لبلورة مفهوم الفضاء العمومي البروليتاري الذي يحمل معه شكلاً جديداً للمجتمع، هذا الكتاب "يُشكّل نظرية بديلة لنظرية الفضاء العمومي الهابرماسية". فكيف إذن يمكن تهميش دور البروليتاريا في تشكّل الفضاء العمومي الألماني؟ والأمر نفسه ينطبق على حركة ماي 1968 التي رسّخت كمكتسب: الانتداب، الانتخاب، التمثيل في صفوف الطبقة العاملة ومختلف الفئات الاجتماعية التي دعمتها، لذا لا يمكن تهميش أدوار الفاعلين الاجتماعيين في تشكّل الفضاء العمومي البروليتاري كفضاء معارض من قبيل: الأجراء، الطلاب، النساء، الشباب الأجير.

يرى نيغت أنّ "الفضاء العمومي ليس سلعة، ويمكن إجمال تلك التغيرات في مفهوم الأزمة، حيث يقول: "الأزمة، كما أفهمها، تشمل إعادة تنظيم شامل لمنظومتنا القيمية: شكل قيادتنا للحياة، أملنا في العيش، فقدان العلاقات القديمة وبناء روابط جديدة...، أتحدث عن أزمة تآكل ثقافي". يقول نيغت: "بدأنا (أنا وكلوج) البحث في مفهوم الفضاء العمومي منذ العقد السابع من القرن العشرين، منطلقين من فكرة أنّ الفضاء العمومي البرجوازي لا يمكن أن يجيب إلا بشكل إيجابي عن الفضاء العمومي المعارض/المقاوم في نهاية العقد السادس من القرن الماضي المدعوم بالإضرابات

1 - Oskar Negt: l'espace public oppositionnel, traduction par Alexander Neumann, Payot, Paris, 2007.

2- Oskar Negt, op.cit.p.

وبأشكال مختلفة من المقاومة (...)، فكتابنا الفضاء العمومي والخبرة بلور الفضاء العمومي البروليتاري. والذي لا يخص التجربة العمالية (الأجراء) فقط، وإنما كل التمردات الإنسانية الأساسية، بحثاً عن نموذج تجربة خاصّة. هذا الفهم للفضاء العمومي يدمج ميدان الإنتاج والمجال الخاص دمجاً، بفضل تحريك القدرات السياسيّة". وإشكالية الكتاب جات في شكل سؤالين هامّين:

. ما الذي يمكن أن يفعله الأجراء؟

. ما المصالح التي تحكم الطبقات المهيمنة تجاه الفضاء العمومي؟

فالفضاء العمومي عنده يشمل العديد من المؤسسات والأنشطة: القوة العموميّة، الصحافة، الرأي العام، الجمهور، العلاقات العامة، الشوارع، وثانياً: يمثل "حقل تجارب المجتمع، ويشمل كل ما يبدو هاماً لأعضائه (رواده) كيفما كانت واقعيّة أو مفترضة".

### 1-3- تيري باكو: الفضاء العمومي.<sup>1</sup>

يحاول الباحث العمل على مفهوم الفضاء العام، في الواقع، يحول منذ البداية في مقدمة الكتاب أن يبين الفرق بين الفضاء العام (espace public) والأماكن العمومية (espaces publics) في اللغة الفرنسية، جاء الكتاب في خمسة فصول، يتكلم في الفصل الأول عن الأفكار التي جاء بها يورغن هابرماس عن مفهوم الفضاء العمومي وربطه بالرأي العام، ولانتقادات التي وجهت له من طرف معاونيه وغيرهم وخاصة حنا ارندت (Hannah Arendt) و رتشارد سينييت (Richard Sennett) وسكار نيغت (Oskar Negt) أما الفصل الثاني تطرق فيه إلى الصحف والصالونات والمقاهي باعتبارها فضاءات عمومية، الفصل الثالث تطرق للاستعمالات لمفهومي العام والخاص عند الإغريق والرومان، وفي العصور الوسطى، وفي العالم العربي، وفي اليابان. وجاء في الفصل الرابع بعنوان من الطريق إلى الفضاءات العامة تطرق فيه إلى الشارع في المدينة الإغريقية والرومانية والمدن الشرقية ومدن عصر النهضة مرورا بمدن العصور الوسطى، وفي الفصل الخامس والأخير الذي جاء بعنوان استعمالات واستخدامات الأماكن العمومية حيث تعرض للحقوق والواجبات أثناء استعمالات الفضاءات العمومية وفي الأخير كفايات التهيئة العمومية الحضرية معتمدا في ذلك على ترسانة من المراجع.

ويتبر هذا الكتاب من اهم المراجع التي تطرقت لنشأة واستعمالات مفهوم الفضاء العام (espace public) في العلوم الإنسانية والعمران والجغرافية، عبر التاريخ وحضارات الشعوب.

1- للاطلاع اكثر أنظر: Thierry Paquot, op.cit....

1-4-ستيفان تونيلا: سوسيولوجيا الفضاءات الحضرية العامة.<sup>1</sup>

من خلال هذه الدراسة حاول الباحث الوقوف على دلالة كل من الشارع، ومركز التسوق، ومحطة القطار، وفضاء المقهى، والساحة والحديقة. وذلك استناداً إلى مراجعة مقتضبة لعدد من الفضاءات الحضرية في كل من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، إذ يرى في هذا الصدد أن فاعلوا التهيئة الحضرية والباحثون في مجال الفضاء العام يواجهون سؤالين أساسيين هما: كيف يمكن تصور الفضاءات، التي هي في الآن ذاته مشتركة ومتاحة للجميع، وتحيل على شعور بالاهتمام المشترك بها؟ وبالتالي، المساهمة في بروز المجال العام المحلي؟

لاحظ صاحب المقال أن الفضاءات العامة اكتسبت-خلال العشرين سنة الأخيرة- رؤية جديدة في عالم التخطيط الحضري الفرنسي. فإذا كان الرأي الشائع يعتبر أن الفضاءات العامة تؤلف عنصراً أساسياً لاستدامة المدن لأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية والصحة العامة والتنوع البيولوجي، فإن الاتجاه السائد الذي لاحظته الكثيرون هو انكماش هذه الفضاءات العامة بدلاً من امتدادها. لقد أدت سيرورات الخصوصية في النصف الأخير من القرن الماضي إلى مجموعة من أشكال المدن الأقل قابلية للاستعمال نظراً إلى الحضور اليومي المشترك لعدد كبير وغير متجانس من ساكنة المدينة. لكن تبقى كل من الضواحي والطرق السريعة، و«تطوير المتنزهات»، وتكنولوجيات المراقبة، ومراكز التسوق، والتجمعات السكنية المسيجة، والوحدات السكنية، شاهدة على نسيج مستمر للعالم الحضري. وتبعاً لذلك، يبدو أن المؤشرات العالمية للتقريب (الطبقة والعرق، والإثنية والعرق ونوع الجنس) تسعى لإظهار تقييئات متزايدة لمختلف فئات السكان في جميع أنحاء العالم الشيء الذي يجعل الفضاءات العامة -من وجهة نظر فاعلي التخطيط الحضري- وسيلة ضرورية للتخفيف من هذه التقييئات، وفي الوقت نفسه، تعتبر بعداً أساسياً لمعالجة القضايا الناشئة مثل حتمية التنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية. فضمن هذا السياق، وحول المقال تبيان مختلف الحركات التي تسهم في تجديد الاهتمام بالفضاء العام.

وخلص إلى أن الفضاءات العامة تشمل مجموعة واسعة من الفضاءات، بدءاً من المراكز التاريخية القديمة إلى تمدد الضواحي. ويثير شكلها واستخداماتها وتهيئتها مجموعة من الأسئلة المهمة المتعلقة بالتخطيط الحضري سواء على المستوى المحلي أو على المستوى المتروبولي. وإذا

1- ستيفان. تونيلا، مرجع سابق.

Stéphane Tonnelat, «The Sociology of Urban Public Spaces»: in: Hongyang Wang, Michel Savy and Guofang Zhai, eds., Territorial Evolution and Planning Solution: Experiences from China and France (Paris: Atlantis Press, 2010).

[https://www.academia.edu/313641/The\\_Sociology\\_of\\_Urban\\_Public\\_Spaces](https://www.academia.edu/313641/The_Sociology_of_Urban_Public_Spaces)

حسبنا اليوم كلاً من الحوافز الاقتصادية، والصحة العامة، والرفاه، وصورة المدينة، والتنقل، والعيش المشترك كمرجعيات أساسية للتجديد الحضري وتطوراته الجديدة، فإننا نرى أن الحاجة إلى الفضاء العام ونجاحه قبل أي شيء آخر يكون محدداً سلفاً من خلال قدرته على الجمع بين ميزتين أساسيتين يعتمد عليهما كل ما تبقى: إمكان الولوج والاتصالات. وبطبيعة الحال، كما رأينا، يمكن أن تتخفف كل ميزة من هاتين الميزتين بدرجات متفاوتة، لأنه لا يمكن معالجة القضايا الكبرى إلا من خلال قدرة المسؤولين المنتخبين وفاعلي التهيئة الحضرية على ذلك وبصورة جماعية.

### 1-5-1- جون بال: المجال في المجتمع الحضري الياباني<sup>1</sup>

عبارة عن بحث كرسه صاحبه لدراسة العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الياباني في المجال الحضري، باعتبار الفضاء الحضري كمعطي في حد ذات، وان المجتمع معطى مفاهيمي قابل للعزل عن الفضاء. ويرى الباحث أن المجتمع الحضري الياباني هي مثال بليغ للتعبير عن قدرة الفضاء الفيزيقي في التأثير عن العلاقات داخل المجتمع الحضري، ميدان الدراسة مدينة كوماغايا (kumagaya) إنها مدينة متوسطة الحجم يضمن حجمها وموقعها مع ذلك طبيعة نموذجية معينة. يبلغ عدد سكانها حوالي 120.000 نسمة، على بعد 65 كم شمال طوكيو، كوماغايا قريبة بالفعل بما يكفي لإحدى أكبر المدن في العالم، وهي مدينة متوسطة ذات طابع صناعي وتجارية وفلاحي، تم إجراء التحقيق على أربع مجمعات سكنية مكونة من 50 منزلاً مجاوراً، تم اختيارها في مناطق مختلفة من نفس المدينة. لم يسعى الباحث في الحصول على عينة تمثيلية للمدينة ككل، ولكن اهتم بأخذ عناصر متميزة بوضوح في نفس النسيج العمراني، يعتبر الباحث أن الممارسات الاجتماعية لها وظيفة في النظام الاجتماعي بأكمله، والتي لا يمكن تسليط الضوء عليها إلا من خلال تحليل تم توسيعه ليشمل أبعاد المجتمع العالمي. لذلك كان من المهم التوقف بضع نقاط في الملاحظة الدقيقة، في البداية قام الباحث بوصف نصف لميدان الدراسة من خلال تقديم المدينة نفسها حيث تمت دراسة المستويات الثلاثة التالية: المساحة المحلية، وفضاء الحي، والفضاء الحضري. بالإضافة إلى التقييم الذي يعتمد على الاستمارة التصويرية، خلصت الدراسة إلى أربع نقاط: أن هناك ارتباط ضعيف بين الأشكال المكانية والأشكال الاجتماعية وحضور عناصر التريف كمكونات أساسية في الفضاء الحضري، تحليل الحياة الاجتماعية الحضرية في اليابان بينت أن في اليوميات الفردية أن الحياة الجماعية هي السائدة، وان مصطلح العلاقات الاجتماعية، اهم من الفرد في حد ذاته، وأخيراً مشكل الحداثة في البناء السكني، وبعض سمات المتناقضة والمرنة أحياناً في

1 - Jean Bel, L'espace dans la société urbaine Japonaise, Publications orientalistes de France, Paris.1980.

استعمال الأشكال المعمارية الغربية، وكذلك التجديد المتواصل للأنسجة العمرانية تلبية للحاجيات المستجدة للمجتمع الحضري الياباني.

## 2- على المستوى القاري والعربي

### 2-1- جون ماري ج: الحضرين والريفين في المدينة الأفريقية مدينة أبيجان نموذج<sup>1</sup>.

قامت الباحثة بدراسة التقسيم الطبقي الاجتماعي لسكان مدينة أبيجان، وذلك انطلاقاً من الاندماج غير المتكافئ في البيئة الحضرية للسكان الجدد في المدينة. وقد اختارت لهذا الغرض كعينة لذلك حيين متناقضين حديثين، يتميزان بالنمو الحضري على مدار العشرين سنة الماضية: الأول حي ماركوري، وهي منطقة سكنية للأثرياء، تتوفر على كل المرافق الحديثة، والثاني نيو كوماسي، وهو حي للفقراء به مساكن متواضعة.

يكشف الباحث من خلال هذه الدراسة عن ثلاث فئات اجتماعية. الفئة الأولى تتكون من السكان المدينة الجدد الذين ولدوا ونشؤوا في بيئة ريفية ومتجانسة عرقياً، حاولوا من خلالها تطوير تبادلاتهم من أجل ترسيخ موقعهم في أبيجان. يتسم وضعهم بالانتماء المزدوج. حست ينضم سكان المدن الجدد إلى كل من الجمعيات القائمة على التضامن الريفي والجمعيات الحضرية. إنهم يقدمون مساعدة عائلية ثقيلة للغاية. جذورهم المزدوجة مليئة بالتناقضات والصراعات التي يصعب التغلب عليها على مستوى جيلهم.

العمال الريفيين الذين تعرضوا لاجتثاث المزدوج، ولدوا هم كذلك في المناطق الريفية، وهم يشغلون الوظائف الأدنى في التسلسل الهرمي ويحصلون على مداخيل منخفضة جداً، مما لا يمنحهم وسائل التبادل الاقتصادي المنتظم مع قراهم ولا يسمح لهم بضمان مستوى عالٍ من الدعم الأسري. وبسبب عزلهم عن قراهم، فإنهم مندمجين بشكل سيء في المدينة. ويعيشون منعزلين في أحيائهم ولا ينضمون إلى الجمعيات الحضرية.

وأخير السكان الذين ولدوا في مدن، في مجتمع غير متجانس. فهم لا يقرون وجودهم بمصير مجموعتهم الإثنية الأصلية، ولا بمصير الأسرة الممتدة، يقصر دعمهم على أسرهم وعلى الأبوين. وهم يشكلون بداية طبقة وسطى في طور النمو، لا يزال عددهم قليلاً جداً، بالنظر للنمو الأخير في أبيجان.

1 - Jean-Marie Gibbal, Citadins et villageois dans la ville africaine l'exemple d'Abidjan, Presses Universitaires de Grenoble, François Maspero (Bibliothèque d'anthropologie) Paris, 1974.

2-2- أميلي لورونار: النساء والفضاءات العامة في المملكة العربية السعودية<sup>1</sup>

هي دراسة استقصائية دقيقة، حول مجتمع قليلاً ما خضع للدراسة. وقد أنجزت أميلي لورونار في المملكة العربية السعودية بحثاً ميدانياً كان من الصعب التفكير فيه قبل سنوات قليلة، في بلد لم يُعرف بترحيبه بالبحوث في مجال العلوم الاجتماعية.

يتمحور موضوع الدراسة حول أنماط الحياة التي تتبناها الفتيات السعوديات الحضرية أو اللاتي التحقن حديثاً بالمدينة، ما يفتح الباب على فهم أكبر بكثير للنوع (للجنس)، كما يعيش فعلاً في بلد يعرف تحولاً اجتماعياً فارقاً، لا تتحمل السلطات السياسية والأخلاقية في البلد مسؤوليتها بشأنه دائماً. في العاصمة الرياض التي تتميز بفصل كامل بين الرجال والنساء، تصف الكاتبة التطور الذي تعرفه الفتيات السعوديات في فضاءات حضرية أربعة: الجامعات ومراكز العمل والفضاءات الدينية والمجمعات الضخمة الاستهلاكية.

انطلق هذا العمل من ملاحظة تجريبية لفئة عمرية محدّدة، فتحت بشكل إيجابي الباب على تساؤل يخضع للتنزيل السياقي للتغييرين السياسي والاجتماعي القائمين. وقد بيّنت الباحثة كيف تبنت الفتيات السعوديات هذا الخطاب لحسابهنّ الخاص ووسّعن، عبر تصرفاتهنّ حقل الممكنات. لقد سلطت الباحثة الضوء على تناقضات عملية في مدينة محافظة مثل الراض، وبذلك تتقاطع المقاربة مع علم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع الحضري وعلم اجتماع النوع. تبحث أميلي لورونار بذلك عن فهم ما تقمعه السياسات العامة في الخصوصية بين الرجال والنساء، وتعبّر هذه الأخيرة عن علاقات سلطة، ولكن أيضاً ما تنتجه من حيث الفضاءات والتجمّعات والهويات. إن تحليلها لولوج الفتيات السعوديات إلى الفضاءات العامة يشكك في القراءة الثنائية القائمة على مصطلحات القمع والمقاومة. وتُظهر الفرضية بشكل واضح، كيف تتحت السلوكيات الانتهاكية المتنبّاة من الفتيات السعوديات والمؤدية إلى إعادة التفاوض بشأن بعض الأنظمة، معايير أخرى بالضرورة تصبح هي نفسها معرّقة بعد ذلك. وذلك لأن سوق الأعراف في المملكة العربية السعودية هو أكثر ميوعة مما نعتقد، وخاضع للتفاوض اليومي أكثر بكثير مما نتخيل على حد تعبيرها.

1- أميلي لورونار: النساء والفضاءات العامة في المملكة العربية السعودية، ترجمة عبد الحق الزموري، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2013.

## 3- على المستوى الوطني

## 3-1- حجيج الجنيد: التحضر وتملك الفضاء حالة بمدينة وهران. 1

دراسة حول التعمير وتملك الفضاء بمدينة وهران، وهي عبارة عن أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، يتمحور هذا البحث حول دراسة ظاهرة التحضر والتحويلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي أحدثتها، إن الهدف هو إظهار أن ممارسات وتمثيلات الفضاء ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوضع الاجتماعي للأفراد، في علاقة ذلك برأس المال الثقافي ورأس المال الاقتصادي.

من الناحية المنهجية، تم اختيار تقنية التحقيق المستخدم لمراعاة الطبيعة النوعية لهذا البحث، والتي تفضل الملاحظة المباشرة والمقابلة. ومن أجل معرفة وفهم تخطيط الحيز الحضري وتخصيصه، كان من الجائز إظهار أهمية اللجوء إلى المجتمع، كان هذا التساؤل في الواقع نقطة الانطلاق المنهجية. حسب رأيه، حيث يرى أن تنظيم الفضاء هو ظاهرة اجتماعية لا يمكن استيعابها وفهمها إلا من خلال الإشارة الصريحة إلى الظواهر الاجتماعية الأخرى وبإظهار التفاعلات بين المجتمع وفضاءاته. وللقيام بذلك، كان من الضروري بالضرورة تسليط الضوء على العمليات المختلفة التي تتدخل أو سبق أن تدخلت لإنتاج هذه الفضاءات، ومراقبة وملاحظة تأثيرات التغذية الاسترجاعية لهذا الفضاء على المجتمع ككل.

جاءت الدراسة في ثلاث أجزاء، الجزء الأول مقسماً إلى ثلاثة فصول، الفصل الأول لدراسة التطور العمراني للمدينة من القرن العاشر إلى عشية الاستقلال، وفي الفصل الثاني، أوضح أن الزيادة السكانية في وهران، لا ترجع فقط إلى زيادة طبيعية، ولكن أيضاً لنزوح جماعي مستمر من الريف. ويناقش الفصل الثالث تأثير الهجرة على النمو الحضري.

الجزء الثاني بعنوان الفضاء والتطوع السياسي. يسلط الفصل الأول الضوء على عدم القدرة الهيكلية للدولة على في تسيير المدينة. واختصرت السياسة الحضرية في معالجة المشكلة الشائكة للإسكان. والفصل الثاني يتناول التخطيط الحضري، باعتباره وسيلة للرقابة الاجتماعية وأيضاً أداة للاختيار الاجتماعي.

الجزء الثالث بعنوان "الحصول على السكن والممارسات المكانية". يبحث الفصل الأول في مسألة الوصول إلى التراث العام المعروف باسم "ممتلكات الدولة". في الفصل الثاني فيتناول استراتيجيات الجهات الفاعلة في مواجهة الأزمة ونقص المساكن. أما فصل الثالث بعنوان الفضاء: الانتماءات والقضايا. من الاحتياجات إلى الممارسات. في الفصل الفرعي الأول، يتناول مسألة

1 - Hadjidj.El djounid., « Urbanification » et appropriation de l'espace, le cas de la ville d'Oran, thèse de doctorat d'État en sociologie, Université d'Oran, juin 2010.



التمايز الفضاءات الحضرية بمدينة وهران. وأخيرا في الفصل الفرعي الثاني، يتطرق للممارسات المعيشية من خلال اعتبار السكن الاجتماعي كبيئة معيشية.

يطرح الباحث حجيج الجنيد إشكالية العمران وتملك الفضاء من زاوية مشروع التنمية الذي طبقتة الدولة الجزائرية على المدينة. معرجا على تاريخ مدينة وهران منذ نشأتها، مدعما تحليلاته بالأرقام وبالنصوص القانونية التي كانت شاهدا على التنمية الحضرية، ليخلص الباحث إلى أن المدينة (وهران) تراوحت في المشروع التنموي بين فرضيتين: الأولى حول أولوية التنمية الريفية والثانية حول أولوية التنمية الحضرية. كان التخطيط العمراني حسب الباحث: "... وسيلة للهيمنة والمراقبة والتحكم والاختيار الاجتماعي، فقانون التوجيه العقاري بطابعه التمييزي والتبايني يتجاهل غالبية المواطنين ولا يخص سوى الجماعات الاجتماعية المهيمنة. فبدلا من أن تقضي الدولة على أزمة السكن، أسهمت من خلال سياساتها في استمرار الأزمة واستفحالها، حيث نجد ترجمة لهذا التباين في فضاء المدينة، عندما تتمايز مناطق سكن الأغنياء عن مناطق سكن الفقراء. وبالتالي أُخضع الترتيب الحضري إلى تباين اجتماعي كشكل محدد للعلاقات بين مختلف الطبقات الاجتماعية التي تستعمل الفضاء الحضري كما قام الباحث بتقديم نقدي لمشروع التنمية في الجزائر بخصوص العمران، حيث يرى أن الدولة قامت بعكس ما خططت له، فبدلا من أن تقوم بالقضاء على الآثار السلبية لإعادة الهيكلة الحضرية أسهمت مع البرجوازية الحضرية في خلق اختلالات في التوازن الاجتماعي. وبالنتيجة يقول الباحث: "لم يعد المسكن يؤدي وظيفته البيولوجية للحماية كما أنه لم يعد يؤدي وظيفته السوسولوجية كفضاء للتعبير، وهو بهذا يسهم في الانجراف البطيء لعوامل الاجتماع البشري ليتحول إلى مكان يحتضن ديناميات أكثر تعقيدا من النزوح الريفي، كتفكك الجماعات القروية وفشل السياسات الاقتصادية المنتجة للبطالة والإقصاء الاجتماعي"<sup>1</sup>.

في نهاية هذا البحث، قدم الباحث العديد من المقترحات من أجل بلورة مصطلحات التي تهدف للوصول إلى تعريف احتمالية متناغم محتمل بين المدينة والريف. حيث تمكن من خلال الأطروحتان السابقتان كمؤشر، من تتبع الخطوط العريضة للظاهرة الحضرية ورسم نوع الحلول التي تنطوي عليها. خاصة عندما يتبين لنا اليوم بشكل مأساوي أن المدينة غير قادرة على مواجهة التحديات الحديثة للمجتمع ومتطلبات المدينة بأكملها.

ويرى أن المدينة، هذا الجسد المشكل الحجر على حد قوله، هي مستقبل الإنسان. في كل الأحوال المدينة هي التي تنافس الريفية بقوة وتدمر توازناته. من هذا المنظور أنه من الواضح لا

1 Hadjidj.El djounid, op.cit., p403.

يمكن الهروب من المجتمع الحضري وأن المدينة الطفيلية في العالم الريفي قد أثبتت بالفعل هيمنتها. ويرى أن المدينة في الأخير ستسود وتفرض قواعدها.

نرى أن للباحث نظرة تشاؤمية حول الظاهرة الحضرية في الجزائر من خلال عينة مدينة وهران، الظاهرة الحضرية التي يتكلم عنها الباحث، هي ظاهرة عالمية، وان السيرورة التي يتحدث عنها نهاية طبيعية وتعيشها كل دول العالم وخاصة الدول النامية، غير أن الاختلاف يكمن في سرعة التحضر والعوامل المؤدية له، وتبقى عمليات الإسكان والتمايز الاجتماعي الذي تحدثه ربما قد تتغير الميكانيزمات المنتجة له فتتحول المعطيات وتتغير النتائج وتصبح المدينة مكانا أكثر رفاهية وأكثر أمانا وقل اكتظاظا لا احد يتوقع يمكنه الجزم بنهاية التحضر.

### 3-2- نسيمه إدريس: المدينة المتحركة (فضاء عمومي، مركزية، ذاكرة حضرية بالجزائر العاصمة).<sup>1</sup>

تناقش البعثة مسألة الفضاء العمومي وسيولوجيا الحياة اليومية لمدينة الجزائر المتحركة والتغيرات التي عرفت عبر مفاهيم الفضاء العام، المركزية، والذاكرة الجماعية. ويتعلق بالتحديد بطبيعة الروابط التي يحيكها السكان داخل الفضاءات العامة المركزية من خلال استعمالاتهم اليومية لها، وتتساءل الباحثة عن حقيقة العلاقة بين الأشكال المادية للمكان والمستعملين له، وأشكال التعايش داخل هذه الفضاءات. فرغم أن الدولة تبنت مخططات المجتمعات المتقدمة غير أن السكان يبحثون عن معالم لإثبات هوياتهم، هذا التناقض يتطلب مستويات متعددة في الجانب النظرية أو على مستوى اختيار أدوات العمل الميداني.

جاءت الدراسة في ثلاثة فصول، الفصل الأول خصص لتاريخ التحضر ونشأة الفضاءات العامة المركزية في الجزائر العاصمة بدءا بالمرحلة العثمانية المجسدة في القصبة والمدينة الكولونيالية ثم المدينة الجديدة وإشكالية اندماج بين الأنسجة الموروثة والحديثة، وماهي المكانة التي تشغلها القصبة في التنظيم المجالي للمدينة الحالية على المدى الرمزي للمكان في الذاكرة الجماعية. وترى انه بالرجوع للمدينة العربية التقليدية يمكن معرفة أسس التنظيم المجالي وموقع العاصمة في هذا السياق المجالي-الثقافي، من جهة أخرى إذا كانت خصوصية المركز في الأنسجة الاستعمارية تظهر في ترتيب المجال حسب التوزيع العرقي والاجتماعي للسكان والذي اخذ أشكال جديدة للتسيير بعد الاستقلال، هناك عدد من الاستقراءات المتمردة والجريئة في نفس الوقت والراضية في الحقيقة

1 -Nassima Dris، la ville mouvementée: Espace public، Centralité، mémoire urbaine à Alger، Éditions L'Harmattan، 2002.

بإعادة إنتاج منهجية لمخططات ومشاريع تعود للحقبة الاستعمارية، وفي هذه الاستمرارية الفوضوية يأتي مشروع الحامة. أما الفصل الثاني يبين لماذا الفضاءات العمومية المركزية غير مستقرة وغير متحكم فيها، ومحاولة تعريف الفضاء العام في تفصيلاته مع الفضاء الجماعي والمجتمعي المبني على خصائص اجتماعية-انثروبولوجية للمجتمع كاللغة والجماعة والتمدن والشرف ..، ودراسة وتحليل لظاهرة الطرابندو كنشاط للتعايش في المدينة. الفصل الثالث يسلط الضوء على أشكال الذاكرة ومعنى المقدس في المدينة، وترى الباحثة أن القصة تمثل المكان الوحيد للذاكرة المثالي الذي يمثل ماضي الجماعة (التحضر والمقاومة)، وهي تمثل في هذا الإطار الملاذ المتبقي للهوية ومركزية الذاكرة.

الإطار النظري لطرح الإشكالية تبنت الباحثة مقاربتين كمرجعيتين مختلفتين، الأولى لهنرى لوفيفر وثانية لارفينغ غوفمان<sup>1</sup>، وبالاستناد إلى أفكار اناطول كوب وريتشارد سينيت<sup>2</sup>. تتساءل الباحثة عن أصل الأشكال العمرانية والهندسية وطبيعة أشكال التعايش وعلاقة ذلك باستعمالات الفضاءات العمومية. أما المناهج المتبعة في الدراسة فكانت متعددة لمدينة تعرف تعقيدات اجتماعية ومجالية لا تخص الماضي فحسب وإنما الحاضر كذلك، فالحياة اليومية تكشف عن أبعاد حضرية مستترة. ويبقى الشارع كان أهم الميادين المفضلة في هذه الدراسة لملاحظة الممارسات اليومية ما يمثله من قيمة في الحياة اليومية للأفراد والجماعات.

ترى الباحثة أن مفهوم الفضاء العمومي مفهوم مبهم وغير كامل المعالم، وهو مرتبط بالتنظيم الاجتماعي والإطار المبني المحدد، وهناك تناقض صارخ في الفضاء الحضري لمدينة الجزائر بين ما هو عالمي يتجسد في التوق للحدث من جهة وما هو محلي عبر البحث عن الأصالة من جهة أخرى، فحقيقة المحلى والعالمى، وتتساءل ماهي أشكال التي تأخذها للقيم المرتبطة بالذاكرة الجماعية وقيم المجتمع الجديد؟ وهذا لا يعني التعارض بين الحديث التقليدي وإنما على فهم ذكريات الماضي من خلال المعيش اليومي الحالي. وأن أدوات التعمير باعتبارها تنظيم سياسي واقتصادي وتقني وبيروقراطي، تتكفل الدولة بمراقبته أثناء الأثناء الممارسة، هذه الإرادة السلطوية للتحديث تشكل في الحقيقة تهديد خطير لتوازن المجتمع وتكوين المواطنة. فالحدث العمرانية لا يكون لها

1- انظر أعمال كل من:

Henri Lefebvre, Le Droit à la ville: Éd. Anthropos, 2e éd., Paris, 1968

Erevig Goffman, Les Rites d'interaction, Traduit par Alain Kihm, Minuit, Paris, 1974

2- انظر في هذا الموضوع:

Anatole Kopp , Changer la vie changer la ville.Paris,10/18,1975.

Richard. Sennett, la conscience de l'œil, in l'espace du public, Actes de colloque, de l'Arc de Senan, Paris, recherche/ Plan Urbain, 1991.

معنى بدون تغيير في الحياة اليومية. وناقشت الباحثة مسالة المركزية في مدينة الجزائر، وتساءلت ما علاقة الوصول إلى المركز والتمهيش لبعض الجماعات الاجتماعية، وكيف يمكن قياس أن الاندماج في انساق القيم يأتي عن طريق إمكانية الوصول إلى المركز.

تري الباحثة أن التعمير هو فعل في الأساس سياسي، وأهمل الفعل الاقتصادي والفعل الثقافي والفعل البيئي، وهذه فرضية يشوبها الغموض، فالفعل السياسي لم يكن حاضرا في كل المدن، وان المدينة ظهرت قبل السياسة، وان كان في الوقت الحاضر تدخل الدولة الحديثة في انتاق المدينة يبدو واضحا ومتحكما فيه إلى درجة ما، غير أن العوامل الاقتصادية والثقافية والبيئية لها دور حاسم في تكوين المدينة وتطورها.

### 3-3- تحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية:

#### دراسة سوسيو - أنثروبولوجية لمدينة تقرت (وادي ريغ)

هي أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع تخصص: أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية عن جامعة محمد خيذر بسكرة، نوقشت سنة 2011، مقدمة من طرف خليفة عبد القادر، تضمنت هذه الدراسة بابين الأول نظري والثاني ميداني وسبعة فصول، إن المدروس ضمن هذا البحث هي تحول العادات الجماعية للتضامن لمجموعة اجتماعية والحركية الاجتماعية المرتبطة بالمجال أو البيئة الاجتماعية، المعتقدات الاتجاهات، الممارسات، الاستراتيجيات الاجتماعية أو بعبارة أخرى الواقع الاجتماعي والمستكشف من خلال الممارسات الاجتماعية والعائلية والمرتبطة بالمجال، المجال الإقلاмати والسكني والحضري. وكان سؤال الإشكالية هو: ما هو واقع التغيير الاجتماعي وعلاقته بالتطور العمراني في مدينة تقرت من خلال الممارسات اليومية والاستراتيجيات الاجتماعية والأسرية والتمثلات؟

خلصت الدراسة إلى أن العلاقة بين المجال والجماعة في المدينة الصحراوية بني على مقومات التناغم البيئي والتدرج العمراني من العام إلى الخاص، وهو انعكاس مباشر للتنظيم الاجتماعي، أساسه مجتمع واحاتي يعتمد على زراعة النخيل، ومجتمع بدوي النخيل يمتهن تربية الإبل وتجارة القوافل. وان التحول الاجتماعي القسري حدث خلال الفترة الاستعمارية وخاصة أثناء الثورة، وفي إطار الدولة الوطنية الحديثة شهدت المدن تحولات عميقة، أخرجت الجماعات من محليتها لتتخرط ضمن المجتمع الوطني العام، الذي تجسدها المدرسة والخدمة الوطنية والإدارة... الخ.

ويرى الباحث أن المدن والمجموعات الاجتماعية تدخل ضمن حركية عمرانية واجتماعية لم يتضح شكلها النهائي لكنها متسارعة وعميقة، فنحن أمام مدن في طور الإنشاء لمجتمعات في طور التحول نحو حضرية لاتزال غير مكتملة يبحث فيها الفرد والمجتمع عن هوية جديدة ضمن تعبئة الرصيد الثقافي التقليدي مع التأثيرات الحضرية الحديثة.

### 3-4-راضية غربي عبد الإله: "المدينة، الفاعلون الاجتماعيون والعلاقات مع الفضاء

الحضري" <sup>1</sup>

حاولت الباحثة أن تحلل العلاقات الموجودة بين السكان كفاعلين اجتماعيين مع فضاءات المدينة، من منطلق أن نتائج الممارسات الاجتماعية يتمظهر في أشكال التمدن والتنشئة الاجتماعية القائمة في الأحياء القديمة والجديدة لمدينة وهران، تلك التي يسعى من خلالها السكان، خاصة منهم الشباب، إلى الحق في المدينة باستخدام كفاءات وممارسات التواجد في الفضاءات الحضرية العمومية بأحيائهم السكنية، وهما حي الضاية وحي خميستي بوهران والتي يسعى من خلالها السكان، خاصة منهم الشباب، إلى الحق في المدينة باستخدام كفاءات وممارسات التواجد في الفضاءات الحضرية العمومية.

كما تشير الباحثة إلى ارتباط العلاقة بالحي لدى الشباب بمسارات أسرهم في الأحياء السابقة، رغم وجود بعض الاختلافات بين شباب الحيين. كما أن "اقتصاد النجاة" الممارس من طرفهم كاستراتيجية تعويضية عن غياب التكفل المؤسساتي، يجعل من هذه المعرفة مفتاحا لترسيم تواجدهم كأعضاء وكجماعات تنتمي إلى المدينة.

لتنهي الدراسة بالإشارة إلى أن الصراع بين المجتمع والدولة بخصوص المدينة يؤدي إلى تجنيد القدرة على التسيير الذاتي بأن يبتكر الفاعلون الاجتماعيون حياتهم يوميا، بشكل يخلق حركية تنبثق عنها نماذج لأنماط العيش تتحول من خلال تفاعلها، معايير الحياة الاجتماعية الفعلية.

### ثانيا: دراسات عن الرباط الاجتماعي

سوف نعرض هنا مجموع من الدراسات التي تعرضت لمفهوم الرباط الاجتماعي في الأوساط الحضرية على العالمي والمستوى الوطني، حيث يرى البعض وخاصة علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعي المحدثين، أمثال بوغام ومندل<sup>2</sup> إلى وجود أزمة في الروابط الاجتماعية، تشكّل عرضاً للتحول الاجتماعي، وتهزّ القيم الخاصة في كل مجتمع.

1 - Radia.Gharbi-Abdellilah, Ville, Acteurs sociaux et rapports à l'espace urbain, Thèse de doctorat en sociologie urbaine, Université d'Oran, Faculté des Sciences Sociales, 2102.

2- للاطلاع أكثر:

- Serge Paugam, Le lien social, op.cit., p. 128.

## 1- على المستوى العالمي

أ-دراسة بعنوان: الرباط الاجتماعي، ل: سيرج بوغام.<sup>1</sup>

تطرق سيرج بوغام إلى مفهوم الرباط الاجتماعي في كتابه: "الرباط الاجتماعي" الصادر في سنة 2008، فهو يرى أن الحياة في المجتمع تضع كل إنسان منذ ولادته في علاقة من الترابط والتضامن مع الآخرين، وأن الإنسان مرتبط بالآخرين وبالمجتمع في جميع مراحل تنشئته الاجتماعية، ليس فقط من أجل ضمان حمايته من تقلبات الحياة، ولكن أيضا لإشباع حاجته الحيوية التي بفعالها يتم فرض الاعتراف. وإن مفهوم الارتباط الاجتماعي اليوم لا ينفصل عن الوعي الذي تمتلكه المجتمعات عن نفسها ويمكن اعتبار استخدامه الحالي بمثابة تعبير عن التساؤل، الذي يجعل المجتمع يسير في تقدم. تبدو فيه الفردية حتمية

جاء الكتاب في خمسة فصول:

الفصل الأول، بعنوان "تساؤل علم الاجتماع" مستنفرًا لهذه الغاية أعمال كل من تونيز ودوركايم وسيميل وإلياس، الذين حللوا أغلبية العلاقات التي تربط الفرد بمحيطة الاجتماعي، ويرى انه كلما كانت الأوضاع التي يعيشها الفرد غير مواتية، ازدادت صعوبة نسجه علاقات اجتماعية مستقرة تضمن بدورها استقرار حياته.

يشارك الفصل الثاني المعنون "التضامن والرباط الاجتماعي" يرى أنه من الضروري الإصرار على عامل أساسي لتغيير الروابط الاجتماعية في المجتمعات الحديثة، ألا وهو إنشاء نظام للحماية الاجتماعية المعممة. وستساعد هذه الحركة على تعزيز أمن الجميع، وخاصة الأكثر حرمانًا والأكثر عرضة لتقلبات الحياة. وسيكون لنظام الحماية المعمم هذا آثار على جميع الروابط التي تربط الفرد بالمجتمع. نظرًا لأن الفرد يرى وجوده مؤطر بآليات حماية عالمية، فيمكنه أيضًا تحرير نفسه بسهولة أكبر من القيود والمطالب المرتبطة بأشكال الحماية التقليدية، مثل الأسرة والحي والمجتمع، إلخ.

الفصل الثالث جاء بعنوان من الرباط الاجتماعي إلى الروابط الاجتماعية. فالأفراد في مجتمعات التضامن الميكانيكية تم إدراجهم في دائرة ضيقة من التنشئة الاجتماعية، في حين أن المجتمعات الحديثة تتميز بتعدد الروابط التي تربط الأفراد بالعالم الاجتماعي. وقد أبرز عمل كل

-Barus Michel Jacqueline, and Giust-Desprairies Florence (sous la direction. Scène sociale : crise, mutation, émergence. ESKA, Paris, 1998. p. 181

-Gérard Mendel, "Peut-on répondre à 'la crise' sans modifier la structure des organisations ?" In: Barus - Michel and Giust - Desprairies, Desprairies Florence (sous la direction. Scène sociale : crise, mutation, émergence. ESKA, Paris, 1998, pp. 77- 89

1 - Serge Paugam, Le lien social, op.cit., p. 135

من جورج زيمل ولياس نوربرت إلياس حول التعددية في الانتماء، وتحليل الرباط الاجتماعي للمجتمعات الحديثة.

الفصل الرابع، جاء بعنوان "الهشاشة والتمزق"، يحشد المؤلف عمل علماء الاجتماع المعاصرين الذين يخللون المخاطر والنتائج الفردية لتمزق الروابط الاجتماعية، انطلاقاً من مصدري الرباط الاجتماعي، وهما الحماية والاعتراف، اقترح الكاتب التمييز بين أربعة أنواع رئيسية من الروابط الاجتماعية: رابطة البنوة أو الانتساب ويتجسد ذلك في العلاقات الأسرية، ورابطة المشاركة المنتقاة أو الاختيارية ويتمثل في علاقات الصداقة، ورابطة المشاركة العضوية وهذا النوع من الروابط نجده داخل العمل، ورابطة المواطنة وهو يرتبط مباشرة بالنظام المعياري للمجتمع

الفصل الخامس والأخير يتحدث عن "التحديات الجديدة" التي تطرحها عودة انعدام الأمن الاجتماعي. ومسألة التماسك الاجتماعي. ويرى أن المدرسة تلعب دوراً مهماً في تكريس عدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية. ويتساءل الكاتب "هل من الطبيعي أن يحكم الأطفال من الدوائر المحرومة بالفشل في النظام المدرسي دون الحصول على فرصة للحصول على الأساسيات اللازمة للتكامل الاجتماعي الخاص بهم؟ للإجابة على ذلك، يوصي الكاتب بعدم معارضة السياسات العالمية. يقترح تصحيح المبادئ الشاملة مؤقتاً من خلال التدابير الفئوية.

يعتبر ما توصل إليه الباحث عبارة عن نتائج مستخلصة ومستتبطة بعمق من كتابات ممن سبقوه من علماء الاجتماع وخاصة الأوائل، في فهم أثر تفكك الروابط الاجتماعية والتماسك الاجتماعي من خلال دراسة الأسباب المؤدية لذلك كالفقر والانحراف، وكيف يجب العمل على المعايير والقيم التي تساهم في التماسك الاجتماعي، فكل خلل في سيرورة الاندماج داخل المجتمع، سيؤدي حتماً إلى ظهور خلل في بناء الجسد الاجتماعي.

#### ب- دراسة بعنوان: الرباط الاجتماعي، ل: بيار بوفوي<sup>1</sup>

إن وجود الروابط الاجتماعية في الفضاء العام يعكس بلا شك استياء يتطلب التحليل. وللإجابة عن السؤال الذي يطرح نفسه بشدة، يذكر بيار بوفوي تنبؤات القائمة الذي يشهد عليها عمل جورج لوكاس وخصوصاً تاريخ ووعي الطبقة بداية القرن العشرين.

1 - Pierre Bouvier, op.cit., 401 p.

## ج-دراسة ميدانية بعنوان: تحول الرباط الاجتماعي في الوسط الحضري:

فحص لممارسات التنشئة والعلاقة في الحي عند الشباب الكبار المقيمين فرادى في الأحياء المركزية لموريال.<sup>1</sup>

تتامي ظاهرة العيش في وحدة في مدينة موريال لدى فئة الشباب (25 إلى 35 سنة) دفعت الباحثة لدراسة إلى دراسة علاقة التنشئة الاجتماعية داخل الفضاء الجوّاري لدى فئة الشباب، من خلال فحص المسارات السكنية والمسارات الشخصية للأفراد والانتشار المجالي للشبكات الاجتماعية، والعلاقة المحافظ عليها داخل الحي.

هدف الدراسة هو معرفة إلى أي مدى، هؤلاء الشباب الذين يسكنون فرادى، يحافظون على علاقة التعايش مع حيهم، مما يسمح بمعرفة التحولات التي تحدث على العلاقات الاجتماعية في الوسط الحضري للمجتمعات الحديثة المتقدمة أين تظهر الفردية كطريقة حياة ومعايشة، وهي تتفحص كذلك مختلف العلاقات المحتفظ بها داخل الحي، انطلاقاً من ثلاث محاور للتحليل، وهم تتبع المسارات، العلاقات داخل الحي والشبكات الاجتماعية، من خلال تحديد أنماط التعايش الممارسة داخل الحي.

الدراسة من قسمين، الأول خصص لدراسة تحولات الرباط الاجتماعي في الوسط الحضري وعرض الإطار المفاهيمي للتعايش، الشبكات الاجتماعية والحي، وإعطاء نظرة عن نزعة العيش الفردي طرح الإشكالية والفرضيات. والقسم الثاني يحدد مجال الدراسة والمناهج الميدانية والنتائج والتفسيرات.

تُظهر نتائج الدراسة أن حقيقة العيش في منطقة مركزية مرموقة يخفف من الشعور بالعزلة. وأن المناطق النائية عموماً تتمتع ببيئة مبنية وديناميكية اجتماعية مكانية حيث يكون استخدام السيارة ضرورة وحيث توجد نسب أصغر من الأشخاص الذين يعيشون بمفردهم. وإن سكان هذه المناطق البعيدة عن المركز ذو هيكل عمري أكبر وأوضاع اجتماعية واقتصادية أكثر خطورة، وتوصل إلى أن البعد الجغرافي للعيش الفردي يلعب دوراً رائداً في بناء أنماط الحياة والعلاقة بالفضاء، وإن هذه السياقات التي يعيش فيها الأشخاص بمفردهم، تثير أيضاً أسئلة حول مسألة التواصل الاجتماعي

1 - Mireille Vézina, Transformation du lien social en milieu urbain : un examen des pratiques de sociabilité et du rapport au quartier chez les jeunes adultes qui habitent seuls dans les quartiers centraux Montréalais, mémoire présenté comme exigence partielle de la maîtrise en études urbaines. Institut National de la Recherche Scientifique – Centre urbanisation culture société. Montréal.2007



والعزلة، وتتميز هذه المناطق بخصائص مختلفة جداً عن تلك الموجودة في الأحياء المركزية المحسنة أو تلك التي هي في طور التحسين.

رغم أن البيئة الاجتماعية والفيزيائية التي أقيمت بها الدراسة تختلف اختلافاً جذرياً عن البيئة التي هي موضوع دراستنا وان ما توصل إليه البحث قد لا ينطبق على حال مدننا المحلية، وخاصة مدينة الأغواط، غير أن هذه الدراسة تفتح لنا مجال المقارنة مع البيئات المختلفة وذلك من أجل التوصل إلى بعض التعميمات ولو جزئياً.

## 2- على المستوى القاري

أ- دراسة ميدانية بعنوان: أنماط التكيف الاجتماعي لدى شرائح اجتماعيه متباينة في المدن الجديدة دارسه ميدانيه بمدينة (العاشر من رمضان):

هي عبارة عن رسالة دكتوراه غير منشورة، من إنجاز هدى عبد المؤمن السيد، سنة 2000، حيث ينصب اهتمام هذه الدراسة على موضوع المدن الجديدة والتكيف الاجتماعي داخل المجتمعات الجديدة، فالانتقال إلى المجتمع الجديد تثير الكثير من مشاكل الاستقرار، بعدما اصبح نجاح هذه المجتمعات الجديدة، وتحقيقها لأهدافها الذي وضعت من أجلها يتوقف إلى حد كبير على العنصر البشري، فمقدرة المهاجرين للإقامة بالمدن الجديدة واستعداداتهم للتكيف مع ظروف المجتمع الجديد تلقى ضوء هاماً على وظيفة التكيف الاجتماعي، والتي تتضح بشكل خاص عندما ينتقل الإنسان من بيئته التي ولد ونشأ بها إلى بيئة أخرى تختلف في أنماطها الثقافية وبنائها الاجتماعي، وبقدر تكيف الأفراد المهاجرين إلى المجتمع الجديد، بقدر ما يساعد على تنمية المجتمع وقدرته على تحقيق الأهداف التي أنشئ من أجلها ولذلك أهتمت الباحثة بدراسة أنماط التكيف الاجتماعي لدى شرائح اجتماعية متباينة في المدن الجديدة واختارت مدينة العاشر من رمضان لإجراء الدراسة الميدانية بها. وسعت الدراسة إلى الكشف عن ملامح وأشكال التكيف الاجتماعي، وعن العوامل المعوقة والمساعدة على إحداث التكيف لدى الشرائح المقيمة في المدينة الجديدة (مدينة العاشر من رمضان)، والتعرف على العلاقة بين المستوى الاجتماعي والاقتصادي، لتلك الشرائح ومدى تكيفهم الاجتماعي، والمشكلات الناتجة عن عدم تكيف تلك الشرائح الاجتماعية المقيمة في المدن الجديدة أما عن تساؤلات الدراسة فتمحورت حول مظاهر التكيف المادي والاقتصادي والاجتماعي، والعوامل المساعدة والمعوقة لتكيف للشرائح المقيمة في مدينة العاشر من رمضان، والمشكلات الناتجة عن عدم التكيف، وما هي الحلول والاقترحات لحل تلك المشاكل من وجهة نظر الشرائح المقيمة في العاشر.

الإجراءات المنهجية للدراسة: قد استخدمت الباحثة في دراستها المنهج الوصفي، حيث أن هذه الدراسة تهتم بوصف مظاهر التكيف الاجتماعي في المدن الجديدة والأسلوب الإحصائي والأسلوب المقارن واستخدمت الباحثة في جميع البيانات استمارة الاستبيان حيث طبقت على عينة قوامها 150مبحوثاً مقسمة إلى ثلاث شرائح، شريحة الموظفين 50 مبحوثاً وشريحة لعمال 50 مبحوثاً وشريحة المديرين وأصحاب الأعمال 50 مبحوث، وكذلك استخدمت الباحثة المقابلات المتعمقة للحالات التي قامت بدراستها وكانت 15 حالة شملت الثلاث شرائح بواقع 5 حالات لكل شريحة. أما عن نتائج الدراسة: فقد توصلت الباحثة إلى عدة نتائج منها:

أن من مظاهر التكيف المادي للشرائح الاجتماعية المقيمة في مدينة العاشر من رمضان هو أن الظروف السكنية المناسبة للسكن لدى الشرائح الاجتماعية المقيمة في مدينة العاشر من رمضان يتناسب مع مستوى كل شريحة، فشريحة العمال هي التي تعاني من ظروف سكنية غير مناسبة أكثر من الشرائح الاجتماعية الأخرى من الموظفين والمديرين وأصحاب الأعمال الذين يسكنون في فيلا أو مسكن مناسب للمستوى الاقتصادي والاجتماعي لهم وبالتالي نجد أن نسبة عدم الرضا عن السكن لدى شريحة العمال 26 % بينما في شريحة الموظفين 10 % وفي شريحة المديرين لا توجد.

إن الرضا عن العمل وبالتالي الرضا عن الدخل يؤثر على التكيف الاقتصادي للشرائح المقيمة في المجتمعات الجديدة فقد وجدت الباحثة أن معدل الرضا عن الدخل والعمل نسبة مرتفعة لدى المديرين وأصحاب الأعمال عنها في شريحة العمال والموظفين وكان ذلك مؤشراً لمدى تكيفهم الاقتصادي في المدينة الجديدة.

أما عدا مظاهر التكيف الاجتماعي فقد ظهرت علاقات الجيرة لدى الشرائح الاجتماعية ولكنها اختلفت من شريحة إلى أخرى واقتصرت على عدد من الجيران، وكذلك علاقات الصداقة فنجدها في شريحة الموظفين والعمال عندهم صداقة في العمل فقط أما شريحة المديرين وأصحاب الأعمال فكانت هناك علاقات صداقة قوية خارج نطاق العمل.

هناك مشكلات سكنية وصحية وتعليمية وترفيهية وأمنية تقابلها الشرائح الاجتماعية المقيمة في مدينة العاشر من رمضان وكانت من العوامل المعوقة لتكيف تلك الشرائح.

أما عن العوامل المساعدة على تكيف الشرائح الاجتماعية في مدينة العاشر من رمضان فكانت منها: السن - التعليم - ومدة الإقامة - الرضا عن العمل وتوفير الخدمات في المدينة.

أغفلت الباحثة في دراستها شريحة عريضة من مجتمع المدينة المدروسة وتتمثل في مجتمع البطالين والأطفال والنساء حيث اقتصرت الدراسة الميدانية على الشريحة النشطة الممثلة في العمال والموظفين وأصحاب الأعمال، وهذا ما يجعل الدراسة غير مكتملة ولا يمكن تعميمها على كل شرائح المجتمع حسب ما جاء في عنوان الدراسة.

### 3- على المستوى الوطني

#### أ- مصطفى بوتفوشنت: العائلة والروابط الاجتماعية في الجزائر التطور والخصائص الحديثة.<sup>1</sup>

تتمحور الدراسة حول "العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة" 1984 وهو موضوع دكتوراه درجة ثالثة في علم اجتماع التنمية في جامعة بوردو تقدم به تحت عنوان "تطور البنيات العائلية- الاقتصادية من الجزائر التقليدية إلى الجزائر المعاصرة." فلقد اهتمت هذه الدراسة بالجانب البنائي للعائلة الجزائرية، مركزا فيها على شكل العلاقات العائلية في الجزائر، من خلال الإجابة عن الإشكالية التالية: "ما نوع التطور في الجزائر الذي خاض ثورة اشتراكية، ماهي العائلة الجزائرية في بلد تحدث فيه تحولات بسرعة في مراحل للسير نحو التقدم؟"

فكل أثر ديناميكي يظهر في المجتمع الكبير، على المستوى الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي الثقافي وغيره، يؤدي إلى رد فعل معمم تقريبا، في داخل المجتمع المصغر، الذي تمثله العائلة، ورد الفعل المعاكس، يمكن أن يتحقق. فكل تحول هام داخل العائلة (باعتبارها فضاء خاص للعلاقات)، لا يمكن إلا أن يؤثر في بنية مجمل المجتمع (باعتباره فضاء عام تتطور من خلاله العلاقات الاجتماعية). لأن العلاقات في المجتمع ككل، أي الفضاء العام، وبين العائلة أي الفضاء الخاص التي هي مجتمع مصغر، جد مرتبطة وجد معقدة، حتى يُصبح من المستحيل الرجوع إلى المجتمع والحديث عنه دون فهم العائلة، لهذا درس الأسرة، من أجل تحليل نسق القرابة.

كما ركز في هذه الدراسة، على أهم التطورات والخصائص الحديثة، التي مرت بها الأسرة الجزائرية. والتحولات التي طرأت، على البناء العائلي والاقتصادي، من الجزائر التقليدية إلى الجزائر المعاصرة، حيث بين أن هذه التحولات، تظهر أثارها في بنية العائلة، التي تعد القاعدة الأساسية والتي من خلالها يتم فهم المجتمع. حيث يقول "يُصبح من المستحيل الرجوع، إلى المجتمع والحديث عنه دون فهم العائلة."<sup>2</sup>

1- للاطلاع أكثر أنظر:

مصطفى بوتفوشنت، ترجمة: أحمد دمري: العائلة الجزائرية (التطور والخصائص الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1984. أو:

BOUTEFNOUCHET Mustafa, la société algérienne en transition, Edition OPU, Alger, 2004.

2 -Mostapha, BOUTEFNOUCHET, La société Algérienne en transition, OPU, Alger, 2004, p19.

اهتمت هذه الدراسة في جزء كبير من منتهت بالعلاقات وروابط القرابة، وكان من حسب نتائج البحث، اكتشاف ظهور علاقات قرابة جديدة في العائلة النووية أضيق مما كانت عليه ف العائلة ذات البنى التقليدية. فالعائلة أساس البناء القرابي في المجتمع، أصبحت تتجه اتجاها فرديا، قائم على الاختيار الحر، وذلك حسب الخصائص والميول الذاتية المتعلقة بكل عائلة على حدا، كاتجاه هذه الأخيرة إلى إقامة علاقات ذات طابع خاص ولأهداف معينة، أخذت تكون علاقات تفاعل خارج محيطها العائلي.

وفي الأخير توصل الباحث إلى أن الروابط الاجتماعية الجزائرية التقليدية، توجد بقوة في المؤسسات الصناعية والمصانع، والإدارات، -التي نرى أنها فضاءات عمومية- فهي تخترق المجالات الرسمية أكثر، فالعشائرية مستمرة في الحياة المعاصرة بما تمثله من تقسيم للعمل و ظهور مؤسسات حديثة وانتقال المجتمع من مجتمع ريفي بحت إلى مجتمع حضري صناعي، لتصبح لها ثقافة كبيرة جدا، مما زاد من شبكة الاتصال والتضامن الغير رسمي. وهنا يرى بونفونشت أن الإطارات الجزائرية، لما تذهب للعمل في الخارج، تحقق نجاحا لأنها في فضاء مفتوح يستعمل العقلانية والمصلحة فوق كل اعتبار.

توصل الباحث إلى جملة من النتائج أهمها: أن فضاء العلاقات داخل العائلة تقلص من العائلة المركبة إلى فضاء اقل خصوصية يتمثل في العائلة النووية، وتحول العائلة المركبة إلى العائلة البسيطة يتم ببطء شديد على، حد تعبيره، رغم السرعة في تحول بعض البنيات الاجتماعية والاقتصادية والتربوية، حيث يتحكم العامل الاقتصادي باعتباره فضاء في وشكل الرباط الاجتماعي وبنية العائلة، وبمجرد ما يتجسد الاستقلال الاقتصادي لدى أحد أفراد العائلة الكبيرة يحدث تغير جذري في الوضعية العائلية، فيكون تحررها مؤكدا. فتطور البنية الاجتماعية الجزائرية لها علاقة بنظام القيم، لأن البنية الاجتماعية عرفت ولازالت تعرف أو تكتسب بعض الخصائص الجديدة، وذلك عن طريق الاستعمار الثقافي بالاتصال مع الغرب من جهة، ومع القيم والتقنيات العالمية من جهة أخرى.

وبالنسبة لنا نرى أن العائلة هي فضاء خاص واسع نوعا حدث تضيق في مجال تدخلاته، فهو فضاء للتنشئة الاجتماعية والمحافظة على تماسك المجتمع، وتدور في فلكه كل العلاقات الاجتماعية وخاصة القرابية منها، هذا الفضاء تقلص من خلال التحولات الاقتصادية التي قلصت من مجال تدخلاته وقلصت من حجم بنيته فتحوّلت الأسرة من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية.

## ب-الهوري عدي: تحولات المجتمع الجزائري، الأسرة والرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة<sup>1</sup>.

يرى الباحث أن الرباط الاجتماعي في الجزائر الحديثة عرف تحولات كبيرة، وخاصة في مرحلة ما بعد الاستقلال، حيث ظهر هذا التغير بوضوح على الأسرة الجزائرية، وشمل كل الروابط الاجتماعية المختلفة، وكان للهجرة الريفية نحو المدن والتحضر المتسارع الدور الكبير، مما أدى حسب رأيه، إلى حدوث ما سماه، بأزمة الرباط الاجتماعي في الجزائر وذلك بتحول طبيعة الروابط الاجتماعية، بعدما كانت دموية قوية، إلى روابط مصلحة حديثة، مما سبب في ظهور الأسرة النووية، أو كما يسميها "بالأسرة الزوجية" في المدينة، قاصدا بالزوجية أن الرباط بينهم رباط الزواج، وليسوا أقارب، كما كان الزواج بين الأقارب في السابق، فهو يرى أن المجتمع الجزائري، كان مجتمعا يقوم على العائلة الكبيرة أو العائلة الممتدة، التي تسيطر فيها سلطة الأب. والزواج في الغالب بين الأقارب. ثم بتغير المجتمع وظهور أزمات فيه، كأزمة السكن مثلا والتي يعتبرها من الأسباب الرئيسية، في تغير نمط الأسرة، التي ترتب عنها انفصال الأسرة النووية عن الأسرة الكبيرة، فأدى ذلك إلى قتل في الروابط، وضعف رابطة القرابة. لأنه يشير إلى أن زواج الأقارب، بدأ يزول في المجتمع الجزائري، وخلفه الزواج الخارجي، مما زاد في تغير رابطة القرابة.

ويتوصل الباحث إلى أن المجتمع الجزائري عامة، يمر بأزمة الروابط الاجتماعية، التي تتمثل في أزمة المرور، من الروابط الدموية إلى الروابط الحديثة، وكذلك أزمة الروابط الداخلية، التي تعيشها الأسرة الجزائرية، بسبب أزمة السكن. ففي نظره هذه الأزمات، ساهمت بشكل كبير في ضعف الروابط الاجتماعية في الجزائر. أما ما يقوي ويثبت الروابط الاجتماعية في نظره هو: الثقافة، الاقتصاد، السياسة، كما أن الحداثة في هذه المجالات، تعطي الاستقلالية والتنوع، ويقصد هنا بالحداثة، هو تحويل الروابط الاجتماعية من الدموية أي القرابية إلى المواطنة، دون أن يلغي الثقافة التي يقصد بها، التنشئة الاجتماعية الأسرية وغيرها، من روح الثقافة الوطنية، كما أنها لا تتشعب بثقافات أخرى دخيلة وإنما تعطي الحرية للسياسة والاقتصاد في التطور. بمعنى أن الروابط الاجتماعية، لا تزول إذا تمسك الأفراد بثقافتهم الأولية، بينما يغيرون ويطورون السياسة والاقتصاد. والمشكل المطروح هنا هو أن المجتمع الجزائري المعاصر، تبدأ أزمته في الروابط، من خلال الصعوبات التي تواجهها هذه الروابط الاجتماعية، في الخروج من الروابط الدموية، التي حُبست في الروابط البيولوجية، بسبب فشل الدولة في حل بعض الأزمات كأزمة السكن.

1- للاطلاع أكثر انظر:

Lahouari Addi, Les mutations de la société algérienne. Famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, La Découverte .1999.

ويخلص إلى أن الروابط الدموية بدورها تعيش أزمة، لأنها في حالة بحث عن دعم أكثر، لوسع غاياتها الفردية، وهذا ما يجعل الأفراد، يحاولون نسج شبكة من العلاقات خارج رابطتهم القرابية ذلك تعويضا لفشل الدولة، وتعبيرا عن أزمة في الروابط الاجتماعية الجزائرية.

ونرى أن ظاهرة التحضر المتسارع التي تعرفها الجزائر، بالإضافة إلى تأثيرات العولمة، كانت وراء كل الاختلالات التي عرفها البناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري، والتي مست كل الجوانب الاقتصادية والثقافية والبيئية والعمرانية، وان ما يسميه البحث بأزمة الرباط الاجتماعي هو ظاهر وحقيقة اجتماعية عالمية يتعرض لها أي مجتمع كان، وهذا ما يجمع عليه معظم علماء الاجتماع الأوائل والمحدثين.

### ج-رشيد حمدوش: مسألة الرباط الاجتماعي، في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة؟<sup>1</sup>

قام بدراسة من خلال تصورات الشباب الجزائري، مستعملا متغير التقاليد والحدثة، معتمدا على المنهج الكيفي بمقابلاته لفئة مهمة من المجتمع الجزائري المعاصر، كما يوضح ذلك. معتبرا هذه الفئة الأكثر ملائمة لقراءة التحولات التي يتعرض لها المجتمع الجزائري، وخاصة فئة الشباب. يرى أن هناك ثلاث أنماط من العلاقات الاجتماعية يقابلها ثلاث أنماط من الأسر وهي:

1-الروابط الاجتماعية" المحلية أو التقليدية": نجدها عند فئة من الشباب يصعب عليها الانفصال عن مجموعتها الأولية الأصلية، الأسرة، القرية، الحي ...، يسود هنا نمط من العلاقات مرتبط بالعبادات و"التقاليد"، والعلاقات الاجتماعية تركز أكثر على التضامن، والتبادل الأسري، والرباط الاجتماعي موجود بشكل واضح وقوي. فهناك نمط من العلاقات ومن الشباب، يقابله نمط من الأسر، يسميها الباحث "بالنمط المغلق" أو "النمط المحلي التقليدي"، يكون نوع السلطة فيه عمودية، تكون الأسر محافظة وتتميز العائلة فيه بالتنظيم والصرامة.

2-روابط اجتماعية" مجتمعية/تعاقدية أو حديثة": موجودة عند فئة أخرى من الشباب (التعاقدية الحديث)، يتميز بالانفصال شبه الكلي من مجموعته الأولى ومن المجتمع الكلي المهيمن. وهذا النمط من العلاقات والشباب، يقابل نمط من الأسر، يسميه الباحث "بالنمط المفتوح"، أو النمط التعاقدية الحديث نمط يُشجع على التفاعل الكلي للشباب مع وسطه القريب والخارجي، ويشجع خاصة، على الانفصال شبه الكلي عن مجموعته الأولية.

3-النمط الثالث من الروابط الاجتماعية، وهو النمط الغالب والأكثر انتشارا، هو ذلك "النمط البيئي الوسيط" من العلاقات الاجتماعية، وهي تلك العلاقات التي تتميز باللا استقرار، التغير والتنوع، ففي

1- رشيد حمدوش، مسألة الرباط الاجتماعي، في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة؟، دار هوما، الجزائر، 2009.

هذا النموذج، نجد أن فئة الشباب، التي تم تصنيفها ضمن هذا النمط من العلاقات، تسعى للانفصال عن مجموعته الأولى سواء كانت الأسرة، الحي، القرية...، في حين يحاول الاتصال بالمجتمع الضاغط.

يرى الباحث أن الانتقال والتفاعل يتم بين ما هو محلي وما هو تعاقد في المجتمع الحضري. ومن هنا نجد أن الشباب وفق هذا النمط يجد نفسه تخطي الفضاء المحلي التقليدي لمجموعته لكي يبلغ الفضاء الفردي الشيء الذي يوحي بأن كل عملية اتصال أو إقامة علاقات اجتماعية مع الغير أو العالم الخارجي، يمر حتما عبر المجال والفضاء المحلي، وتصبح عملية التواصل والرباط الاجتماعي، حبيسة عملية توازن بين الفضائين والكونين: الفردي والجماعي، المحلي والتعاقد " ويخلص الباحث إلى أن الفرد يعيش تغير اجتماعي دائم ومستمر، ينتقل فيه من المحلي إلى العام من خلال التنشئة الاجتماعية والتأثر بالمجتمع وبالحيوة الحضرية، هذه العملية يسميها الباحث بالاستعدادات والعادات المكتسبة المشوشة.

تقتقد الدراسة هنا إلى طابع العمومية فهي دراسة تخص فئة معينة من المجتمع تتمثل في شريحة الشباب دون غيرها، فمسألة الرباط الاجتماعي هي مسألة عامة تخص كل المجتمع بكل أطيافه وشرائحه ومكوناته. ويبدو أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والأمنية التي مرت بها الجزائر بالإضافة أثار العولمة والهجرة نحو أوروبا لدليل على أن هناك عوامل خارجية كثيرة ومتعددة تدخل في دراسة الرباط الاجتماعي.

ثالثا: دراسات عن الإسكان

1- على المستوى العالمي

1-1. دراسة سيباستيان واست: التحويل إلى ميتروبول، السكن الهش والترحيل القسري، بين

ظواهر الإقصاء وتكتيكات السكان للاندماج، حالة نيهيو لوك ثي نغي بمدينة هوشي منه،

فيتنام 1

وهي عبارة عن دراسة متعددة الجوانب: اجتماعية واقتصادية وجغرافية وسياسية، تهدف إلى معرفة الرهانات الاجتماعية والاقتصادية والمجالية لسياسة إعادة الإسكان القسري للفئات الشعبية في البلدان النامية، ومن خلال ذلك البحث عن إيجاد طريقة تحليل معمقة لديناميكية التطور الحضري التي تشهدها المدن الكبرى (Métropole) بدول الجنوب، وعلى الخصوص مناطق الإسكان أو

1 -Sébastien Wust, Métropolisation, habitat précaire et relogement forcé : entre phénomènes d'exclusion et tactiques populaires d'intégration le cas du canal Nhieu Loc-Thi Nghe à Ho Chi Minh-Ville, Vietnam. Thèse de doctorat n°2330, Lausanne, EPFL.

الهش (Quartiers Précaires) ، أين نجد السلطات العمومية تلجا في اغلب الأحيان إلى طريقة إعادة الإسكان باستعمال القوة لهذه الفئات الاجتماعية من أجل إنجاز وتطوير برامج التهيئة الحضرية، وهي طرق تشبه إلى حد بعيد الطرق و الاستراتيجيات المتبعة في الجزائر العاصمة والمدن الكبرى.

الإطار النظري للدراسة يتبنى ثلاث مجالات معرفية مختلفة، الأول يستحضر المعارف المتعلقة المناطق الميتروبولية للدول النامية فيما يتعلق عملية بالعولمة والتبادل الدولي، هذه العملية التي تتضمن ظواهر الإقصاء واتجاه ثنائي في الفضاءات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتجزئة الفضاء الميتربوليتاني. الحقل النظري الثاني يتأسس حول التساؤلات المتعلقة بالسكن الهش في مدن دول الجنوب الكبرى، وإبراز كيف أن السكان المحرومين المقيمين بالأحياء المهمشة يطورون استراتيجيات للاندماج الحضري ومقاومة قوة الإقصاء التي تفرضها المدن الميتربوليتانية، والتخفيف من ثقل عدم الاستقرار. وفي الأخير الاختصاص الثالث يعود إلى إشكالية الإسكان القسري، بالربط مع سؤال تقييم السياسات العمومية، هذه الإشكالية تسعى لتحليل مجموع القيم والمعايير والممارسات التشريعية. بخصوص إعادة الإسكان القسري للسكان مناطق السكن الهش، تتعلق أيضا بفهم الآثار المترتبة عن هذا النمط من البرامج الحضرية ومعرفة باي طريقة يمكن للهشاشة أن تعزز شروط الحياة والوضعية السكنية للسكان المرحلين وتدفعهم للجوء إلى آليات دفاعية من أجل ضمان الاندماج في الوسط الحضري.

ركز الباحث تحليله، حول مدينة (Ho Chi Minh)، بصفة خاصة عن عملية إعادة الإسكان القسري لسكان مناطق السكن الهش، الجزء الميداني لهذه الدراسة قام الباحث بقياس وتحليل مدى تأثير هذه سياسة الحضرية على ظروف الحياة، وسلوك السكان المرحلين، ويتعلق الأمر بمعرفة إلى أي مدى هذه الآثار تعمق من عمليات الإقصاء السكان المهمشين. والحد من قدرتهم على الاندماج وتجربهم إلى الانتقال إلى مناطق سكنية هشة جديدة. هذه الفضاءات السكنية تمثل الوسط الذي يعلق عليه السكان الآمال في الحصول على مسكن.

وقد ركز الباحث في دراسته المتعلقة بالجانب الميداني على تحليل وقياس الأخطار التي تفرزها هذه السياسة الحضرية وانعكاساتها على شروط الحياة وتصرفات هذه الفئات الهامشية، حيث كانت الدراسة ترمي إلى معرفة وفهم إلى أي مدى يمكن أن تؤثر هذه الإجراءات في الحد من زيادة تفاقم مشكلة التهميش، والبحث عن الآليات المساعدة على الاندماج في الوسط الحضري بالنسبة



لهذه الفئات الاجتماعية. والحد من الاستراتيجيات التي يتبعها السكان في إعادة إنتاج هذه المناطق المتخلفة.

ونظرا للتعقيد موضوع الدراسة يقترح الباحث مقاربات من اختصاصات متعددة، والرجوع إلى مجالات مختلفة من العلوم الإنسانية (علم الاجتماع، الاقتصاد، الجغرافيا، العلوم السياسية) وكذلك الهندسة المعمارية والتعمير، من جهة أخرى اعتمد المناهج الكمية والكيفية، وركز على التحليل المتعدد الأبعاد لظروف الحياة المشتركة بين سكان مناطق السكن الهش بالمدينة، واكتشف أن طرق إعادة الإسكان القسري المنتهجة من طرف سلطات المدينة تمييزية ولها آثار سلبية على السكان على المستوى السكني والاجتماعي والاقتصادي.

ويكتشف الباحث أن السكان يطردون من البرنامج السكني بسبب معايير الأهلية الاختياري أو التعويض الغير كافي، جزء من العائلات المعاد إسكانها من طرف الدولة في عمارات جماعية حديثة ونظيفة يتعرضون لآثار الإقصاء، على مستوى السكن الجديد يتميز بتخفيض في وظائفه السكنية بسبب قيود السكن العمودي، فالحركة العمودية تمثل عائق حقيقي اقتصادي واجتماعي، بخصوص التنظيم الاجتماعي، إعادة الإسكان القسري يسبب عملية تحول الأسرة الكبيرة إلى أسرة نووية، ويقلب نظام التنشئة ويعزز نمط الحياة الفردانية. ويفسر ذلك بالهدم الجزئي لشبكات التضامن وحماية العائلات، وأخير على مستوى الاقتصاد العائلي، يؤدي هذا النوع من الإسكان إلى رفع نفقات الكراء وتحطيم ظروف العمل وينتهي بالبعض منهم إلى عجز في المداخيل.

ويرى انه رغم تأثير الإغواء الذي يمارسه الشكل الحديث للسكن على معظم العائلات المرحلة، فهي دفع الغالبية منهم لتطوير تكتيكات جديدة للاندماج وللحد من آثار الإقصاء بسبب إعادة الإسكان القسري، وان تكتيكات الاندماج هذه غالبا ما تؤخذ بتحفظ وهي تسعى إلى إعادة إنتاج طرق المعيشة والسلوك المجالي الخاص بالفضاءات السكنية القديمة، وهي تترجم عن طريق الممارسات التي تحد من استعمال المجال والاندماج المهني وتحسين الدخل وإعادة تكييف الموارد العائلية.

ويتوصل الباحث إلى عدة نتائج أهمها:

- أن إرادة الاندماج المعلنة من العائلات المرحلة، رغم ذلك، تبقى غير كافية للتخفيف من آثار إعادة الإسكان القسري. وان جزء من العائلات المرحلة ترى في تغيير مكان الإقامة وإعادة بيع الشقق المدعمة أداة للحد من هشاشة ظروف المعيشة. ورغم الاستفادة من هذا التصرف الغير قانوني والذي في الغالب العائد منه غير كافي لشراء أو بناء سكن في محيط مركز المدينة، مما يدفع بهؤلاء إلى كراء في مناطق هشة أو الإقامة في مناطق هامشية، ورأى أن هذا النمط من الحراك السكني

يساعد على إنتاج المناطق الهشة بالمدينة. وأن هذا التكتيك الأخير للاندماج الحضري لا يتم بدون مخاطر فبعض العائلات ترى أن ظروف العيش والوضعية السكنية لها في تدهور مستمر وهذا ما يدفع بالبعض منهم بالرجوع إلى تجربة الترحال الحضري.

- وأن هذه النتائج تؤكد صحة فرضيات الانطلاق وتبين مرة أخرى كم هو صعب الاستجابة لطلبات السكان المعوزين بخصوص السكن وإيجاد أجوبة تتلاءم مع تطلعاتهم وخاصة لمشكلة الهشاشة التي يعانون منها، فسياسات إعادة الإسكان القسري لسكان المناطق الهشة تكون أكثر قصورا عندما تؤسس على مقاربة الحدثة، التي تهدف إلى تفضيل الجوانب النمطية والتقنية للفضاء السكني على حساب الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والأيكولوجية.

- وأن التحديات التي تواجه عمليات إعادة الإسكان القسري تتعلق في المقام الأول بالآليات المتعددة الأبعاد للإقصاء والاندماج ومرتبطة بحياة السكان الأكثر فقرا في مدينة (هوشي مينه). وفي الأخير يقترح على سلطات المدينة إذا أرادت أن تكون آثار إعادة الإسكان القسري في الميدان تستجيب لأهداف التنمية المستدامة، يجب عليهم الإسراع في اتخاذ تدابير سياسية ملائمة، وهذا بوضع خطة تشاركية كشرط أول لإعداد وإنجاز مثل هذه العمليات، ففي الواقع الأخذ بعين الاعتبار تطلعات السكان امر مهم لتحقيق جميع الاستراتيجيات التي من شأنها محاربة الإقصاء وترقية الاندماج للسكان الأكثر حرمانا، مع اخذ كل التدابير التي من شأنها المحافظة على النظم البيئية الحضرية.

نرى أن هذه الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث تتفق إلى حد كبير مع الظروف التي تمر بها عمليات إعادة الإسكان عندنا في الجزائر ومن الممكن الاستفادة منها في التصدي للأثار التي تترتب عنها مستقبلا، ويتضح منها أن البعد السياسي يلعب دور كبير في صناعة مثل هذه الوضعيات. وان السياسات الحضرية في دول العالم الثالث مازالت عاجزة عن التصدي لمشكلات الإسكان.

## 1-2. دراسة غيوم دروفان (Guillaume Drevon): الحراك اليومي واستراتيجيات التأقلم

### المكاني والزمني للعائلات.<sup>1</sup>

سمحت لنا الأطروحة بإلقاء نظرة مختلفة على التنقل اليومي على مستوى المناطق الحضرية في لوكسمبورغ وغرونوبل. حيث كشف لنا البحث عن طرق التعبير في مختلف مجالات الحياة

1 - Guillaume Drevon, Mobilité quotidienne et stratégies d'adaptation spatio-temporelles des ménages. Université Grenoble Alpes, 2016

اليومية (العمل والأسرة والسفر) وجعل من الممكن تسليط الضوء على استراتيجيات التكيف مكانياً وزمانياً التي تم الكشف عنها، على وجه الخصوص، من قبل المسافرين عبر الحدود الذين يسافرون مسافات كبيرة.

تم طرح فرضيتين عامتين:

- تضع الأسر استراتيجيات مكانية وزمانية متباينة.

- تحتفظ الحدود بتأثير على السلوك المكاني للمسافرين.

بخصوص الإطار المفاهيمي تم تعبئة مجموعة نظرية متعددة التخصصات من الجغرافيا والاقتصاد المكاني وعلم الاجتماع وعلم النفس. إضفاء الطابع الرسمي من إطار الاستدلال سعى إلى إقامة روابط بين الاختيار السكني والتنقل اليومي. تعتمد شبكة التحليل الخاصة بناء على الممارسات والتمثيلات الزوجية وتسمح لنا بفهم الترتيبات والمنظمات من خلال السلوكيات المكانية والزمانية التي تتوافق مع أنماط الحياة المكانية.

أتاح الإطار المفاهيمي والمنهجية المستخدمة التحقق من صحة الفرضيات العامة. حيث أظهرت الدراسة الميدانية أن الأسر التي تتعرض لضغوط الوقت تلجأ إلى استراتيجيات تأقلم قد تكون دائمة أو عرضية. تستند هذه الاستراتيجيات والتكتيكات المتميزة، التي تظهر القدرة على التكيف والتأقلم، إلى موارد زمنية واقتصادية واجتماعية. فهي تميل إلى تسهيل سير الحياة اليومية وتحرير الوقت المتاح لإعادة استثماره في أنشطة أخرى. عندما تصبح استراتيجيات المواجهة اليومية غير ناجعة وتصبح ضغوط الوقت قوية للغاية، يمكن أن تحدث تعديلات هيكلية على شكل توافق بين السكن ومكان العمل، أو تقليل وقت العمل لأحد الزوجين أو الاستعانة بشخص آخر للقيام بالأعمال المنزلية.

تظهر التحليلات الكمية أن الحدود تحتفظ بتأثير على السلوك المكاني. وأن العمال عبر الحدود يميلون إلى تفضيل بلد إقامتهم للقيام بأنشطتهم خارج العمل. وتظهر المقاربة الكيفية أن سكان الحدود لديهم علاقة متناقضة مع الجانب الآخر من الحدود. وتكشف كذلك عن التعديلات اليومية، وعن عدم المساواة بين الأسر من مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية. ويرى الباحث ان هذه النتائج تتيح للباحثين والسلطات العامة بإيجاد الحلول للتحديات على مستويات مختلفة، وأن هناك العديد من السبل التي يمكن أن تستجيب لهذه التحديات، من خلال طرح سؤالين: الأول على المخططين فيما يخص نماذج تصميم المدن وأنظمة النقل من خلال الدفاع عن تغيير مثالي لنسق

للحركة الكبيرة التي تعرفها المناطق الحدودية. والثاني يقترح فيه فكرة مدينة مرنة وقابلة للتكيف في مساحاتها وأوقاتها.

في مواجهة عدم التزامن في الأوقات الاجتماعية، يرى الباحث أن المنظمات المختلفة طورت آليات تنظيم إقليمية مثيرة للاهتمام، يسميها البحث بـ «السياسات المؤقتة» والتي ظهرت في منتصف الثمانينيات في إيطاليا ثم انتقلت بأشكال مختلفة إلى فرنسا وألمانيا منذ التسعينيات، وأتاحت إقامة حوار بين المواطنين والسلطات التشريعية، وكان الهدف منها هو التوفيق بين أوقات الراحة والعمل والمدينة من خلال الاعتماد على النقاش العام. استخدمت هذه السياسات في مجالات مختلفة، فأوصت بمراعاة إيقاعات الحياة في التخطيط الحضري. واتخاذ شكل التدابير الملموسة بشأن ساعات فتح وإغلاق أماكن العمل، وتزامن الأطر المؤقتة بين أوقات العاملين وأوقات الإدارات. فيما تعلق بسياسات النقل تم تكييف العرض مع الاحتياجات، حيث استجابت للقضايا الناتجة عن التحليلات التي أجريت في إطار هذا البحث وتوصلت إلى أنه من الممكن تجاوز القوانين التي تثقل كاهل الأفراد والأسر من خلال التشخيص والمناقشة الإقليمية العامة. على نطاق آخر، الأخذ بعين الاعتبار إيقاعات النشاط وتزامن الأطر المؤقتة للحياة اليومية يمكن أن يساعد في تخفيف ضغوط الوقت على الأفراد وعائلاتهم.

إلى جانب المقاربات الكمية لجغرافيا النقل والاقتصاد المجالي، والمقاربات الكيفية التي تم تطويرها في إطار دراسات الحدود -والتي أظهرت أهمية البعد الرمزي للحدود، فقد اختار الباحث في هذه الأطروحة التركيز على السلوكيات والممارسات المكانية للأفراد، ويتساءل الباحث هل يمكن لهذه المقاربات، التي تجاوزت الحيليات التقليدية، أن تثبت فعاليتها في العمل على الاندماج والتماسك الإقليمي عبر الحدود، وهل من الممكن أن تطبق منهج هذه الدراسة على مناطق حدودية أخرى بين فرنسا وسويسرا يسمح بالكشف عن "نمط المعيشة عبر الحدود"

نرى أن البحث كشف عن نوع من العلاقات الاجتماعية من خلال دراسة سلوكيات وممارسات الأفراد اليومية التي يفرزها التنقل عبر فضاءات حدودية متباينة، ويبدو أن التباين المكاني ممثلاً في الإقليم الحدودي له دور كبير في الكشف عن سلوك وممارسات الأفراد متناقضة. فالانتماء إلى المكان من خلال الانتقال اليومي يبين مدى انغراس الأفراد بمكان إقامتهم الأصلي.

### 1-3.دراسة لـ: ماري لنزارو (Marie Lanzaro) بعنوان الخروج من مأوى الإدماج إلى سكن

#### اجتماعي في ايل دو فرانس: مسارات إعادة الإسكان بين التحرر والقيود. 1

وهي عبارة عن مذكرة في التهيئة والتعمير والسياسات العمرانية، وكان موضوع المذكرة هو تحليل مسارات إعادة الإسكان للأشخاص المقيمين داخل هياكل الإدماج في ايل دو فرانس، الذين لديهم فرص الحصول على سكن أو من هم في انتظار الاستفاد. وفهم الطرق والاستراتيجيات المتبعة من طرف الأفراد لتسهيل عملية الحصول على سكن، وكيف الأشخاص الذين شملهم الاستطلاع، تطورا في نظام الإعانة الاجتماعية للإيواء، وكيف البعض منهم انتهى بهم المطاف إلى الاستفادة من سكن دائم في الحاضرة الاجتماعية.

طرحت الباحثة ثلاث فرضيات موجة للدراسة، الأولى هي أن الأشخاص الذين استهدفهم البحث ظلوا مقيمين بمراكز الإيواء حتى حصولهم على سكن، على أمل الترحيل والحصول على سكن معياري، وقد كانوا على استعداد اخذ كل الظروف المؤدية لهذه النهاية. ولكن كذلك، كانوا معتمدين على الفعل الجماعي لتحقيق ذلك. والفرضية الثانية هي رغم الطبيعة الصعبة لإجراءات إعادة الإسكان، يبقى الأفراد فاعلين اجتماعيين في تحقيق الخيارات. والفرضية الثالثة والأخيرة هو رغم القيود المفروضة عليهم ورغم تطلعاتهم للخروج من المأوى، لم تكن الخيارات التي اتخذوها عشوائية، ولا حتى من منطق مغادرة المأوى فحسب والوصول إلى الحق المشترك في السكن. من جهة أخرى ومن أجل استمرارية هذه الفرضيات وانطلاقا من مبدأ أن إعادة الإسكان نتيجة لتدخل خارجي عمومي ومسيطر واختيار لطموح شخصي. وللإجابة على أسئلة الإشكالية وتحقيق الفرضيات تم إعداد بروتوكول منهجي تتقاطع فيه عدة تقنيات وآراء.

وتوصلت الدراسة إلى ما يلي:

رغم القيود الموضوعية والتشريعية التي تعترض السكان المعنيين بالترحيل المقيمين مراكز الإقامة المؤقتة، يتطلع هؤلاء للحصول على سكن لائق يلبي حاجياتهم وقيمهم الشخصية، ولا يتعلق الأمر هنا بالحصول على سكن باي ثمن أو مهما كان الثمن.

مكان الإقامة الجديد يمنح المرحلين في النهاية الوصول إلى "منزل" مستقل وخاص وحميم على عكس ما يمثله سكن العبور. إنه يكرس لدى الأشخاص الذين هاجروا إلى فرنسا، الإحساس بأنهم "في وطنهم" الأم.

ينظر المرحلين إلى ظروف السكن الجديد على أنها مرضية إلى حد ما، وخاصة أولئك ذوو الدخل المنخفض، وقام بعض الأشخاص بإجراء العديد من التعديلات على المسكن للتكيف مع خصائص هذه الأسر أو المشكلات التي تظهر هناك بمرور الوقت ومع تطور الأسرة. كما أن البعض ينظر إلى الترحيل على أنه ليس غاية في حد ذاته ولكن كخطوة في رحلتهم السكنية. نادراً ما يقطع المرحلين العلاقات التي أقاموها مع الأشخاص الذين التقوهم في مراكز العبور. يمكن أن تنشأ صعوبات بالتأكيد في التأقلم مع المكان الجديد، لكنهم يحاولون يتأقلمون معه قدر المستطاع. ويرجع ذلك للخصائص الاجتماعية والثقافية للمرحلين.

عادة ما يتم الانتقال إلى أماكن الإقامة الجديدة بعدما يسعى الأفراد ويستنفدوا جميع الحلول الأخرى المتاحة لهم. غالباً ما تكون هذه المساعدة واحدة من آخر سبل الممكنة التي تمت استعمالها ولكنها أول ما تم تقديمه لهم وقبلوه.

على الرغم من القيود الإجرائية والتطلع إلى ترك السكن المؤقت، إلا أن البعد الشخصي لخيارات الإقامة لا يبدو قوياً للغاية (ويزداد يتقاربا عندما يكون الأفراد مصحوبين بأطفال). لذلك على الرغم من خصوصية هذا الإجراء والطبيعة الاستثنائية لموقف الأشخاص الذين شملهم الاستطلاع، فإن الخيارات التي يتخذونها دائماً ما تكون على مفترق الطرق مع القيود الموضوعية والذاتية.

وأخيراً، فإن المساكن والوضعيات السكنية، التي تفرزها إجراءات الانتقال هذه، التي تساعد على الوصول إلى الحق المشترك، والعودة إلى الحياة الطبيعية والوصول إلى "المنزل الشخصي"، ليست لائقة دائماً. يتم منح الأفراد مساكن بموجب القانون العام، لكنهم يواجهون نفس الصعوبات التي يواجهها جميع المستأجرين في أكثر المساكن الاجتماعية تواضعاً في إيل دو فرانس لتعديل أماكن إقامتهم وفقاً لاحتياجاتهم وفقاً لمواردهم. تؤدي هذه المعالجة غير العادية لغياب السكن والصعوبات المرتبطة به إلى تبسيط مسارها ومكانتها السكنية وتعمل بشكل هامشي فقط على اعتمادها على الحضيرة السكنية.

هذه الدراسة تخص فئة معينة من السكان الذين يشتركون في مصير مشترك وهو الانتقال إلى أحياء اجتماعية، وهي نهاية معروفة لدى جميع السكان المراد ترحيلهم (سكان AHS) مما يجعل الدراسة محصورة في فئة معينة من السكان، فالاستراتيجيات التي يتبعها السكان في الحصول على المسكن تبدو طبيعية ولها صفة الرتبة.

## 1-4. دراسة لـ: كاي زانق: لحق في إعادة التوطين وحماية التراث: مشروعان للتجديد في مدينة شنغهاي القديمة<sup>1</sup>

عبارة عن أطروحة تقدم بها الباحث لنيل شهادة دكتوراه تخصص علم اجتماع حضري من مدرسة الدراسات المتقدمة في العلوم الاجتماعية بباريس (EHESS) سنة نوقشت سنة 2010. ملخص الدراسة هو انه منذ تسعينيات القرن الماضي، شرعت شنغهاي في فترة سريعة للغاية في عملية تجديد مركز المدينة الحضري التاريخي. حيث تسببت مشاريع التجديد هذه بشكل مباشر في دمار هائل لمناطق تاريخية بأكملها، حيث عوضت بمجموعة مباني الشاهقة غزت وسط المدينة. فمع هذا التغيير في المشهد الحضري، تم العمل على نقل السكان الأصليين للمناطق القديمة، وتعويضهم بسكان جدد من طبقات اجتماعية عليا. حدث هذا في ظل نظام سياسي اشتراكي، ويتساءل الباحث كيف سيؤثر هذا النظام الذي يحكم مشاريع ترميم الأحياء القديمة على الفضاء العمراني التاريخي للمدينة، فضلاً عن هياكلها الاجتماعية؟ يقترح البحث وصف وتحليل تطور مشروعين للتجديد الحضري داخل مدينة شنغهاي القديمة، من خلال ملاحظة الديناميكيات الاجتماعية الدقيقة في المنطقتين المعنيتين خلال ست سنوات متتالية. هاتان المنطقتان المجاورتان (Lu Gujia و Xiangyuan Lu) داخل المدينة القديمة في شنغهاي، الأولى يتم تنفيذها بواسطة مطور عقارات تابع للدولة، في حين أن الثانية من قبل مطور عقارات خاص. الغرض الرئيسي من هذا البحث هو تحليل أدوار الجهات الفاعلة المختلفة المشاركة في هذين المشروعين، أي السلطات البلدية ومطوري العقارات والمقيمين والمهنيين المعنيين، فضلاً عن التفاعلات بين هذه الجهات. وبالتالي سيقارن البحث هذه المشاريع على مستوى تنفيذها بسبب نوعين مختلفين جوهرياً من مطوري العقارات، ومحاولة كشف النقاب عن الأسباب الأولية وراء مثل هذه الطفرات المتناقضة على مستوى الفضاء العمراني القديم، وداخل الهياكل الاجتماعية لهذه الأحياء القديمة. تتزامن ست سنوات من تاريخ هذين المشروعين على وجه التحديد مع فترة انتقالية في إدارة التخطيط الحضري في شنغهاي، حيث ظهرت سياسات جديدة لإعادة التوطين والتخطيط الحضري والإسكان، في نفس الوقت مع العديد من الأحداث الهامة. والتي أثرت بشكل كبير النظام الذي حكم مشاريع ترميم الأحياء القديمة. بعبارة أخرى، استطاع المجتمع المعاصر أن يعبر عن ردود أفعاله على هذه المواقف المتناقضة

1 - Kai Zhang Sous la direction de Jian Zhou et d'Isabelle Thireau, Droit au délogement et protection du patrimoine : Xiangyuan Lu et Gujia Lu, deux projets de rénovation dans la Vieille Ville de Shanghai (2003-2009)

المختلفة أثناء تجديد الأحياء القديمة، مما اضطر الدولة والسلطات المختصة إلى إصلاح النظام الحالي.

يقول الباحث إن التغييرات التي شهدتها هذان المشروعان، فضلاً عن البطء الذي تم تنفيذهما فيهما، تعني أن المنطقتين المعنيتين لا تزالان في حالة ركود صعبة، حيث لم تتمكن مواقع البناء حتى الآن من البدء. يبدو أن صورة الجمود هذه تثير التساؤلات حول سمعة "السرعة الصينية" من حيث البناء الحضري الحديث: بالنسبة لمشاريع تجديد الأحياء القديمة، لن تسير الأمور بسهولة أقل. الهدف الآخر لهذه الدراسة هو محاولة، من خلال تحليل عمليات التغيير هذه، من خلال مراقبة هذه الطرق المختلفة التي يدير بها كل من مطوري العقارات والسلطات البلدية هذه العمليات، لرسم مسار جديد معقول للمشاريع المستقبلية. تجديد المناطق التاريخية في شنغهاي.

في هذه الأطروحة، استخدم الباحث مصطلح "إعادة التوطين" لمحاولة الجمع بين معاني "الهدم" و "التهجير" تكمن الصعوبة في الاختلاف بين شيئين في عملية "Dongqian"، بما في ذلك المساكن التي سيتم الحصول عليها (التي سيتم هدمها أو إعادة استخدامها بعد ذلك) والسكان الذين سيتم نقلهم. التدخلات التي تتعلق بهاذين الموضوعين هي أيضاً مختلفة تماماً عن بعضها البعض. أود أن أجد كلمة تتعلق ليس فقط بشراء المساكن من خلال مفاوضات التعويض بين المطور والسكان الذين لديهم حق الملكية أو الاستخدام، ولكن أيضاً فيما يتعلق بالعقار أو إعادة التوطين المالي. لذلك و "النقل". صحيح أنه في معظم حالات التجديد الحضري في الصين، تكون نسبة المباني التي سيتم الاحتفاظ بها وإعادة استخدامها منخفضة للغاية. الهدم وإعادة الإعمار من الإجراءات الرئيسية لـ "Dongqian".

الهدف من هذه الأطروحة هو تحليل العلاقات بين مختلف الجهات الفاعلة في تجديد حي قديم، والمتمثلة في الحكومة والشركات العقارية ومخطوط المدينة والسكان. من خلال تحليل التغييرات التي حدثت في الفضاء الحضري والتركييب السكاني. ميدان الدراسة مشروعان للتجديد الحضري، مشروع Gujia Lu و Xiangyuan Lu.

فرضية هذا البحث هي أن تغير الفضاء الحضري والبنية الاجتماعية لمنطقة قديمة ليست مجرد إنتاج لرأس المال، ولا نتيجة الأموال التي تسيطر عليها السلطة. المؤسسات العقارية ليست مجرد المستفيد، والسكان ليسوا مجرد ضحايا في عملية تجديد الأحياء القديمة، كل اللاعبين يستخدمون بشكل أساسي أحياءهم الخاصة. "العواصم" تمارس تأثيراً متبادلاً، تتفاعل بسرعة مع التغييرات في الأحداث السياسية والاجتماعية الهامة. الحكومة تصوع سياسة تجديد الحي القديم،



تحت تأثير الجهات الفاعلة الأخرى، باستمرار يتم تعديل السياسات المعنية، مثل النقل والتخطيط الحضري والإسكان. إنشاء وتطور سياسة الحكومة لا تعتمد فقط على توجهاتها الخاصة بالسياسات، ولكن أيضا التنازلات مع الجهات الفاعلة الأخرى. تطبيق السياسات الحكومية يحدد بشكل فعال تحول الفضاء الحضري والبنية الاجتماعية في الأحياء القديمة.

توصل الباحث إلى أن السياسات الحضرية أدت إلى تغير مظاهر المدن الطينية، وان هذه العمليات ينشأ عنها جميع أنواع المشاكل والصراعات أثناء عملية التجديد التي يتم تسويقها من الحي القديم. كما أن طريقة التفاوض على تعويض الترحيل، على وجه الخصوص، تجعل تباين السعر غير متوقع. وان النقص في إعادة التوطين لمراد الإسكان أيضا له تأثير مهم. إلى أن إحدى خصائص التغيير الديموغرافي في شنغهاي هو إعادة تجميع أصحاب الدخل المتواضع خارج المدينة. والملاحظ نمو عدد سكان المدينة بدلاً من الانكماش بسبب استعمال المساكن الجديدة. كما توصل الباحث إلى أن عمليات ترميم الأحياء يحرم السكان المهاجرين من مساحة يمكن الوصول إليها في وسط المدينة.

يبدو أن العامل السياسي، المغيب في هذه الدراسة والذي يبدو لي متعمد من الباحث، له دور كبير في تصرفات الأفراد، والاستراتيجيات التي يتبعونها، فالانتقال من الحكم البريطاني الليبرالي الحر الذي يعتمد على هامش كبير من الحرية الفردية، والانتقال إلى الحكم الصيني الذي يقمع الفرد أهم المؤثرات على تصرف الأفراد المرشحين، كما أن العامل التاريخي الذي يشكل أهم مراحل نمو المدينة هو الآخر أغفل عنه عن قصد لتفادي المقارنة بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي اللذين حكما المدينة.

## 2- على المستوى العربي:

### 2-1. عبد الرحمن بن عبد الله العمري: الأبعاد المجتمعية لإسكان شقق التمليك، دراسة ميدانية ببعض أحياء مدينة جدة.<sup>1</sup>

تنطلق الدراسة من خلال تبني نظرية التغير الثقافي، حيث شهدت مدينة جدة مجموعة من التغيرات الثقافية، وتنتمي الدراسة الحالية إلى الدراسات الوصفية التحليلية، وقد اعتمد الباحثان على المسح الاجتماعي بالعينة، حيث تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الأبعاد المجتمعية لإسكان شقق التمليك بإحدى المدن الرئيسية بالمملكة العربية السعودية باعتباره ظاهرة جديدة فرضت نفسها على واقع السوق العقاري بالمملكة، وإن كانت ظاهرة قديمة في الدول الأوروبية والأمريكية.

1- العمري عبد الرحمن بن عبد الله. عبداللطيف، وجدي شفيق. الأبعاد المجتمعية للإسكان العامودي: دراسة ميدانية عن عينة من سكان شقق التمليك ببعض أحياء مدينة جدة جامعة ابها، كلية الآداب. 2009.

تم استخدام المنهج الإحصائي في عرض وتحليل بيانات الدراسة الحالية، وفي بعض المعالجات الإحصائية لتلك البيانات. وهذا يضيف ثراءً إلى الدراسة الميدانية وبياناتها التي سيتم جمعها ومعالجتها للوصول إلى النتائج. أما فيما يخص أدوات جمع البيانات، اعتمدت هذه الدراسة على الاستبانة في جمع بياناتها الميدانية من عينة الدراسة، وقد تم تطبيقها في موقف مقابلة مع أرباب الأسر بشق التملك. واشتملت الاستبانة على 63 سؤالاً، حيث تكوّن الجزء الأول منها من الأسئلة التي تتعلق بالأبعاد المجتمعية لإسكان شقق التملك، بينما تكوّن الجزء الثاني من المعلومات التي تتعلق بالمبحوثين. وقد تنوعت أسئلة الاستبانة بين أسئلة مغلقة النهايات باختيارات متعددة، وأخرى مفتوحة النهايات للجمع بين مزايا النوعين، ولإتاحة الفرصة للمبحوثين للإجابة بحرية أكبر على عدد من التساؤلات.

سلطت هذه دراسة الضوء على عدة دراسات، مؤكدة أن نسبة العلاقات الاجتماعية بين السكان لا تزيد بكثرة عددهم، وإنما تعتمد على الزيادة في نسبة تقابلهم، وأن سكان المباني العالية قد يجدون صعوبة في بناء علاقات مع الجيران، أو قد تكون علاقات ذات عمر قصير، وتتمو هذه العلاقات عند التقابل في المناطق المشتركة مثل المصاعد وصالات المداخل والجراج والفضاءات المشتركة. ودلت على أن جيرة المداخل الخارجية في المساكن المنفردة الأفقية تزيد من فرص التعارف أكثر من جيرة المداخل الداخلية بالمباني العالية.

نوع المسكن هو ورمز للخصوصية والمكانة والتمايز، فهو يعكس بصورة كبيرة ليس فقط شخصية قاطنيه وشخصية المجتمع الذي يوجد فيه، بل يعكس أيضاً مستواهم التكنولوجي والاقتصادي والاجتماعي، وبقدر ما يؤثر الإطار المادي على سلوك وتصرفات وشخصيات الذين يشغلونه، فإن الأفراد والجماعات يؤثرون بدورهم على محيطهم السكني فيشكلونه ويخضعونه لرغباتهم ومتطلباتهم. وأثبتت أيضاً أنه كلما كان مستخدمو صالة مدخل الوحدات السكنية قليلاً، كلما زاد التعارف بينهم، فالمباني المرتفعة والأبراج العالية بنيت لتأوي المستخدمين لها كأفراد أو كأسر مستقلة، لا لتجمعهم كمجتمع واحد تربط بين أفرادها علاقات اجتماعية. وقادت المباني العالية إلى تحجيم علاقة الأفراد داخل البيوت وخارجها، كما أدت إلى عدم تجاوب السكان مع الخارج، وقللت من فرص تقابل الناس مع بعضهم بعضاً، وتعاملهم على مستوى الشارع والحي، وعدم انتماء الناس إلى بعضهم، وعدم تعاملهم على مستوى الحي، قد يساعد هذا على تحلل حضارتهم واكتسابهم قيماً جديدة لم تكن مناسبة للناس السابقين ولم تظهر في المجتمعات التي سبقتهم، فالأسرة تجد نفسها بين يوم وليلة محاطة بأسر غريبة عنها، لا تربطها بها علاقات قرابة أو صداقة أو معرفة، والغريبة هي أساس

التواجد في هذه التجمعات العمرانية التي يسيطر عليها نوع من العزلة الاجتماعية، وهذا نقيض ما كانت عليه الأسر الخليجية وما ترعرعت وسطه من بيئات اجتماعية حية ومتعاونة، فقد كان «الفريج» أو «الحي» وحدة اجتماعية تتشابه فيه العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في ظل تكامل وتعاون وإيثار.

#### نتائج الدراسة:

وانطلاقاً من التساؤل الرئيس الذي هو "ما الأبعاد المجتمعية لمشكلات إسكان شقق التمليك"، وللإجابة على هذا التساؤل توصلت الدراسة إلى النتائج عدة نتائج أهمها:

- ن متوسط حجم الأسرة في إسكان شقق التمليك صغير.
- إن معظم عينة الدراسة من الشباب، ومن المتزوجين.
- أكدت نتائج الدراسة هناك زيادة معدلات الإقبال على إسكان شقق التمليك
- أشار المبحوثون إلى ارتفاع أسعار شقق التمليك، وكذلك إيجارات الشقق.
- إسكان شقق التمليك أحد الحلول المتاحة لمشكلة الإسكان الحضري
- تعاني شقق التمليك من مشكلة غياب الصيانة الدورية أو الطارئة.
- يعاني سكان شقق التمليك من نقص الخدمات الترفيهية والمتمثلة في نقص المتنزهات والمساحات الخضراء.
- أشارت النتائج إلى أن النسبة الغالبة من المبحوثين ليس لهم أقارب أو معارف في نفس المبنى.
- أشارت النتائج إلى ضعف علاقات الجيرة بين السكان في إسكان شقق التمليك.
- يتسم السكان في إسكان شقق التمليك بالاجتماعية.
- أشارت النتائج إلى ضعف فعالية النشاط الاجتماعي على كافة المستويات في إسكان شقق التمليك.
- أظهرت النتائج وجود رضا ظاهري واضطراري بين معظم المبحوثين عن إسكان شقق التمليك.
- نرى أن هناك عدة عوامل أخرى تؤدي إلى فتور العلاقات الاجتماعية منها التغييرات الاجتماعية والتغير العمراني وتقلص مساحة الأحياء الضيقة لحساب الحديثة وانتشار الأبنية العمودية على حساب الأفقية وانتشار وسائل التواصل واختلاف الثقافات وقلة الأنشطة الترفيهية الجماعية وغياب الأدوار المجتمعية التي تجمع الجيران.

كما أن قيم المجتمع الإسلامية ذات دور مهم ليس في المجال الاجتماعي فحسب، بل وكذلك في البناء الاقتصادي والحياتي، وكان للمناسبات الدينية دور بارز في تقوية هذه الوحدة الاجتماعية، فاللقاءات لا تتم بين أفراد الأسرة فقط، وإنما بين أهل الحي بكامله. وحتى الأنشطة الترفيهية مع قتلها وبساطتها كانت تبث الروح الجماعية المتعاونة، أما اليوم فالتجمعات السكانية العمودية ليست سوى امتدادات بنائية عمرانية وليست اجتماعية.

وأظهرت دراسة في البرازيل أن المعيشة والسكن في الشقق يختلف عن السكن في مساكن منفصلة، بسبب تعقيد العيش داخل عمارات شقق التمليك. وأظهرت النتائج أيضاً أن من الأمور التي تؤثر على مستويات الرضا في الحي السكني هو مدى توفر الخدمات، والتكاليف المرتفعة للصيانة، حيث تتوجد هناك بعض الأسر الفقيرة التي لا تستطيع دفع تكاليف أعمال الصيانة. ما يتطلب من صنّاع القرار وصانعي السياسات السكانية أخذ ذلك بعين الاعتبار، عند صياغة التشريعات المتعلقة بالإسكان<sup>1</sup>.

وهناك عدد من العوامل التي تؤثر في مستوى الرضا هي: قلة الأنشطة الاجتماعية، والمشاركة في الاجتماعات، وعدد الأطفال في الأسرة، وطول فترة بقاء الأسرة في المبنى، والمشاركة في الأنشطة الاجتماعية، حيث أظهرت الدراسة أن الذين لديهم أقل عدد من الأولاد كان مستوى الرضا لديهم أعلى وكذلك مدة الإقامة في الشقة، فكلما قلت سنوات العيش كلما كان الرضا أعلى، ويزيد مستوى الرضا عند المشاركين في الأنشطة الاجتماعية<sup>2</sup>.

المباني العالية ليست وحدها المسؤولة عن فتور العلاقات الاجتماعية فسكن المدينة كله له نفس التأثيرات على الحياة العامة في المدينة، ربما التمايز الاجتماعي والاختلاف الثقافي والأصول الاجتماعية لها أثر بارز أكثر من الأشكال المادية للمبنى والظروف المعيشية التي تفرزها حياة المدينة هي الدافع الأكبر لتطبع السكان بطبائع تبدو غريبة عن البعض.

1 -Cavalheiro, ebor de Camargo & Abiko, Alex. Evaluating slum (favela) resettlements: The case of the Serra de Mar Project, s~ao paulo Brazil. Habitat International, 2015.

2- Ariff, Nor Rima Muhamad. Davies, Hilary. Multi-owner. low -cost housing management in Malaysia. International Journal of Housing Markets and Analysis ,2011.

## 3- على المستوى المغربي:

3-1- فرنسواز نافيز بوشانين: العيش في المدينة المغربية.<sup>1</sup>

توضح هذه الدراسة العلاقة المعقدة بين المكونات الثلاثة للمدينة: السكان، والعمارة، وتخطيط المدن، وأنه ينتج عن تفصيلهم في الحياة اليومية تخصيص المساحة كعملية تفاعلية. على هذا الأساس، يتم تقديم فرضية التضمين المتبادل بين الفضاء والمجتمع.

تكشف الملاحظات المتعددة ممارسات الأفراد داخل الفضاء المعيشي والمساحات التي صممها المهندسون المعماريون ومخططو المدن عن تناقض منطقي يفسره الطريقة التي يتبناها المستخدمون. هذه الدراسات ذات التعقيد الكبير، تؤدي إلى استجواب الحياة اليومية لناس المدن من خلال قيم وسلوكيات السكان في تقارب النماذج التي يتبنونها في إعادة تشكيل المكان وآليات الاستيلاء عليه. وترفض الكاتبة أطروحة تجزئة المدن المغربية، ولتعزير ذلك ترى انه يجب علينا، قراءة النماذج الاجتماعية والثقافية "من خلال الأساليب المختلفة لتملك الفضاءات الخاصة والعامة من خلال" مشاهدة "ممارسات الحياة، والعيش الاجتماعي الثقافي من خلال السكن. وصف ممارسات السكان بهدف مساعدتهم في اتخاذ القرارات قصد معرفة قدرتهم، واكتشاف السكن عبر الحياة الاجتماعية الثقافية. وتقديم مساهمة في النقاش الواسع حول ظهور تحضر جديدة في مدن البلدان النامية مع الأخذ في الاعتبار مفهومي "التمدن" و "التحضر" اللذين يطرحان مشكلة التشريع لتسيير المجال.

الموضوع الرئيسي للدراسة يتعلق بمفهوم تملك الفضاء الذي يأخذ أشكال مختلفة في الحياة الجماعية (الداخلية، الخارجية، العامة، الخاصة). يرجع ذلك لتحولات الفضاء حسب تطلعات مستعمليه، بمعنى أن الفاعل يرى بأنها تعبيراً عن "التراث الحي". تسعى الكاتبة إلى إقناع صناع القرار من خلال فهم رسالة الممارسات التحويلية للمستخدم والاعتراف له بالقدرة على الاندماج في النهج المفاهيمي.

تُظهر النقاط التي تم التطرق لها في الإشكالية عن العلاقات الخاصة بين الفضاء والمجتمع، وهل تغيير الهوية الثقافية له علاقة بتطبيق النماذج المعمارية وتخطيط المدن في إطارها الرسمي. بالإضافة إلى الانتقادات التي دعت إلى إعادة النظر في مقاربات الإسقاط الميكانيكي للمجتمع على المكاني والتي تتقاطع مع تلك الخاصة بعلم نفس البيئة أو السلوكيات والتجربة الشخصية والبيئة، والتي تشكل نظاماً ديناميكياً. على هذا المنحى، فإن نهج الدراسة يستعرض تطور المناهج المختلفة

1 -Navez-Bouchanine, Françoise, Habiter la ville marocaine. l'Harmattan, Paris..1997

لدراسة المدينة، لإعادة التملك الثقافي أو أي مذهب ملائكي يميل إلى تمجيد الطبقات الشعبية باعتبارها الحاملة الوحيدة لـ "الأصالة الثقافية". وان أي جزء من أنثروبولوجيا الفضاء هو إلقاء الضوء على حالات التغيير التي تميز أنماط التنظيم الاقتصادي والاجتماعي. أدى الاهتمام برؤية عالمية للواقع المعاش إلى مضاعفة أنواع المساكن والمدن، وبالتالي ينتج عنه إظهار التعبيرات المختلفة لتخصيص الفضاء وأوجه التقارب التي توجد باستمرار في المبادئ التنظيمية الرئيسية.

من خلال ربط نماذج العيش حسب القراءات المختلفة (الفضاءات الخاصة، والجوار، والحضر) بالتملك. تكشف الدراسة عن محاولات تذرير المجتمع خلال ظهور الفرد والتغيرات "الفوضى" الظاهرة، وظهر منطق تنظيم، ميكانيزمات تسوية فعالة نوعا ما، ولكن أيضًا صراع، تردد، وتناقض، تخلص الدراسة إلى استحالة نمذجة الممارسات بواسطة التدابير المجالية، كما سلطت الضوء على قدرة هذه الأليات في تغيير الممارسات والتمثلات باعتبارها قابلة للتغيير، وأشارت إلى خصوصية المدن العتيقة المعمرة، وان هناك أفق للعمل من أجل إنتاج نماذج للسكن في إطار تحليل التغيير الاجتماعي، وأشارت الباحثة خصوصا إلى أن المدن النامية تعتبر حقلًا خصبا للدراسات الميدانية في هذا المجال.

نرى أن الدراسات التي قامت بها الباحثة في هذا الميدان لها أهمية قصوى لما تتمتع به من أصالة في دراسة مجتمع محلي يشبه إلى حد بعيد مجتمعنا الجزائري رغم التناقض الموجود على المستوى السياسي والاقتصادي، لكن يبقى العامل الثقافي كأحد أبعاد الارتكاز التي يمكن أن تساعد الباحثين في الحقل الاجتماعي الوطني على تبني هذه المقاربات كنماذج مساعدة في فهم التحولات التي يعرفها المجتمع الجزائري.

### 3-2- عبد الرحمن رشيق، السياسة العمرانية والعلاقات الاجتماعية في المغرب.<sup>1</sup>

تناولت الدراسة العوامل السياسية والمجالية والاجتماعية والديموغرافية التي يمكن أن تفسر هشاشة العلاقات الاجتماعية في المدن الكبرى. وأشارت إلى أن النظام السياسي المتسلط يعيق إنشاء الحركات الاجتماعية ولا يشجع على توفير الفرص لتنمية المؤسسات، ولا يواكب صيرورة التمدن السريع بإنجاز مرافق اجتماعية وترفيهية... يكون من شأنها أن تسمح بتعزيز الروابط الاجتماعية بين السكان، ويرى الباحث أن التحولات العمرانية فرضت مجتمعا وثقافة وقيما وأنماطا سلوكية جديدة. والسمة الأساسية المميزة لهذه العاقات الاجتماعية المتبادلة هي الفردانية واستبداد الحميمية،

1- عبد الرحمن رشيق، السياسة العمرانية والعلاقات الاجتماعية في المغرب، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 18 المجلد الخامس، خريف 2016، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ص 7-32.

وهي سمة مآزمه للنظام الرأسمالي الجديد الذي فرضته الإدارة الاستعمارية، وهي أيضًا نتيجة الشكل الإيكولوجي للتكتلات البشرية الكبيرة في المجال المحدود للمدينة الكبرى.

مجال الدراسة، هو حي «الأحباس» التاريخي في مدينة الدار البيضاء المغربية، إذ كان يقطنه فئات الأعيان والبرجوازية المحلية، والتي كانت تفضل مبدأ «الحميمية الأسرية» أي الإبقاء على الأسر في مساكن كجزر منعزلة ومنطوية تماما وبلا مجال عام. فكانت الأزقة ضيقة عن عمد لتجنب مرور السيارات، وأبعدت كل المرافق الاجتماعية والثقافية والخدماتية وفضاءات الترفيه وكل ما من شأنه أن ينمي المؤانسة أو يجلب الغرباء إلى الحي. أما المنازل نفسها، فقد كانت «عمياء» بلا نوافذ، إلا ما كان مطلا منها على واجهات الشوارع الرئيسية فقط، مع تغطيتها بشبكات حديدية تبيح الرؤية من الداخل وتمنع من بالداخل من الظهور للغرباء، فيما يبقى الفناء الداخلي هو أساس المسكن الذي يسمح بالتهوية ودخول أشعة الشمس<sup>1</sup>.

من خلال دراسة صيرورة التمدن السريعة، وكيف تكيفت بنية المدينة المغربية مع التحولات الجديدة التي أدخلتها الإدارة الاستعمارية من خلال إقحام نظام اقتصادي رأسمالي حمل معه ثقافة وقيماً جديدة أثرت بالضرورة في السلوك الجماعي للأفراد. يتساءل الباحث ما طبيعة سياسة المدينة وعلاقتها بنوعية العلاقات الاجتماعية التي تسود أحياء المدن الكبرى؟ وإذا كان «الانتقال الديموغرافي» قد أسفر عن تقلص تدريجي لحجم الأسرة، فهل كان له أيضًا تأثير في تقديس الفرد وتكريس الفرداني؟ وهل يمكن للسياسة العمرانية، تحت نظام سياسي غير شمولي أو غير تسلطي، أن تساعد على خلق روابط اجتماعية بين سكان الأحياء الذين يميلون إلى الانكماش على أنفسهم داخل الأسرة؟

ويتساءل البحث هل النمط العمراني للسكن يؤثر على الرباط الاجتماعي؟ وي طرح الباحث مسألة العلاقة بين أشكال المساكن وأنماط الاجتماع السائد في المغرب منذ الحقبة الاستعمارية حين سكن المغاربة والأوروبيون المستعمرون معًا مدينة الدار البيضاء، حيث كان النمط الاجتماعي السائد بينهما هو النمط الانعزالي، بسبب الوصم المتبادل، وانعدام الاتصال بين تلك المجموعات الاجتماعية المتنافرة، وهو ما انعكس عمرانيًا في إقامة فوارق وحدود مجالية - وإن كانت غير مرئية - بين الفضاء السكني الخاص بالمغاربة والمدينة السكنية التي كان يقطنها الأوروبيون، وكانت السياسة التخطيطية آنذاك تسعى إلى تأكيد هذا الطابع التمييزي، فتحرص على تقسيم المدينة أثناء مرحلة التصميم إلى مناطق وظيفية تترجم الفوارق العرقية بالدرجة الأولى ثم الفوارق الاجتماعية. بالقياس،

1- عبد الرحمان رشيق، السياسة العمرانية والعلاقات الاجتماعية في المغرب، مرجع سابق، ص 16.

يمكن النظر بعين السوسيولوجيا إلى مسألة انتشار المجمعات السكنية المغلقة «الكومباوندات» كمظهر عمراني لحالة القطيعة الاجتماعية التي تسود بين الطبقات المرفهة والطبقات الفقيرة في البلاد، إلى درجة وصف البعض لها بالـ «مستوطنات الجديدة»، أو «المحميات البشرية» لما تتسم به من عزلة.

من أجل الإجابة عن هذه الأسئلة اعتمد الباحث على الإحصاءات الرسمية للمندوبية السامية للتخطيط في الرباط، وعلى نتائج الأبحاث التي يقوم بها مركز الدراسات والأبحاث الديموغرافية التابع للمندوبية المذكورة. كما أنها تعتمد على نتائج البحث الوطني الذي شاركنا فيه، والذي أنجزه المعهد الملكي للدراسات الاستراتيجية في مدينة الرباط بين سنتي 2009 و2012، والأبحاث التي قام بها في سنتي 2002 - 2003 فيما يتعلق بالتفاعلات الاجتماعية في الأحياء الهامشية لمدينة الدار البيضاء، لحساب معهد العمران بباريس، وكذا الدراسة الأخيرة 2014 بشأن الحركات الاحتجاجية في المغرب.<sup>1</sup>

ثمة مظاهر أخرى قد تنبئنا عن العلاقة بين الشكل العمراني للمساكن وأنماط الاجتماع السائد، يُمكننا مثلا اعتبار التشابهات بين تصميمات المنازل داخل المجتمع الواحد كأحد نواتج ما يصفه الاجتماعي الفرنسي إيميل دوركايم بـ «التمثلات الجمعية» أي مجموعة من التراكبات القيمية والمعيارية المنتجة من طرف المجتمع، والخارجة عن الشعور الذاتي للأفراد، تلك التمثلات غير منبثقة من وعي أفراد منعزلين عن بعضهم البعض، وإنما هي صادرة عن العلاقات القائمة بينهم. وباستلزام ثنائية المدينة/الريف التقليدية، يمكن رصد انعكاس طبيعة العلاقات الاجتماعية في المدينة، بصفتها علاقات تتسم بالهشاشة والسطحية والاعتماد الوظيفي المتبادل بين الفئات الاجتماعية المتنوعة، وحيث تتحول الأسر الممتدة إلى أسر نووية، إذ تسود الوحدات السكنية العمودية «العمارات/الأبراج» حيث كل وحدة سكنية «شقة» مستقلة بذاتها، فيما تمثل الأماكن العامة مثل النوادي فضاءات تسمح بإقامة علاقات اجتماعية بين فئات متألفة من دون الاحتفاظ بارتباطات عميقة قد تكون ذات طابع تقليدي.

كما يمكن أن تعكس طبيعة المنزل من الداخل أنماط العلاقات الاجتماعية والتكوين الثقافي للسكان، فمثلا امتلاك هاتف يعني بالضرورة أن المرء يمارس/يرغب في ممارسة قدر من التواصل مع الآخرين، توفير غرف نوم خاصة للأبناء الذكور وأخرى للإناث يعكس التزاما أسريا بالثقافة

1- عبد الرحمان رشيق، الحركات الاحتجاجية في المغرب: من التمرد إلى التظاهر، ترجمة: الحسين سبحان، تقديم: كمال لحبيب الرباط: (منتدى بدائل المغرب، 2014). تقرير باللغتين العربية والفرنسية، أنجز لفائدة ملتقى البدائل المغرب في إطار مشروع حريات التجمعات والتظاهرات في المغرب بدعم من الاتحاد الأوروبي.



الإسلامية التي تفرق بين الأطفال في المضاجع عملاً بالحديث النبوي، كما أن صغر حجم المنازل مع زيادة عدد أطفال الأسرة قد يدفع بالأطفال إلى قضاء وقت جزء كبير من وقتهم خارج المنزل، الأمر الذي ينمّي علاقات الصداقة بين أطفال الحي الواحد.

وتوصلت الدراسة إلى أن أغلبية السكان لا ترغب في ربط علاقات اجتماعية مع الآخر. وإن الشكل الإيكولوجي الجديد للتكتلات الحضرية هو العامل الأساسي من عوامل هشاشة العلاقات الاجتماعية وانطواء سكان المدينة على ذواتهم. وإن سياسة السكن الاجتماعي المتبعة والموجهة للفئات الهشة، تركز هي نفسها الفردانية، وتنتج صراعات بين الجيران. وإن القيم الفردانية تؤثر كذلك في تجزئ النسيج العمراني الذي بدأ يفرض نفسه من خال المنطق الأمني الذي يتحكم تدريجياً في بنية المدينة الحديثة.<sup>1</sup>

رغم أن السياسة العمرانية في المغرب تختلف عن تلك التي متبعة في الجزائر، غير أن نوعية العلاقات الاجتماعية في أحياء المدن المغربية الكبرى، في إطار صيرورة التمدن الكثيف، والتحويلات العمرانية التي فرضت مجتمعاً وثقافة وقيماً وأنماطاً سلوكية جديدة. يتشابه مع السيرورة التي تسير عليها المدن الجزائرية باعتبارها نتاجاً هي الأخرى لحقبة استعمارية وانتهاجها لنظام رأسمالي معولم. وهي السمة الأساسية المميزة لهذه العلاقات الاجتماعية المتبادلة، وهي سمة ملازمة للنظام الرأسمالي الجديد الذي فرضته الإدارة الاستعمارية، وهي أيضاً نتيجة الشكل الإيكولوجي للتكتلات البشرية الكبيرة في المجال المحدود للمدينة الحديثة،

#### 4- على المستوى الوطني

هناك عدة دراسات رائدة في هذا المجال نذكر بعض معض منها حسب تسلسلها الزمني

#### 4-1- فاروق بن عطية: تجمع أو مدينة. 2.

على المستوى المحلي مقارنة-الاندماج - وفي سياقها الزمني في مرحلة ما بعد الاستقلال وخاصة في ظل تبني الدولة للنظام الاشتراكي، توصل الباحث الجزائري "فاروق بن عطية" في دراسته بعنوان "agrégat ou cité" إلى أن اندماج القرويين و الريفيين من سكان الأحياء القصدية يمر عبر مراحل ، ويرى أن التفاعل الاجتماعي والتشئة الاجتماعية في المدن كانت تنظمها مؤسسات اجتماعية مثل العائلة، جماعة الخلان، شبكة القرابة، المجاورة (Voisinage) وكذا مؤسسة الحي (quartier) فداخل هذه الأخيرة كان الشباب يقضون معظم حياتهم الاجتماعية... فالحي كان

1- عبد الرحمان رشيق، الحركات الاحتجاجية في المغرب: من التمرد إلى التظاهر مرجع سابق، ص 31-32.

2- Farouk Benatia, agrégat ou cité, Reghaia. SNED, Alger, 1980

يشكل الوحدة الاجتماعية الأساسية داخل النسيج العمراني للمدن الجزائرية، والذي يضيف هوية خاصة للقاطنين به. فخلال المرحلة الاستعمارية لعبت هذه الأحياء دور الملجأ الاجتماعي الطبيعي للسكان الأصليين. بعد الاستقلال استمرت هذه الأخيرة في لعب دورها الاندماجي للسكان الوافدين. إلا أنه ونظرا لحركة التمدن السريعة المتزامنة مع الهجرة الريفية خلال الستينات والسبعينات، ظهرت أحياء محيطية جديدة، وإليها جلب الوافدون الجدد أنماط عيشهم القروية، وقطنوا عادة بجوار عائلاتهم أو قرابة أناس ينحدرون من نفس مناطقهم.<sup>1</sup>

وفي إحصاء 1966 كشف لنا فاروق بن عطية، أن الأحياء الشعبية هي التي حافظت على بعض استقرار تركيبتها السكانية. "وأن هناك علاقة بين الدخل واختيار مكان السكن، كما أن الاندماج في الأحياء الراقية أسرع من الأحياء الأخرى، والاستحواذ على المجال يأخذ في عين الاعتبار العلاقات الإثنية.<sup>2</sup>

كما أوضح أن "كبر المدينة أدى إلى ضعف العلاقات في الحياة الاجتماعية وزيادة في للحراك السكاني، فالقصة فرغت من سكانها القدامى واستقبلت جماعات من أصول ريفية وقروية، لا يكتون أي اهتمام أو عاطفة لأي شارع أو منزل في القصة، هذا ما أدى إلي شرح ثنائي:  
- من جهة السكان المستقرين، الأصليين، نسبيا مندمجين، يشكلون عادة مجتمع محلي له طموحات ورغبات مشتركة.

- من جهة ثانية، السكان الجدد، مهاجرين من مناطق غالبا ريفية، المعروف هذه التركيبة المتباينة هي مصدر للخلافات اليومية في الحي.

يرى بن عطية أن التغيرات التي شهدتها الجزائر العاصمة خلال الحرب التحريرية من تنقل آلاف الأشخاص من عصر إلى آخر (الصناعي) و من منطقة إلى أخرى حدث في زمن قصير حدده بجيل واحد، عكس ما حدث في أوروبا خلال عدة قرون ، و يرى انه من الطبيعي عند نزول القرويين بهذه الكثافة و السرعة للمدينة يحدث هناك احتكاك يولد عدة مشاكل، و الحل لهذه المشاكل، حسب اعتقاده، يكمن في التأقلم مع التغيرات و استيعاب جماعة الريفيين في المدينة ، في كلمة واحدة يرى أن مركز المدينة القديم يساهم بجزء كبير ،بواسطة حضوره و تاريخه و عاداته الحضرية، في عمليات تأقلم و اندماج المهاجرين<sup>3</sup>.

1- Farouk Benatia, le travail féminin en Algérie, Alger, SNED, SD, PP41-50

2- Farouk Benatia, agrégat ou cité, op.cit., p110

3 - Ibid., p172

بالنسبة للأحياء القصدية بالعاصمة، يرى بن عطية أن الإشكالية في تزايد ظاهرة الأحياء القصدية يعود إلى عدة عوامل ويقترح ثلاث فرضيات وهي: 1  
أولاً: تضاعف الأحياء القصدية مرتبط بالتصنيع السريع حول المناطق الحضرية، ونقص العمل في الريف.

ثانياً: الأحياء القصدية في وضعها الحالي تسمح بظهور أشكال مؤقتة من التعمير مما يعيد النظر في التوازن العمراني.

ثالثاً: اندماج سكان الأحياء القصدية في المدينة يمر عبر المشاركة والحياة اليومية. وفي الأخير خلص بن عطية في دراسته هاته إلى أن شروط الاندماج في المدينة تكون عبر ثلاث مستويات:

المستوى الاقتصادي المتمثل في توفير العمل.

والمستوى الثقافي المتمثل في ترقية التعليم.

والمستوى المجالي هو تهيئة العمرانية السليمة وتوفير السكن اللائق. 2

بعد تطرقنا للمقاربات النظرية الوطنية التي تبنيها لدراسة عملية الترحيل ومن خلالها ظاهرة إعادة الإسكان، وما ينجم عنها من علاقات اجتماعية ومدى تأثيرها على الرباط الاجتماعي، والتي عولجت من طرف علماء اجتماع وباحثين جزائريين حسب تسلسلها في السياق الزمني وهي دراسات كل من عبد المالك صياد وفاروق بن عطية ومدني صفار الزيتون وعبد الرحيم حفيان.

الملاحظ أن عملية الترحيل هنا هي عبارة عن انتقال قسري لسكان حي غير رسمي -حي قصديري، سكنات هشة، متضررين من الكوارث الطبيعية... إلخ- إلى حي مخطط ومهيأ ولو نسبياً، هذه العملية تأخذ عامل المفاجئة والسرعة، 3 ومن خلال هذه العملية هناك ثلاث عوامل تدخل في عملية بناء الروابط الاجتماعية وهي:

1- المجتمع المرحل: إن الأماكن التي قدم منها المرحلون تلعب دوراً كبيراً في إعادة بناء الروابط الاجتماعية فهناك مرحلون من بيوت قصديرية وآخرون من أحياء قديمة (حي القصبية) ومنهم من رحل بسبب كارثة (حي باب الواد، زلزال بومرداس)

2- نوع المسكن وطبيعته: أن التباين الموجود بين المسكن المرحل منه والمسكن المرحل إليه هو الآخر له دور كبير في التغيرات التي تطرأ على طبيعة الحياة الأسرية، وعلى طبيعة العلاقات

1 Farouk Benatia, agrégat ou cité, op.cit, p274

2 - Ibid., p313.

3 - Madani Safar Zitoun, Abderrahim Hafiane , op.cit., P247

الاجتماعية داخل الأسرة، وفي بناء العلاقات داخل العمارة الواحدة والحي بصفة عامة، فتقص الفضاءات وعدم تلبيتها لمتطلبات السكان قد يجعلهم يلجئون إلى تصرفات قد تبدو مزعجة في أعين السكان وتؤدي إلى تدهور العمارة " مثال غسل الملابس وكيفية نشر الغسيل على واجهات العمارات والشرفات "1.

3- البيئة العمرانية: علاقة البيئة العمرانية بشقيها الطبيعي والمصطنع (المخطط) في التمثلات التي يكونها الفرد المرحل حول الحي الجديد.

#### 4-2- عبد الملك صياد: الآثار الطبيعية لإعادة الإسكان.<sup>2</sup>

هذه الدراسات التي اهتمت بموضوع الترحيل كانت عبارة عن مقال لعبد الملك صياد بعنوان "الآثار الطبيعية لإعادة الإسكان" أوضح فيه أهمية المسكن الحديث في التأثير على نمط الحياة للسكان والعلاقات بين أفراد سواء على مستوى العائلة الواحدة أو على مستوى العائلات داخل الحي، كما تطرق إلى المعوقات المجالية حيث أن المسكن هو فضاء مهياً مسبقاً مما يجعل منه هيكل له بالغ الأثر على مستقبل العلاقات الاجتماعية والثقافية وكذا الاقتصادية للسكان، فالعلاقة بالمجال غير حيادية تستعمل السكن كأداة، فهناك حوار بين السكن كمجال مهياً والسكان هذا الحوار - لغة ثقافية - الذي يتجسد في عادات واستعدادات لدى بعض الشركاء ن في حين البعض الآخر يرى أن المسكن هو حاجة ملحة وضرورية، وهنا يرى أن المسكن هو المنتج والمبدع للمتطلبات والاستعدادات.

فالمرحل سوف يحاول، إما أن يتأقلم مع المسكن وينصاع إلى لغته وثقافته المبرمجة مسبقاً ويتخلى عن الهوية التي جاء بها من مكان إقامته الذي رُجِلَ منه، وبالتالي تغيير في طريقة الحياة و المعيش اليومي، أو يحاول أن يغير من شكل المسكن كي يصبح هذا الأخير يتناسب متطلباته الأساسية الاجتماعية والثقافية وخاصة إذا كانت العائلة ممتدة وقابلة للانفجار بواسطة زواج احد الأولاد فهنا تبدأ عملية التوسع للمسكن كأن يتم استعمال الشرفة كغرفة في حالة العمارات أو التوسع على حساب الساحة الداخلية للمسكن أو حتى على حساب المساحات الخضراء المجاورة أو الشوارع الثانوية، وإذا عجز عن ذلك سوف يصبح المسكن مكان غريب بالنسبة له فلا يكون هناك تبادل عاطفي وإنساني بين المسكن وساكنه فالتواصل هنا يكون منعدم يتمثل في شكل استعدادات وتصرفات كالانطواء أو الاغتراب أو محاولة تغيير المسكن والحي، فالساكن الجديد يأتي إلى الحي ومعه

1 - abdelmalek Sayad, les effets naturels du relogement, sciences sociales Panorama, n°4 et 5, spécial habitat, oct-nov, Alger.1980, p17

2 - abdelmalek , op.cit., p11/27

مجموعة من العادات والتقاليد التي يحاول أن يكيّفها مع الوضع الجديد، فالمرأة مثلاً في البداية تنغلق على نفسها في المجال أو الحيز الجديد (المسكن) تم تبا في الانفتاح على الفضاء الخارجي باستعمال ردهات العمارات والسلالم في القيام ببعض الأشغال مثل نشر الملابس والرجال وخاصة كبار السن والبطالين باختيارهم لاماكن للتجمع خلال النهار ويختار الصغار بدورهم أاماكن للعب، ثم بعد ذلك تبدأ بعض النشاطات في الظهور مثل الباعة المتجولون، ثم ما يلبث أن يبدأ الصراع حول امتلاك هذه المجالات، فالقابلية للتغيير أو المقاومة له قد تؤثر عليها متغيرات أخرى كثيرة تتداخل فيما بينها كالوضع الاقتصادي للسكان وثقافته وحجم الأسرة والذاكرة الجماعية والتمثلات التي يحملها معه من مكان إقامته القديم.

ففي الأحياء العتيقة مثل القصبة الروابط الاجتماعية متينة والأفراد يعرف بعضهم بعض واستعمالات المجال محددة بدقة هناك مجال للنساء -الأسطح والحمام مثلاً- وهناك مجال للرجال - مثال المقاهي -المجال. قد تبدو متينة لكن هذا لا يمنع من وجود صراعات متخفية تطفو إلى السطح أثناء الشجارات والخلافات بين الأفراد والجماعات المختلف داخل الحي الواحد.

إن طريقة الحياة في الفضاء الجديدة تتخذ شكل التحالفات في وجه الآخر فنجد أن " هناك الترابط القوي بين السكان المنحدرين من حي قصديري واحد، فنلاحظ جو من العلاقات الداخلية الغنية والمتينة والمنظمة من أجل الحفاظ على الهوية المشتركة لأبناء الحي الواحد بحكم اشتراكهم في نفس المصير، أن عالم الحي القصديري ليس عالم التعارف فقط، حيث الكل يعرف الكل، لكن أكثر من ذلك ن فكل جار يعرف ماذا يأكل جاره ومن أين يعيش، هل يعمل أو لا، كم يتقاضى في الشهر " فهنا الأوضاع المزرية تجعل الجميع يتقاسم الواقع المر المعاش مما يقوي من الروابط الاجتماعية في وجه الآخر -الدولة- "هناك هوية موحدة بين سكان الحي القصديري مثل العلاقات الموجودة في المجتمعات القروية الأكثر تماسك وتكامل، غير أنها لا تستند إلى العلاقات القرابية والدموية بل على الإخاء و المصير الواحد الذي هو نموذج مثالي لكل العلاقات والروابط الاجتماعية " 1

والملاحظ في هذه الأحياء هي مجتمعات أبوية من خلال العلاقات التي يعيشها الجيران والكلمات المتبادلة (خو، عمو، خالو، جدي...) هي عبارات تتم عن الاحترام المتبادل والروابط القرابية كذلك، فالتقارب الفيزيقي يدل على تقارب عائلي، فالاختلاط مسموح به داخل هذه الأحياء

فكل رجال الحي ينكشفون على كل نساء الحي فنجد أن الرجل حينما يعاقب أحد الصبية يمكنه أن يلحق به أينما دخل. 1

ويخلص عبد الملك صياد إلى أن المسكن الحديث و بالإضافة إلى المعوقات المجالية و المالية يفرض نوع من الاستقلالية المادية و المعنوية فالعائلة النووية لها الاستقلالية في تربية الأولاد و إدارة الشؤون الاقتصادية للعائلة، فتوفر المصادر الاقتصادية و الثقافية هما الشرطان الأساسيان لاستقلال العائلة النووية، فهما يساعدان على تشجيع و تثمين التمثلات الثقافية داخل العائلة، و بين الكبار والصغار، و بالأحرى العلاقات الحميمة ، وتقنيات التربية ، و قضاء وقت الفراغ و فق هذا النوع من العلاقات الأسرية، كما يرى أن الوحدات الاجتماعية التي تولد و تنتج عن إعادة الإسكان تبدأ في فقدان العلاقات التي تربطها بالعائلة الممتدة التي تتميز بكبر الحجم و التكوين تدريجيا و دون معرفة اكتساب بعض خصائص العائلة الزوجية (النوعية) ، حيث أن الشروط الاقتصادية و الثقافية الواجب توفرها لتخطي مرحلة الوسيطة (من عائلة ممتدة إلى عائلة نووية) التي تتميز بالغموض و عدم الاستقرار تتطلب تحولات ثقافية للتأقلم مع السكن العصري، ففي الحقيقة أن كل التحولات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية في الحالات الناجحة نسبيا التي تخص العائلات المتوسطة اقتصاديا هي بداية لإنتاج و ظهور طبقة برجوازية صغيرة ، تؤدي إلى تحولات في السلوك و هنا يتوصل الكاتب إلى أن السكن في نفس الحي لا يعني تقاسم نفس الهموم و المشاكل فهذه الأحياء تكرر التمايز الطبقي 2

#### 4-3-دراسات مدني صفار-زيتون:

للباحث إسهامات غزيرة<sup>3</sup> لا يمكن الإمام بها في هذا المجال سوف نتطرق هنا إلى ثلاثة منها:  
 - دراسة الأولى: نشرت سنة 1996 حول الاستراتيجيات المتخذة بحق الموروث السكني والتحضر منذ الاستقلال إلى غاية 1992.  
 ويتساءل الباحث، هل يمكن تحليل الأزمة السكنية التي تمر بها الجزائر انطلاقا من الظاهرة الحضرية التي شهدتها البلاد بصفة عامة والعاصمة بصفة خاصة؟  
 يمكننا ذلك من فهم الظواهر التي حدثت بعد الاستقلال، انطلاقا من عمليات ترك المدينة الكولونيالية من طرف المعمرين عند قيام الثورة، أين وجدت الدولة الوطنية نفسها "المالك الوحيد

1 - abdelmalek Sayad , op.cit.,p.23.

2 - Ibid., pp26-27

3- للاطلاع انظر:

4 - Madani Safar-Zitoun.- Stratégies patrimoniales et urbanisation. Alger 1962-1992.- L'harmattan, Paris, 1996.

للعقار"، وعلى خلاف ما كان يعتقد من طرف البعض، يرى الباحث أن حركة احتلال مدينة الجزائر، من طرف السكان الأصليين، بدأت منذ اندلاع الثورة سنة 1954 وانتهت سرا سنة 1966، وانطلاقا من خلال قراءة لإحصائيات 1966، يبين الباحث أن معظم المستفيدين من الشغور الحضري الذي تركه المستعمر، كانوا من كل الطبقات المجتمع العاصمي. ومن خلال استنطاق المعطيات الإحصائية الغير منشورة، وتحليل المعلومات المأخوذة مباشرة من الميدان، أوضح الباحث كيف أن مسالة الموروث العقاري والحضري أثرت بشدة على نمو النظام الحضري العاصمي.

يرى الباحث من ناحية أخرى، أن عمليات التكيف الثقافية المعقدة مع الإقامة الجديدة أدت إلى ثورة حضرية جذرية أحدثت تغييرات على منطوق استعمال الفضاء وإنتاج المجتمع وتحولات التي مست النظام القيمي والسلوك.

ومع توفر العناصر الأساسية، قررت الدولة بين عامي 1966 و1981، التدخل المباشر في المدينة ومصادرتها بفضل الريع النفطي الذي ساعد، فيما بعد، على ظهور الإطارات من ذوي الياقات البيضاء الذين يضمنون التأطير السياسي المتوسط، بفضل أدوات تشريعية وتنظيمية جديدة. يوضح الباحث الهيمنة الزائفة للقطاع العام من أجل توقيير السكن من ناحية، ومن ناحية أخرى كيف تعمل الدولة على تحييد "الجبهة الحضرية" من خلال السماح بسوق غير رسمي «هذا التحول نحو السمة غير الرسمية للنظام لم يشكك في الإجماع الضمني الذي تم عقده بين السلطة والمجتمع المدني فيما يتعلق بالمشاركة والاستفادة من "غنائم الحرب" من العقارات

وفي الأخير يتوصل يرى الباحث أن تخلي الدولة عن سوق العقار السكني لفائدة الأفراد الموجودين في أفضل الأماكن في سلم السلطة، وهذا ما سيؤدي في آخر المطاف إلى انفجار عمراني يجعل من الاستراتيجيات المتبعة من المستحيل أن تفضي إلى عصرنة المدينة

- **الدراسة الثانية:** في دراسة ميدانية لـ: صفار الزيتون وعبد الرحيم حفيان حول العلاقة بين السلطة والمرحليين في عمليات الترحيل التي شهدتها الجزائر المستقلة، وكانت العينة الأولى حي سيدي حرب وحي بوخميرة بمدينة عنابة والعينة الثانية حيي 617 سكن بدرارية وحي 310 سكن بجسر قسنطينة بالجزائر العاصمة، وكان من نتائج هذه الدراسة الميدانية<sup>1</sup>:

✓ بالنسبة لأصول المستفيدين من السكن في السنوات الأخيرة كانت أصولهم حضرية فعاليتهم من أحياء مركز المدينة على عكس المستفيدين القدامى الذين كانت أصولهم ريفية.

1 - Madani Safar-Zitoun et Abderrahim Hafiane: «L' "entre-deux" dans les opérations de relogement en Algérie: l'émergence problématique d'un tiers acteur urbain», in "L' "entre deux" des politiques institutionnelles et des dynamiques sociales", programme PRUD, 2006, p224-228.

- ✓ غالبية العائلات ذات تركيبة نووية بنسبة 72.1% وخاصة العائلات المرحلة حديثا.
- ✓ عامل الزمن له دور كبير في ردود الأفعال وتصريح المستجوبين.
- ✓ صيغة السكن ونوعيته -تطوري، أستوديو...-يؤثر على العلاقة بين الدولة الممثلة بالإدارة والمرحلين.
- ✓ هناك تباين في فرص العمل بين الأحياء حسب كل مدينة، ففي الجزائر أكثر حظا من عناية.
- ✓ عمليات الترحيل كانت كلها متشابهة، حيث تمت بشكل فجائي وجماعي دون سابق إنذار ودون دراسة مسبقة-بالنسبة للأحياء القصدية-عكس المرشحين من البناءات الهشة.
- وخلص الباحثان إلى الاستنتاجات التالية<sup>1</sup>
- فرضية رجوع الدولة للنظام الأبوي الذي ميز أسلوب هيمنة الدولة على العلاقات بينها وبين السكان منذ بداية السبعينات.
- هشاشة النظام وخاصة بعد أحداث 1992 غرست في الناس مواقف هجومية وقللت من هيبة السلطات.
- اللجوء للسكن جماعي يبدو أكثر تقبلا من السكان المستجوبين وأصبح هو الاحتمال الوحيد للمستقبل السكني في العاصمة، وسكان السكن التطوري في عناية بيدون ارتياحهم التام لحصولهم على سكن فردي قابل للتوسع.
- مدى نجاعة الاستراتيجيات السابقة التي تمت تجربتها.
- إقحام فاعلين محليين في عملية توزيع السكن.
- النظام أو النسق المرجعي السابق تغير تدريجيا بنسق آخر، مرتبط بحقيقة التماسك السكني الجديد، فالتمثلات المضنية المتولدة في الأحياء القصدية ومراكز العبور ، التي تم بناءها حول عبارة لنا الحق و حول عدم الاستقرار، استبدلت بتمثلات معقدة.
- وضع آليات تشريعية، تسمح لها بترك المجال لصالح الجماعات المحلية.

### الدراسة الثالثة: دراسة بعنوان "الجزائر اليوم: مدينة تبحث عن معالمها الاجتماعية"<sup>2</sup>

الوجه الآخر للمدينة، أي ذلك الوجه المطروح من خلال ممارسات ومسارات امتلاك الفضاء العاصمي من قبل السكان. يقدم صاحب الدراسة صورة غير مسبقة ومفاجئة للتحويلات الجارية

1 - - Madani Safar-Zitoun et Abderrahim Hafiane: «L' "entre-deux"», op.cit., p253-255.

2 - Madani Safar-Zitoun, Alger d'aujourd'hui : une ville à la recherche de ses marques sociales, in « Insaniyat » n° 44-45.



بتحليله العميق والمفصل لأشكال النمو الديمغرافي، وللممارسات التي يعرفها كل من الشغل والحركة السكنية، وكذا انتشار سكان العاصمة في هذا المجال وفقا لهذه الخصائص السوسولوجية. وإن حثنا المؤلف، بقرائه الصارمة للأرقام، على التحرز من الصور النمطية والتمثّلات الخاطئة التي تقدم مدينة الجزائر على أنها أكبر تجمع سكاني "عاصمي"، فإنه يكشف لنا أيضا عن الكيفية التي ابتعدت بها تدريجيا تلك الطبقات الاجتماعية الميسورة عن وسط المدينة، التي اكتسحتها النشاطات التجارية والخدمات، للاستقرار في البلديات المحيطة بالمركز والتي تلتصق بالأحياء الثرية في أعالي العاصمة. يتمحور الموضوع الأساسي لهذه الدراسة حول الديناميكية العمرانية الجارية بمدينة الجزائر. وانطلاقا من استغلال المعطيات الأكثر جدة والواردة في مختلف الأبحاث، لكن وبالاعتماد أساسا على إحصاء السكان والإسكان لسنة 2008، يسعى المؤلف من خلال الأرقام بنقد مجموعة من الصور النمطية والأوهام السوسولوجية القائمة حول تطور وقائع التوطين وإعادة الهيكلة الاجتماعية بمدينة الجزائر. فبعد إغائه الطروحات المتعلقة بالتضخم الرأسي للعاصمة ووهم بقاء إمدادها الديموغرافي بواسطة "الهجرة الريفية" فإن صاحب الدراسة يشير إلى الحجم الهائل الذي تعرفه حركة فك الارتباط السكني الملاحظة خلال العشرين سنة، بالموازاة مع عمليات تكثيف الأشغال ذات الطابع التجاري والخدماتي في منطقة الوسط العاصمي بالتحديد، والتي أسهمت في تفاقم مشاكل العملية الحضرية.

كما يقوم المؤلف في الجزء الثاني من بحثه، بفحص ضخامة هذه التنقلات السكانية وكذلك محتواها الاجتماعي، إذ يبرز أن الإقامة من جديد ببلديات الساحل العاصمي الواقعة على امتداد الأحياء الثرية لأعالي المدينة كانت بمبادرة الطبقات المحظوظة من سكان العاصمة. كما أسهمت بشكل كبير البرامج العمومية الموجهة للطبقات المتوسطة (برامج الكراء والبيع) في نقل هذه الطبقات إلى مناطق محصورة وهامشية في الضاحية البعيدة للعاصمة وبالتالي في إفراغ وسط المدينة من فئاته الأكثر ثقافة وديناميكية. كما يبرز الجزء الأخير من دراسته التفاهم والتموضع الفضائي للسكن الهش ويشير إلى طابعه الداخلي، بمعنى أنه نتاج لإقامة أسر جديدة تنتسب إلى مدينة الجزائر وليست قادمة من خارج الولاية.

ويختتم هذه الدراسة بالتعرض إلى بعض الاعتبارات ذات الطابع العام التي تشدد على التوزيع الجديد للفضاء العمراني ذي التمايز الاجتماعي وإلى الانعكاسات الاجتماعية لهذه الوضعية.

#### 4-4- إبراهيم التهامي: الأحياء المتخلفة بين التهميش والاندماج في البناء السوسيو-اقتصادي الحضري.<sup>1</sup>

أجريت هذه الدراسة بإحدى المناطق التي شكلت ميدان بحثنا وهي منطقة بوعباز الموجودة بمدينة سكيكدة. وهي عبارة عن رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في اختصاص علم اجتماع التنمية من كلية العلوم الإنسانية والعلوم والاجتماعية بجامعة قسنطينة. فبعد أن استعرض الباحث واقع الأحياء المتخلفة في البلدان النامية والأسباب التي أدت إلى انتشارها، انطلق في استعراض مختلف الاتجاهات النظرية التي تناولت هذه الظاهرة، ليصل في الأخير إلى إن أسباب انتشار ظاهرة الإسكان بالأكواخ والبيوت القصدية في الجزائر يعود إلى أربعة أسباب رئيسية وهي التحضر السريع وغير المخطط، واستمرار أنماط التحضر التي تعود إلى الفترة الاستعمارية، وارتفاع ظاهرة الهجرة نحو المدن وفشل سياسات الإسكان المعتمدة من طرف الدولة، وكنتيجة لاستراتيجية التنمية والتصنيع المتبعة.

ومن اجل الوصول إلى تحقيق أهداف دراسته وضع الباحث الإجابة على مجموعة من الأسئلة وهي:

-ماهي الخلفية الاجتماعية والاقتصادية لهؤلاء السكان في منطقة بوعباز؟

-ما هي أسباب هجرتهم نحو هذه المنطقة؟

-لماذا ما زالوا يعيشون في هذه المنطقة؟

بالإضافة إلى بحث خصائصهم، أعمالهم، وظائفهم، ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية، مدى تكيفهم مع

الحياة الحضرية.. و قد توصل في بحثه إلى النتائج التالية:

-أن سكان منطقة بوعباز المتخلفة لا تنطبق عليهم خصائص الجماعات الهامشية وليسوا مجتمعا متخلفا، بل هم يشاركون في الحياة المدنية والسياسية للمجتمع المحلي الذي يعيشون فيه، وهذا انطلاقا من ثقافتهم الفرعية وأسلوبهم الخاص بهم كما يرى الباحث، كما أن وعيهم وإدراكهم لأوضاعهم وحياتهم المستقبلية مرتفع ويمتاز بالطموح، ولا تنطبق عليهم نظرية ثقافة الفقر التي جاء بها... "أوسكار لويس".

ويرى الباحث أن الأوضاع التي يعيشها سكان هذه الأحياء يعود إلى مسؤولية السلطات التي لم تعمل على تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية.

1 - Martin Lalonde, La crise du logement en Algérie : des politiques d'urbanisme mésadaptées, Mémoire présenté à la Faculté des études supérieures en vue de l'obtention du grade de Maître ès science en Anthropologie, Université de Montréal. Avril 2010.

#### 4-5-دليله زرقه، سياسات السكن والإسكان بين الخطاب والواقع: دراسة ميدانية بمدينة وهران<sup>1</sup>.

انطلاقاً من سؤال الإشكالية والمتمثل في: وماهي الاستراتيجية المتبعة من طرف الدولة لحل الأزمة وما مدى نجاحها في ظل النمو التحولات الاجتماعية وكذا الاقتصادية؟  
تفترض الباحثة أن أزمة السكن بمدينة وهران تكمن في عدم استجابة مخططات السكن للخصائص الاجتماعية والثقافية للسكان. وإن الارتفاع النمو الديمغرافي وكذا الهجرة الداخلية نحو مدينة وهران وارتفاع وانتشار النمو السكاني داخل الأحياء القصدية يحول دون تنفيذ شامل لسياسة الإسكان. وإن طول المدة بين تنفيذ المشاريع السكنية وعملية الإسكان يضخم من أزمة السكن، هذا ما يجعل الموجات الاحتجاجية تتزايد، ويؤثر على السلم الاجتماعي. وتوصلت الباحثة إلى عدة نتائج نلخصها فيما يلي:

تعتبر أزمة السكن حاصل تحصيل للسياسات السكنية والحضرية، التي تبنتها الجزائر خلال تشريعها للدساتير والمواثيق من فترة ما بعد الاستقلال إلى غاية يومنا هذا. فالسياسة العقارية المتبعة قبل سنة 1991، مكنت الدولة من الاستحواذ على احتياط عقاري كبير، سمح لها بإقامة وتنفيذ المشاريع اللازمة في المدينة، غير أن هذه الوضعية أفرزت حالياً نتائج عكسية وخيمة على ميزانية الدولة، من خلال تعويض ملاك الأراضي بأسعار السوق.

مدينة وهران مثلها مثل المدن الكبرى الجزائرية، تعاني من انتشار الأحياء الفوضوية في محيطها نتيجة عدة أسباب منها النمو السكاني، وهذا النمو عرف شكلين هما الزيادة الطبيعية، والهجرة الداخلية. حيث أن هذا التركز شكل ضغطاً على المجال الحضري، من حيث الطلب على السكن الذي أدى إلى الضغط على المصالح المحلية، وفي المرحلة التالية إلى نمو وتوسع عشوائي للمدينة.

التزايد الكبير للسكان أظهر عجز القطاع العمومي عن تسيير النمو الحضري، وإنتاج السكن بالحجم الذي يلبي مطالب السكان. وفي ظل الوضع المتأزم طرأت تغيرات كبيرة على مورفولوجية المدينة، فتعدد الصيغ السكنية وكذا أشكالها. كل هذا أعطى صورة غير متناسقة ومشوهة للمدينة.  
أن آليات إنتاج الفضاء الحضري لمدينة وهران والتي تعتبر نموذج عن المدن الجزائرية الكبرى، والذي يقاس على أساس المفارقة بين الخطاب والممارسة، والتي تعود نتائجها على المستوى

1- دليله زرقه، سياسات السكن والإسكان بين الخطاب والواقع: دراسة ميدانية بمدينة وهران، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية جامعة وهران، السنة الجامعية 2015/2016.

الاجتماعي وكذا المجالي. عرفت هذه الأخيرة تطور ملحوظ، إلا أنه غالباً ما يصاحبه توترات على المستوى الداخلي للمجتمع.

إن الممارسات الغير شرعية التي تهدف إلى الحصول على قطعة أرض أو شقة، ليست خاصة تتميز بها فئة اجتماعية واحدة، والتي غالباً ما تتسم بها الطبقة الفقيرة، وإنما هي ممارسة يومية للفئات المتميزة اجتماعياً. حيث يشير مدني صفار زيتون في هذا الموضوع على أنه مؤشر لتعميم هذه الممارسات. أين تكون عمليات وضع شبكات تملك العقار والعمارات تؤسس على قاعدة زبائنية، أو على أساس الإرث. والمتمثلة في النخبة الحضرية المهيمنة، ويساعدها في هذا تكوينها ومعرفتها بالقواعد التنظيمية للمسألة الحضرية، ويساعدها على ذلك موقعها الاجتماعي.

تعد أزمة السكن واحدة من أكبر الأزمات التي تعانيها الجزائر، ولا تزال معالجتها مستعصية على مؤسسي هذه السياسات منذ عقود. فالجزائر تشهد احتجاجات عنيفة في كل مرة يعلن فيها عن توزيع الوحدات السكنية "الاجتماعية". وتختزل هذه الأزمة من قبل مجتمع البحث، في غياب الشفافية، وعدم احترام معايير الأحقية على مستوى الإدارات المحلية التي تقوم بتحضير قوائم المستفيدين بسبب تقشي الفساد والمحاباة.

والحقيقة أن ثمة اختلالات بنيوية في صياغة وتنفيذ سياسات الدولة في مجال السكن والإسكان، وما يحدث على مستوى الإدارة المحلية ما هو إلا حلقة من بين الحلقات الطويلة للاختلالات.

إن انتشار نمط عمراني واحد المتمثل في النمط العمودي والذي في كثير من الأحيان لا يقيم بتلبية احتياجات الأسرة. حيث أن النظام الأسري الجزائري شهد الكثير من التغيرات تشمل الوظائف والمكونات الأساسية في البناء العائلي، على غرار جانب السكن الذي يتغير بتغير حاجيات ومتطلبات الأسرة وحجمها. إلا أنه مع انتشار نموذج السكني F3 فإن الأسرة الجزائرية أصبحت في كثير من الأحيان إلى التنازل عن خصوصياتها وعاداتها وتقاليدها.

ففي بداية الأمر يجب على المصمم (والمتمثل في السياسات والبرامج السكنية) أن تفهم حقيقة العلاقة بين الأسرة والمسكن، وأنه سيقدم إنشاء لحاجة إنسانية لا غير، فهو مطالب بالتخطيط للأفراد محاولة منه الاستجابة لحاجاتهم المتنوعة، بإنتاجه للبيئة المناسبة لتطلعاتهم وطموحاتهم في إطار العادات والتقاليد التي تنظم حياتهم. حيث عرف هذا النوع من المساكن ضعفاً في تأدية وظائفه، وأصبح لا يعبر عن ثقافة الأسرة الجزائرية، وقد لا يحفظ حرمتها وخصوصياتها. وهذا ما أدى إلى تأزم الأزمة. حيث يؤكد أحد الأخصائيين أن هناك غياب كلي لتوافق بين " الوحدة الفضائية " أي

السكن و "الوحدة الاجتماعية " أي الأسرة، وما يمكن استخلاصه هو أن السياسة السكنية أغفلت الاهتمام ببعض الخصائص المحلية والاجتماعية المرتبطة أساسا بالمحيط السكني. وتجاهلت إدراج الجماعات الحضرية في اتخاذ القرارات أو على الأقل في استشاراتهم فيما يرتبط مباشرة بهذه الخصائص.

#### 4-6-مارتان لالوند (Martin Lalonde): أزمة السكن في الجزائر: سياسات تخطيط حضري غير ملائمة.

عبارة عن دراسة تاريخية استكشافية لمعرفة ماهي الأسباب التي وراء ظهور ازمه السكن في الجزائر، انطلاقا من دراسة العوامل الخارجية المتمثلة في الماضي الاستعماري، والنزوح الريفي بسبب الحرب التحريرية، والتحويلات التي عرفها النظام العالمي، والآثار العامة للعولمة. وعوامل داخلية تتمثل في الانفجار الديمغرافي، تعايش عدة أجيال تحت سقف واحد، أهمية العلاقات مع الأسرة الممتدة، والصراعات داخل السلطة، والأيديولوجيات التي اعتمدها الحكومات المتعاقبة، والوضع الاقتصادي الصعب، وارتفاع معدل البطالة ونقص مناصب العمل، وعدم استقرار مصادر الدخل. ومعرفة كذلك الأسباب في استمراريتها وتفاقمها.

تبنى البحث فرضية رئيسية مفادها أن السياق الاجتماعي والاقتصادي المعقد والصعب الموجود في الجزائر لا يفسر كل شيء، حيث يعتقد أن سياسات التنظيم الحضري وتنظيم الإسكان المطبقة منذ عام 1950 في الجزائر كانت غير ناجعة، مما أدى إلى تفاقم الظاهرة، وهي غير ملائمة لأنها تجاهلت الخصائص الاجتماعية والثقافية للسكان الذين المعنيين، مما أدى إلى التحول السريع لعدد كبير من المساكن المبنية حديثا إلى أحياء متخلفة.

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج نوجزها فيما يلي:

رفض هذا البحث فكرة أن أزمة الإسكان في الجزائر هي ببساطة نتيجة لسياق تاريخي واجتماعي واقتصادي، وان قلة الاستثمار في هذا القطاع في السنوات الأولى من الاستقلال ضمن خطط التنمية أدى إلى تفاقم الظاهرة.

أتاحت هذه الدراسة أيضا ملاحظة أن أزمة الإسكان لا تتبع فقط من سياق صعب بسيط ومن ضعف الاستثمار، ولكن أيضا أن هذه الاستثمارات، غير الكافية، تم تخصيصها بطريقة غير فعالة وغير كافية، مما يفسر سبب انخفاض إنتاجية قطاع البناء العام.

يؤكد هذا البحث التاريخي أن الجانب النوعي لتصميم السكن الاجتماعي كعامل يمكن أن يؤدي إلى تفاقم ازمه السكن. فيما يتعلق بجودة المساكن، ولا سيما حجمها، هناك تحسنا طفيفا.

أخيراً، تؤكد هذه الدراسة أن أزمة الإسكان لا تتبع فقط من مزيج هذه العوامل المختلفة (السياق والكمية المتاحة والجودة والتصميم). لكن هناك عوامل أخرى تتعلق ببعض الأشخاص الذين يستفيدون شخصياً من ظاهرة أزمة السكن، ويستخدمون قوتهم أو نفوذهم لمنع الوضع من التحسن، وأنه لا يمكن لسياسات التخطيط الحضري أن تكون فعالة إذا تجاهلت هذا الوضع وتم إعدادها من فهم غير مكتمل للواقع الاجتماعي الذي أصبح من الصعب فهمه بشكل متزايد.

أدى اجتماع كل هذه العوامل إلى التهميش المستمر لسوق العقارات بالنسبة لجزء أكبر من السكان، رغم وجود فرصة ضئيلة لمعظم العائلات الجزائرية في رؤية ظروف سكنهم تتحسن. ومن هنا يأتي الارتفاع المستمر في معدلات شغل السكن، مما يؤدي إلى زيادة حجم المساكن المكتظة بشكل متزايد مما يساهم في تدهور جزء كبير من المساكن. كما سينتج عن ذلك عدم اهتمام المستثمرين ورجال الأعمال بإنتاج المساكن، لذلك كان من المفارقات، والمثير للدهشة إلى حد ما، في وقت تحرير سوق العقارات أن نلاحظ انخفاضاً كبيراً في نسبة المساكن الجديدة مقارنة بالسكن الخاص (من 71% عام 1976 إلى 27% عام 1983) <sup>1</sup>.

يرى الباحث أن الدولة الجزائرية لا تزال غير قادرة على الحد من ظاهرة البناء غير القانوني، حيث يتم تنفيذ عدة آلاف من الإنشاءات الجديدة دون ترخيص كل عام.

بناءً على هذه النتائج، يتساءل الباحث هل من الواقعي أن نأمل في تحسن كبير في ظروف الإسكان لجميع السكان الجزائريين على المدى القصير أو المتوسط؟ ويرى أنه فيما يتعلق بحجم الاستثمار المخصص لبناء المساكن، بأن أن الدولة الجزائرية لديها حالياً الإمكانيات المالية التي تمكنها من التخفيف من حدة الأزمة السكنية. وذلك لتجنب ظهور مشاكل وأزمات اجتماعية واسعة النطاق.

ويرى أنه إذا كان أحد الأهداف الرئيسية وراء إنتاج المساكن العامة، كما أوضح سفر زيتون، يُبقي على المضاربة وعلى إعادة توزيع أرباح النفط بين النخب المالية وموظفي الدولة، فإن زيادة الاستثمارات التي تُستخدم بطريقة أكثر كفاءة لبناء مساكن أكبر حجماً وذات جودة أعلى، من شأنها أن تؤدي في مثل هذا السياق، لزيادة التفاوتات الاجتماعية وتعزيزها، والتهميش الفعلي لشريحة عريضة من السكان. فبالنظر إلى عدم واقعية رؤية الإرادة السياسية الحقيقية في الجزائر لمعالجة هذه المشكلة، قد يبدو الوضع محبطاً بشكل واضح، وإن التحسن العام في ظروف الإسكان تبدو مستبعدة.

1 - Madani Safar-Zitoun,., Dynamiques sociales et rigidités institutionnelles ou la ville confisquée par l'état : le cas d'Alger, collection Villes et développement, Montréal, 1994, pages 8 et 9.

وفي الأخير يتساءل الباحث هل يمكن أن ينظموا أنفسهم مرة أخرى في حركة اجتماعية وشعبية واحتجاجية يمكن أن تؤدي إلى ديمقراطية المسألة الحضرية وتسهل من عملية الحصول على السكن؟

المهم في هذه الدراسة اعتمادها على بيانات معتمدة من طرف باحثين جزائريين مما يمنحها نوع من المصداقية التاريخية، لكنها تبقى ناقصة لعدم توفرها على معطيات ميدانية من الواقع المعاش في الوقت الذي تمت فيه الدراسة. وقررها للنظرة الاستشرافية باستثناء التساؤل الأخير الذي يبدو صاحبه متأثراً بالربيع العربي، حيث يرى في المناهج الثورية هي الطرق الوحيد لحل أزمة السكن في الجزائر.

### خلاصة الفصل

هناك دراسات عديدة تطرقت للفضاء العمومي على المستوى العالمي والقاري والعربي والمحلي وأخذت الموضوع من جوانب عدة سياسية وجغرافية وعمرانية وحضرية واختلفت الروى التفسيرات حسب الزوايا التي درس منها الموضوع وأثبتت أن الفضاء العمومي جزء مهم في الحياة المدينة، الرباط الاجتماعي من اهتمامات علم الاجتماع وارتبط بالمدينة ومجتمعها هو الآخر وما والكيفيات التي ينشأ بها ويتطور من خلالها داخل المدن الجديدة والتوسعات العمرانية المستحدثة يرتبط ارتباطاً مباشراً بالحراك المكاني الذي تحدثه التغيرات المورفولوجية والاجتماعية التي تعرفها المدن الحديثة فهي سريعة التحرك والتغير على كل المستويات مما يجعل من الرباط الاجتماعي موضوعاً قابلاً للدراسة في كل حالة وفي وقت.

وتعتبر أزمة السكن كظاهرة عالمية مست كل دول العالم، والتي لم تفلح اغلب السياسات في التصدي الكامل لهذه الظاهرة، وتعتبر عمليات الترحيل وما يسبقها هي مراحل مهمة في عملية الإسكان فهي تخضع لعدة معايير تختلف من دولة إلى أخرى من نظام إلى آخر، فمن الإسكان المفاجئ والجماعي كما هو معتمد في الجزائر العاصمة والمدن الكبرى الجزائرية إلى الإسكان الانتقالي كما هو معتمد في فرنسا وبعض الدول الأوروبية وإلى الإسكان القسري كما هو في الدول شرق آسيا إلى الإسكان الطوعي، والإسكان التفاوضي، ولإسكان المؤقت، والإسكان الاختياري.. الخ، كل هذه الاستراتيجيات المعتمدة في عمليات إعادة الإسكان لطالبي السكن وسكان الأحياء الغير رسمية ( الأحياء القصديرية، مراكز الإيواء، السكن الهش، اللاجئون من الكوارث والحروب، مراكز العبور... الخ).

إذا كان الهدف الرئيس للإسكان هو تأمين الحياة والوقاية من مخاطر الطبيعة، فإن من الأدوار المنوطة به كذلك هو تعزيز الاندماج الاجتماعي، واعدة بناء الرباط الاجتماعي من خلال العمليات التي تنسج بها العلاقات الاجتماعية التي تتجسد في فضاءاته العامة من ساحات ومرافق ومواصلات وخدمات...إلخ.



## الفصل الرابع:

### الأشكال المختلفة للفضاء العمومي

1- الأشكال المادية

2- الأشكال اللا مادية

## الفصل الرابع: أشكال الفضاء العمومي وعلاقته بالرباط الاجتماعي:

مفهوم الفضاء العمومي يحمل نشأة فلسفية، كانت أولى بدايات التأصيل له في العلوم السياسية، ومن ثم اتخذ صبغة المادية باعتباره مساحة افتراضية للنقاش العالم. غير أنه وفي الثلاث عقود الأخيرة من القرن العشرين تدخلت حقول معرفية كثيرة والتفتت إلى أبعاده المادية، باعتبارها فضاءات فيزيقية تكفل وتحتضن هذا التداول المجتمعي والاندماج الاجتماعي في المدن وخاصة في الأنسجة الجديدة منها. وتعتبر الفضاءات العمومية عصب حياة المدينة ومركزها الاقتصادي والاجتماعي منذ القديم (الأغورا اليونانية، الفوروم الرومانية، مركز المدينة الإسلامية) كلها مجالات ذات بعد رمزي مهم، فإذا كانت المدن تكتسب مكانتها على المستوى الوطني من أهميتها الإدارية والاقتصادية الديمغرافية، فهي تستمد هويتها ورمزيتها من نسقها الحيوي المتمثل في فضاءها العمومي.

سنتناول في هذا الفصل الأشكال المادية المختلفة للفضاء العمومية التي عرفتتها المدينة منذ نشأتها إلى وقتنا الحاضر وربط ذلك بمتغيرات البحث وخاصة مسألة الرباط الاجتماعي والإسكان والتحويلات الاجتماعية الناجمة عن الإسكان بالأحياء الجديدة.

### الأشكال المختلفة للفضاء العمومي

الفضاء العام يمكن حصره في دراستنا هذه فيما يعرف بالفضاءات العمومية وهو ظاهرة خارجية لتجلي "الفكرة"<sup>1</sup> وهي بمثابة العلاقات الاجتماعية، والتي تتمثل في أشكال عديدة تتجلى في المدينة، منها المادية كالشارع والساحة والمسجد والحمام والمقهى... الخ، ومنها الغير مادية كالهاتف والوسائط وشبكات التواصل والجمعيات والأحزاب.

### الأشكال المادية

سوف نتطرق هنا إلى بعض الأشكال المادية للفضاءات العمومية التي نرى أنها مهمة في دراستنا هذه بناء على الملاحظات الميدانية وكثافة استعمالها في حياة الأفراد وكذلك تلك التي تعتبر حقولا مهمة في التفاعلات اليومية للسكان وتشكل مجالات للتواصل بكل أشكاله، وهي من أهم المكونات الفيزيكية للمدينة.

### 1-1-1- الحي:

الحي أو "الحومة" ذلك المجال المكاني الذي يتقاسمه العام والخاص، (هذا الحيز الجغرافي الذي يحتوي الحياة العائلية التي يحميها المسلم الحضري إلى أقصى حد من الحياة العامة، هذه

1- كارل ماركس، راس المال المجلد الأول عملية إنتاج راس المال، ترجمة: فالح عبد الجبار، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2013، ص.38.

الخصوصية التي يحاول الحضري الحفاظ عليها، لها بعدان الحي والمسكن<sup>1</sup>. فالفضاءات الحضرية للحي ترتبط بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للسكان في مورفولوجيتها. من مكونات الحي كذلك الشارع الذي يعد منطقة انتقالية بين المستويات الخاصة السابقة التي يجمعها ومحاور التعامل في الأسواق ومناطق الإنتاج الحرفي والصناعي، والجامع الكبير، وتتمتع الحومة بكل الوظائف وكل الرموز التحضيرية كوظائف الإقامة والتعامل التي تؤديها الأنهج الرابطة بين الأزقة وكل الوظائف التجارية والحرفية "الفرن العادي وحوانيت التغذية العامة والمطحنة والجزارة" وتوفير الخدمات كالمدرسة القرآنية "الكتاب" - أو ما يسمى محليا بالمحضرة - والوراقة والمدرسة الابتدائية ومحل التمريض والوكالة "المنزل"، كما تؤدي الحومة دور المحول الاجتماعي "الزاوية وأماكن التعبد" المسجد "والمسجد الجامع والحمام والحلاق وخلية الحزب والمقهى" فهكذا تكون الحومة من خلال مناخها مجالا للمعيش اليومي والتواصل الاجتماعي.<sup>2</sup> ونعرفه على انه جزء لا يتجزأ من المدينة يشتمل على مجموعة من المباني والشوارع والطرق ويكون له اسم متعارف عليه وتحيط به غالبا شوارع رئيسية أو فراغات تفصله عن غيره من الأحياء،

### 1-2-الشارع

الشارع اهم فضاء عمومي في المدينة على الإطلاق، ولا يمكن الاستغناء عليه في تخطيطها وهو عبارة عن فراغ ممتد بتموضع على جانبيه مختلف العناصر المعمارية ذات الجوانب المتراسة والمتباينة، وهو يختلف في مفهومه عن الطريق كونه يكفل الاتصال بين الأفراد والجماعات ويحقق التفاعل بينهم، وهو بذلك يجسد الحياة الاجتماعية والتعايش بين الأفراد،<sup>3</sup> وهو "فضاء استراتيجي للتعايش الاجتماعي".<sup>4</sup> وهو عنصر أساسي لكل الثقافات حيث ساهم في ممارسة مختلف أشكال الحياة الاجتماعية منذ البدايات الأولى لنشأة المدن.<sup>5</sup> هذا من منظور عمراني، وعلم الاجتماع هو الآخر ساهم في الرفع من الاهتمام بالشوارع الفيزيائية للمدينة والتفاعلات اليومية للمواطنين أكثر من إمكان النقاش أو الخطاب، حيث يقاس الفضاء العام وفقاً لإمكانية الولوج إليه، سواء من الناحية

1 - Larbi Icheboudene, Alger Histoire d'une capitale. Éditions CASBAH, Alger.2014, p.56.

2- جان ماري ميوساك، مدن وحضر، ضمن كتاب: المغرب العربي الإنسان والمجال، إشراف جان فرانسوا تراون، ترجمة: علي التومي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، الرباط، 1997، ص450.

3 -David Mangin، Philippe Panerai: le temps de la ville: l'économie raisonnée des tracés urbains، Versailles,1988. p57.

4 - Élisabeth Dorier-Apprill, et Philippe Gervais-Lambony. Vies citadines. Belin, 2007. P65.

5 - Pierre Merlin, Françoise Choay et al. Dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement, PUF, Paris, 1988, p594.

الفيزيائية أو النفسية<sup>1</sup>. حيث سيساعدنا «الشارع» على دراسة وفهم العلاقة بين الفضاء العمومي ونوع وشكل العلاقات الاجتماعية التي تتكون من خلاله.

جاء في لسان العرب "والشارع: الطريق الأعظم الذي يشرع فيه الناس عامة، وهو على هذا المعنى ذو شرع من الخلق يشرعون فيه. ودور شارع إذا كانت أبوابها شارعاً في الطريق. وقال ابن دُرَيْدٍ: دور شوارع على نهج واحد. وشرع المنزل إذا كان على طريق نافذ. وفي الحديث: كانت الأبواب شارعاً إلى المسجد أي مفتوحة إليه. يُقال: شرعت الباب إلى الطريق أي أنفذته إليه. وشرع الباب والدار شُروعاً أفضى إلى الطريق، وأشرعه إليه. والشوارع من النجوم: الدانية من المغيب. وكل دان من شيء، فهو شارع. وقد شرع له ذلك، وكذلك الدار الشارع التي قد دنت من الطريق وقربت من الناس، وهذا كله راجع إلى شيء واحد، إلى القرب من الشيء والإشراف عليه<sup>2</sup>. فالشارع من هذا التعريف هو مكان عام ومفتوح للجميع، واصطلاحاً الشارع هو أحد أهم مكونات المدينة وهو ممر ذو ملكية عامة، ويستعمله عادة جميع الناس المشاة منهم و السيارات، يربط بين نشاطات الناس و يؤمن التفاعل فيما بينهم، وظيفته خدمة الأفراد، ويرى محسن البوعزيزي (إن الشارع ليس ذلك الممر الذي تطأه الأقدام يومياً، بل هو فضاء الحراك البشري في لحظة زمنية معينة، وهو المكتوب والمصور، وهو العلامة الإرشادية واللافتة الإشهارية والألوان ولأضواء، وهو الجدار بما فيه من هندسة معمارية، توالى عليه الحضارات، وتقاطعت فيه، فخلفت آثارها فيه، وتركت شواهدا عليه، إنه صيغة مكثفة من صيغ تلخيص التاريخ في مدته الممتدة. إنه كل هذا وذلك. وهو ليس فضاءً ساكناً أبداً، بل هو حي متبدل يتبدل حسب الأنماط والناس، وحسب الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية. إنه علم مليء بالعلامات، حسب عبارة بيرس، بل علامة كبرى تتدرج إلى علامات غير متناهية<sup>3</sup>. فهو بذلك يتعدى المكان ليتحول إلى مجموعة من العلاقات والأحاسيس والعواطف.

### الشارع في المدينة القديمة

(ومن الناحية الأثرية فإن بداية ظهور الشارع الذي تصطف على جانبيه المنازل كان له دلالاته الاجتماعية والسياسية الهامة، فقد برزت أهمية كشف طريق بمرمده بني سلامه بمصر والتي ترجع إلى 5000 سنة قبل الميلاد، لما أعطاه من دلالات اجتماعية وسياسية، حيث إن هذا الطريق يبلغ طوله ثمانين متراً، وعرضه خمسة أمتار، تصطف على جانبيه المساكن بنظام يكشف عن

1 - Joseph, Isaac., La ville sans qualités, Éditions de l'Aube, La Tour d'Aigues. 1998.

2- محمد بن مكرم ابن منظور، معجم لسان العرب، دار صادر، ط3، ج8، بيروت، 1414هـ. ص 176-177.

3- محسن بوعزيزي، السيمولوجيا الاجتماعية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2010، ص142.

وجود كيان اجتماعي وسياسي كفل هذا التنظيم. ويعكس أهمية الشوارع في تخطيط المدن - باعتبارها الهيكل الأساسي الذي يحدّد تكوينات المدينة المعمارية - ذلك الرمز الكتابي في اللغة المصرية القديمة، الذي يدل على المدينة، وهو رمز عبارة عن دائرة يقطعها شارعان متعامدان<sup>1</sup>.

و"علماء الآثار المنقبين في اقدم المواقع العمرانية - بلاد ما بين النهرين، مصر ، اليونان، الصين .. الخ- لاحظوا وجود شبكة من الشوارع ، عادة ما تكون كثيفة وتراثبية، وفي بعض الحالات النادرة يوجد مؤسسات ذات طابع إنساني مثلما هو عند الهندوس وفي اليمن بدون شوارع على شكل قرى محصنة، ين تكون البنايات المتجاورة تطل مباشرة على ساحات وتكون الحركة عبر السطح أو عبر ممرات داخلية<sup>2</sup>. وهذا يشبه إلى حد بعيد بعض القصور عندنا في الجزائر ( مثل قصر تالنت وهو أحد القصور العتيقة لمنطقة قورارة التابعة لمدينة تيميمون بولاية أدرار، تبعد عن تيميمون بـ 16 كلم، ويقدر عدد سكانها بحوالي 800 نسمة. وهي تقع بين قصر إغزر السياحي وقصر بادريان وتشتهر بطابعها الفلاحي الواحاتي منذ القدم. ويوجد في تالنت بقايا قصر قديم جميل مشيد بالتراب والطين الأحمر على مرتفع يشرف على واحة نخيل، هذا القصر لا توجد به شوارع. وبعض القصور تسمى أغام أي قصر مثل أغام اولازان في تيميمون)<sup>3</sup> وفي منطقة مزاب تسمى "أغرم"<sup>4</sup>.

لقد كانت الشوارع التجارية أو الأسواق من أهم العناصر التخطيطية التي ارتبطت بالسكان في المدينة الإسلامية إذ لم يتأثر هذا النوع من النشاط الجماعي كثيرا بالبصمات الشخصية التي تركها الحكام الذين تتابعوا عليها في العصور المختلفة. ومن هنا كانت الشوارع التجارية والأسواق

1- محمد عبد الستار عثمان، مرجع سابق، ص 154.

2 - Thierry Paquot, op.cit.,p69.

3- انظر:

Jean Bisson et Mohamed Jarir Ksour du Gourara et de Tafilelt ; De l'ouverture de la société oasienne à la fermeture de la maison, in Éditions du CNRS Annuaire de l'Afrique du Nord Tome XX V, 1986.

وأيضا:

Mustapha Ameer Djeradi, L'architecture ksourienne (Algérie) entre signes et signifiants, in L'ARCHITECTURE VERNACULAIRE TOME 36-37 (2012-2013).

وأيضا:

BENABOU M., Une oasis du Sahara occidental (Timimoun), thèse de 3e cycles, EPHE IVE section, Paris, 1972, p. 173.

وأيضا:

MOUSAOUI. A, Logiques du sacré et modes d'organisation du sacré de l'espace dans le sud-ouest algérien, thèse de doctorat, 1994, p. 67.

وأيضا:

BELLIL R., Ksour et saints du Gourara dans la tradition orale, l'hagiographie et les chroniques orales, Mémoires du Centre national de recherches préhistoriques, anthropologiques et historiques, Alger, No 3, 2003, p. 345.

4- عبد العزيز خواجه، ساحة السوق التقليدية من علاقة الأنا بالآخر، الفضاءات العمومية في البلدان المغاربية، إشراف حسن رمعون وعبد الحميد هنية، المركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافة، وهران، الجزائر، 2013. ص 71.

من أهم العناصر المكونة للتراث الحضاري للمدينة الإسلامية القديمة لما كان لها من صفة الاستمرار والنمو العضوي.<sup>1</sup>

يعتبر الشارع مكانا محدد ماديا ومعاشا، من خلال تهيئته ووظائفه. وللشارع أهمية حيوية في المدينة، حيث يقوم بوظائف الربط بين الأحياء، الحركة، تصريف مياه الأمطار، التزويد بالمياه الصالحة للشرب. هو مكان للنشاطات الاجتماعية والتجارية المختلفة وكذلك مسرح للأحداث المهمة في حياة سكان المدينة، مثل المواكب الدينية، احتفالات النصر، التي لها تأثير على تهيئته، مثل المقاعد والمدرجات على طول بعض الشوارع. سواء كانت هذه التهيئات ذات طابع وظيفي كما هو الحال في مدينة بومبي مثل (comme les lacus de Pompéi) والأعمدة في المدن الارموركية (les portiques des cités armoricaines) أو ذات طابع تزييني أو رمزي مثل نافورة سقلاسوس بتركيا أو أروقة شوارع مدينة جرش الأردنية، تشارك هذه العناصر بدرجات مختلفة في السينوغرافيا والتزيين الحضري، و تصوير المدينة في الشارع . وهكذا كان الشارع التجاري من أهم العناصر التخطيطية المشتركة في المدن الإسلامية القديمة في المشرق والمغرب وارتبطت بسكانها. وهي بذلك تعتبر مدخلا هاما في تخطيط المناطق التجارية كأحد العناصر الهامة لربط المدينة الإسلامية المعاصرة بتراتها.<sup>2</sup>

### الشارع في المدن الحديثة

يختلف شارع المدن الحديثة عن الشارع الكلاسيكي الذي تعرفه المدن القديمة، لا من حيث المكونات ولا من حيث الاستعمال والمستعملين، و(يعدّ الشارع -بوصفه واحداً من أكثر الرموز الدائمة في الفضاء العمومي -موضوعاً أساسياً في اهتمام المهندسين المعماريين والفاعلين في التخطيط الحضري منذ الفشل المعترف به في سياسات إعادة الإعمار بعد الحرب)<sup>3</sup>. وترى المؤرخة والاجتماعية الأمريكية جان جاكوبس (Jane Jacobs) في كتابها زوال وبقاء المدن الأمريكية الكبرى، حيث كانت ردة فعلها قوية حول الهجمات التي تعرض لها العمرانيون والمهندسون المعماريون أصحاب التوجه الحدائي الذي يهدف إلى تقسيم الشارع إلى مناطق وظيفيا، من خلال تحديد الأنشطة وتخصيص الشوارع حسب الاستعمالات، وهي بذلك تحتج بقوة على هذه الإدانة للشارع المزدهم

1- عبد الباقي إبراهيم، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر، بدون سنة نشر، ص 36.

2- نفس المرجع، ص 37.

3- ستيفان تونيلا، مرجع سابق، ص 150.

الذي تتعايش فيه كل الاستخدامات المختلفة، وعلى العكس من ذلك فهي تدعو إلى اعتماد الأرصفة الواسعة التي يبلغ عرضها العشرة أمتار، مما يسمح للأطفال باللعب تحت المراقبة.<sup>1</sup> الشارع هذا الفضاء الذي له خصوصية العمومية، باعتباره فضاء للحياة العامة، قد يفقد هذه العمومية كما حدث في الدول الغربية على حد تعبير سينت (R. Sennett)<sup>2</sup>، لقد حدث ذلك بإدخال أدوات وأجهزة حديثة مثل كاميرات المراقبة التي تعطي انطباع وتبعث برسالة سياسية للأفراد بأن الشارع ليس ملك لهم، فكل ما بحث به لا يعينهم ولا يهتمهم. هناك سجل حول عمليات توظيف الشارع في المدينة الحديثة جعل منه اهتمام كل الفاعلين مما يؤكد أهميته في الحياة العامة للمجتمع الحضري.

### الرصيف

هو أحد مكونات الشارع والجزء المخصص عادة للمشاة غير انه يفقد هذه الخصوصية في بعض الحالات، تتباين استعمالاته من مدينة إلى أخرى ومن حي إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر، والملاحظ، أن الرصيف في مدنا القديمة والحديثة على حد سواء منتهك فاقد لقداسته، و(الرصيف مجال عام يستوعب المواطن في لحظة من لحظات وجوده الاجتماعي اليومي. ولكن مصمّم المدينة صوّره بطريقة أداتيه «Instrumentale» وظيفية تراعي النفعي ولا تعير اهتمام لما هو عام. فالمنطق الأداتي هو الذي يتصرف في المجال المدني، على حساب الجمالي والثقافي والوجودي والحضاري. وهذه الجوانب تأتي في آخر التصنيف. وضمن هذه العقلية الاداتية-التقنية، يسند إلى السيارة ما لا يسند إلى البشر من حيز عام<sup>3</sup>.

إن الاستيلاء على الرصيف بطريقة أو بأخرى من قبل الخاص والعام وجعله مكاناً لعرض السلع والمعروضات وقضم أجزاء منه لأغراض مختلفة، فالرصيف هنا لا حرمة له، إنّه فضاء للتجارة بكل أنواعها وأشكالها، تباع فيه السلع وتُشترى، وفضاء لإنتاج العلاقات الاجتماعية وإعادة إنتاجها، علاقات عابرة أحياناً، ودائمة أحياناً أخرى. هو في ظاهره فضاء عام، وفي باطنه فضاء خاص يستحوذ عليه مالك المجل أو ساكنه. فالرصيف بهذا مجال للصراع بين مختلف القوى الاجتماعية التي تتحرك في الشارع وتتعايش فيه وتعيش منه، فالكل يراهن على افتكاك بعض منه،

1- انظر:

Jane Jacobs, *Déclin et survie des grandes villes américaines*, 1961, traduction française par Claire Parin, Liège, Mardaga, 1991, p. 83.

2 -Sennet, Richard, op.cit.,p156..

3- محسن بو عزيزي، مرجع سابق، ص 143

واحتلال ما يوازي محله. ويبدو أن هذا راجع، في وجه من وجوهه، إلى غياب الوعي بمعنى الفضاء العام الذي لم يترسخ حساً وسلوكاً وممارسة في الثقافة العربية.<sup>1</sup> إن الرصيف في صياغته المعاصرة ليس فقط ممراً جانبياً على حدود الشارع، ولكنه حيز إنساني ينتج عن جهود تصميمية مخصصة ومبدعة تخلق تكويناً متسقاً يشمل أرضيات الممرات وتوافق تشكيلاتها الهندسية، وتوزيع الأشجار المظللة والنباتات وأحواض الزهور بديعة الألوان، وأماكن الجلوس الثابتة والمتحركة واللافتات الأنيقة ووحدات الإضاءة متميزة التصميم، والمظلات وامتدادات مدروسة لبعض المقاهي والمطاعم.<sup>2</sup>

ويستعرض أحدهم لدور الرصيف في الوطن العربي واصفاً إياه في الصباح: "الرصيف هو أول مكانٍ يضج بالحياة والنشاط منذ باكر الصباح. يخرج الباعة المتجولون و"قطاع الرصيف" ليغنموا الأماكن، وينشروا البضائع. ثم يبدأ الطلاب والموظفون بالذهاب إلى مدارسهم وأعمالهم، فتبدأ رحلة الإذلال. البائع على الرصيف يصيح، وبضائعه تسد الطريق، وأبواق السيارات بالمرصاد لمن هرب من أهوال الرصيف إلى الشارع الفسيح"<sup>3</sup>.

وفي المساء: وفي مشهد المساء، يتجمّل الرصيف بالقاذورات بعد أن يهجره مفسدو النهار. ويبدأ عمال النظافة بإزالة آثار الإذلال والعشوائية والاحتتيال والرجعية والأمراض والهيمنة والتسلط. من قال إن الليل هو رمز الشر؟! فبلغة الأرصفة في الوطن العربي الليل هو الوقت الوحيد الذي يزول فيه شر الفاسدين. أتخيلهم الآن بعد أن غادروا الأرصفة إلى مهاجعهم كلّ منهم ينتقد استغلال الآخر للرصيف، ويرى أن كل الأرصفة، عدا رصيفه، هي من جلب الخراب والفساد للدولة.<sup>4</sup>

(ولكن الرصيف، مع ذلك، يستعيد بعض الاستقلالية النسبية وبعض سيماته وملامحه المدنية، إذا مررنا من الأحياء الشعبية إلى الأحياء الراقية: في الشعبي يختفي الرصيف أو يكاد، وفي الراقية من الأحياء يستعيد حرمة ومساحته، وينشط معه منطقتي المدينة وثقافتها. في حي التضامن مثلاً، أكثر الأحياء شعبية واكتظاظاً ينتهي الرصيف ويغيب، ليتحول إلى مجال مشكالي (Lieu kaléidoscopique) منمنم وشديد التنوع. أما في سيدي بوسعيد أكثر الأحياء التونسية تنظيماً وثراءً وجمالاً، فللرصيف طقوسه وقوانينه وضوابطه.

لقد أهملت الدراسات التي اهتمت بالسوسيولوجيا المدينة عامل الرصيف في تعريف المدينة، والحال أنه عنصر خلاق للتحضر والتمدن، لأنه يمنح الأولوية للعام على الخاص. أما في تونس،

1- محسن بوغريزي، مرجع سابق، ص 143

2- على عبد الرؤف، لغز الرصيف في مدن العرب، مقال منشور في موقع مدونات الجزيرة، بتاريخ 20/11/2017.

3- أمجد السيوف، مشكلة الوطن العربي هي "الرصيف"، مقال منشور في موقع مدونات الجزيرة، بتاريخ 2017/1/2

4- نفس المرجع



وفي وجهها الشعبي خصوصا، فقد استولى الخاص عن العام، وكاد الرصيف فيها يتحول إلى سوق، بما في ذلك من مضاربة ومنافسة وروابط من القوة، لا تراعي إلا المصلحة الفردية. إن غياب الرصيف أو حضوره هو معيار لدرجة التمدن. ولكنه أيضا معيار لثقافة أو ضعف قدرة أفراد المجتمع ومختلف مكوناته على التكيف الاجتماعي.<sup>1</sup> يعتبر هذا الوصف هو حقيقة الرصيف عندنا في مدننا وخاصة المراكز الحضرية الكبرى.

خلال بحثي اكتشفت جانبا جديداً أو بالأحرى هدفاً جديداً للمشروع الثقافي للمسيري، وهو الخاص بمفهوم إنتاج المكان ومنطق تولد العلاقات الإنسانية التي تتسج وتتشابك خلاله .

### 1-3 الحديقة العامة

لعبت الحديقة دور هام في الفكر البشري، حيث وجدت مجسدة في كل مدن الحضارات الإنسانية، ويعرف توم تيرنر (Tom Turner) الحديقة: "مكان مخطط، عادة على اتصال بالخارج (غير مغطى) تم تنظيمه لغايات العرض والزراعة والاستمتاع بالنباتات والتشكيلات الطبيعية الأخرى" ويضيف "أن الحديقة يمكن أن تجمع بين المواد الطبيعية والمواد المصنعة بيد الإنسان أما بخصوص وظيفتها فقد تقتصر على النواحي الجمالية أو تتعداها لغايات إنتاج الغذاء."<sup>2</sup>

قبل أن تكون الحديقة فضاء عام، ظهرت في بداياتها الأولى كفضاء خاص أو بالأحرى فضاء نفعي خالص، فمنذ البدايات الأولى لظهور التجمعات البشرية، حيث "تعود إلى بدايات عملية الزراعة التي مهدت الطريق للناس للبدء بالاستقرار وذلك في فترة الثورة النيولوثية ( Neolithic Revolution) التي تراكمت مع نهاية العصر الحجري منذ أكثر من عشرة آلاف عام."<sup>3</sup>

عرفت المدن الإسلامية هي الأخرى الحدائق، ومن الخصائص المهمة "للحدائق الإسلامية"<sup>4</sup> أنها فضاء محدد، وهي في العادة لها الشكل المستطيل محاط بأربعة جدران، ونظرا لان الحديقة فضاء اجتماعي وفضاء معاش فهي تستعمل للراحة والتتزه العائلي وهي في غالب الأحيان تعتبر مكان خاص بالعائلة الواحدة، وهي بهذا تفقد صفة العمومية التي تتميز بها الحديقة في المدينة الأوروبية الحديثة.

1- محسن بوعزيزي، مرجع سابق، ص 198.

2 -Turner, Tom , " Garden history : philosophy and design, 2000 BC-2000 AD", Spon Press, Londres, 2005,p.5-23.

3 --Dickau A30 Farming older than thought", University of Calgary. Web site , 19/2/2007, <http://www.ucalgary.ca/news/feb2007/early-farming>

4 - Csilla Pordany-Horvath(2004), la genèse des jardins en islam et les jardins historique de Marrakech, Université de Montréal. Canada .p5

وفي أوروبا مع ظهور الصناعة وانتقال المجتمع الأوروبي من مجتمع زراعي يعيش غالبية سكانه في الأرياف، حيث العلاقات والروابط الاجتماعية المتينة والأولية، إلى مجتمع صناعي يسوده التفكك، لقد ضاقت المدن بساكنيها وتطلب ذلك ظهور مدن صناعية اتسمت بالتلوث والتكدس والاحتكاك، وحاول المخططون ورجال المال والسياسة والقانون إنشاء مدن جديدة تتوفر فيها وسائل الراحة وتحافظ على البيئة الطبيعية، من بين أهم هؤلاء المخططين نجد إننزر هوارد (E.Howard) في عمله المشهور بالمدينة الحدائقية (garden city) وفي تعريف لهيئة تخطيط المدن الإنجليزية، تعتبر المدن الحدائقية هي التي تخطط للحياة الصحية والعمل معاً، وتكون كبيرة الحجم بدرجة كافية، لكن ليس إلى درجة التضخم، حتى يمكننا أن تؤدي وظيفتها الاجتماعية في العلاقات بين سكانها، وأن تحاط بشريط أخضر من المناطق الزراعية، هنا يركز هوارد على أن تكون ملكية هذه الحدائق شائعة بين جميع السكان وعموم الناس ويرفض أن تكون ملكية خاصة في أيدي أفراد بعينهم<sup>1</sup>.

تعتبر الحديقة العمومية في المدينة الجزائرية الحديثة، كما يسميها البعض الساحة العمومية أو جنان البايك واحدة من أهم معالم التخطيط الفرنسي الكولونيالي في الجزائر، كما هو محتفظ به في الذاكرة الجماعية للجزائريين كلما تم ذكر الفضاء العمومي<sup>2</sup>. وهي فضاء حديث صهر في المخططات الاستعمارية (المخططات الشطرنجية) حيث كانت تترك بعض المربعات لاستعمالها كحدائق تسمى نسبة إلى شكلها بالسكوار.

#### 1-4 الساحة

الساحة: الساحة كمفهوم له عدة دلالات في نشأة وتطور المدينة، وتعتبر الساحات العامة أحد أشكال الفضاءات العامة وعنصر من أهم العناصر المكونة للمدينة، وهي مكان يتعايش فيه الناس بأحاسيس متباينة لما تقدمه من فعالية وحاجة وتطبيقات، كما أن الوظائف التي تؤديها تختلف باختلافها، فبالإضافة إلى كونها عنصر إنشائي في مورفولوجيا المدينة، فهي مكان للحياة الاجتماعية، وفضاء تحكمه قوانين تنظيمية.

هناك علاقة بين توفر الحدائق العامة في المدينة، ومدى اهتمام السلطة بمواطنيها، ومدى عنايتها بصورتها الجمالية وواجهتها السياحية، كما أنها مؤشر على الاهتمام والمحافظة على البيئة والطبيعة. والحدائق العامة لم توجد فقط لتزيين المدن والشوارع، وإنما صارت الأماكن الأنسب لإقامة مختلف الأنشطة والفعاليات، وفضاء مهم تنشأ بداخله كثير من العلاقات الاجتماعية.

1- احمد كمال الدين عفيفي، نظريات في تخطيط المدن، جامعة الأزهر، القاهرة، بدون سنة نشر، ص34.

2 - Abdelkader Lakjaâ, Les périphéries oranaises : urbanité en émergence et refondation du lien social, op.cit., p.40.

وقد ساهمت السلطات العامة في تسمية الأماكن العامة بالقدر الذي جعلها في حد ذاتها تتخذ جملة من الإجراءات الخاصة بها. من بين التجارب الرائدة، أصبحت مدن مثل بولونيا وبرشلونة وليون نماذج حقيقية في هذا السياق. لكن الأماكن العامة موجودة أيضاً في المدن الجديدة وفي سياسات المدينة، وخاصة في فرنسا، منذ نهاية السبعينيات، وفي أعقاب هذه التجارب، شاركت معظم المدن في إعادة تأهيل أماكنها العامة، بحيث أصبحت "شبه عادة ملزمة في التخطيط"<sup>1</sup> الوظيفة الأساسية للساحات العامة للمدن على مر العصور هي ممارسة الأنشطة الجماعية للجماهير سواء منها الدينية أو الاجتماعية أو التجارية أو السياسية، وإن كانت بعض هذه الأنشطة تغلب على وظيفة الساحة في مدن العصور التاريخية المختلفة. فكان النشاط التجاري يغلب على الأثورا الاغريقية كما كان النشاط السياسي يغلب على الفوروم الروماني، غير انه وبعد تغلغل الديانة المسيحية في الأوساط الرومانية بعد بداية انهيار الإمبراطورية الرومانية، حيث " لم تكن المباني الرومانية ممقوتة فحسب من الوجهة الروحية، لصورها ورموزها الوثنية، بل إن الكثير منها أصبح بلا قيمة من حيث أداء وظيفته، كالمسرح والمجتلد والحمام، لأنها كانت تتناقض مع أسلوب الحياة المسيحية بأكمله."<sup>2</sup>

أما الساحة في مدن العصور الوسطى بأوروبا فكان يضم معظم الأنشطة الجماعية، ففي المدن الفرنسية مثلاً تمتك المدينة مركزاً تتجاور فيه رموز السلطة الدينية (الكنيسة) والسلطة المدنية (مركز العمدة والمحافظ). تقع الكنيسة في ساحة تمر من خلالها مسارات اجتياز المدينة، فهناك تجاور بين ساحة البلدية وساحة الكنيسة محاطة بالمقبرة حيث كانت الحميمية اليومية بين الأحياء والأموات تعبر عن نفسها بشكل يومي، وتحتل مركز الصدارة في الحياة الاجتماعية النشيطة. ومركز المدينة في زمننا الحالي هو المكان الذي تتجمع فيه المقاهي والمتاجر، ويكون غير بعيد عن الساحة التي يقام فيها السوق.<sup>3</sup>

وفي المدن الإسلامية القديمة كادت تتلاشى وظيفة الساحة في صدر الإسلام وذلك لقيام الفناء المكشوف داخل المسجد الجامع بهذه الوظيفة. ومن هنا لم تظهر الساحة العامة بوسط المدينة

1 - Jean-Yves Toussaint, Monique Zimmermann, L'espace public et l'espace du public. Politique et aménagement, in User, observer, programmer et fabriquer l'espace public, Lausanne, Presses polytechniques et universitaires romanes, pp. 73-91.2001.

2- لويس ممفورد، المدينة على مر العصور أصلها وتطورها ومستقبلها، ت: إبراهيم نصحي، ج2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016، ص443.

3- مارك اوجيه، اللا أمكنة مدخل إلى انثولوجيا الحداثة المفرطة، ترجمة ميساء السيوفي، ط1، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، البحرين، 2018، ص68.

كعنصر بارز في تخطيطها. ومع تطور المكانة التخطيطية للمساجد وظهور الشخصية الفردية للحكام واهتمامهم بقصورهم ودواوينهم بجانب اهتمامهم بالمساجد برزت أهمية الساحة وأخذت وظيفة الفناء الداخلي للمسجد الجامع.<sup>1</sup>

ومع وجود الساحات العامة في المدن الإسلامية القديمة وجدت بعض الساحات الصغيرة التي كانت تمثل كل منها متسعا غير منتظم أمام المساجد المحلية تقام فيها الأسواق اليومية أو الموسمية. معبرة عن ظاهرة من مظاهر الارتباط العاطفي بين السكان وأحيائهم الوطنية مع اعتبار المسجد مركزا لهذا الارتباط.<sup>2</sup> أما في المدن الحديثة فان قيمة الجامع فقدت مكانها وتم استبدال الديني بالسياسي.

الإنسان كائن "لاه" انه يتسلى ويتحمس ويستهلك<sup>3</sup>، نزعة إنسانية بدأت تتجسد في فضاءات عمومية للتسلية والترفيه تحت عنوان الفضاءات العمومية مساحات للتواصل الاجتماعي والترفيه تتطلب الحماية المشتركة. وتخضع للرقابة الأمنية والعناية والصيانة للحفاظ على ديمومتها وبقائها ك مجال لاستقطاب الأفراد.

### 1-5 الساحة والحركات الاجتماعية

هناك علاقة وثيقة بين الساحة العامة والحركات الاجتماعية، (فالحركات الاجتماعية سواء كانت سياسية أو غير ذلك، تظهر وتعيش في الساحة العامة، والساحة العامة هي ساحة للتفاعل المجتمعي ذي المعزى، حيث تتشكل وتنتقل الأفكار والقيم دعماً ومقاومة، وهي ساحة تصيح في الأساس ميداناً للتدريب على الفعل ورد الفعل، وهذا سبب أنه، عبر التاريخ، كان تحكُّم القوى الأيديولوجية والسياسية والأثرياء في الاتصال ذي الطابع الاجتماعي، مصدراً رئيسياً للسلطة الاجتماعية، هذا هو الحال الآن في مجتمع الشبكات، وأكثر من أي وقت مضى، وفي هذا الكتاب، أمل أن تبين الطريقة التي تشكل بها شبكات الاتصال متعددة النماذج، بصفة عامة، الساحة العامة في مجتمع الشبكات، لذا فالصيغ المختلفة للتحكم في الرسائل والاتصال والتلاعب بها في الساحة العامة تحتل قلب صناعة السلطة.<sup>4</sup>

1- عبد الباقي إبراهيم، مرجع سابق، ص 35.

2- نفس المرجع، ص 36.

3- موران ادغار، إلى أين يسير العالم؟ ت: احمد العلمي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2009، ص6.

4- مانويل كاستلز، سلطة الاتصال، ترجمة محمد حرفوش، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2014، ص 429-

والساحة العامة التي يتكلم عنها كاستلنز (هي ارض متنازع عليها، وإن كانت متحيزة لمصالح بنائي ورعاة هذه السلطة).<sup>1</sup>

ف نجد أن التغيرات التي شهدتها العالم العربي وخاصة مصر حيث (ازداد عدد المنظمات والجماعات المهمة بالمدينة بشكل كبير بعد عام 2011. وهي تعمل، من خلال وسائل مختلفة، لصالح حماية الأماكن العامة والتراث والبيئة، بالإضافة إلى الحق في إسكان).<sup>2</sup>

لقد شكّلت شبكات الاتصال ساحة عامة جديدة، لعملية التغير الاجتماعي، نتيجة لنوعين مختلفين من الحركات الاجتماعية، وحالتين مهمتين من سياسة التمرد. أولاً: بناء وعي بيئي جديد أدى إلى وعي عالمي بحقيقة وقضايا ودلالات التغير المناخي، قامت به حركة اجتماعية مستندة على العلم وتعمل على الإعلام والإنترنت ومن خلالهما. ثانياً: التحدي الذي تواجهه عولمة الشركات الذي حفزته الحركات الاجتماعية المتشابكة حول العالم، مستخدمة الأنترنت باعتباره وسيطاً منظماً وتداولياً لتشجيع المواطنين على الضغط على الحكومات والشركات في مساهمهم لعولمة عادلة. ثالثاً: الحركات الفورية الناشئة لمقاومة المخالفات السياسية القادرة في الغالب على تحويل السخط إلى سياسة تمرد من خلال امتلاك الهواتف المحمولة باستخداماتها المتعددة وقدراتها الشبكية.<sup>3</sup>

### 1-6 المدرسة

المدرسة هي المؤسسة والبيئة الاجتماعية الثانية بعد الأسرة المنوطة بالتنشئة الاجتماعية. وتعرف المدرسة بأنها " مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع عن قصد، لتتولى تنشئة الأجيال الجديدة بما يجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع الذي تعدم له، كما تعمل على تنمية شخصية الأفراد تنمية متكاملة ليصبحوا أعضاء إيجابيين في المجتمع."<sup>4</sup>

وعملية التربية والتعليم مقسمة إلى فضاءين، يمثل الفضاء الأول الجانب المادي ويشتمل أساساً على مبنى المدرسة وملحقاتها وكذا الوسائل التعليمية، أما الفضاء الثاني اللامادي فيمثل الطرف البشري والذي يشتمل على الإدارة والمعلم والتلميذ.<sup>5</sup> فالفضاء هو مجزأ إلى فروع متكاملة تخدم النسق ككل ومنه البحث عن قدرة التماسك والترابط بين الأجزاء.

والمؤسسات التعليمية بأطوارها المختلفة بدءاً من التعليم الابتدائي إلى التعليم المتوسط وانتهاءً بالتعليم الثانوي تمثل فضاء عام لإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية داخل أو النسق التعليمي باستعمال

1- مانويل كاستلنز، سلطة الاتصال، مرجع سلبق، ص 430.

2-Roman Stadnicki, Introduction – Les acteurs urbains à l'épreuve de la transition en Égypte in La revue Égypte/Monde arabe, n°11, année 2014.

3- مانويل كاستلنز، سلطة الاتصال، مرجع سابق، ص 431.

4- إبراهيم ناصر، أسس التربية، ط5، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000، ص 171.

5- عبد الباري محمد داود، القوة الصالحة وأثرها في تنشئة الطفل، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996، ص 43.

التعسف الثقافي وتحتكر هذا الفضاء عادة السلطة وبموافقة العائلة والمجتمع.<sup>1</sup> ويبقى التعليم بأطواره المختلفة عامل مهم في الاندماج الحضري للسكان الجدد للحي وخاصة أولئك القادمين من الريف.<sup>2</sup> والمدرسة هي الفضاء الذي يتم بداخله تنشئة وصناعة وإعادة إنتاج المجتمع، فهي (تقوم على إمداد مرتاديه بالمهارات المعرفية لمراحل العمر اللاحقة وللحياة الأكاديمية التالية وللحياة الاجتماعية المرتقبة).<sup>3</sup> وهي الوظيفة الرئيسية والمركزية في نسق التعليم، في حين هناك وظيفة أخرى تتعلق بالبيداغوجية<sup>4</sup>، باعتباره رابطة تواصل. مما يفسر أن المدرسة من أهم الفضاءات العمومية في إعادة بناء الرباط الاجتماعي، وما للعملية التعليمية من قوة في إعادة إنتاج مختلف الطبقات الاجتماعية في البيئة الجديدة أي الحي الجديد.

من مهامها المحافظة على النظام القائم، رغم أنها تساهم بقسط كبير في إعادة إنتاج بنية العلاقات الطبقيّة، غير أنها تسعى لحفظ تلك العلاقات لضمان الاستقرار الاجتماعي<sup>5</sup>، كونها مؤسسة تابعة لهيمنة السلطة وفضاء يدخل في أيديولوجية النظام القائم، وهيئة تتادي بمبادئه وت تسعى للدعوة لبقائه، هذا ما يجعلها أكثر ثباتاً واشمل استعمالاً وأكثر مصداقية لدى فئات كبيرة من المجتمع. فإذا كانت وظيفة المدرسة التنشئة وتأطير الشباب وإنتاج جيل ذو تكوين أحسن من الجيل الذي سبقه، وإذا كانت آمال ديمقراطية التعليم أحد الرهانات المشتركة لتنمية الاقتصاد، فإنه لا يوجد نظام تربوي في العالم استطاع بطريقة صحيحة حل المعادلة التي تسمح ضمان مساواة الولوج إلى المدرسة والنجاح التلاميذ، سواء كان ذلك في الدول الرأسمالية منذ بداية سنوات 1980<sup>6</sup>، أو في الدول أمريكا الجنوبية خلال سنوات 1990<sup>7</sup>، أو في عدد كبير من الدول الأفريقية والآسيوية<sup>8</sup>. هذا ما يجعل سيرورة المدرسة هي البحث عن تحسين مكانتها كفضاء أكثر عمومية وأكثر استعمالاً. ومنه يمكن أن نعرف المدرسة، في كل مراحلها، اصطلاحاً، بأنها فضاء عمومي يشمل المكونات التالية: المدرسة كإطار مادي، والإطار البشري المتمثل في المعلم والمتعلم والطاقم الإداري،

1- بيار أنصار، العلوم الاجتماعية المعاصرة، ت: نخلة فريفر، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص228. انظر كذلك ..

Pierre Bourdieu, Jean-Claude Passeron, La reproduction. Éléments pour une théorie du système d'enseignement, Minuit, coll. « Le sens commun », Paris, 1970, p.20.

2 - Farouk Benatia. Alger, agrégat ou cité, op. cit., P.313.

3- مأمون طربيه، مرجع سابق، ص 44.

4- بيار بورديو، حون كلود باسرون، إعادة الإنتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، ترجمة ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007، ص185.

5- نفس المرجع، ص 215.

6 -Merle Pierre، La démocratisation de l'enseignement، La Découverte، Paris, 2002.

7- Benjamin Moignard, Thomas Sauvadet, Espaces scolaires et éducatifs : Les liaisons nouvelles entre l'école et le champ éducatif, in Espaces et sociétés, 2016/3 n° 166 | pages 7 à 13.

8 - Abdeljalil Akkari, Jean-Paul Payet, Transformations des systèmes éducatifs dans les pays du Sud. Entre globalisation et diversification, De Boeck Supérieur, Bruxelles, 2010.

والمناهج -بوصفه قائم على أسس اجتماعية ونفسية وتربوية ومعرفية-، وهي الفضاء الذي أوكل له المجتمع وبالتواطؤ مع الدولة وبطريقة قسرية، مهمة التنشئة الاجتماعية وإعادة إنتاج المجتمع من خلال عمليتي التربية والتعليم.

### 1-7 السوق

السوق دلالة عن مكان يلتقي فيه الناس للمتاجرة وهو فضاء عام تتلاقى فيه المصالح الخاصة<sup>1</sup>، يعتبر السوق اهم الفضاءات المادية المكونة للمدينة القديمة، وأن كان في المدن القديمة يقع خارج أسوارها<sup>2</sup>، والسوق هو فضاء اقتصادي ونظام ثقافي واجتماعي منتج للمجال وللعلاقات الثقافية والاجتماعية معا، حيث يعتبر السوق اليومي وكذا الأسبوعي في المدن الحضرية أحد المراكز الحيوية للتبادل التجاري، واحد الفضاءات العمومية المساهمة بشكل واسع في بناء العلاقات الاجتماعية والاقتصادية «فيولد الدافع الحازم لديها نحو الفاعلية الاقتصادية قيما إنسانية او اجتماعية أخرى لا عد لها»<sup>3</sup>. ويرى الليبراليون انه النموذج الطبيعي للعلاقات الاجتماعية، وانه شبكة تتعدي الفضاء المادي الذي يتكون منه<sup>4</sup>. كما أنه كان وما يزال يمثل صحيفة مفتوحة لتداول الأخبار والمحمولات الثقافية. وحسب فرانك ميرمي (Mermier Frank) (فهو عادة ما يظهر كفضاء عام بامتياز في المدينة العربية القديمة فهو المكان المفضل لمعالجة الخلافات الاجتماعية في سياقها القبلي والطائفي والديني وغير ذلك...، فهو كشكل عمراني ومؤسسة اجتماعية واقتصادية، يعبر عن نسق عمراني....، وهو احد اهم بقايا التمدن التقليدي في ارقى صورته، فهو يرمز للاستقرار المكاني للتنظيم الاجتماعي و نموذج للتبادل الاقتصادي، فيمكن أن نمر بسهولة من نسق السوق إلى النسق الاجتماعي والمعياري وهذا باعتبار المدينة كمجتمع له خصوصياته في التنظيم المجالي و الاجتماعي)<sup>5</sup>، والسوق -على حد قول بارسونز- تفترض إجماعا مسبقا حول القيم الأساسية التي يتبناها المجتمع والتي تصدر عادة عن ديانة أو معتقدات جامعة<sup>6</sup>، والسوق في الأصل هو

1- طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص400.

2 - Henri Lefebvre « La production de l'espace », op.cit., p306.

3- طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، مرجع سابق، ص404.

4- الان دي بينوا، نقد الأيديولوجية الليبرالية، ترجمة رشا طاهر، مقال بمجلة الاستغراب 2015، ص 147-164. للاطلاع أكثر:

Alain de Benoist, Contre le libéralisme : La société n'est pas un marché, Éditions du Rocher.

France. 2019.

5 - Franck Mermier, Souk et citadinité dans le monde arabe in, Jean-Luc Arnaud, L'urbain dans le monde musulman de méditerrané, Connaissance du Maghreb, Tunis, 2005..p81

6- منصور أولسون، السلطة والرخاء نحو تجاوز الديكتاتوريتين الرأسمالية والشيوعية، ترجمة: ماجدة بركة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2003 ص232.

مكان لتبادل المصالح<sup>1</sup>، وهي (تعمل كنموذج عام للعلاقات الاجتماعية)<sup>2</sup>، حيث تتم المبادلات منذ القديم عن طريق التعامل المباشر بين الأفراد والجماعات إلا في بعض "الحالات النادرة"<sup>3</sup> من الأسواق العفوية التي اعتمدت إلى التجارة الصامتة، وقد تحمل المدينة أو التجمع الريفي الذي يوجد به السوق اسم هذا الأخير، فنجد مثلاً عندنا في الجزائر: مدينة سوق الحد، سوق الاثنين<sup>4</sup>، وقد يحدث العكس فيسمى السوق باسم المدينة مثال ذلك سوق الحراش، وقد يسمى نسبة إلى الأيام و الاطار الزمني الذي يقع فيه، فنقول سوق السبت، سوق الحد..الخ، كما (يضاف نوع السلع التي تباع في الرواق إلى كلمة السوق فتُعين بذلك)<sup>5</sup> فيقال، مثلاً، سوق الغنم، سوق البقر، سوق التمر، سوق الألبسة، سوق الخضر.....الخ.

فالسوق هو الفضاء المفتوح ذو الطابع البيئي والاجتماعي العام، وهو الذي يشغل الشوارع والساحات المغطاة ويحمل تسميات عدة حسب كل بلد، وهو المكان الذي يلتقي فيه بصفة منتظمة الباعة والزبائن، وهو الفضاء الذي تشتبك فيها العلاقات الاجتماعية والأحداث والصراعات بين الأفراد والجماعات.

ورغم أن كلمة سوق بقيت محافظة على معناها مع مرور الزمن غير أن السوق في أشكاله المادية، المعمارية والفيزيائية شهد عدة تغييرات، فرضتها الظروف الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية. ففي الأول ظهرت الأسواق على أنها فضاءات اقتصادية غير مسقوفة في بدايات نشأة أي مدينة، ومع اتساع المدينة تبدأ الأسواق في التخصص المهني والتركيز الجغرافي، (إن اتجاه التجار أو الحرفيين الذين يمارسون نفس النشاط إلى التجمع في مكان واحد هو سمة تقليدية للمدن الإسلامية لدرجة انه انتهى إلى اعتباره التزاماً قانونياً)<sup>6</sup>

وفي سياق تاريخي ننتبع فيه نشأة السوق والمراحل التي مر بها في منطقتنا العربية وماله من دور فعال كفضاء عام في بناء الرباط الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية، (ففي الجاهلية أنشأ العرب أسواق لهم يتبايعون فيها. ولعل هذه الكلمة -كما ذكر ابن سيده- اشتقت من سوق الناس بضاعتهم إليها، ولا يستدعي وجودها في اللغات السامية أن تكون كلمة السوق مأخوذة منها، ولعل الوقع هو

1- بيبير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ت: درويش الحلوجي، ط1، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، دمشق، سوريا، 2004، ص18.

2- مارسيل غوشييه، الدين في الديمقراطية مسار العلمنة، ت: شفيق محسن، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007، ص108.

3- منصور أولسون، مرجع سابق، ص233.

4 -Franck Mermier, op.cit.,p82.

5- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ص 382.

6- أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ت: لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص 180.



العكس...، ومن هذه الأسواق ما كان يقتصر على ما يجاوره من القرى وما ينزل بساحة من القبائل.....، ومنها ما كان عاما تقدي إليه الناس من اطراف الجزيرة كعكاظ<sup>1</sup>، وللأسواق في الجاهلية دور كبير في التبادلات الثقافية خاصة الأسواق الكبيرة ذات الموقع الجغرافي المهم (فتتميز الأسواق التي على فرض البحر بوجود النزال الأجانب وتأثر أصحابها باختلاطهم بهؤلاء وما يستتبع ذلك من تغيير في العادات والرقي و الصبغة)<sup>2</sup>

ولقد كان لهذه الأسواق والحركة التجارية كثيرا من ألوان الترف إلى العرب وكان لا عهد لهم بمثلها، فتعالى أشرافهم بالثياب والبرود والسلاح والطيب.<sup>3</sup>

والأسواق في الجاهلية تختلف عما عليه الآن حيث تتعدد أغراضها (كان من المعقول أن تكون ميدانا لغبر البيع والشراء، كان فيها تناشد أشعار، وكان فيها تفاخر وتكاثر، وتنافر ومقارعة ومعازمة... فيفوز في هذا أقوام ويخسر آخرون، وتحتمل العرب لهذا الاحتفال اللائق به.<sup>4</sup>

وكانت الغاية من السوق في العصر الجاهلي تختلف عن الغاية منه في الوقت الحاضر حيث (يعشى الناس الأسواق اذا لمأرب شتى ، وغايات متباينة ، فمن طالب قاتل أبيه يريد ليعرفه حتى يتربص به السوء فيما بعد، ومن ملتمس حماية شريف من عدو ألد، ومن باغ زوجا، أو مستطيل بعز ومنعة، أو جالس ليأتيه اتباعه بإتاوة، ومن عارض سلب قتيل لبييعه فيضفر به أهل القتل، ومن فرسان يتقنعون ،بعضهم حذرا من غدر أهل التارات، وآخرون يردون مقنعين خوفا من العين وحذرا على أنفسهم من النساء لجمالهم، ومن بغايا ضرب عليهن القباب ، وشبان يتعرضون للمتبرقات من النساء.<sup>5</sup>

وفي المدينة الإسلامية هناك عدة اعتبارات تحكم توزيع الأسواق على مختلف مناطق المدينة الإسلامية، ابتداء من مركزها وحتى أطرافها، كحاجة السكان لبعض السلع وطبيعة السوق، ومن هنا ارتبط التوزيع المكاني للأسواق، بأطراف المدينة والمناطق القريبة من أبواب الأسوار الخارجية فيها.<sup>6</sup> كما كان للاختلاط في الأسواق دور آخر لا يقل عن النشاط التجاري (أثر في اللغة والدين والعادات)<sup>7</sup>

1- سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط3، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 1974، ص 193

2- نفس المرجع، ص194

3- نفس المرجع، ص196

4- نفس المرجع، ص 205.

5- نفس المرجع، ص 206

6- محمد السرياني، الأسواق في المدينة الإسلامية، مجلة البلديات، العدد 24 السنة السادسة، نوفمبر 1990، غمان، ص 48.

7- سعيد الأفغاني، مرجع سابق، ص 207.

والمقترح أيضا أن السوق الجيدة هي عامة من نوع ما، مادامت تعمل حين تفتح في حدها الأعلى ولا يحدها شيء، وحين يتساوى جميع المشاركين في الوصول إلى المعلومات. هكذا يخدم التجار ما هو عام، والمحلات مفتوحة للعامة..... والبيع والشراء والدخول في تعاقدات قد تكون فعاليات قد يؤديها أشخاص خاصون، لكن لها آثار عامة من خلال التجمع الذي تحققه الأسواق. علاوة على أن المتجر (سواء كان طبيعيا أم افتراضيا) هو عام. وهكذا فالدخول في عالم السوق العام يقابله البقاء في العالم الخاص للتبادلات غير النقدية التي تشكل العائلة عالمها الأعلى. ومن شأن هذا الاستعمال في أواخر القرن العشرين أن يشكل النظريات النسوية التي حلت الطرق التي أقصيت فيها المرأة عن الحياة العامة، بما فيها النشاط الاقتصادي وكذلك السياسة والاتصال العام<sup>1</sup> ومن أمثلة الأسواق التي تلعب دورا كبيرا في بناء الروابط الاجتماعية "نجد سوق "باب القصر" بورتا بلازو (Porta Palazzo) في وسط مدينة تورينو الإيطالية، وهو من اكبر الأسواق في أوروبا يحوي حوالي الف تاجر متنقل و اكثر من 200 محل أو دكان يفتح يوميا، ويزوره اكثر من الف حاوية، حيث يقدم هذا السوق كل يوم مشهد حي من الروابط التجارية والاجتماعية والثقافية بين الثقافات المختلفة، ويقدم فوائد وطرق العيش في الفضاء العمومي.

والاقتصاد في أي مجتمع يشكل واحدا من اكثر مجالات التواصل الاجتماعي والإنساني دينامية وحيوية، إذ يكاد لا يوجد شكل من أشكال النشاط الاقتصادي يمكن الاستغناء فيه عن التعاون والتكافل الاجتماعي، بدء من أصغر المؤسسات وقلها عددا إلى أضخمها وأكبرها عدد عمال<sup>2</sup>. لقد صار الاقتصاد الآن يحدد طريقة ارتباطنا فيما بيننا، ومجالا لتعايش يمكن أن يكون مكتفيا بذاته من حيث المبدأ، شريطة عدم تعرضه لخطر الاضطراب والنزاع، فما تملكه "اليد الخفية للاقتصاد" رغم إنكارها للفاعلية الجمعية، هناك فاعلون أفراد يتصرف كل منهم كما يرى، لكن الثمرة تحدث من خلف ظهورهم جميعا، ولها شكل بعينه يمكن توقعه، لان ثمّ قوانين تحكم طريقة تتالي جملة أفعالهم الفردية.<sup>3</sup>

وتعد الثقة في التعاملات التجارية في الأسواق عاملا محفزا ومقللا من تكلفة هذه المعاملات التجارية، هذه الثقة لا تأتي من حسابات العقلانية الليبرالية، بل من مصادر لا عقلانية كالدين والقيم الأخلاقية المتداولة في المجتمع.<sup>4</sup>

1- جون اهرنبارغ، التاريخ النقدي للفكرة، ت: علي حاكم صالح وحسن ناظم، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2008، ص 467

2- فرنسيس فوكوياما، الثقة الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي، ترجمة: معين الإمام ومجيب الإمام، ط1، منتدى العلاقات العربية والدولية، قطر، 2015، ص 25.

3- تشارلز تايلر، مرجع سابق، ص 96.

4- فرنسيس فوكوياما، مرجع سابق، ص 586.

والسوق (من خلال الإشهار والكلام التجاري، ومن خلال الخدمة المفضلة، وأيضا من خلال التجارة، تشتغل وتتطور آلية من ميكانيزمات التواصل الاجتماعي هو الأهم دون شك في التاريخ).<sup>1</sup> وهناك أشكال الجديدة للسوق المول مثلا وهو الشكل الحديث للسوق، والابن البار للعلومة الرأسمالية والنزعة الاستهلاكية، فهو فضاء واسع يتيح للجهور متعة الفرجة والتسوق والأكل والشرب بحرية، لكنها حرية وهمية، فهي تعتمد على قدراتك المالية أو ما يمكنك إنفاقه في جولة داخل عالم المول... المغرى والمحرض على الشراء والتمظهر والتباهي الاجتماعي، ولقاء الأهل والأصدقاء، والتعارف السطحي بناس جدد.<sup>2</sup>

ويرى دونالد بوتتر (Donald Potter) ان السوق هو العينة الممثلة للمجتمع.<sup>3</sup> هذا إذا ما استثنينا بعض الفئات الاجتماعية، فهو يمثل المجتمع في عاداته وتقاليده وثقافته من خلال المعاملات والعلاقات الاجتماعية التي تنسج داخل هذا الحيز في إطاره المكاني والزمني الذي تحدده المدينة. فالسوق عادة هو مجال للمبادلات المادية، المتمثلة في السلع والخدمات وعقد الاتفاقيات والصفقات، وكما هو أيضا مكانا للمبادلات الثقافية ففي العصر الجاهلي كان السوق المكان المفضل لإلقاء الخطب والقصائد الشعرية، وهو فضاء للتعارف وتكوين علاقات اجتماعية جديدة وهو مكان ومعلم تحدد فيه المواعيد وتعقد التجمعات.

وفي المدينة العربية الإسلامية ورغم غياب الأماكن العمومية المفتوحة مثل الحدائق العامة و الشوارع الواسعة في وسط المدينة ماعدا المسجد الجامع ، فان السوق هو الماكن الوحيد المفتوح الموجود، وسوق العرض والمبادلات يوجد عادة خارج أسوار المدينة في علاقة مباشرة مع البيئة الريفية فهو نقطة التقاء وتواصل بين بيئتين تكمل كل واحدة منها الأخرى أي الريف والحضر، فالريف هو الظهير الذي تعتمد عليه المدينة في تمويلها بالغذاء بما تحتاجه من خضر وفواكه والمواد الأولية<sup>4</sup>، وهو عبارة عن مكان واسع يخلو من أي معلم مادي أو مبنى، والمدينة الجزائرية الحديثة رغم التغير الكبير في بنيتها المادية فقد حافظت على السوق في شكله القديم ، فكل مدينة لها سوقها الأسبوعي المحدد بواسطة قرار ولائي، إضافة إلى الأسواق اليومية، فهناك علاقة طردية بين عدد السكان واتساع المدينة من جهة وعدد الأسواق من جهة أخرى.

1- بيرنار كاتولا، الإشهار والمجتمع، ت: سعيد بنكراد، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 2012، ص284.

2- محمد شومان ثقافة المول وثقافة السوق، مقال جريدة اليوم السابع، بتاريخ لأحد، 21 أغسطس 2016 11:00 م على الموقع

<https://www.youm7.com>

3 - Potter D., The bazaar merchant, in S. N. Fisher (éd.), Social Forces in the Middle East, Greenwood Press, New York, 1968.,p. 99-115.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، مرجع سابق، ص198.

ومدينة الأغواط بها سوقين أسبوعيين بقعان في نفس المكان ويختلفان في الزمان إحداهما يوم الثلاثاء وهو سوق خاص بالماشية يخص المجتمع الريفي والحضري مع هامش لبيع بعض الأغراض مثل الألبسة والخضر والعلف والمواد الغذائية والمشروبات والمأكولات الخفيفة، والآخر يوم الجمعة وهو سوق عام ترتاده كل فئات المجتمع من الجنسين، وهو مقسم إلى فضاءات مختلفة كل فضاء يخص سلعة فهو سوق يلبى حاجيات السكان الحضر وكذا سكان الضواحي والمدن المجاورة والأرياف والبوادي، وهو سوق يقع في الجهة الجنوبية لمدخل المدينة لا يوجد أي معلم يدل على أن المكان سوق في الأيام الأخرى.

يرى البعض أن الذهاب إلى السوق الأسبوعي أصبح عادة لديه، فهو يرتاد السوق دون حاجة إلى ذلك، حيث التسوق أصبح جزءاً من الترفيه المشترك للعائلة، وقد يكون هو المتاح في ظل الضيق الترويحي الذي تعيشه مدينة الأغواط، فالدوران في الأسواق لدى البعض يكون بغير حاجة لمجرد الترفيه فحسب، كما أوضحت دراسة لذلك، حيث أشار استطلاع إلكتروني أجرته «إيه سي نيلسن»، المزود الأول لبيانات التسويق في العالم، وشمل نحو ( 23 ) ألف مستهلك في (42) دولة حول العالم، تحت عنوان «ثقة المستهلك»، وأظهر أن (30%) من المستهلكين في دولة الإمارات العربية المتحدة يذهبون للتسوق بغرض «الترفيه» مرة واحدة أسبوعياً على الأقل، ليحتلوا بذلك المرتبة الثانية على مستوى العالم بعد هونغ كونغ التي بلغت النسبة فيها (36%).

ويرى البعض أن السوق هو مكان للتواصل مع بعض الأصدقاء ممن فقدوا الاتصال بهم بسبب تغيير مكان الإقامة على سبيل المثال، يقول أحد المستجوبين أن السوق يتيح له الالتقاء بزملاء الدراسة القدماء وأصدقاء الحي القديم، فهو مكان لاسترجاع الذاكرة وربط الحاضر بالماضي وإحياء مشاعر الحنين إلى الماضي وتذكر حياة الطفولة.

### 1-8. السوق في الأغواط

مع بداية القرن الحالي ظهرت ملامح لنزعة استهلاكية لدى السكان بمدينة الأغواط على غرار باقي المدن الجزائرية، نتيجة القفزة الاقتصادية التي عرفت الجزائر بسبب الارتفاع الكبير لأسعار النفط و أثرها على الاقتصاد الوطني ، ومستوى الدخل لدى الفرد، بالإضافة إلى التوجه الاقتصادي الذي اعتمده الدولة، هذه النزعة استهلاكية أثرت على القيم الاستهلاكية القديمة لدى الفرد، وأنتجت ثقافة استهلاكية جديدة، وامتدت آثارها الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعمرانية، فغيرت من القيم الاجتماعية وأثرت بشكل كبير في الطابع العمراني للمدينة وطريقة البناء وظهور أنماط عمرانية ب مواد بناء مستوردة. وظهور فضاءات تجارية حديثة وأماكن للتسوق توفر كل المغريات،

عن طريق الإشهار، لمرتاديهها. هذه الفضاءات خلقت نوع من التفاوت الاجتماعي مهد لظهور نوع من الروابط الاجتماعية المنفعية التي تكونت عن طريق التعاملات الاقتصادية والاستهلاكية وخلقت قيم جديدة تعتمد على السوق والتعاملات الاقتصادية والتخصص في العمل.

### 1-9 المسجد

المسجد هو اهم مقومات التخطيط العام، وأول العناصر التخطيطية في بناء المدينة الإسلامية، وهو الفضاء الذي تتم فيه التنشئة الأخلاقية والدينية باعتبارها أساس العلاقات الاجتماعية والروحية داخل المجتمع الإسلامي، حيث(كان المسجد الجامع في كثير من الأحيان يعتبر المركز الروحي أو الديني و الثقافي للمدينة وكان يحتل موقعه في مكان متوسط منها كما في مدن الفسطاط أو عسكر أو القطائع أو مدينة المنصور ببغداد إلا أنه في أحيان متقدمة لم يكن يحتل هذا الموقع المتوسط من المدينة ففي القاهرة المعزية مثلا لم يكن المسجد هو مركز المدينة بل كان كل من القصر الشرقي الكبير والغربي الصغير والساحة التي بينهما يحتلان وسط المدينة).<sup>1</sup>، ويتجسد ذلك في العمارة المحلية للمدن الصحراوية احسن مثال على ذلك المسجد الجامع في مدينة غرداية بمنارته الشامخة ذات الطابع المعماري الأصيل، التي تعلو سماء المدينة القديمة، وكل المدن القديمة كالأغواط وتقرت وورقلة و.. الخ، حيث كان المسجد الجامع في هذه المدن هو الفضاء العام الذي تتم فيه المناقشات العامة حول القضايا الدينية والدنيوية، وتحل فيه الخلافات وتعد فيه المعاهدات ويتم فيه قران الزواج وإصلاح ذات البين، فالمسجد هو المجال المقدس و النواة الاستقطابية الأولى<sup>2</sup> في نشأة مجتمع المدينة الإسلامية.

والمسجد فضاء عام له خصوصيته وشرعيته وقداسته التي تغلب على الفضاءات المجاورة العامة منها والخاصة، فلا يجوز التعدي على مجال هذه الفضاءات، فها هو أبو جعفر أراد أن يزيد في المسجد الحرام وشكا الناس ضيقه، وكتب إلى زياد ابن عبيد الله الحارثي أن يشتري المنازل التي تلي المسجد حتى يزيد فيه ضعفه فامتنع الناس من البيع فذكر ذلك لجعفر ابن محمد فقل سلمهم اهم نزلوا على البيت أم البيت نزل عليهم فكتب بذلك إلى زياد فقال لهم زياد بن عبيد الله ذلك فقالوا نزلنا عليه فقال جعفر ابن محمد فإن للبيت فناءه فكتب أبو جعفر إلى زياد بهدم المنازل التي تليه).<sup>3</sup> ، هنا يتبين أن حرمة المسجد فضاء مقدس لما له من طابع العمومية، أو ما يعرف بمبدأ المنفعة العامة، ولقد أولى أهمية قصوى للدور الذي تلعبه المؤسسات الدينية في بناء المجتمع وما تتركه من

11- عبد الباقي إبراهيم، مرجع سابق، ص 33.

2- عبد العزيز خواجه، ساحة السوق التقليدية من علاقة الأنا بالآخر، مرجع سابق، ص 72.

3- احمد اليعقوبي، تاريخ احمد ابن أبي يعقوب ابن جعفر ابن وهب ابن واضح الكاتب العباسي، ج2، طبع في مدينة ليدن المحروسة، بمطبع بريل، 1883، ص 443.

مؤثرات على الحياة العامة، فالمؤسسة الدينية ثالث إن لم نقل ثاني الفضاءات التي يلجا الطفل بعد خروجه من دائرة فضاء الأسرة، يتعلم فيه الطفل ما يتعلق باحتياجاته الروحية والدينية. فيتعلم الفرد من خلالها مهارات جديدة وتحسن من مهاراته في التواصل مع الآخرين.

والمسجد كفضاء مادي له رمزية دينية واجتماعية فهو يحمل ضمناً في طياته معتقد له منفعة اجتماعية كبرى، ووظيفة رمزية تساهم في مسار التفاعل -في العلاقات الاجتماعية- وتجديده<sup>1</sup>. فهو بذلك أحد الفضاءات التي ينسج بداخلها العديد من العلاقات الاجتماعية المهيكلّة للبناء الاجتماعي وتجري بداخله مراسم تؤسس لطقوس كالزواج والختان واحتفالات للأطر اجتماعية دينية كالأعياد والمواسم.

من العناصر المكونة للمسجد وخاصة في بداياته الأولى الصحن أو فناء المسجد أو باحة المسجد، وهو مكان للالتقاء والتواصل في الأمور العامة<sup>2</sup> لأن المصلي يكره فيه الحديث عن أمور الدنيوية وقد يستغل للصلاة في حالة امتلاء المسجد، وهو فضاء مربع الشكل أو مستطيل مكشوف، يمثل ربع مساحة المسجد تقريباً أو يقل عليها، يوجد بوسطه عادة نافورة للوضوء، وقد يكون مغطي بسقف مسطح حسب الظروف المناخية والبيئية للإقليم أو البلد، وقد اختفت فكرة الصحن المكشوف في العصور المتأخرة وحلت محلها القبّة، وأن كان هذا الفضاء قد وُجد في الحضارات السومرية و البابلية السابقة للإسلام، غير أن حسن استغلاله بطريقة وظيفية اكسبه الهوية الإسلامية<sup>3</sup>.

والمسجد هو المكان الذي تتشابه فيه الروابط الاجتماعية (واصدق ما يدل على ذلك في المجتمع الإسلامي اجتماع المسلمين في الصلاة، في صلاة الجمعة مثلاً، فهذا الاجتماع يحمل في مضمونه أكبر المعاني التي تذكره بميلاده: فهو رمزه وميلاده)<sup>4</sup>

### 1-10 المكتبة:

أحد أهم الفضاءات ذات الطابع الثقافي التي عرفتها المدينة منذ زمن بعيد والتي لعبت دوراً كبيراً في الحياة الاجتماعية، واتخذت المكتبات عدة أشكال عبر مراحلها التاريخية يمكن حصرها بين المادي واللامادي، فعرفت كملحقات داخل المباني العامة كالمساجد والكنائس والخاصة كالقصور، لتأخذ بعدها شكل مباني مستقلة بذاتها، جمعت ألواحاً طينية وأوراق البردي، بهدف حفظ هوية هذه

1- بيار أنصار، مرجع سابق، ص208.

2- حسّين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، العدد 37، يناير 1981، الكويت، ص61

3- علياء عكاشة، العمارة الإسلامية في مصر، بردي للنشر، الجيزة، مصر، 2008، ص42.

4- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع " الجزء الأول: شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، إصدار ندوة مالك بن نبي، طرابلس لبنان، بدون سنة نشر، ص28.

المجتمعات وترقيتها، إن قدرتها على التأقلم مع كل التحولات داخل المجتمعات والتحديات التي مرت بها مؤشر قوي لقدرتها في الاستمرار والتكيف مع ما وصلت إليه المجتمعات اليوم.

أشار توماس ماكارثي إلى الدور الذي لعبته المكتبات العمومية آنذاك في تطوير المفهوم وفي إحداث التغيير، ويؤكد بأن التحقيق مع فئة من المجتمع البرجوازي، كان يمكن أن تضاف المكتبات إلى قائمة الفضاء العمومي، حيث ساهمت بشكل كبير في نشر الوعي لدى الأفراد والجماعات.

وفي دراسة قدمتها كاثلين ماككوك (Kathleen McCook)، حددت فيها أربع ركائز أساسية لخدمات المكتبات وتتمثل في: الفضاء العمومي والتراث الثقافي والتعليم والمعلومات. وهي وظائف ترتبط بشكل وثيق بالمجتمع المدني، حيث تعمل على تطوير الحياة العامة، فهي موجهة لجميع فئات وشرائح المجتمع، من أجل تشجيع القراءة وتحصيل المعرفة، وتحقيق الاندماج في التمثلات الاجتماعية، كما تعمل على توحيد القيم داخل المجتمع لتحافظ به على هويته وعلى الطابع المميز له، وتخلق الشعور بالانتماء. واعتبرت أن تطور المكتبات العمومية في الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة الممتدة بين 1876 والحرب العلمية الأولى راجع إلى الدور الاجتماعي والثقافي التي لعبته، خاصة مع دخول فئة النساء لهذه الفضاءات، التي حفظت لها حقوقها من خلال المنظمات النسائية، وإنشاء مكتبات متنقلة تديرها النسوة، والعمل الخيري، والتأهيل المهني. لفهم الديناميكيات المتناقضة لتأثيرات الفضاء العمومي في مواقع إعادة الإسكان التي تستضيف مجموعات سكانية متجانسة للغاية أو غير متجانسة من وجهة نظر خصائصها الاجتماعية.

والجزائر عرفت هذا النوع من المؤسسات في الفترة الاستعمارية تحت مفهوم " المكتبات العمومية"، حيث كانت البداية مع إنشاء المكتبة الوطنية سنة 1835، والتي جمعت مجموعات غنية من الكتب المخطوطات، كما اعتبرت مركزا لتطوير شبكة المكتبات العمومية.<sup>1</sup> حيث اتخذت فرنسا من هذه المكتبات فضاءات لخدمة أغراضها السياسية والثقافية والتعليمية، وقامت بتخصيص ميزانيات كبيرة لتشييدها على مستوى المدن الرئيسية التي يكثر بها المواطنون والجاليات الأوروبية على غرار الجزائر، وهران، قسنطينة، سطيف، وعنابة.<sup>2</sup> وقد بلغ عددها في سنة 1956 ب 327 مكتبة منها ما هو خاص بالأوروبيين ومنها خاص بالأهالي.<sup>3</sup>

1 - Mahmoud Bouayed. Le livre et la lecture en Algérie. Unesco, 1985. P.41.

2 - wahiba, Hartani. La lecture publique en Algérie : une manifestation culturelle, "la semaine du livre et des bibliothèques" 51 pages. École nationale supérieure de bibliothécaires. 1980, p.7.

3- نجية قموح، المكتبات العامة بالجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي: 1830-1962. العربية 3000، فصلية متخصصة، س5، 1ع (مارس 2005). النادي العربي للمعلومات، سوريا، ص. ص. 91-109.

فتحت هذه المكتبات أبوابها، من طرف السلطات الفرنسية، لعموم الناس وكان هدفها تعميم اللغة الفرنسية، والتعريف بأصولهم الثقافية، حيث اعتبرت فرنسا الوسيلة الوحيدة بالنسبة للمواطنين لبلوغ الحداثة والحضارة، ويؤكد جون لمبار (Jean Lombart) على " أن دور هذه المكتبات في منطقة شمال إفريقيا هو غرس الروح الفرنسية في الشعوب المختلفة الأصول ونقل حضارتنا واندماجهم.<sup>1</sup>

يطرح مفهوم المكتبات العمومية في الجزائر المستقلة العديد من التساؤلات حول موقعها الثقافي، والتربوي والاجتماعي، واعتبار المكتبات العمومية على أنها " فضاء عمومي ذو طابع ثقافي تعليمي مفتوح للجميع "، كما اعتبرت " مكان للتنشئة الاجتماعية "، فالمكتبات العمومية من منظور المشرع الجزائري أصبحت تشكل خدمة عمومية، تعمل على إتاحة المعلومات، وتكوين الأفراد وتنقيتهم، وكذلك ضمان المتعة والترفيه. وقد ورد هذا في المرسوم التنفيذي رقم 12 - 234 الذي عرفها على أنها: " مؤسسات عمومية ذات طابع إداري تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي "، هذا بالإضافة إلى الخصائص التي أصبحت تتمتع بها والتي تحولها من أن ترتقي لمفهوم الفضاء العمومي من خلال تواجدها على مستوى مقر الولايات تحت تسمية المكتبات الرئيسية، دلالة على المكانة التي أصبحت تحظى بها في تمثيل السلطة أمام المواطنين، والموقع الاستراتيجي لها في الفضاء المجتمعي، ما يجعلها مركزا للالتقاء والتبادل بين المواطنين، وكذلك حجم وشكل المباني ما يجعل منها معلما، والتي حملت تصميمات جمعت بين الحداثة والأصالة راعت من خلالها الظروف الجغرافية والمناخية، والمهام التي أصبحت مرتبطة بها، والتغيير الحاصل في فضاءاتها، وثراء وتنوع المقتنيات، بالإضافة إلى توظيف التكنولوجيا، وأخيرا ثراء ووفرة البرامج المتعلقة بالكتاب والمطالعة والثقافية.

ربط مفهوم " الفضاء العمومي " بالمكتبات وبروز " مكتبات الفضاء الثالث "<sup>2</sup>، وان لم يتم تحديده بشكل قطعي إلا أن الدور الذي تؤديه المكتبات في عملية ديمقراطية الثقافة، من خلال تشجيع القراءة والمطالعة، والحق في المعلومات التي تسمح باندماج الأفراد في الحياة العامة، وتوسيع دائرة النقاشات والحوارات لتكوين الرأي العام، بالإضافة إلى طابع التسلية والترفيه والتي يجعل منها أماكن للأنس وتكوين العلاقات الاجتماعية، تشكل قرائن قوية تربط المكتبات بمفهوم الفضاء العمومي.

1 -Abdelhamid Arab. Contribution à l'étude des institutions culturelles de l'Algérie. Évolution des bibliothèques durant la période coloniale 1830-1962. 2 Tom. 2000. Université d'Alger, 2000, P.272.

2 - Mathilde Servet. Les bibliothèques troisièmes lieu. Mémoire d'étude / Diplôme de conservateur des bibliothèques, Bulletin des bibliothèques de France, janvier 2009.



إن هذا المفهوم بدأ في التغير لدى الهيئات المعنية ويبرز ذلك من خلال المشاريع المنجزة، والتي أصبحت تعرّف المكتبات العمومية على أنها " فضاء عمومي ذو طابع ثقافي تعليمي مفتوح للجميع"، كما اعتبرتها " مكان للتنشئة الاجتماعية"، فالمكتبات العمومية من منظور المشرع الجزائري وبفضل حزمة من القوانين المستحدثة<sup>1</sup>، أصبحت تشكل خدمة عمومية، تعمل على إتاحة المعلومات، وتكوين الأفراد وتنقيفهم، وكذلك ضمان المتعة والترفيه.

تعتبر هذه المكتبات فضاءات للعيش المشترك وأماكن للأنس الاجتماعي، تعمل على تشجيع الحوار والنقاش بين الأفراد، وتحقيق الاندماج في التمثلات الاجتماعية، وتوفير وسائل الابتكار والإبداع، بالإضافة إلى طابع الترفيه والتسلية الهادفة والتي تساهم في تنمية الأفراد، هذا من منظور الاجتماعي، أما من منظور الثقافي فهي فضاءات وأماكن ل " ديمقراطية الثقافة " والاستثمار في المورد البشري لدعم مشروع التنمية المستدامة في المجتمعات، حيث أصبحت تشكل الثقافة حسب منظمة اليونسكو ركيزة رابعة لتحقيق التنمية المستدامة، ما يجعل القائمين عليها أمام تحديات تتعلق بالإشكاليات والمسائل المطروحة في مجال الثقافة. هذا التحول الذي يتطلب تدعيم هذه الفضاءات وجعلها أكثر ديناميكية من خلال النشاطات والبرامج حول تشجيع القراءة والمطالعة وكل الأشكال الثقافية الأخرى التي تسمح بتطوير الذات وتكوين الاستقلال الفكري. ومن منظور سياسي تؤسس هذه الفضاءات حسب التصريحات الرسمية تجسيدا لمطلب يضمن -الحق في المعلومات والثقافة للجميع، يستوجب تدعيمها من طرف السلطات العمومية، حيث تبنت الجزائر مشروع إنجاز شبكة وطنية للمكتبات العمومية بالمناطق الريفية والحضرية لعل من أهمها إنجاز مكتبات على مستوى مقر ولايات الوطن تحت تسمية " المكتبات الرئيسية للمطالعة العمومية"، تحظى بموقع استراتيجي يسهل الوصول إليها من طرف المستخدمين، بالإضافة إلى المساحة التي تتوفر عليها وطريقة تصميم شكل الهندسة المعمارية. تحمل هذه الفضاءات فلسفة جديدة تركز على التصريحات الدولية الواردة من طرف منظمة اليونسكو " UNESCO " و " IFLA " باعتبارها خدمة عمومية ضرورية

1- للاطلاع أكثر راجع القوانين التالية:

- مرسوم تنفيذي رقم 94- 414 مؤرخ في 26 جمادى الثانية عام 1415 هـ الموافق 30 نوفمبر سنة 1994، يتضمن إحداث مديريات للثقافة في الولايات وتنظيمها. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية. ع. 79 .
- مرسوم تنفيذي رقم 07- 275 مؤرخ في 6 رمضان عام 1428 الموافق 18 سبتمبر 2007، يحدد القانون الأساسي لمكتبات المطالعة العمومية. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية. ع. 58 .
- مرسوم تنفيذي رقم 08- 236 مؤرخ في 23 رجب عام 1429 الموافق 26 يوليو سنة 2008، يتضمن إنشاء مكتبات المطالعة العمومية. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية. ع. 43.
- مرسوم تنفيذي رقم 09- 346 مؤرخ في 3 ذي القعدة عام 1430 الموافق 22 أكتوبر 2009، يتم المرسوم التنفيذي رقم 08- 236 المؤرخ في 23 رجب عام 1429 الموافق 26 يوليو سنة 2008، والمتضمن إنشاء مكتبات المطالعة العمومية. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية. ع. 62
- مرسوم تنفيذي رقم 12- 234 مؤرخ في 3 رجب عام 1433 الموافق 24 مايو سنة 2012، يحدد القانون الأساسي للمكتبات الرئيسية للمطالعة العمومية. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية. ع. 34

لعملية الديمقراطية، يراعى فيها الكثافة السكانية والتنوع في الفئات العمرية والجنس، والمستوى التعليمي. تتمثل هذه الخدمات في إتاحة المعلومات، التكوين، التثقيف، الترفيه والتسلية، كما أصبح لها أدوار اجتماعية من خلال فتح المجال للنقاش حول قضايا العنف، التسبب والجرم وغيرها من العلل الاجتماعية.

### 1-11 المقهى

تعتبر المقهى منشأة شرقية عُرِفَت أولاً في المشرق، ويقترن المقهى كفضاء بمشروب القهوة التي بدأ استهلاكها، في أول الأمر، في رحاب الصوفية المحدود تُعرف كعمارة غريبة، إلا أنه لم يمض وقت طويل حتى أصبحت مشروباً خاصاً بمجالس الذكر الصوفي، بيد أن تأثيراتها على الوسط الحضري، في القرن السادس عشر، ظلت -كما يذكر رالف هاتوكس- في أقصى حدودها الدنيا من الانتشار.<sup>1</sup> ويقطع النظر عن المسألة الجدلية بين تحريم شرب القهوة وإباحته، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه يوجد في مجتمعاتنا المحلية من يجعل من المقهى فضاء مدنسا، لارتباطه بعادة شرب القهوة وما يلحفها من تدخين للتبغ "ولعب الكارطا والدومينو"، غير أن تأثير مذاق القهوة كان قد فرض نفسه على الجميع، ودعمت الممارسات الصوفية شيوع الظاهرة التي وجدت، خارج مؤسسات الصوفية، مناسباتاً وموضوعياً لانتشارها، وتردد على ألسنة الناس المقولة الشهيرة: «القهوة شراب أهل الله»<sup>2</sup>؛ لأنها تساعد على السهر وممارسة الذكر والمناجاة ليلاً.

عرفت المقهى في البلاد العربية في القرن الخامس عشر، وكان المقهى في تلك العصور لا يخرج عن مكان مفتوح يؤمه الناس ويشربون فيه القهوة جلوساً على الأرض، وانتقلت القهوة من الشام بعد ذلك إلى تركيا<sup>3</sup>، حيث عرف الأتراك المقهى من العرب حيث ظهر أول مقهى في القسطنطينية في سنة 1554م، وبعد ذلك بحوالي نصف قرن وصلت القهوة إلى إيطاليا، ففي سنة 1645م ظهرت في البندقية أول دار من هذا النوع، ثم لندن وأكسفورد بعد ذلك بقليل وكانت القهوة فيها على الطريقة الشرقية، أما في روما فظلت المقاهي ممنوعة حتى أوائل القرن الثامن عشر، أما في بريطانيا فقد افتتح أول مقهى في لندن في عام 1652 وسرعان ما انتشرت المقاهي هناك وأصبحت منتديات الطبقة الراقية. يؤمها رجال السياسة والاجتماع والثقافة ويتبادلون فيها الآراء والأفكار، وكانت المقاهي

1- ناصر أحمد إبراهيم، "آداب وطقوس شرب القهوة في القاهرة العثمانية"، مقال في حوليات إسلامية Annales islamologiques, 48-2 | 2014, 217-247.

2- Geoffroy, Éric, « La diffusion du café au Proche-Orient arabe par l'intermédiaire des soufis : mythe et réalité » in Tuchscherer, Michel (éd.), Le commerce du café avant l'ère des plantations coloniales : espaces, réseaux, sociétés (xve-xixe siècle), Ifao, Le Caire, 2001, p. 13.

3- انظر:

Robert Mantran, Le café à Istanbul au XVIIe siècle in Le café en Méditerranée, Institut de recherches et d'études sur les mondes arabes et musulmans, 1980.

الإنجليزية في بداياتها هي المقر الأول للأحزاب السياسية، وتخصص كل مقهى بحزب معين. وهذه المقاهي الإنجليزية هي الأصل الذي تفرعت منه نوادي لندن المشهورة التي نجدها اليوم. أما في فرنسا تستعرض الكاتبة الفرنسية فرنسيس بوير قصة المقاهي الفرنسية، بأن تاريخها يعود إلى فترة القرن السادس عشر وتحديداً عام 1669م فقد قام السفير التركي بتقديم القهوة إلى الملك لويس الرابع عشر، فاستحسن الملك الفرنسي مذاق الشراب الساخن الداكن ومن وقتها انتشرت القهوة في فرنسا وأصبح الفرنسيون من مدمني القهوة. ولم تكن المقاهي في أول الأمر معروفة إلا في العواصم والمدن الكبرى ثم ما لبثت أن انتشرت في كل مدن أوروبا فيما بعد.<sup>1</sup>

وعند نهايات القرن السادس عشر، كان انتشار «بيوت القهوة» في شوارع وأحياء القاهرة قد بات واضحاً للعيان لدى المراقبين الأجانب، من خلال واقع سجلات التركات التي سُجِلَ بها أدوات القهوة<sup>2</sup> وعدد البكارج وأنواعها المختلفة التي عجت بها تركات المتوفيين، يتبين أن شرب القهوة، مع بدايات القرن السابع عشر، تجاوز الفضاء العمومي (المقاهي) إلى الفضاء الخاص (العائلي)، وبات يُمثل، بشكل واضح، حسبما تذكر نللي حنا، عادة أساسية في بيوت النخبة. وهذا دليل على أن استهلاك القهوة ظل زهاء قرن تقريباً في فضاء المقاهي قبل أن يتسلل تدريجياً (من العام إلى الخاص)، ويأخذ مكانته الكبيرة في مجالس الاستقبال الخاصة، ويصبح -كظاهرة- مزاجاً عائلياً بالدرجة الأولى، ومع منتصف القرن السابع عشر غدت فناجين القهوة جزءاً أساسياً في جهاز العروس في مصر<sup>3</sup>، ما أضفى عليها في النهاية طابعاً اجتماعياً خاصاً. وأخذ شراب القهوة طريقه في الانتشار بشكل واضح داخل مؤسسات السلطة العسكرية التي حولته بمرور الوقت إلى أهم مشروب بروتوكولي أساسي، في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ووضعت له ترتيبات دقيقة لافتة للنظر، على النحو الذي حددت معالمه وقواعده مخطوط «الطريقة والأدب»، والذي ألقى الضوء على الجانب السلوكي والثقافي والتواصلي في حياة العسكر<sup>4</sup>. هنا اكتسحت القهوة الفضاء العسكر الرسمي الممثل للقوة بمفهومها السياسي، وفي خط متوازٍ، على ما يبدو، أخذت القهوة في الانتشار من الطبقات العليا إلى الطبقات المتواضعة القابعة في أدنى السلم الاجتماعي<sup>5</sup>.

1- هدى الزين، المقاهي الأدبية في باريس حكايات وتاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 15-16.  
2- انظر:

Hélène Desmet-Gregoire, Une approche ethno-historique du café : évolution des ustensiles servant à la fabrication et à la consommation du café in Le café en Méditerranée, Institut de recherches et d'études sur les mondes arabes et musulmans, 1980.

3 - Hanna, Nelly, « Coffee Merchants in Cairo 1580-1630 » in Tuchscherer, Michel (éd.), Le commerce du café avant l'ère des plantations coloniales : espaces, réseaux, sociétés (xve-xixe siècle), Ifao, Le Caire, 2001, p. 97.

4- ناصر أحمد إبراهيم، مرجع سابق.

5- Hanna, Nelly, op.cit., p. 98.

المقهى من الفضاءات العامة الفاعلة في الساحة والمشهد اليومي للمواطن المحلي وإن اختلفت درجات العمومية في ذلك، فمقهى الرنجيلة في الأحياء الشعبية هي نصف-عمومية عكس ما يوحي به اسم شعبية، فروادها خواص ولا يرتادها النساء مثلما يعرفها جاك ليفي (Jacques Lévy) في ترتيبه للفضاءات العمومية حسب معايير الولوج لها ودرجات العمومية والخصوصية<sup>1</sup> والمقهى كفضاء، هي مسرح الحياة التي يطل منها المجتمع وخاصة ذكوره في سياق العالم العربي على إيقاع الحياة ويتأملون الرائح والغادي ويُعملون خيالهم في رسم سرديات متباينة لكل من تقع عليه أبصارهم. هو المكان الذي تتضمن ساحته إمكانية أن ترى وأن تُرى، ترى الناس وأن يراك الناس. تاريخياً، وفرت فضاءات المقاهي بيئة محفزة للمحادثات الغنية التي أدت إلى بزوغ وتبادل الأفكار الاستفزازية وتقدم كبير في مجالات متنوعة مثل الفنون، والفلسفة، وعلم النفس والسياسة.<sup>2</sup> كانت في وقت قريب لا تخلو أي مدينة في العالم من المقاهي فهذه الفضاءات تعطي للمدينة حيوية على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، وظهرت "المقاهي الأدبية" التي تعنى بالثقافة والأدب، وأبرز الأمثلة على ذلك مدينة باريس التي تشتهر بالانتشار المكثف لهذه الفضاءات. فالمقهى تطور تاريخياً ولكنه استقر كفضاء ليس فقط من أجل أدوار اجتماعية وترفيهية، وإنما تحول إلى فضاء ثقافي ثوري تقدمي نقدي وخاصة مع بلورة نموذج المقاهي الفرنسية كملتقى أهم مؤسسي الحركات الفنية والأدبية. هذه المقاهي التي كانت ثرية بالنقاشات والمناظرات وبلورة التيارات الفكرية، مثل الوجودية والسريالية والتكعبية وغيرها. وقد اعتبر القرن التاسع عشر العصر الذهبي للمقاهي في فرنسا، وشكلت مصدر وحي لكبار الرسامين والكتاب الذين كانوا يترددون عليها، وخلدت في لوحات بول سيزان وفي نصوص بالزاك وجيرارد ونيرفال. بعض هذه المقاهي شهدت ترددا منتظما وطقسيا لعمالقة مثل جان بول سارتر وبابلو بيكاسو وسلفادور دالي.<sup>3</sup>

المقهى هو ذلك المكان حيث يستطيع الواحد منا ارتشاف فنجان قهوة "ثقيلة" مع سيجارة، أو حيث يمكنه لقاء الأصدقاء والأحبة. في الجزائر، هو المكان الذي يعتمده الجزائريون بمعظمهم للالتقاء، وكثيراً ما نسمع الصديق يقول لصديقه "تتلاقوا في القهوى الفلانية"، في إشارة إلى مقهى الحيّ أو مقهى المنطقة أو مقهى المدينة.

1 - Lévy J., 1999, Le tournant géographique. Penser l'espace pour lire le monde, Belin, coll.

«Mappemonde», Paris, p240.

2- علي عبد الرؤوف، مدونات عمرانية إنسانية، خيمياء العمارة، الناس والأماكن، 2018. ص 55.

منشور برخصة المشاع الإبداعي <http://creativecommons.org>

3- نفس المرجع ص 56.

عند دخول الاستعمار لمدينة الأغواط كان بالمدينة عدد من المقاهي، يرتادها الرجال لشرب القهوة والتدخين وقضاء الوقت وهي أماكن لتناقل الأخبار والسهر وسماع الموسيقى (القصبة)، أشهرها مقهى عمي "الجريدي" وهي فضاء مكون من قاعة واحدة بها موقد تقليدي يشغل بالحطب لتحضير القهوة ومقاعد حجرية في الواجهة الخارجية للمحل تستعمل للجلوس لشرب القهوة والتدخين، وان الناس المحترمين لا يدخنون ولا يجلسون بالمقاهي ولا حتى يشربون القهوة.<sup>1</sup>

وفي الجزائر المقاهي ليست فقط أماكن لتناول القهوة والشاي والمشروبات الغازية، فهي باتت اليوم "المتنفس الوحيد" للشباب بحسب ما يقولون. وهي الفضاء يقتصر على الرجال من شباب وكهول وشيوخ حاز مكانة كبرى لدى عامة الناس. والشباب على سبيل المثال يرونه مكاناً للراحة، على الرغم من أنه لا يوفر مختلف أساليب وطرق التنفيس والراحة".

من جهة أخرى، تُنشر الأخبار في المقاهي ويُصار إلى تناقلها، في حين تُناقش حول طاولاتها الشؤون السياسية والاجتماعية والرياضية. وفي المقاهي، يقتل كثيرون الوقت، فيمرّ من دون أن يشعروا. أنها ما زالت متنفساً لكثيرين بعد يوم عمل طويل، فيقصدونها من أجل "جلسة خفيفة" بين الأصدقاء للترفيه عن أنفسهم بعد يوم متعب. يُذكر أنّ المقاهي هي المساحات الوحيدة في الجزائر الذي تتزايد سنوياً، نظراً إلى اهتمام الجزائري بهذه المساحة المليئة بكثير من القصص، بخلاف مساحات أخرى ما زالت خارج نطاق اهتمام بعضهم أو يجد آخرون صعوبة في الوصول إليها، من قبيل مراكز التسلية ومسارات المشي والرياضة والقاعات الرياضية وغيرها.

زيجات عدّة يُتفق عليها في مقاهي الجزائر، فعندما ينوي شاب خطبة شابة، لا بدّ من أن يتبع والدها أو أخاها إلى المقهى قبل أن يرسل أحد الجيران أو الأصدقاء لطلب يدها منه، أو يُفتح هو والدها بالموضوع في المقهى قبل أن يتقدّم لها في البيت. ويشير أحد مرتادي المقاهي الدائمين إلى أنّ "حكايات كثيرة تسمعها في المقهى، فهنا يتزوج البعض وهناك يشتري بعض آخر بيوتاً. الجميع يسمع حكايات الجميع".<sup>2</sup>

فالمقهى في الجزائر هو فضاء متعدد الوظائف فهو مكان تنسج وتنمو بداخله العلاقات الاجتماعية، فهو مكان التقاء الأصدقاء وتكوين الصداقات، وهو بدوره فضاء له بعد اقتصادي فهو مساحة للمبادلات التجارية إبرام الصفقات الرسمية والغير رسمية. وتناقش حول طاولاته القضايا السياسية، والسجلات الثقافية.

1 - Fromentin Eugene, Sahara et Sahel, éditions Paris Méditerranée, Paris, 2004, P. 75-134.

2- عثمان لحياي، مقاهي الجزائر... للتنفيس، مقال بجريدة العربي الجديد، بتاريخ 2017/10/24. على الرابط الإلكتروني: <https://www.alaraby.co.uk/society/2017/10/23/1-مقاهي-الجزائر-للتنفيس>

## 12-1 الحمام

الحمام أحد أهم الفضاءات العامة المكونة للمدينة القديمة الإسلامية، فلا تخلو مدينة عربية قديمة أو حديثة من هذا الفضاء العتيق، فهو فضاء مرتبط بالطهارة الجسدية والروحية، و(الحمام هو فضاء لعلاقة الإنسان بجسده وبمكان وزمن الحمام، ومن ناحية أخرى، يحقق هذا الفضاء حاجيات الجسد من الماء، أما الوجه الثالث، فإنه يحقق علاقة إنسانية وجسدية من خلال فرص لقاء وحميمية الإنسان بالإنسان أو الجسد بالجسد الآخر)<sup>1</sup>. فهو إذا مكان للتواصل بين أفراد المجتمع، حيث يتم تجاذب أطراف الحديث وتبادل المعرفة، وهو بؤرة لتداول الأفكار والسلع؛ ومجال عام ذو أهمية عالية. (يكن جزء من قيمته الاجتماعية بوصفه ملتقى ضمن أنساق الأنشطة الخاصة به، فالواقع أن وظائفه الأساسية تقع كلها في مجال تجميعي واحد، حيث يتشارك الأعراب العناصر نفسها وأنه يتضمن الاستغناء عن الملابس التي تعد وسيلة جوهرية لإرساء الحواجز بين الناس. يوضع الحمام في مقام خاص ضمن المجالات العامة، هذا بالتضاد مع البدائل الحديثة (السونه ووحيدات البخار الملحقة بالجمنازيوم أو الكوافير) حيث تتسم التجربة بالوحدة والجفاء والوظائفية البحتة. فاللا رسمية التي يتسم بها نشاط الحمام تعمل على كسر الحواجز الاجتماعية وتشجع على التفاعل الاجتماعي بين المستخدمين، الرجال منهم والسيدات، ولكن بصورة أكبر عند النساء حيث تفرض عليهن العديد من الحواجز الاجتماعية خاصة في المجتمعات الإسلامية.)<sup>2</sup>

ويعكس إنشاء الحمامات العامة بالمدينة الإسلامية مدى الحاجة إليها، تلك الحاجة التي ارتبطت في المقام الأول بعدم قدرة جميع سكان المدينة على إنشاء حمامات خاصة بمنزلهم لما يكلفه ذلك من تكاليف الإنشاء والمساحة والتزود بالماء وتسخينه، وأيضا إنشاء شبكات الصرف وآباره. وكان الحل في إنشاء الحمامات العامة التي تزايدت أعدادها في المدن الإسلامية تزيادا كبيرا تعكسه إحصاءات المصادر العربية عن كثرة حمامات البصرة وبغداد ودمشق والقاهرة وفاس وقرطبة وغيرها. فقد توجه الاستثمار المعماري إلى إنشاء هذه الحمامات لما تدره من دخل وفير لاستخدام سكان المدينة المستمر والمكثف لحماماتها، وهذا الاستخدام ارتبط بتعاليم الدين الإسلامي التي تحث على النظافة والاستحمام. كما أنه ارتبط بتطور الحياة المدنية بالمدينة الإسلامية بحاجات اجتماعية خاصة عندما أصبح الحمام بمثابة متنفس اجتماعي.

1- الهادي بو وشمّة، «الحمام الشعبي بتلمسان»، Insaniyat / إنسانيات، 63-64 | 2014، ص 143.

2- دينا كمال الدين شهيبي، الطلب على "الحمام" في مصر المعاصرة، إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، الحمام في البلدان المغاربية، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، عدد مزدوج 63-64، 2014، وهران، الجزائر، ص 45.

وتعكس لنا المصادر وما بقي من آثار الحمامات الدور الكبير الذي لعبه الحمام في الحياة الاجتماعية، فتصور حكايات ألف ليلة وليلة الحمام بأنه الجنة الدنيوية واللحظات التي تقضى فيه هي سعادة الحياة الإنسانية، ويشير ابن خلدون إلى ما يحدثه الحمام من شعور لذيق بالانتعاش البدني والروحي، فحينما يستنشق المستحم بخار الحمام الساخن يشعر بنشوة يظهرها في غناء ومرح، ويقول كذلك: إن هناك لحظتين تمدان الشعراء بالإلهام، الأولى: حينما يجدون أنفسهم في حمام، والأخرى: حين يستيقظون من النوم والمعدة خالية والأفكار نشطة، وإلى جانب الشعور بالصحة الذي يحدثه بخار الحمام وما يتبعه من إجراءات فإن الحمام كان يعتبر مركزا لعقد التجمعات المرحية.<sup>1</sup> وجرت العادة في بعض المدن على قضاء يوم كامل بالحمام يأخذ فيه الرجال والنساء مأكولاتهم ومشروباتهم ويتسلون بضروب التسلية ويغنون بأعلى أصواتهم<sup>2</sup>، وهكذا كان الحمام فرصة من الفرص القليلة التي تسنح للنساء المحتجبات في منازلهن لكي يغيّرن الجو ويتمتعن بحرية نسبية، وبذلك أعطى الحمام فرصة أخرى لزيادة الاتصال الاجتماعي بين نساء المدينة، حتى أن كثيرا من الزيجات والروابط الاجتماعية الأخرى كانت بداياتها في الحمام. وكانت بعض المظاهر الإعلانية للزواج في الحمامات العامة حيث جرت العادة في بعض المدن الإسلامية على تحميم «العروس» أو «العريس» في الحمام العام وسط جمهور المشاركين في الاحتفال من صديقات العروس أو أصدقاء العريس. وما يتبع ذلك من إجراءات التجميل للعروس خاصة.

الحمام باعتباره احد اهم مكونات المدينة القديمة و الحديثة على السواء فهو من الفضاءات التي سايرت المدينة في صيرورتها، في دراسة حول الحمام<sup>3</sup>، ينظر عبد الوهاب بوحديبة إلى الحمام باعتباره مشهدا، فهو يمثل عند السيدات أكثر من مجرد مكان للتطهر، بل هو خاصة مخرج، وكذلك مجال للتسلية والمراوحة، انه بمثابة المشهد المسرحي.<sup>4</sup> يبدو أن الحمام مكان يرتاده الزبائن ليس للتحمم فقط فهو كذلك (فضاء اجتماعي بامتياز)<sup>5</sup> يصنع ويتدخل في صناعة العادات والطقوس فهو مكان للتطهر وللعبور من المدنس إلى المقدس رغم أن الحمام في حد ذاته مثل السوق من الأماكن المدنسة التي لا يجوز فيها الصلاة و قراءة القران، ونلاحظ هنا التقاطع بين الديني والدنيوي في هذا المكان -الحمام- ادن هو نقطة التمفصل بين ثنائية الدنيا والدين.

1- ليوبولدو توريس بلباس: الأبنية الإسبانية الإسلامية-مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، عدد1ن مجلد1، سنة1953، ص122-123.

2- الحسن ابن محمد الوزان الفاسي (ليون الأفريقي)، وصف أفريقية، ترجمة حجي محمد والأخضر محمد، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص329-330.

3 -Abdelwahab Bouhdiba, la sexualité en islam, quadrige, Paris presses universitaires de France,Paris, 1975.pp, 197-213.

4- محسن بو عزيزي، مرجع سابق، ص97.

5 - Abdelwahab Bouhdiba, op.cit., p.202.

الحمام هو إغراء للمخيل ومحرك له، ويرتبط المخيال ب(الهُو) الذي يمثل الدوافع المقموعة، ولعل أكثر الإثارة في الحمام العربي هو هذا، هو تصميمه على شاكلة المتاهة، حيث البيوت المتداخلة في ظلمة حالكة حتى (البيت السخونة) في القاعة أو المطهرة، هي متاهة يضيع فيها الزائر.<sup>1</sup> فالحمام هو مكان لاسترجاع الذاكرة ومراجعة المسار اليومي مع الذات ومشاطرة ذلك مع الآخر في شكل نقاشات وحوارات بين مرتادي هذا الفضاء.

إن للحمام دور في المحافظة على التراث وبناء الثقافة المحلية، (حيث يمثل الحمام الفضاء الذي تتعامل فيه الثقافة التقليدية مع الجسد فسلك الحمام يتناول الجسد ضمن منظومة ثقافية دينية وصوفية، طهارة الجسد لمصالحته من جديد مع تعبداته ومع الله، فالجسد المدنس لا تقبل صلاته ولا شهادته ولا قراءة صاحبه القرآن، هو مقضى إلى حين خارج العالم التعبدي الديني، أي في تناول إغواءات الشيطان حتى يتطهر في الحمام. والحمام هو امتداد للمسجد، ولكن تمت الاستعاضة عن الحمام بسلك بيت الاستحمام، أي عن الطهارة بمفهومها الروحاني إلى مجرد نظافة الجسد لا غير، دون ان يفى ذلك بالضرورة إلى إعادة هذا الجسد المدنس الضال إلى الفضاء التعبدي الطاهر.<sup>2</sup> فالحمام في بداياته فضاء مرتبط في تصوراته بالجانب الروحاني التعبدي الذي يحمل النفس من الدنس إلى الطهر وهو كذلك مرتبط مكانيا بالمسجد غير أنه تحرر مجاليا وبني خارج حرم المسجد وعض بقاعة الوضوء، وتحرر روحيا فأصبح مكانا للنظافة قبل الطهارة ومكانا لبناء ونسج العلاقات الاجتماعية فالزواج والبيع والشراء والتعارف عادة ما يتم داخل الحمام وخاصة لدى النساء.

وهناك من يرى من المعماريين أن لموقع الحمام في النسيج العمراني للمدينة أهمية كبيرة، فهو فضاء عام له استقلاليتة وخصوصيته ومكانته وقديسيته في الحياة العامة، فلا يمكن جعل منه فضاء ثانويا تابعا، حيث أن (الحمام العمومي الذي يتخذ موضعه في مبنى غير مشجع أو يوضع بعيدا في شارع خلفي أو يلحق بالمراحيض في المسجد سوف تقل جاذبيته ولن يصبح المؤسسة الاجتماعية التي ينبغي أن يكونها).<sup>3</sup> غير أن الواقع أحيانا يعكس ذلك في بعض المواقع وخاصة في المدن الصغيرة وكذلك المحافظة.

بعد آخر يؤثر في سمعة الحمام واستمراريته ألا وهو توافقه مع الاستخدامات والأنشطة المحيطة به مكانيا، فالسبب وراء إحجام الجيل الجديد من قاطني الحي حول الحمام عن التردد عليه واستعماله

1- محسن بوغزيري، مرجع سابق، ص98.

2- نفس المرجع، ص99.

3- حسن فتحي، عمارة الفقراء تجربة في ريف مصر، ت: مصطفى إبراهيم فهمي، ص68، مطور موقع حسن فتحي:

<http://www.hassanfathy.webs.com>



يكن جزئياً في المعرفة بين الجيران بأن فلان هو مستخدم للحمام خاصة مع صورته المثيرة للجدل<sup>1</sup>. فالاختيار للموقع يأتي بناء على متطلبات تفرضها الحياة الاجتماعية للسكان، فيجب مراعاة خصوصية المجتمع من جهة وطابع الاجتماعي للفضاء من جهة أخرى، ففي دراسة عن القرى الاشتراكية بالجزائر للمعماري والاجتماعي جعفر لسبت، لاحظ، في إحدى القرى الاشتراكية المخططة، أن عزوف النساء من الذهاب إلى الحمام راجع لموقعه السيء والغير مدروس، حيث لم يراع فيه خصوصية المجتمع الريفي، وذلك بوجوده في مكان مقابل للمقهى مما يجعل النساء عرضة لأعين الرجال الجالسين بالمقهى<sup>2</sup>.

ويرى بعض المخططين والاجتماعيين أن للحمام وظائف أخرى غير الطهارة الجسدية، والراحة والاسترخاء من آثار يوم متعب من الحياة اليومية، فهو (مكان للاجتماع حيث يتبادل الرجال الأخبار، والقبل والقال، ويجرون الصفقات ويناقشون أمور السياسة في جو من التعم).<sup>3</sup> والحمامات عندنا (لا تَقَلُّ شأنًا عما كان لها عند قدماء الرومان).<sup>4</sup> مما يجعله فضاء عام لديمومة العلاقات الاجتماعية والمحافظة على بقاءها.

من المظاهر الاجتماعية المصاحبة لنشاط الحمام هو ارتباطه باحتفاليات الزواج، بحيث يوجد دائما حنين للتجهيزات العرسية التي كانت تتضمن الاستعدادات الخاصة داخل الحمام، فزيارته من طرف العروس استعدادا للزفاف مازالت السبب الرئيسي الذي يدفع الكثير إلى استعمال هذه الخدمة للمرة الأولى، سواء كانت العروس نفسها أو أحد أفراد عائلتها، أو الأصدقاء أو الجيران. من الأسباب التي تدفع البعض لبدء استخدام الحمام. نجد أن القيمة الترفيهية للحمام هي القيمة المدركة على أكثر عدد بين غير المترددين على الحمام بينما يوجد هناك معرفة ضئيلة بالقيمة الصحية للحمام وعلاقته بالتجميل، وعلى من إدراك القيم الاجتماعية للحمام، فإنه يتم ممارسة هذه القيم بصور تختلف باختلاف الثقافة. ففي المغرب العربي، من المعروف أن الحمام يساعد على إنشاء الصداقات في نطاق الحي الواحد، بينما يعتبر بالقاهرة ودمشق مكاناً للترويح عن النفس بين الحين والآخر، ومكانا تقصده مجموعة من الأصدقاء أو عائلة لقضاء وقت ممتع وبمناخ فضاء للنزهة، أما في أنقره، فتوصل الحمام إلى إحداث التوازن بين قيمتي الضرورة والترفيه، حيث أن الخدمات التكميلية

1- دينا كمال الدين شهيبي، مرجع سابق، ص 55.

2- Djaffar Lesbet, Les 1000 villages socialistes en Algérie, OPU, SYROS, Paris.1983, p 252.

3- حسن فتحي، مرجع سابق، ص 68.

4- غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص 380.

به هي خدمات على المستوى نفسه من الأهمية وتحمل هذه الخدمات التكميلية فرصًا كبيرة للتفاعل الاجتماعي بين الزبائن والعاملين<sup>1</sup>.

أما عند النساء (فالحمام يوفر لهن عذرا للفرار من قيد البيت. وعندما كان الحمام عرفا سائدا فإنه كان يلعب دورا مهما جدا في حياة نساء المدينة اللائي كن يرتدين أحسن ثيابهن وأغلى حليهن للقيام بزيارتهم الأسبوعية له، وهناك كن يخترن العرائس لأبنائهن وأخواتهن ويرتبّن زيجاتهم، كما انه في اليوم السابق مباشرة ليوم الزفاف نفسه تؤخذ العروس إلى الحمام لتمشط وتطيب، وينتف الشعر الزائد، وتعد لحفل الزفاف.... فهو أي "الحمام مكانا عاما للاجتماع".<sup>2</sup> إذا كان الرجال يذهبون إلى الحمام أو يعودون منه، كما يشاءون. غير أن النساء في الغالب يذهبن إلى الحمام بعد اخذ الترخيص من الزوج أو الأب أو الأخ.... وتظل المراقبة الأسرية للنسوة، وللفتيات وهن في طريقهن إلى الحمام، ممارسة يقوم بها الصبيان<sup>3</sup>.

نستطيع أن نقول إن الحمامات تعتبر جزءاً من الحياة اليومية ومحطة بارزة في النشاطات اليومية لدى سكان المدينة القديمة، فالحمامات هي فضاءات تمثل "خارج الداخل"<sup>4</sup>، فهي متاحة للجميع، للفقراء والأغنياء، للكبار والصغار، للنساء والرجال، وللناس من جميع الأطياف الاجتماعية، وإن كانت الحمامات ضرورية من أجل الأمور الدينية فهي مهمة كذلك من أجل النواحي الاجتماعية حيث يجتمع فيها الناس وخاصة في المناسبات الخاصة والاحتفالات، وارتبطت كل مناسبة بعدد من التقاليد والطقوس التي تجري داخل الحمام.

غير أن الحمام فقد مكانته في الأنسجة العمرانية الحديثة كما في الحياة اليومية للمواطن لما شهدته المدن الحديثة من تطور في البنى التحتية والخدمية وسهولة إيصالها بالمسكن، فأصبح الحمام بالمفهوم الحديث جزءا من السكن، ويرى حسن فتحي أن حال الحمام في المدن المصرية، تدهور حين أصبح مرتاديه من الفقراء فقط بعد انتقال الأغنياء إلى أحياء جديدة.<sup>5</sup>

ورغم ما أفرزته التكنولوجيا الحديثة من تطور في إيجاد أدوات ووسائل أخرى للطهارة الجسدية، يبقى الحمام، (فيما أمل، سيغري الناس أيضا بالدخول في شبكة أخرى من التكامل الاجتماعي ويساعد على أن يوفر لكل فرد مجموعة من الاتصالات الاجتماعية الواسعة المتنوعة القوية.<sup>6</sup>)

1- دينا كمال الدين شهيبي، مرجع سابق، ص 46.

2- حسن فتحي، مرجع سابق، ص 68

3- وعمر كارلبي، لرهانات الاجتماعية للجسد. الحمام المغربي (في القرنين التاسع عشر و العشرين) بين الدوام والزوال أو الإحياء، ترجمة: محمد داود، إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، الحمام في البلدان المغربية، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، عدد مزدوج 63-64، 2014، وهران، ص 136.

4- ميشال فوكو، مرجع سابق، ص 14.

5- حسن فتحي، مرجع سابق، ص 68

6- نفس المرجع، ص 69.

في الغالب تتكون الحمامات من ثلاثة فضاءات أساسية<sup>1</sup>، الفضاء الأول منها يتعلق بما يمكن أن نسميه بالفضاء البراني(الخارجي) (Frigidarium) باعتباره الأقرب للفضاء الخارجي من جهة، ومن درجة الحرارة من جهة أخرى، ويعتبر أساسيا في بنية الحمام، لأن به مجموعة من الممارسات، التي تتعلق بالوجاهة الاجتماعية من خلال تغيير الملابس والتفاخر والمزادات. فهناك علاقة بين الطقوس والممارسات داخل فضاء الحمام، مما يجعل المكان يوحى بوجود علاقات اجتماعية تربط الزمان بالمكان وفرض عليه القداسة تارة والدنس تارة أخرى. والفضاء الثاني هو الوسطاني (Tepidarium)، وهو متدرج بالنسبة لحرارته مقارنة مع البراني، وهو تحضير للفضاء، الذي يليه من حيث درجة الحرارة، كما أنه المكان الأنسب لأخذ قسط من الراحة دون الإضرار بالجسد ودون الإحساس بالبرد والسخونة، كما يعد المكان الأنسب لتبادل أطراف الحديث. أما الفضاء الثالث فيتعلق بالفضاء الداخلي (Caldarium) وهو الأكثر حرارة والمكان الأفضل للتعرق والتمدد والتكياس، ويتم التدرج بين هذه الفضاءات الثلاثة ولكل فضاء ممارساته الخاصة به. ينتهي الاستحمام، إلى العودة عبر البيوت الثلاثة إلى غرفة استبدال الثياب بعد لباس منزر الخروج (فوطية كبيرة تغطي الجسم من السرة إلى الركبتين، وأخرى تستعمل لتنشيف بقية الأعضاء وتغطية الرأس تقاديا عن الإصابة من نزلة برد) حيث يأخذ الزبون قسطا من الراحة على المقاعد الوثيرة، التي تتباين أغطيتها وتتعدد، وبعد ذلك يقدم ثمن الاستحمام ومستلزماته، والذي يمكن أن يكون مسبقا مع زمن الدخول، ويهم بالمغادرة إلى بيته.

### 1-13 المقبرة:

المقبرة قبل أن تكون فضاء عام هي مدينة الموتى التي سبقت مدينة الأحياء على حد تعبير لويس ممفورد، ففي العصر الحجري حين كان الإنسان يهيم على وجهه يعيش حياة القنص والالتقاط بحثا عن القوت، كان الموتى أول من ظفر بمأوى ثابت. أصبح معلما يرجع إليه الإنسان البدائي لمناجاة أرواح الأجداد وعبادتها ومن هنا ظهرت أولى بوادر الاستقرار، فكل ما بقي من الحضارات والمدن القديمة هي المعابد والمقابر.<sup>2</sup>

المقبرة كفضاء له رمزيتها وقداسته شغلت حيزا ماديا في المدينة الحديثة، ففي أوروبا كانت المقابر توجد في قلب الحاضرة وسط المدينة مشيدة بجوار الكنيسة وكان الدفن جماعيا، إلى غاية

1- شاكر العيبي، العمارة الذكورية: فن البناء والمعايير الاجتماعية والأخلاقية في العالم العربي، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط1، 2007، ص37.

2- لويس ممفورد، المدينة على مر العصور أصلها وتطورها ومستقبلها، ج1، مرجع سابق، ص3-50

القرن التاسع عشر وبالضبط في عهد نابليون الثالث أين تم تنظيم المدافن الباريسية على ضواحي المدن.<sup>1</sup>

في المدن الإسلامية نجد المقابر لها قدسيته، وهي عادة ما توجد في مداخل ومخارج المدن القديمة، والمتعارف عليه اجتماعيا أن المقابر عنصر طارد تتأثر بها المناطق المحيطة وتتخفف أسعار الأراضي المطلة عليها عوضا عن بعض الجوانب الشرعية التي تخص السكن بجوارها واحترامها وحرمة أديتها إلا أن كل ذلك يبقى رهنا بعشوائية اختيار مواقع المقابر وعدم التفكير بجدية بأهمية تخطيط المدينة لتتناسب مع الأحياء والأموات، فعنصر المفاجئة في اختيار مواقع المقابر تخطيطيا لا يمكن الاعتماد عليه وسيتسبب بضرر كبير خاصة إذا ما وجهت مواقع المقابر للإضرار بأماكن الأحياء.

ويسمح الدفن باستمرار الأموات في الفضاء المكاني على الأقل، ويجعل لهم مكانا معلوما، يمكن زيارته والتردد عليه. يغلب على عملية الدفن الجانب التطوعي؛ بحيث يشارك كل فرد في عملية الدفن بإزالة التراب أو في إرجاعه إلى موضعه من أجل الحصول على الأجر والثواب وعند الإتمام من الدفن عادة ما يوضع فوق القبر شيء معين كأنية، أو كأس، أو كوب صحن أو جريدة سعف النخل... وغيرها. وهي علامة على القبر تبقى موجودة حتى كتابة شاهد القبر، فحتى إذا أتلفت أو ضاعت يتم استبدالها. "إن هذه الظاهرة مرتبطة بالكثير من العادات والممارسات والتي هي عبارة عن "سلوك أو نمط سلوكي تعده الجماعة صحيحا أو طيبا وذلك بسبب مطابقته للتراث الثقافي القائم"<sup>2</sup>

## الأشكال المادية

### 1-2 الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية

من أهم الأطر والمحطات المهمة في حياة الأفراد والجماعات، يحتفل فيها الناس بذكرى أو مناسبة دينية أو وطنية أو محلية، وهو ما يعود إليه الناس مرارا وتكرارا. وتمثل العادات النشاط البشري من طقوس أو تقاليد تستمد في أغلب الأحيان من فكر أو عقيدة المجتمع وتدخل العادات في كثير من مناحي الحياة والعلاقات بين الناس، والأعياد ظاهرة اجتماعية عامة وقديمة، وهي تعتبر من العادات الجماعية، وتمثل مطلب فطري تحتاج إليه النفوس، كما أنها ضرورة اجتماعية لما تؤدي إليه من تعزيز وحدة المجتمع وتقوية الروابط بين أفرادها.

1- ميشال فوكو، مرجع سابق، ص35.

2- إحسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق، ص404.

تبدو الأهمية القصوى للأعياد كمناسبات اجتماعية تعمل على لم الشمل وتحقيق للمجتمع استقراره وتماسكه. ولهذه الأهمية، ابتكرت المجتمعات العديد من الأعياد تحت العديد من المسميات وفي العديد من المناسبات دينية أو وطنية أو غير ذلك. وهي تعبر عن حاجة الإنسان الفطرية إلى مثل هذه الأعياد لتحقيق التواصل بينه وبين غيره من أفراد المجتمع.

والدين الإسلامي يلبي هذه الرغبة الطبيعية لدى الإنسان في التواصل مع الآخرين، ويتجاوب مع هذه الفطرة الإنسانية، فالإسلام دين الفطرة، وهو يعلى من شأن اجتماع المسلمين وتواصلهم في الصلاة والحج، ويعمل على توطيد العلاقات الاجتماعية وزيادة التقارب والتعارف فيما بينهم، يقول عز وجل: ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ) (الحجرات: 13)، ومن أجل ذلك أيضاً رأينا الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما قدم إلى المدينة وجد لدى الأنصار يومين يلعبون فيهما، فقال: (ما هذان اليومان؟ قالوا: يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال: إن الله أبدلكم بهما خيراً منهما، يوم الأضحى ويوم الفطر) رواه أبو داود في سننه كتاب الصلاة.

ولقد حث الإسلام على الاحتفاء بأيام الأعياد ومشاركة الناس في أفراحهم وبهجتهم، حتى تبدو للأعياد مكانتها المميزة عن سائر الأيام، ولهذا حرم الإسلام الصوم يوم العيد، لما يرافقه من تزاور وإكرام وإطعام، كما أن الإسلام يرغب ويرحب بكل مظهر يشيع السعادة والبهجة بين الناس، ويقوى معانى الألفة والمودة فيما بينهم، مثل تبادل الزيارات والتهناني والدعوات والمجاملات، وبذل الهدايا والأعطيات للصغار والضعفاء والمحرومين، ليشاركوا الناس فرحتهم بالعيد، وتتعمهم بالطيب من الطعام والشراب واللباس، وكل ذلك مما يقوى أواصر المحبة والترابط بين أفراد المجتمع.

ومن الأهمية بمكان أن يقوم الآباء والأمهات باصطحاب أبناءهم في زيارة الأقرباء والجيران والأصدقاء للتعرف عليهم عن قرب، وتبادل الأحاديث وتقوية الروابط الرحمية والاجتماعية، وتعويد الأطفال على أصول مخالطة الناس، وآداب المجالس والحديث والزيارة، وإتاحة الفرصة لهم لاكتساب المزيد من المهارات المعرفية والسلوكية والاجتماعية.

فالأعياد ذات وظيفة تواصلية هامة وضرورية، ومناسبات تساعد على تقوية التراحم والتواصل الاجتماعي المادي والمعنوي، مما يزيد من تماسك المجتمع ويقوى بنيانه بقوة تماسك أفراده.

## 2-2 الاعراس والافراح

يدخل هنا تحت طائلة الأعراس ظاهرتان مهمتان لهما دور كبير في بناء العلاقات الاجتماعية هما: الزواج بدرجة أولى والختان بدرجة اقل، أما الأفراح فنقصد بها كل المناسبات السعيدة التي تنظم على شكل حفل مثل حفلات النجاح والتخرج والسكن... الخ.

الزواج وهو من أقدم التنظيمات الاجتماعية -الموجودة تقريبا في كل المجتمعات ولو بصيغ مختلفة- المنظمة للعلاقات الأسرية<sup>1</sup>، وهو قديم قدم الإنسان نفسه، وهو أقدم الروابط البشرية التي تقوم على الرغبة والاختيار والرضا المشترك في حالاتها الطبيعية، وهو وأحد الركن الأساس في بناء الأسرة القويم التي هي الخلية الأساسية في جسم المجتمع، والزواج بيولوجيا هو وسيلة لإشباع حاجات الإنسان العضوية كالجنس والأمومة والاستقرار، والشعور بالانتماء<sup>2</sup>. وللزواج عادات وتقاليد تختلف طبقاً للبعد الجغرافي والموروث الحضاري والثقافي من شعب إلى آخر. هو مجموعة معقدة من الأحكام والتقاليد التي تنظم العلاقات الاجتماعية. والرابطة الزوجية تحكمها قوانين دينية واجتماعية متوارثة تضيي الصفة الشرعية والرضى على قران شريكين متلازمين مدى الحياة.

وفي مجتمعاتنا الإسلامية اهتم الإسلام بالزواج اهتماما كبيرا لأنه من الأمور التي تدعو إليها الفطرة، ووسيلة إلى تعاون الإنسان مع بني نوعه في عمارة الكون وتديير المصالح وتبادل المنافع. وقد أراد الإسلام لهذه الرابطة أن تسمو فوق كل رباط فربطه بكلمة الله وسيجبه بكل ما جاء في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

العرس الزوجي هذا الفضاء المهم في الحياة الاجتماعية للمجتمعات الإنسانية، وتشكل البنى القربانية، وتغير سلوك الأفراد، وانتقال الفرد من حياة العزوبية إلى علم الحياة الزوجية، هذا الفضاء العام تعرض لعدة تغييرات -في المجتمع المحلي ومن خلاله المجتمع الجزائري- في الشكل وإن حافظ على المضمون وهو بناء علاقة زوجية، تغير بتغير الزمن و الوسائل و الإمكانيات، حيث عرف الزواج حسب "هوارى عدي" مظاهر جديدة تبدأ بربط علاقة صداقة بين الإناث و الذكور داخل الفضاءات العامة مخالفين بذلك التعاليم الدينية التي لا تسمح بمثل هذه العلاقات، و التقاليد الاجتماعية التي تنبذ من يقوم بذلك (وإن كان هذا حكم لا يمكن تعميمه على كل مكونات المجتمع)، والتي يرجع مصدرها إلى اتساع دائرة الفضاء العام وتحرره من دائرة المراقبة والضبط الاجتماعي، إذ أدى ذلك إلى عمليات التقليد في غياب كلي للقيم و المبادئ والرقابة الأسرية و الاجتماعية لهذه

1- سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة للطباعة العربية، بيروت، لبنان، 1983، ص56.

2- محمد علي محمد، السيد عبد العاطي السيد، سامية محمد جابر، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985، ص 23.

العلاقات التي قد تنتهي بالزواج أو بعلاقات غير شرعية أو بتشويه الصورة الاجتماعية للمعنيين على أقل تقدير، أو حتى تأخر أو عدم الزواج. وتكون هذه العلاقة بين الجنسين من الحي نفسه أو داخل أماكن العمل والدراسة كفضاء عام يفضل فيه الفرد التعرف على الفتاة خارج محيط العائلة (الفضاء الخاص) مما يزعج الام التي ترى في الفتاة المختارة أنها ستأخذ منها ابنها وأنها غير مطيعة لها<sup>1</sup>.

ويأخذ هذا الفضاء شكله المادي في أماكن الأفراح من قاعات للحفلات، أما الشكل اللامادي فهو العادات والطقوس المتوارثة والمستحدثة المرافقة وكذا الأفراد الفاعلين في هذه العملية وهو عادة ما ينقسم إلى فضاءين اثنين أحدهما نسوي والآخر ذكوري.

إنّ الجانب الترفيهي، وأحياناً الاحتفالي، في التجمّعات النسائية، وخاصة أعراس الزواج، أين يكون هناك الفضاء نسويًا مائة بالمائة حسب التقاليد المحلية، وتبدأ عادة الاحتفالات الليلية النسائية بعد المغرب مباشرة، وتقام في قاعات مخصصة للأفراح مقامة بالمدينة هذا بالنسبة للعائلات الغنية أو ذات الدخل الميسور، وقد يكون فيه نوع من التفاخر كما قالت احد النساء " انا اندير لبنتي عرس مصارش في لصال لمخيرة في لغواط"، واما العائلات الفقيرة والبسيطة فتقيم العرس في مسكن الزوج أو في سطح المنزل، تتميز الحفلات في جانبها النسائي، بالسهرات الليلية التي تحييها فرق موسيقية أو باستعمال ال"دي جي" أو مغنيات محليات " الطبالات".

من خلال هذا الفضاء النسوي، يتم بناء علاقات اجتماعية، وتنشأ صداقات جديدة، وعلاقات قد تؤسس لمشاريع زوجية أخرى، على عكس الفضاءات الذكورية ذات الأجواء الأكثر جدية والمتشّفة، فحفلات الرجال تتميز في الغالب بعشاء ينتهي باكراً من دون موسيقى، يتم من خلاله تقديم التهاني لاب العريس، وبالمقابل هناك فضاء شباني ترفيهي يقيم العريس مع أصحابه هو الآخر، يبدأ عادة في ساعة متأخرة من الليل يستعمل فيه الموسيقى و الطبوع المختلفة يختم بموكب للسيارات ويختم بموكب للسيارات يجب شوارع المدينة إعلانا بدخول العريس إلى البيت الزوجية .

## 2-3 المآتم والجناز

"اصبحنا نلتقي في الجنازات فقط" كلمة شائعة في المجتمع المحلي باعتبار هذه المناسبة فضاء مهم للحفاظ على الرباط الاجتماعي وإعادة بناءه بين الأفراد، يعتبر التضامن الاجتماعي عند الموت قيمة اجتماعية ومجتمعية عرفت الشعوب الإنسانية القديمة والمعاصرة، كما يعرفها المجتمع الجزائري من خلال ممارسة أفرادها لها، وذلك لاقتناعهم أنه لا يستطيع الفرد أن يعيش إلا في جماعة

1 - Lahouari ADDI, les mutation de la société Algérienne, op.cit., P 84-85

متفاعلا مع أفرادها وفق نظام معين، لأن المجتمع بناء قائم على نسيج من العلاقات الاجتماعية المختلفة والمتنوعة، وتعد شرطا ضروريا لربط أفراد المجتمع وأجزائه بعضها ببعض، ولتنظيم هذه العلاقات لأبد من نظام اجتماعي، هذا الأخير الذي يعتبر شكلا من أشكال القواعد والإجراءات الضابطة أو الموجهة للسلوك الاجتماعي للفرد.

ويسمح الدفن باستمرار الأموات في الفضاء المكاني على الأقل، ويجعل لهم مكانا معلوما، يمكن زيارته والتردد عليه. يغلب على عملية الدفن الجانب التطوعي؛ بحيث يشارك كل فرد في عملية الدفن بإزالة التراب أو في إرجاعه إلى موضعه من أجل الحصول على الأجر والثواب وعند الإتمام من الدفن عادة ما يوضع فوق القبر شيء معين كآنية، أو كأس، أو كوب صحن أو جريدة سعف النخل... وغيرها. وهي علامة على القبر تبقى موجودة حتى كتابة شاهد القبر، فحتى إذا أتلفت أو ضاعت يتم استبدالها. "إن هذه الظاهرة مرتبطة بالكثير من العادات والممارسات التي هي عبارة عن "سلوك أو نمط سلوكي تعده الجماعة صحيحا أو طيبا وذلك بسبب مطابقتها للتراث الثقافي القائم"<sup>1</sup>

**العزاء:** يعد سمة من سمات التضامن والتآزر والتعاطف بين الأفراد، مع تقديم مساعدات لأقارب الميت وإمدادهم بالمواد الأساسية كالقهوة والسكر والمساعدة في الإطعام مع ضرورة نصب خيمة "القيطون" خاصة في الأيام الثلاثة الأولى وسط الطريق للدلالة على الجنازة. تعبر مراسم العزاء عن تنظيم اجتماعي، فتتوزع المهام بين الرجال والنساء والتزام كل منهم بمهامه إلى انقضاء فترة العزاء، وحتى في مسألة مرافقة الميت، وكأن هناك اتفاقية لكل طرفين من أجل أن يشبع كل منهم فضوله لتوديع الميت، النساء ترافق الميت داخل المنزل، أما الرجال يرافقونه عند تشييع الجنازة ومرافقته إلى القبر من أجل دفنه، ومنه العزاء وطقوسه لا يتضمن تقسيما للمهام والأدوار، بل تشمل أيضا تقسيما في المجال أو الفضاء، ففضاء الرجال الخيمة الذي يتصف بالكتمان والتستر، وفضاء النساء داخل المنزل الذي يتميز بالبكاء والصراخ والعيول. وبعد انقضاء فترة العزاء يحدد موعد لالتقاء المعزين من جديد تسمى بالأربعين: وهنا نعرف أن الحزن لم يكن مقتصرًا على الميت المفقود، ولكنه حزن موجه بإدراك مسبق لتفكك العلاقات الاجتماعية وعدم التمكن من إعادة بناها من جديد. في الأربعين يظهر جليا هل تم إعادة بناء هذه العلاقات بعدما انتقص منها عضو بسبب وفاته.<sup>2</sup>

1- إحسان محمد الحسن ، موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق، ص404.

2-نورية سوامية، طقوس الموت بين طرح فان جنيب والخصوصية الإسلامية، الملتقى الوطني الأول حول الموت في الممارسات الثقافية في الجزائر 41 فبراير 7142 / المنعقد بتاريخ 41، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطبولي -معسكر، الجزائر، ص42.



يصف مالك شبل أن زيارة القبور هي مواصلة الاعتناء بالعلاقة العاطفية التي تربطنا بالميت، فالميت في المفهوم المغاربي هو ينتمي إلى الجماعة رغم عدم تواجده في نفس الفضاء وعدم رؤيته "بالعين البصيرة"، والميت هو همزة وصل ما بين عالم الأفراد الهالكين والأفراد الخالدين في عالم الغيب.<sup>1</sup>

## 2-4 التوزيع:

ويعرف هذا الشكل من أشكال التضامن في أوساط الجزائريين منذ القديم باسم "التوزيع"، وهي الموروث الثقافي الذي ورثه أبا عن جد، وهي مظهر من مظاهر الفعل التضامني الذي يتميز به المجتمع الجزائري، وتعد "التوزيع" من العادات التي ظلت قائمة إلى زمن ليس ببعيد في مدننا، ومازالت إلى يومنا هذا وتتوارثها الأجيال ولا يزال سكان المناطق الريفية يحافظون عليها، وهي شكل من أشكال الفعل التضامني وممارسة اجتماعية جماعية تهدف تقوية الرباط الاجتماعي.

"التوزيع" مصطلح أمازيغي وتعني كل صور التعاون والتكافل والتضامن الذي يهدف إلى إنجاز عمل اجتماعي لأجل مصلحة فردية كانت أم جماعية، يشارك فيه الشخص الذي يرغب في المساعدة المادية أو المعنوية أو العضوية بكل تلقائية وبدون مقابل.<sup>2</sup> وهو مجال مفتوح لكل الفئات. ويتم إحياء هذه العادة وسط فرحة كبيرة، على وقع زغاريد النسوة ومنبهات السيارات بدلالات اجتماعية عميقة كما يحدث في المناسبات، كالأفراح أو عندما يتطلب الأمر مثلا مساعدة عائلة معوزة لإتمام إنجاز أشغال مسكن لم تتمكن من توفير متطلبات إنجاز ما يدفع في الغالب سكان الحي للقيام بهذه المبادرة لإدخال الفرحة وسط عائلته. أو مساعدة المرضى بجمع التبرعات لهم، أو بالتعاون من أجل مساعدة المقبلين على الزواج، أو بناء البيوت للفقراء والمعدمين، أو بناء المساجد لإقامة الصلاة، أو المساهمة في أي مشروع يخدم المصلحة العامة للمجتمع.

كما يسمح هذا التجمع الشعبي احتفاء بالعمل الخيري بإضفاء الصورة الحقيقية لأهمية التضامن الاجتماعي وبعث عادة "التوزيع" التي تساعد في مثل هذه اللقاءات على رأب الصدع وحل المشاكل كما تقوي ترابط العائلات من خلال إتاحتها الفرصة للشباب للتعرف والزواج. وهي عادة منتشرة بالمناطق الريفية أين تحقق نوعا من الاكتفاء الذاتي للقرويين من خلال استغلال سواعدهم وطاقاتهم في العمل بجد وتطوير مزروعاتهم، والرفع من إنتاجية حقولهم بفضل تبادل الخبرات والآلات الفلاحية بين المزارعين. وتشمل عادة "التوزيع" مناسبات معينة وقت الأفراح أو الأتراح ومن

1 - Malek Chebel(1999), Le corps en Islam, Presses universitaires de France, Paris, p.144.

2- عبد المالك مرتاض، التوزيع وأبعادها الاجتماعية في الريف الجزائري، المؤتمر الثاني للثقافة الشعبية اللبنانية-العربية، بيروت. 1999. ص. 1065-1097.

بين هذه الأعمال: جني الزيتون، عملية الحصاد، بناء بيت أو بناء مسجد، أعمال النسيج وغسل الصوف، قتل الكسكسي التقليدي والتحضير لبعض حلويات الأعراس والمواسم لتمتد لبناء المساجد وإنجاز الطرقات.

لكن الملاحظ أن التوزيع في المدن الكبرى قد اختلفت أشكالها واضمحت. رغم كل الوظائف التي أدهتا في القديم، والتي كانت تتحقق من خلال مجموعة من القيم والمعايير مثل اجتماع الأفراد المنتمين إلى الجماعة واستمرارية الروابط الاجتماعية. والتكافل والتلاحم الاجتماعي وضمان استمرارية بعض القيم في المجتمع كالتعاون والإيثار والتضامن. إلا أنها تكاد تنعدم في الوقت الحالي وبذلك، مل تعد الأحاسيس جماعية، فأصبح كل فرد يهتم بحاله فقط ولا يهتمه الآخرون.

أما في المجتمع الحديث، تغيرت الأهداف والأولويات. فالابتعاد عن التوزيع يعني تراجع ما يسميه دوركايم بالضمري الجمعي وظهور الفردانية. فزوال التوزيع ويعود لظهور المجتمع الحديث وما يفرضه من تخصص في المهن وتقسيم في العمل، وتوسع المدن وابتعاد الناس عند بعضهم البعض، وظهور وسائل الإعلام والاتصال وانتشارها في المجتمع الجزائري. كما ظهرت مؤسسات وبنى بديلة تقوم بتلك النشاطات (مصانع، مخابز وحاليا حتى بعض النساء المتخصصات في صنع الحلويات والعجائن في بيوتهن)، أما في أشغال البناء أو حفر الآبار أو تعبيد الطرقات، تتدخل الحكومة في الوقت الراهن بإمكانيتها للقيام بذلك. ثم أن التوسع المجالي وكبر حجم المدن أدى إلى التباعد المجالي وبالتالي الاجتماعي. فالعلاقات والروابط الاجتماعية التي كانت موجودة في القرية والواحة والمدينة الصغيرة زالت بفعل التحضر الذي أنتج مدنا كبيرة. كما أن ظهور وسائل الإعلام والاتصال أدى إلى اختفاء أشكال التعبير التقليدية، فلم يعد تجمع الأفراد حولها ليختفي ذلك الجو الجماعي التضامني الذي كان يربطهم ببعضهم البعض.

يسترجع كبار السن وجميع من عاصر هذه الظاهرة وساهم في تجسيدها ضمن شتى المناسبات، التي تتطلب التكاتف بين الأفراد وبكثير من الحنين ما كانت تتيح لهم " التوزيع " من لمة ولقاء بين الأحبة والرفاق، لم تستطع السنوات المتعاقبة محوها من ذاكرتهم. يقول الحاج عبد الرحمان من حي الوئام، أن أوقات شبابه في حي الواحات الجنوبية كانت بسيطة تسودها " النية الخالصة " وما " التوزيع " إلا أحد مظاهر التواد والصفاء والتراحم الكثيرة جدا آنذاك. يقول " في القديم لم نكن نعرف الصعب أو المستحيل " لأن التغلب عليه بفضل جهود وتضامن الجميع، ولم تكن هناك أي مناسبة - حسبه - تخلو من مساعدة الجميع لبعضهم البعض فرحا كانت أو قرحا " عكس ما هو ملاحظ اليوم "، ويؤكد سي بن عيسى وهو من كبار التجار بالحي على أن ظاهرة التوزيع لم تكن

تقتصر على البناء بالمدينة و الجانب الزراعي بالواحات فحسب، بل تتعداه إلى كل عمل يحتاج للتطوع بما فيها المبادرات والنشاطات الخيرية. وفي القرى والأرياف، كانت أن هبة أفراد الدوار أو العرش الواحد لمساعدة كل من يحتاج ذلك، سواء في حصاد أو درس أو حرث أو غيره، بالجهد أو الرأي أو حتى بالمال وعن " طيب خاطر " وتحمس لتقديم تلك المساعدة.

يروى عمي السعيد وهو شيخ مسن قضى معظم حياته في الأعمال الفلاحية يقول (كنا عايشيين مكتفين ومتعاونين) حيث كان هناك اكتفاء شبه ذاتي داخل المدينة، ولم يكن إنتاجهم موجها في الأساس إلى التسويق، وإنما للاستهلاك، وكان كل من له بستان يعود ببعض إنتاجه على معارفه وأقاربه وجيرانه والمحرومين وأفضل ما يتهدون به البواكير التي يسمونها الفال وفي جو من التواد والتكافل الاجتماعي المستمد من القيم الإسلامية الراسخة السكان.

في الوقت الحالي ومع اتساع رقعة المدينة لم يعد الأفراد يتصلون ويتواصلون كما كان الحال قديما حيث أصبح الفرد يهتم بمحتوى ما تعرضه وسائل الإعلام والاتصال من معلومات وبرامج ترفيهية أكثر من اهتمامه بزيارة الأقارب. حتى وإن مازالت بعض مظاهر التوزيع موجودة في الوقت الراهن، إلا أنها محتشمة، وكل نشاط -مهما كان نادرا-يقام في هذا الإطار لم يعد يجمع سوى بعض الأقارب وفي مناسبات خاصة واستثنائية، ولم يعد يخص سوى بعض العائلات القليلة.

وبالرغم من انتشارها لفترات طويلة وصمودها المستميت في وجه طغيان الفردانية وبقائها ردحا من الزمن كميزة تضامنية جمعية تضمن ترسيخ قيم التعاون والتآزر على قضاء مختلف الحوائج مهما كانت صعوبتها ومشقتها، يبدو أنها استسلمت أخيرا لرياح العصرية العاتية وتبعاتها الجارفة. يجمع الباحثون ونشطاء المجتمع المدني على أن اندثار ظاهرة " التوزيع " من السلوك اليومي للأفراد -كصورة عن انصهارهم في المجتمع -يعتبر فعلا مؤشرا قويا على " تهلل " قيم التكافل الاجتماعي عموما. فتلاشي الظاهرة يأتي في سياق تغيرات مجتمعية طارئة وضمن تحول اهتمامات الأفراد وتغير أساليب حياتهم. ويعتبر تأثير وسائل الإعلام في تغيير النمط الحياتي للفرد وفرض النظرة الفردية عليه وإرغامه على الانغلاق واضعة بدائل أمامه أغنته إلى حد ما عن الجماعة والأصدقاء.

تلك الروح التي كانت سائدة أدت إلى تماسك الأفراد فيما بينهم ورسخت شعورهم بالتلاحم " ومن ثمة جعلت الفرد وقتها يحتمي بالفرد الآخر في نسق متكامل، محملا مسؤولية غرس هذه الروح إلى كافة المؤسسات الاجتماعية وفي مقدمتها الأسرة.

وللتطور التكنولوجي وسيطرة الآلة والاستغناء عن الجهد البدني في أداء أي نوع من أنواع الأشغال نصيب من تراجع الظاهرة أيضا، فعلى سبيل المثال استحوذت المكننة على عملية الحصاد التي كانت المجال الخصب لممارسة " التويذة " أضفى إلى التلاشي التدريجي لهذه الأخيرة.

## 2-5 الوعدة (الطعم):

الوعدة وتعرف كذلك ب الموسم والزرودة والطعم والركب والمعروف، وهي طقس دوري سنوي تقيمه العديد من العشائر والقبائل المغاربية حول أضرحة الصالحين والمرابطين خصوصا المؤسسين لها. تجتمع بعض القبائل حول ضريح وتنصب الخيام وتذبح الذبائح وتقيم المآدب وقد يرافق ذلك ألعاب الخيالة. تحيي المواسم ذكرى ولي أو سيد، أو تحتفل بمواسم الحصاد والقطاف. ومن بين هذه التظاهرات وعدة سيدي بلقاسم دائرة قلعة سيدي سعد، وعدة أولاد علي بن عمر ببلدية وادي مرة، وطعم الحرازية بحاسي الدلاعة وطعم تاجموت، ومن بين المواسم المتعلقة بالجهاد والصوفية وعدة المهاية التي تربط بين هذه القبيلة وأولاد سيدي الشيخ حيث تقيم القبيلة مقاما رمزيا لعبد القادر بن محمد السماحي في ساحة الوعدة. ويعرفها إميل درمنغم (Émile Dermenghem) على أنها طقس يقام على شرف الولي الصالح، لأجل إبعاد الشر وتحقيق الأمانى والشفاء والنجاح<sup>1</sup>. كما تعرفها سوسي أنديزيان «كعادة طقوسية احتفالية تقام حول قبور الأولياء تقدم فيها الأضاحي لتحقيق الأمانى المرجوة»<sup>2</sup>.

إن استمرارية ظاهرة الوعدة في ممارسة طقوسياتها نوع من الإشباع لحاجات روحية وسيكولوجية ومادية وغيرها، فإبراء المرض من خلال طقس الزيارة، والتخلص من سوء الطالع والسياحة الدينية والترفيهية عوامل معبرة عن هذا التواصل بين صاحب الضريح وأتباعه من خلال طقس الوعدة، والمحاولين من خلاله تجاوز إغترابات الوضع الاجتماعي والاقتصادي، إلى البحث عن بديله في ثنايا الأضرحة وإحتفالياتها لأجل تحقيق نوع من الطمأنينة والراحة والفرج، ولو ظرفيا. فمجمل الرؤى الشعبية تنفق إلى حد بعيد في اعتبار الولي كرمز مقدس وضريحه كنقطة مركزية في فضاء تواصلها وفي تدينها الشعبي، وبالتالي فمسألة استمرارية الوعدة هي اليوم فعلا، ومن خلال ميدان هؤلاء يراد منها في مقام أول تحقيق نوع من الارتباط بعوالم الأجداد ومن ثمة التشبث بهوية مميزة لهؤلاء، وجمع قدر المستطاع هذا العرش الذي فككه الحراك الاجتماعي وسياسات التحديث والاجتثاث التي مورست في حقه. والظاهرة في محتواها الوظيفي والقيمي والرمزي، وأدوارها

1 - Dermenghem, Émile, le Culte des Saints dans l' Islam Maghrébin, Paris, Gallimard, 1954, pp. 152-153

2 - Andezian, Sossie, Expériences du divin dans l' Algérie contemporaine, Adeptes dans Saints dans la région de Tlemcen, Paris, CNRS Éditions, 2001, p. 122.

في الحياة الروحية منها والمادية، تبين إن الكل يبحث عن ذاته، عن هويته، عن إثبات وجوده وتميزه، ولكل في ذلك طريقه الخاصة، ويبقى الاعتقاد الشعبي مستمرا في تقديسه للمزارات وللحظات اللقاء بها، وتبقى معه جميع الشرائح الاجتماعية مشدودة إلى ذلك برغم الحداثة التقنية والمعرفية.<sup>1</sup>

أن هناك نوع من العلاقات الجديدة التي تحدث بين زوار الضريح، وأنه خلال الموسم السنوي للضريح تحدث نوع من الروابط الاجتماعية الجديدة مثل التعارف بين الأفراد والمجموعات إلى جانب المصاهرة، وعملية إصلاح ما فسد بين القبائل والأفراد، وإبرام الصفقات التجارية والأسواق الاستثنائية، مما يبين إن خلال تلك الممارسات الدينية التي تقام في فضاء ومحيط الضريح يحدث فعلا روابط اجتماعية جديدة، وأن هناك من زوار الضريح من يتوجهون للزيارة بحثا عن الاندماج بعد أن شعروا بنقص الاندماج نحو الجماعة التي ينتمون إليها خارج إطار أو فضاء الضريح، مما قد يدفع ذلك الفرد للبحث عن الاندماج مع الأفراد الذين يلتقي بهم أثناء الزيارة وفيهم حيط ضريح الولي، حيث "أن الأعياد الدينية فيها تشد من وحدة وقوة الجماعة.

## 2-6 شبكات التواصل الاجتماعي

يمكن تعريف وشبكات التواصل الاجتماعي، بأنها عبارة عن مواقع أو تطبيقات تبدأ بإنشاء الشخص المستخدم حسابا على مواقع التواصل الاجتماعي: فيس بوك، تويتر...، ضمن نطاق شبكة الأنترنت العالمية Web، يتيح له بناء قاعدة بيانات شخصية ومنصة انطلاق ووجود إلكتروني وشخصية افتراضية Profil، لنشر البيانات والتعليقات والوثائق والرسائل والصور وأفلام الفيديو، ومن ثم الانطلاق لمرحلة التشبيك والتشارك مع الآخرين عن طرق اكتساب الأصدقاء، وتكوين المجموعات أو الانتساب إلى الشبكات السابقة من المشتركين والمستخدمين، وتبدأ بخلايا الأصدقاء وطلاب الجامعات أو المدارس أو أبناء الحي أو زملاء المهنة أو أفراد الأسرة والعائلة الواحدة، وتبادل التعليقات والآراء والمواد الإعلامية معهم، وتتم عملية التواصل الإلكتروني بين المرسل والمتلقي بصورة فورية لحظة بلحظة، وساعة يشاء المشترك ضمن الشبكة.

مواقع التواصل الاجتماعي هي من الوسائل الرقمية الأكثر استعمال إذ تعتبر فضاءات افتراضية تبني شبكات اجتماعية أو علاقات على أساس روابط واهتمامات مشتركة لتتصل وتتفاعل فيما بينها. وشبكات التواصل الاجتماعي الرقمية تشمل مواقع على شبكة الإنترنت وتوفر لمستخدميها فرصة للحوار وتبادل المعلومات والآراء والأفكار والمشكلات من خلال الملفات الشخصية وألبومات الصور وغرف الدردشة وغير ذلك، ومن الأمثلة على هذه الشبكات مواقع: Facebook، Twitter،

1- الهادي بوسمة، الوعدة التمثل والممارسة دراسة أنثروبولوجية بمنطقة أولاد نهار، مجلة إنسانيات عدد مزدوج 39-40 | 2008 | رؤى حول الماضي ورهانات الذاكرة في الحاضر | ص 83-101

، والشبكة الاجتماعية الرقمية هي مجموعة هويات اجتماعية ينشئها أفراد أو منظمات لديهم روابط نتيجة التفاعل الاجتماعي، ويمثلها هيكل أو شكل ديناميكي لجماعة اجتماعية، وهي تنشأ من أجل توسيع وتفعيل العلاقات المهنية أو علاقات الصداقة.

سنحاول في هذا المجال تسليط الضوء على وسائل الاتصال الحديثة (الانترنت، شبكات التواصل الاجتماعي) وما تستعمله من وسائل تكنولوجية كالهواتف الذكية، والكمبيوتر، والحاسب اللوحي. والدور الذي تلعبه كالفضاء العمومي الرمزي أو افتراضي يؤدي دور الوسيط والرقيب في آن واحد بين الدولة والمجتمع المدني، وهو البيئة التي تسمح للطبقات والفئات الاجتماعية المتنوعة بالبحث بطريقة حرة وانتقادية في الأعمال التي تتعهد الدولة بأدائها.<sup>1</sup>

وهي الفضاءات الأكثر تحرراً من الرقابة والضبط الاجتماعي، وهي شكل التنظيم الاجتماعي الأكثر ملاءمة للتحرر الفردي والجماعي<sup>2</sup>، حيث يمكن للفرد استعمال أي قناع أو هوية يريد لها لنفسه ويعبر من خلالها على مكوناته ويتصل باي شبكة اجتماعية يريد التواصل معها مخترقا بذلك الطابوهات.

### خاتمة الفصل

يتمظهر الفضاء العمومي في أشكال مادية ولا مادية متعددة لا يمكن حصرها كلها في هذا الفصل، غير أننا حاولنا التطرق لأكثرها بميدان الدراسة انتشارا محاولين تبيان علاقتها في بناء الرباط الاجتماعي عبر دراسة تاريخ نشأتها بالمدينة والمراحل التي مرت بها، ويمكن ان نلخصها في كل الأمكنة التي يتواصل ويتفاعل عبر فضاءاتها الأفراد والجماعات، ومنها ما تعرض للتغيير والتطور ومنها من فقد مكانة في الحياة العامة وتضاءل دوره في بناء الرباط الاجتماعي، وظهرت فضاءات غير مادية اصبح لها دور مهم في عمليات التواصل بين الأفراد.

1- حسين غفاري ومعصومة بهرام، ترجمة: محمد حسن زراقة، دور الدين في الفضاء العمومي دراسة في تطوّر رؤية هابرماس الفلسفية، مجلة الاستغراب العدد 8، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف، العراق، 2017. ص 82.

2 - Claude Brodeur, « Un projet d'action socio-politique », in C. Brodeur et R. Rousseau (dir.), L'intervention des réseaux. Une pratique nouvelle, Montréal, France-Amérique, 1984, p. 48-69.

## الفصل الخامس:

### إعادة الإسكان

أولاً: الإسكان في العالم

الإسكان في أوروبا الغربية

الإسكان في أمريكا الشمالية

الإسكان في دول العالم الثالث

ثانياً: الإسكان في الجزائر

ثالثاً: الإسكان في الأغواط.

## الفصل الخامس إعادة الإسكان

يعد الإسكان مشكلة تؤرق المسؤولين والمخططين في معظم دول العالم، فلا تخلو دولة في العالم اليوم من التعرض لمشكلة الإسكان، حيث أصبح توفير المسكن مشكلة ثقيلة ماليا واجتماعيا على الحكومات والدول، وأصبح السكن مطلبا ضروريا للكثير من السكان في دول العالم، بما فيها الدول المتقدمة منها والمتخلفة، والدول الغنية أيضا لم تنجو من هذه المشكلة، وذلك لأسباب مختلفة، أهمها النمو الديمغرافي الناتج عن الزيادة الطبيعية والهجرة الريفية والتحضر المتسارع. وفي هذا السياق، سوف نعرض بعض أبرز التجارب الدولية والعربية في هذا الإطار، وأبرزها:

سوف نتطرق في هذا الفصل إلى الإسكان في الدول الرأسمالية وخاصة أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية، وفي دول العالم الثالث وخاصة أمريكا اللاتينية والإسكان في الدول العربية والجزائر ومحليا الإسكان في مدينة الأغواط. فالإسكان له علاقة بالسياسات المتبعة من طرف الدول وبالنمو السكاني والاقتصادي، وهو أحد عوامل المسببة للحراك المكاني والاجتماعي، وله تأثير كبير على البناء الاجتماعي لسكان هذه الأحياء أو المدن الجديدة، وعلى الرباط الاجتماعي، وبذلك فهو مؤشر مهم لمعرفة الكيفيات التي يعيد بها الأفراد بناء الرباط الاجتماعي في المجتمعات المستحدثة عبر عمليات الإسكان.

### أولا: أوروبا الغربية.

أوروبا الغربية أكثر دول العالم رفاهية، وأكثرها اهتماما بالفرد والمجتمع، لكن يبدو أن أزمة السكن ظاهرة عالمية، ولم تعد مرتبطة بالدول النامية أو حتى الناشئة فالمشكلة تمتد أيضا إلى البلدان المتقدمة والثرية، بحيث باتت معضلة كونية تؤرق جميع الحكومات بغض النظر عن درجة تقدمها الاقتصادي، ومع تفاقم المشكلة التي تعد أعنف أزمت العالم والأكثر إرهاقا للحكومات، تزايدت الدعوات بضرورة الخروج من الآفاق التقليدية التي تعتمد على مواجهة تحديات السكن ضمن الأطر الوطنية، إلى آفاق أكثر رحابة وعالمية عبر إيجاد حل جذري من خلال تعاون دولي حقيقي وفعال في هذا المجال.

### 1- التجربة البريطانية

في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عرفت أوروبا أزمة حادة في الإسكان وخاصة في المدن الكبرى مما دفع بالحكومات والدول إلى تقديم مساعدات سكنية للأسر والأفراد، وبناء المساكن للتغلب على هذه الظاهرة، ففي المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية



على سبيل المثال، تم تشييد 5.5 مليون مسكن اجتماعي في الفترة الواقعة بين نهاية الحرب العالمية الثانية وعام 1981.<sup>1</sup>

إن "أزمة السكن" في بريطانيا هي في الأساس أزمة القدرة على تحمل تكاليف السكن، ويتجلى ذلك في شكل أسعار المساكن والإيجارات الاستثنائية بعد ثلاثة عقود من الزيادات غير المتقطعة في الأسعار، ويتم الآن إنفاق جزء كبير من دخل الأسر على الإسكان أكثر من العقود الماضية، ينطوي هذا الوضع على استمرار تدفق الموارد إلى مالكي الأراضي وأصحاب المنازل. وينقسم السكان إلى مالكي المنازل الذين يظلون يتلقون مكاسب كبيرة والمالكيين الطموحين الذين أصبحت محاولتهم في الحصول على سكن أكثر صعوبة. وقد أدت المحاولة السياسية لتحسين كل هذا عن طريق ما يسمى "الإسكان الميسر" إلى تفاقم المشكلة.<sup>2</sup>

حدث تدخل الدولة في سوق المسكن في الدول الغربية بداية في حالة العرض من خلال إقامة وحدات سكنية لفئات هشة لا يمكنها شراء شقق سكنية بثمن السوق الحر. لدت فكرة السكن العمومي بعد الحرب العالمية الثانية وإن كانت قد حدثت بعض التجارب في أماكن مختلفة مثلما حدث في إيرلندا التي بدأت منذ مطلع ثلاثينات القرن الماضي. كانت إقامة مباني السكني العمومي في الدول الغربية نتيجة لعدة أسباب أهمها الهجرة نحو المدن الأوروبية من مختلف بقاع العالم وخاصة المستعمرات.

## 2- التجربة الإيرلندية

أظهرت دراسة أجريت في ليمريك (Limerick)<sup>3</sup> أن السكن العمومي أُقيم في أطراف المدن منذ مطلع عشرينيات القرن العشرين لهدم الأحياء الفقيرة التي بنيت حول المدن الكبيرة، ولاسيما مدن موجودة في هامش الدولة مثل ليمريك. أي أن تدخل الدولة في سوق المسكن كان في حالة العرض وبواسطة تزويد السكن العمومي للعائلات الفقيرة.

تبنّت الدولة في مطلع السبعينات خطة لتشجيع تملك الأرض، فنشأ، نتيجة لهذه العملية، فصل بين الفئات السكانية المختلفة، ولاسيما المجمعات الكبيرة من السكان الذين ينحدرون من الطبقات الدنيا في المساكن الشعبية حيث تحولت بنايات السكن العمومي مع مرور الزمن إلى أحياء

1 - David Fée, "Le logement social en Angleterre : trente ans de déclin", Informations, .Socials, No. 159 (3):80 (March 2010), p. 82.

2 -Phillips, D. & Harison, M. Constructing & Integrated Society: Historical Lesson's for Tackling Black and Minority Ethnic Housing Segregation in Britain, Housing Studies, v.25, n.2,2010,P:221-235.

3 - O'Dea E, "Irish Housing Policy, Citizenship and Limerick Regeneration" (2012) 3(2) Limerick Student Journal of Sociology 23-39.

فقيرة ذات سمعة سلبية للغاية. جودة الخدمات فيها متدنية للغاية. لتشجيع استقرار الإسكان في هذه الأحياء دفعت الدولة هبة افتداء، غير أن هبة الافتداء كرسست التعلق بالسكن الشعبي فوجد الكثيرون أنفسهم رهائن في هذه المساكن بدون أي فرصة للحصول على خيارات أخرى في قطاع السكن. بدأت إيرلندا في السنوات الأخيرة على غرار دول أوروبية أخرى مثل إنجلترا، فرنسا وألمانيا، في تطبيق خطة لتجديد أحياء الفقر، من خلال التعاون بين قطاع الدولة والقطاع الخاص. وشملت الخطة العليا لإعادة تأهيل منطقة ليمريك (Limerick) غايتين:

الأولى بناء بيوت خاصة لتشجيع اشتراك القطاع الخاص في المخطط مقابل تخفيضات هائلة في الضرائب. والثانية-هدم مباني السكن العمومي وإقامة بنايات جديدة منها، امتدت المدة التي خصصت لتنفيذ المخطط سنوات بسبب الركود الاقتصادي في الدولة. يقسم تمويل المخطط تقريبا بصورة متساوية بين الدولة والقطاع الخاص على أن يتحمل الثاني تكاليف إقامة بعض المجمعات الإسكانية فيما يحدد القسم الباقي للتسويق حسب ثمن السوق.

تعتقد الباحثة اوديا ايلين (O'dea Eileen) أن الدولة من خلال هذا المخطط فضلت جني الأرباح على الصالح العام نظرا لأن التمويل الذي خصصته كان منوطا من البداية بأرباح بيع البيوت. فقد فضل هذا المخطط إقامة بيوت خاصة للتهرب من معالجة السكن العمومي الذي كانت تتظر إليه على اعتبار انه حاجة ربحية بدون مراعاة الأيديولوجيا التي تقف من وراء فكرة السكن العمومي أو مصلحة السكان المحليين. تعرضت بنايات السكن العمومي نتيجة لذلك للإهمال من قبل السلطات المحلية مما أسفر عن حدوث مشاكل بيئية عصبية، فضلا عن الانعكاسات التي ذكرناها مثل نسبة البطالة المرتفعة، العزلة، تخلف مستوى التعليم فيها عن الجهاز التربوي الرسمي وغيرها. واستطاع بعض سكان الحي التخلص من البقاء في الحي عبر تلقي قروض إسكانية من الدولة، إلا انهم في نفس الوقت، ما زالوا يدفعون أجرة الشقة لأصحاب الشقق في المساكن الشعبية.<sup>1</sup>

### 3- التجربة الفرنسية

في فرنسا بدأت في مطلع ستينات القرن العشرين عملية تريف فئات سكانية فقيرة، حيث أقيمت مصانع جديدة في أطراف المدن الكبيرة ولا سيما في العاصمة باريس. واستقطبت المناطق الصناعية مجموعات من العمال غير الماهرين من المدن وأضيفت إلى هؤلاء موجة كبيرة من مهاجري العمل من شرق أوروبا ومن دول شمال أفريقيا مثل المغرب والجزائر، ومن دول إفريقية أخرى مثل السنغال ومالي. شهدت أطراف المدن منذ البداية فصلا بين مجموعات العمال الأجانب

1 - , Eileen O'Dea, Irish housing policy, citizenship and Limerick regeneration, in Socheolas Limerick Student Journal of Sociology; Volume3, Issue2, 2012. pp.23-39.

وبين مجموعات الفرنسيين الأصليين الذين كانوا يعملون في المصانع. لم يتمكن مهاجرو العمل الذين ينحدرون بالأساس من دول الشرق حتى السبعينات من الإقامة في المساكن الشعبية المخصّص للعائلات الفرنسية. وكان الهدف الرئيسي للمساكن الشعبية تقديم الخدمة للسكان الفرنسيين المحليين، بموجب صيغة هدف المخطّط في ذلك الحين. وبالتالي، فقد أسست الأقلّيات أحياء فقيرة محاذية للمنطقة الصناعية في أطراف المدن. من الصعب تعريف شروط الحياة فيها بأنها مناسبة للبشر، ممّا يعني أن سياسة الإسكان التي اتبعتها الحكومة الفرنسية تجاهلت وجود المهاجرين منذ البداية وأعطتهم مكانة سگان مؤقتين فقط.<sup>1</sup>

أقيمت في أطراف المدن الفرنسية مجمّعات سكنية ترمي إلى الحد من مدى ووقت سفر العمال. مثلاً، أُقيم مجمّع كبير من السّكن الشعبي في أطراف مدينة باريس وهو مكوّن من 195 مجمّعا كبيرا من البنايات المرتفعة. تكون كل مجمع على الأقل من 500 شقّة أضيفت إلى مجمّعات منخفضة منتشرة على أراض كبيرة. كان هدف المشروع، كما صاغه مندوبو الدولة، إنشاء مجتمع جذاب ومخطّط لطبقة العمال في أطراف المدينة. وحظيت الأحياء الجديدة التي أُقيمت بمؤشرات الحياة المستقلة حيث شملت: حوانيت، مدارس وخدمات أخرى لتلبية احتياجات السكان في هذا المكان.<sup>2</sup>

### ثانياً: أمريكا الشمالية.

بداية من سبعينيات وخلال الثمانينات القرن الماضي عرفت كندا والولايات المتحدة الأمريكية ازمه حادة في الإسكان من خلال ما كتب حول الموضوع وظاهرة التشرّد وتزايد عدد الأفراد بدون مأوى، هذه الأزمة يمكن تصورها من خلال الفارق بين عدد السكنات المتاحة للطبقات الهشة والتي يمكن الحصول عليها بأسعار معقولة من جهة ومن جهة أخرى عدد الأفراد الذين يحاولون الوصول إليها، حيث لاحظ المحللون أن عدد السكنات المتناقصة يكون في اغلب الأحيان من احتياطي السكنات الاجتماعية، فبين سنتي 1975 و1979 كان هناك نقص يقدر بـ: 40 في المائة<sup>3</sup>. وفي عام 1997 تم تسجيل ما يقارب 37000 عائلة تنتظر سكن اجتماعي بمدينة تورنتو وحدها. وهذا ما استدعي 2000 وحدة سكنية اجتماعية إضافية لتلبية الطلب وتدارك النقص المسجل.

1 - Annie Fourcaut, « Les premiers grands ensembles en région parisienne : ne pas refaire la banlieue ? », *French Historical Studies*, vol. 27, no 1, winter 2004, *New perspectives on modern Paris*, p. 194-218.

2 - Christine Mengin, « La solution des grands ensembles », *Vingtième siècle*, « Villes en crise ? », no 64, octobre-décembre 1999, p. 105-111.

3 - Hartman Chester. The Housing Part of the Homelessness Problem. In E.L. Bassuk (Ed), the Mental Health Needs of Homeless Persons (p. 71- 85). Jossey-Bass. San Francisco. 1986.

يعتبر سوق الإسكان الأميركي الأكبر في العالم بقيمة 32000 مليار دولار. وكمثال على الحجم، يبلغ إجمالي سوق التجزئة في الولايات المتحدة 3.5 تريليون دولار، وعندما تضرب أزمة صناعة الإسكان فهي كارثية، فبين منتصف التسعينيات ومنتصف 2000، ارتفع متوسط سعر المنزل 124 في المئة. أدت العديد من العوامل المختلفة إلى أزمة في سوق الإسكان في الولايات المتحدة. وقد حاولت الحكومة الفيدرالية تصحيح السوق عن طريق رفع سعر الفائدة 17 مرة من 2004 إلى 2006.<sup>1</sup>

وفي دراسة سكنية حديثة عن أكثر من 50 مدينة أمريكية رئيسية حول الأماكن التي تعاني من أسوأ مشاكل السكن. على أن مشكلات القدرة على تحمل التكاليف هي عادة أكثر العلامات وضوحاً لأزمة الإسكان.

ولحل أزمة الإسكان في أميركا كتب جون رونالد تيرويليجر مقالة، نشرت بإذن من مجلة قانون الإسكان والتنمية المجتمعية الميسرة في العام 2017، حول إمكانيات حل أزمة الإسكان في أميركا<sup>2</sup>. تحدث فيها عن أزمة السكن الحادة التي تعاني منها أميركا، مشيراً إلى أن الجمع بين ارتفاع الإيجارات وتكاليف السكن غير المستدامة يؤدي إلى إحداث فوضى عارمة على الأسر في جميع أنحاء أميركا، لما لها من تأثير على الملايين من المواطنين الأميركيين، ومؤكداً بأن هذه "المشكلة وطنية في نطاقها وغير محصورة حصرياً في المدن الكبرى على طول سواحل أميركا"، والاستجابة بحزم لها أهمية بالغة لاقتصاد أميركا وازدهارها في المستقبل. ومن أبرز مساوئ الأزمة، كما يشير المقال:

- معاناة العديد من الأميركيين وخاصة كبار السن من أجل تأمين كراء منزل.
- التأثير الكبير للإيجارات المرتفعة في سوق تملك المنازل، مما يزيد من صعوبة حصول الأسر الشابة على الأموال اللازمة لدفع الرهون العقارية.
- انخفاض معدل تملك المساكن لعائلات الأقليات بشكل كبير خلال السنوات القليلة الماضية،

1 -Olivier Grinda, Can good come from our next housing crisis? WFG National Title Company, 20 June 2018.

2 - John Ronald Terwillige, USA – Solving the Affordable Housing Crisis – The Key to Unleashing America's Potential, in Journal of Affordable Housing & Community Development Law, Mar-2018.

ويرجح المقال أن تتفاقم هذه المشاكل المزدوجة-ارتفاع الإيجارات وتضاؤل إمكانية الوصول إلى ملكية المنازل-في السنوات القادمة، في غياب استجابة شاملة ومستمرة للسياسة العامة. وعلّة ذلك حصراً، كما يقول الباحث هو "الخصائص الديمغرافية".

ويرى صاحب المقال أن بناء مساكن جديدة للإيجار بأسعار معقولة لمن هم في أسفل سلم الدخل لا يزال مهمة بالغة الصعوبة، في غياب إعانات حكومية كبيرة وفي الكثير من المجتمعات يزيد استخدام الأراضي والسماح، والمتطلبات التنظيمية الأخرى، من تكلفة تطوير منازل جديدة بأسعار معقولة، وعادة ما تعمل كحاجز، لا يمكن تجاوزه أمام إنتاجها. كما أن الضغط على الإيجارات يساهم في عدم استقرار السكن بالنسبة لملايين العائلات.

ولمعالجة هذا الوضع غير المقبول، يحدد الكاتب جملة من الخطوات، وهي:

- الاضطلاع باستثمار رئيسي ومستدام في إنتاج مساكن للإيجار بأسعار معقولة.
- تقليل القطاع العام من الحواجز التنظيمية.
- توفير موارد إضافية ضرورية لدعم تدابير الطلب التي يمكن أن تخفف من أعباء تكاليف الإيجار التي تتحملها العديد من الأسر.

- الإصلاح الضريبي الشامل، لإعادة التوازن في الإنفاق السكني الاتحادي لدعم تلك الأسر التي لديها أكبر الاحتياجات.

- تخفيض الفائدة على الرهن العقاري

- إتاحة الفرصة للكونغرس لإجراء تغييرات كبيرة على سياسة الإسكان.

- توسيع الكونغرس نطاق الوصول إلى المنازل بأسعار معقولة.

ويرجع البعض أزمة الإسكان في المدن الأمريكية لعمليات الهدم والتجديد الذي تتعرض له المدن الأمريكية على غرار نيويورك وبوسطن وفيلادلفيا وواشنطن وبالتيمور، فتدهور بنايات مركز المدينة وتعرضها للهدم، وهروب الطبقات الوسطى إلى الضواحي، واحتلال المساحات المركزية من قبل المهاجرين الجدد الوافدين من المناطق المجاورة، ولا سيما الأقليات العرقية، ضحايا التمييز في سوق الإسكان<sup>1</sup>.

1 - Manuel Castells, La Question urbaine, op.cit., p. 43.

## ثالثاً: الدول العربية

## 1- الإسكان في مصر

تعد أزمة الإسكان من أهم الأزمات الملحة التي تواجهها مصر منذ عدة عقود حيث قد أدى ارتفاع معدل النمو السكاني وزيادة تيارات الهجرة من الريف إلى المدن، إلى صعوبة مواجهة الزيادة السكانية في المناطق الحضرية ومتطلباتها من خدمات ومرافق، مما أدى إلى ظهور المناطق العشوائية وتضخم حجم الإسكان غير الرسمي منذ منتصف السبعينيات. وقد برزت مشكلة الإسكان في مصر بصورة حادة مع ارتفاع معدلات النمو السكاني وتزايد الهجرة المكثفة من الريف إلى المدينة وتدخل الدولة في سوق البناء وإصدارها عدة قوانين لتخفيض إيجار المساكن لصالح الطبقات الفقيرة أدى إلى إحجام القطاع الخاص عن الاستثمار في الإسكان الاقتصادي وبحيث كان على الدولة تحمل عبء القيام بتوفير الإسكان الاقتصادي للفئات الفقيرة من المجتمع.

منذ سبعينيات القرن الماضي لجأت الحكومات في مصر إلى سياسة إنشاء التجمعات العمرانية الجديدة لمواجهة المشكلة السكانية، خاصة أنها تتيح الأراضي المعدة للبناء بأسعار أقل بكثير عن مثيلاتها بالمدن القديمة، وفي اتجاه موازي شجعت الدولة الجمعيات التعاونية للإسكان وقامت بتزويدها بكافة التسهيلات. ولقد مثلت إقامة المدن الجديدة بمصر أحد محاور التنمية العمرانية الشاملة وأحد أدوات مواجهة أزمة الإسكان وذلك في محاولة للحد من الزحف العمراني وإعادة توزيع السكان وتحقيق الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي بها، وذلك من خلال عدة اعتبارات لتخطيط ونمو هذه المدن الجديدة. ولقد بدأت فكرة إقامة التجمعات الجديدة في مصر مع منتصف السبعينيات وامتدت إلى عقد التسعينيات وذلك من خلال ثلاثة أجيال تاريخية لإنشاء هذه التجمعات العمرانية وتشمل هذه المراحل الزمنية أنماط مختلفة للتجمعات العمرانية (المدن المستقلة-المدن التابعة-المدن التوأم-التجمعات العمرانية العشر حول القاهرة الكبرى)<sup>1</sup>.

لتحقيق الخطط الطموحة لتوفير السكن اللائق للشرائح المتوسطة والفقيرة من المجتمع قامت الدولة المصرية بتوفير عدد من برامج القروض المدعومة (التعاونية) الطويلة المدى. مشروعات الإسكان التي نفذتها الدولة سواء لمحدودي الدخل أو متوسطي الدخل أو للفئات الأخرى ساهمت بشكل كبير في حدوث انفراجة حقيقية وحل مشكلة السكن داخل مصر، بل ساعدت على إتاحة

1- مصطفى محمد عطية الخولي، التنمية العمرانية من خلال تطوير الأنماط السكنية كمدخل لدراسة التجمعات العمرانية حول القاهرة، عين شمس الهندسة المعمارية، دكتوراه 1996،

السكن لمختلف الفئات، فسياسة الإسكان تعتمد على الدعم والإتاحة، الدعم لمحدودي الدخل، والإتاحة للفئات الأخرى. كما أقدمت الحكومة متمثلة في وزارة الإسكان، في تنفيذ وكانت وزارة الإسكان تطرح أراضي كل 6 أشهر على الأقل، لتوفير أكبر عدد من الأراضي كاملة المرافق، لاستيعاب الزيادة السكانية، والإسراع في تنمية المدن الجديدة، وتوفير فرص عمل من هذه المشروعات التي تتم بالأراضي، وساهمت هذه السياسة في القضاء على ظاهرة المتاجرة، حيث استطاعت وزارة السكان توفير أراضي لكافة المواطنين وكل من يرغب في الحصول على قطعة أرض.

وأتاحت وزارة الإسكان لأكثر من مواطن الاشتراك في قطعة أرض واحدة، بحيث لا يتخطى عدد المشتركين عن عدد 4 أفراد في القطعة الواحدة، بالإضافة إلى أن فترة التقسيط تصل لـ 3 سنوات، على ألا تتخطى المدة الزمنية المحددة للبناء عن 5 سنوات.

وحول الشروط التي كانت تفرضها الوزارة، كانت شروط في متناول الجميع، من أبرزها أن يكون شخصاً طبيعياً مواطناً مصري الجنسية، وليس شخصاً معنوياً (شركة أو مؤسسة)، وألا تقل سنه عن 21 عاماً في تاريخ بدء الحجز، ولا يحق للأسرة (الزوج، والزوجة، والأولاد القصر) التقدم لحجز أكثر من قطعة أرض واحدة في المدن المعلن عنها، وألا يكون قد سبق تخصيص قطعة أرض له أو لأحد أفراد أسرته (الزوج، والزوجة،

أنشأت مصر على مدار العقود الماضية العديد من المدن الجديدة لمواجهة مشكلة الإسكان، ومع ذلك لا تزال المشكلة قائمة، وتؤرق الشباب المقبل على تكوين أسرة، وحسب تصريح وزير الإسكان المهندس إبراهيم محلب لوسائل الإعلام في الفترة الأخيرة تحتاج مصر في الوقت الحالي 8 ملايين وحدة سكنية لحل مشكلة الإسكان.

يشار إلى أن أول أجيال المدن الجديدة كان في عهد الرئيس السادات بقرار جمهوري عام 1979، ومن ثم تبعها باقي أجيال المدن، وتتعدد أنواع السكن في مصر بين سكن الإيواء، وسكن القبور، وسكن الريف، وسكن المناطق الشعبية، وسكن المناطق العشوائية، وسكن المدن الجديدة الذي يضم الإسكان الاقتصادي، والمتوسط والفاخر، وكذلك توجد التجمعات السكنية الخاصة التي يعيش بها الأثرياء.<sup>1</sup>

1- أيمن محمد نور عفيفي، نحو تفعيل استراتيجية متكاملة لتطوير سياسات توفير وتيسير الإسكان بالعالم العربي: دراسة تحليلية للتجربة المصرية. ندوة للسكان 2: المسكن الميسر. الرياض، المملكة العربية السعودية: الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2004.

ويرى مختصون أن الأزمة مرتبطة بممارسات خاطئة في سياسات الإسكان في مصر منذ ستينيات القرن الماضي وما بعدها، ومنها ما يتعلق بإتاحة الأراضي والتمويل وثقافة السكن والمضاربة على العقارات في فترات مختلفة. حيث أرجع وزير الإسكان المصري السابق المهندس حسب الله الكفراوي، تفاقم مشكلة الإسكان في مصر إلى السياسات الاقتصادية الخاطئة التي اتبعت خلال السنوات الماضية، من خصخصة شركات إنتاج مواد البناء، وطريقة التصرف في أراضي الدولة. كان القطاع الخاص في مصر قبل 1952 على عاتقه توفير الوحدات السكنية وارتبطت أسماء العقارات في الأحياء الراقية بالمدن الكبرى بأسماء كبار ملاك الأراضي الزراعية والمحال التجارية من البرجوازية المصرية؛ ومع تطور الصناعة وارتفاع معدلات الهجرة من الريف للحضر زاد الطلب على مواد البناء من ناحية وبدأت ظاهرة المساكن العشوائية المتاخمة لأحياء المدن الكبرى في الانتشار، إلا أن اتساع الظاهرة كان ولا يزال مثالا حيا حتى وقتنا هذا لكل مرة يتم إنشاء مجموعة من المصانع أو المشروعات الكبرى بالمدن على حساب إهمال الريف.

الإحصاءات الرسمية توضح ارتفاع نسبة ساكني العشوائيات حتى صار ثلث سكان مصر تقريبا من قاطنيها. لذلك فظاهرة العشوائيات هي دائرة مستمرة، فمع ازدياد الطلب على العمالة الرخيصة غير المدربة في المصانع أو مع ضيق العيش في الريف والمدن الأفقر حيث يزداد النازحون نحو المدن الكبرى ويزداد الطلب على مزيد من المساكن الشعبية والعشوائية بكل ما تحمله من أوجاع اجتماعية وصحية.

في ديسمبر 1953 صدر القانون رقم 601 الذي أوكل للدولة، من خلال شركة التعمير والمساكن الشعبية، إقامة مشروعات للإسكان الشعبي<sup>1</sup>، حققت مشروعات الحقبة الناصرية في توفير المساكن لقطاع كبير من الطبقات الأفقر خاصة بالمقارنة بالفترات السابقة لناصر التي تركت محدودي الدخل لنار العرض والطلب، لكن هذا النجاح تحوّل لعبء على كاهل النظام المدعي للاشتراكية، حيث لم يتبق من تجربة ناصر في مجال الإسكان سوى الجهاز البيروقراطي المعني بالإسكان.

بعد أن تغير التوجه السياسي للدولة وبدأ عهد الانفتاح الاقتصادي، حرصت دولة السادات على تشجيع القطاع الخاص للقيام بدور أكبر في بناء الوحدات السكنية منخفضة ومتوسطة التكلفة (الإسكان الشعبي والإسكان الاجتماعي)؛ فقامت الدولة بإعفاء شركات القطاع الخاص من بعض الرسوم الجمركية على مواد البناء المستوردة ودعم بعض المواد محلية الصنع، إضافة لتسهيل عمليات

1- "الإسكان منخفض التكاليف لماذا؟ ولمن؟ وإلى أين؟" - ورقة بحث مقدمة للمؤتمر الدولي للإسكان بالقاهرة - فبراير 1992.



الاقتراض الموجهة لمشروعات الإسكان حيث بلغ حجم القروض الميسرة لشركات المقاولات العاملة في مشروعات الإسكان 185 مليون جنيه في الفترة من 1977 حتى 1982.<sup>1</sup>

وبحسب ما ذكر في دراسة عن سياسة الإسكان في مصر صادرة عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، فقد أصدر مجلس الشورى في عام 1983 تقريره عن الإسكان الذي يوصي فيه أن تتولى الدولة (من خلال شركات القطاع العام) مهمة إنشاء المساكن الشعبية وأن يتوجه القطاع الخاص بكل طاقته نحو المساكن الفاخرة ومتوسطة التكاليف، بل وأكد التقرير أن اشتراك القطاع الخاص في إنشاء المساكن الشعبية حتما سينتهي للفشل.<sup>2</sup>

شهدت فترة نهاية السبعينات والثمانينات تدهورا في أحوال شركات القطاع العام التي تورطت في مشروعات إسكان بدأت خاسرة، وبينما شهد سوق البناء ارتفاعا في عدد الوحدات السكنية المنشأة بلغ 115% إلا أن 14% فقط كان موجها للإسكان الاقتصادي الموجه للمواطن البسيط المأزوم فعليا والأشد احتياجا للمسكن.<sup>3</sup>

استمرت نفس سياسات دعم القطاع الخاص على حساب المواطن في عهد مبارك إلا أن شبكة المصالح ازدادت تعقيدا وفسادا وجاءت مشروعات مبارك للإسكان ومشروعات المدن الجديدة والتعاونيات كمحاولات، ليس لحل الأزمة، بقدر ما جاء معظمها للتهديئة واحتواء الجماهير كما سنوضح لاحقا في نفس المقال.

في نوفمبر 2013 صرح إبراهيم محلب، وزير الإسكان وقتها، أن 8 مليون وحدة سكنية جديدة ستحل مشكلة الإسكان في مصر نهائيا<sup>4</sup>، بينما تأتي الأنباء متضاربة حول عدد الوحدات المنشأة سنويا بين 250 ألف و400 ألف وحدة سكنية. وفي الوقت نفسه صرحت نفيسة هشام رئيسة قطاع الإسكان بوزارة الإسكان أن هناك 7.7 مليون وحدة سكنية غير مستغلة - حسب الإحصاء الأخير للجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء - لأسباب تختلف بين غلق أصحابها لها لبيعها فيما بعد أو تملكها للأبناء لاحقا أو لسفر أصحاب هذه الوحدات للخارج أو لمشكلات تتعلق بالخدمات والمرافق.<sup>5</sup>

لا تقف المسألة عند الفجوة بين عدد الوحدات المطلوبة وعدد الوحدات المنشأة سنويا أو التباين بين المطلوب من الوحدات وغير المستغل منها، لكن تأتي الأحياء المغلقة بالكامل لرفاهية

1- إدراك النخبة الحاكمة في مصر لقضية إسكان ذوي الدخل المنخفض” - ورقة بحث مقدمة للمؤتمر الدولي للإسكان بالقاهرة - فبراير 1992

2- مجلس الشورى - تقرير اللجنة الخاصة عن مشكلة الإسكان في مصر - دور الانعقاد العادي الثالث - 1983.

3- مجلس الشورى - مصدر سابق.

4- حوار تليفزيوني مع إبراهيم محلب وزير الإسكان - قناة mbc مصر - نوفمبر 2013.

5- جريدة اليوم السابع - 23 / 2 / 2015. على الموقع: <https://www.youm7.com>

الطبقة البرجوازية والشريحة العليا من الطبقة الوسطى لتزيد الأمور تعقيدا؛ فحجم الإنشاءات على طول الساحل الشمالي، الشبه مهجور أغلب شهور السنة، لا يناسب أبدا مشهد ساكني القبور والعشوائيات ليحمل الواقع المصري طبقية وقبحا أكثر فجاجة من ذلك المشهد العبثي الذي تنقله إلينا الإعلانات التلفزيونية في شهر رمضان بين إعلان للتبرع وآخر للتملك على شواطئ مصر المختلفة التي تضمن لك عدم الاختلاط بالمهمشين من منتظري تبرعاتك في الإعلان السابق.

وهناك من يري أن حل مشكلة الإسكان هو استغلال الشقق لتدارك العجز في المساكن المطلوبة والمقدر بنصف مليون شقة، في حين أنه توجد أكثر من خمسة ملايين شقة خالية مغلقة لا تستعمل، وهي نوعان أحدهما هو شقق في عمارات شاهقة والتي لم يتم استكمال باءها، وهذه الشقق على مستوى الجمهورية تعد بالملايين ويمكن أن تعتبر وحدها لو تم استكمالها وإعدادها للسكن كافية لحل أزمة الإسكان أو على الأقل المساهمة في حلها، أما النوع الثاني من الوحدات الموجودة بالفعل والكاملة الإنجاز لكنها مغلقة إما لأن إيجارها زهيد، وقد حصل مستأجرها على وحدة أخرى أفضل يقيم فيها، وبقيت الوحدة القديمة مغلقة يدفع إيجارها الزهيد.<sup>1</sup>

عملت الدولة في السنوات الأخيرة في أكثر من اتجاه، أبرزها توفير التمويل، وطرح مساكن ملائمة للشرائح المختلفة، وتجلى في «الإسكان الاجتماعي» حيث تبنت الدولة عدة محاور من أجل خلق مجتمعات سكنية لائقة تحقق الحياة الكريمة للسكان، وتنتهي ظاهرة البناءات العشوائية والبناء المخالف. ومن أجل تغيير الصورة الذهنية عن «شقق الفقراء» بوحدات مميزة تليق بالمواطنين اعتمدت الاستراتيجية التي تبنتها السلطة على ثلاث أبعاد رئيسية للحل، أولها البعد الكمي «العرض والطلب»، والبعد الثاني متعلق بالبعد النوعي «نوعية المسكن - جودة الحياة»، وأخيرا البعد المكاني. الملاحظ أن أزمة الإسكان في مصر مستمرة وهي في تفاقم، وأنها تتشكل وتزداد تعقيدا من نظام لآخر وإن السلطة تجعل منها نقطة ارتكاز لتثبيت حكمها ولتمرير سياساتها. وإن سياسة إنشاء المدن الجديدة بأجيالها الأربع لم ترق إلى المستوى الذي من شأنه القضاء النهائي على أزمة الإسكان في مصر، ويعود السبب في ذلك في رأينا إلى عدة عوامل أهمها العامل الاقتصادي للدولة والمواطن وكذلك العامل التقني للقدرات التقنية الضعيفة لدول العالم الثالث وكذلك للزيادات الرهيبة للسكان.

## 2- الإسكان في السعودية

من أهم التحديات التي تواجهها وزارة الإسكان السعودية:

- محدودية الوحدات السكنية المناسبة لشرائح المجتمع

- صعوبة الحصول على تمويل سكني مناسب

1- محمود الخضيرى، أزمة الإسكان المشكلة والحل، جريدة المصري. العدد 2016، ، بتاريخ 2012/09/08

- عدم كفاءة القطاع العقاري

- الاعتماد الكبير على التمويل الحكومي<sup>1</sup>

وتعاني سوق الإسكان في السعودية من عدة مشاكل، أبرزها: النقص الشديد في المعروض، والزيادة المستمرة في أسعار الإيجارات، والمضاربة على الأراضي غير المطورة، وطول فترة الحصول على التراخيص، إلى جانب عدم توافر القدرة المادية بين معظم الشرائح التي يتركز فيها الطلب. وبحسب تقديرات شركة الاستشارات "سي بي" ريتشارد إيليس يعيش نحو 60% من المواطنين السعوديين الذين يقارب عددهم عشرين مليوناً في شقق مستأجرة.

وأظهر إحصاء سكاني جرى مؤخراً بالسعودية وجود أزمة تهدد الطبقة الوسطى فيما يتعلق بتملك المنازل. حيث هناك من ويتهم سوق "الرهن العقاري" بأنه يخدم كبار التجار والميسورين فقط، وترتفع مطالبات بسن تشريعات تنظم السوق العقارية بالمملكة. وحذر خبراء محليون من حالة التضخم السكاني والعجز في توفير السكن.

وتشير إحصاءات اقتصادية إلى تنامي الطبقة المتوسطة في السعودية بصورة كبيرة، حيث يبلغ معدل النمو السكاني قرابة 2.5% مما يضع ضغوطاً كبيرة على قطاع الإسكان. وغالبية السكان هم من جيل الشباب وينتمون للفئة العمرية الواقعة بين 15 و40 سنة ويمثل هؤلاء 60% من السكان. وهؤلاء لا يمتلكون مساكن فهم إما مستأجرون وإما أنهم يعيشون مع أسرهم.

إن امتلاك منزل بالسعودية من قبل أبناء الطبقة المتوسطة يبدو حسب الخبراء الاقتصاديين صعب المنال بسبب ارتفاع تكاليف الأراضي ومواد البناء، ضف إلى ذلك أسعار الأراضي المرتفعة، فبالمقارنة مع الدول العربية المجاورة فإن السعودية هي من أكبر الدول من ناحية المساحة القابلة للبناء. ويعود سبب ارتفاع الأسعار على عائق المضاربات العقارية على الأراضي.

الإسكان الميسر، يذكر أن هناك أكثر من ثلاثة مشروعات رئيسية للإسكان الميسر في جدة والرياض والمنطقة الشرقية تستهدف الطبقة المتوسطة من متوسطي الدخل. إلا أن هذه الوحدات التي يجري تطويرها حالياً لن تلبى سوى 5% من الطلب على الوحدات السكنية خلال السنوات العشر القادمة.

تواجه الحكومة السعودية وضعا صعباً يتمثل في حجم فجوة الإسكان بالبلاد خلال السنوات العشر القادمة حيث تبلغ 1.3 تريليون ريال سعودي وهو مبلغ كبير جداً لا يمكن توفيره من قبل الحكومة أو القطاع الخاص بسهولة. وتسعى الحكومة السعودية منذ سنوات للتغلب على مشكلة نقص المعروض السكني، لا سيما لذوي الدخل المنخفض في البلاد، التي يعيش فيها نحو ثلاثين

1- السعودية، وزارة الإسكان، على الموقع: <https://www.housing.gov.sa/ar/about-us>

مليون نسمة، لكن ظلت وتيرة تنفيذ برنامج الإسكان الطموح بطيئة الخطى رغم الثروة النفطية للمملكة، وفي ظل صعوبة حصول الوزارة على الأراضي اللازمة لتنفيذ مشروعاتها. وفي سنة 2014 شهدت السعودية تسارعا لوتيرة معالجة أزمة الإسكان في السعودية، وذلك عن تخصيص 250 مليار ريال (67 مليار دولار) لبناء خمسمائة ألف وحدة سكنية للمواطنين. ويؤدي نقص المعلومات الموثوقة إلى صعوبة تحديد حجم النقص في المساكن بالمملكة، التي من المتوقع أن تشهد نموا سكانيًا مقداره 2.1% حتى 2015، وهو رقم يزيد كثيرا على المتوسط العالمي البالغ 1.1%.

وهناك من يرى أن حل أزمة الإسكان يبدأ فقط من معالجة الأسباب الفعلية لنشأتها، ولتتعرف على الحلول الحقيقية المؤدية فعليا لمواجهة أزمة الإسكان، وتجاوزها بنجاح تام بأقل التكاليف، يجب تحديد الأسباب، ثم القيام بمعالجتها، ويرى من أول أسباب نشوء أزمة الإسكان محليا، أنها جاءت من اتساع دائرة احتكار واكتناز الأراضي، والسبب الثاني هو المضاربات، الذي زاد من وتيرة تضخم الأسعار. وان كبح التضخم الهائل لأسعار الأراضي والعقارات، كفيل بأن يسهل تجاوز أزمة الإسكان المحلية بأقل التكاليف على كاهل الدولة والمجتمع. وسيخفض كثيرا من تورط أفراد المجتمع في تحمل أعباء قروض عقارية طائلة.<sup>1</sup>

### 3- الإسكان في الإمارات

يربط المشرّع في الإمارات استراتيجية الإسكان فيها بمفهوم التنمية المستدامة التي تقاس بواسطة 134 مؤشرا، وترسم سياسة الدولة الإسكانية انطلاقا من مبدأ تداخل قطاع الإسكان الوثيق مع كافة مجالات التنمية المستدامة، ويشرف على تنفيذ البرامج الإسكانية الاتحادية في الدولة وزارة الأشغال العامة والإسكان، إضافة إلى جهود الحكومات المحلية التي أنشأت مجموعة من البرامج الإسكانية لتنفيذ المشاريع في كل إمارة.

ويتصل بالتمويل ثلاث قضايا رئيسية، أولا: قدرة البرامج الحكومية الإسكانية على الوفاء بطلبات الإسكان: خاصة إذا ما علمنا بأن المجتمع الإماراتي مجتمع شاب، تشكل فيه الفئة العمرية ما بين 15 سنة أكثر من 45% من إجمالي عدد المواطنين. وتشير استراتيجية برنامج الشيخ زايد للإسكان إلى أن إحدى نقاط الضعف التي تواجه البيئة الداخلية للبرنامج هي عدم قدرته على إنجاز الطلبات المتراكمة لديه، وبالتالي، تشكل محدودية الموارد المالية للبرنامج أحد أهم التحديات التي يجب معالجتها. ثانيا: غياب مفهوم المسؤولية الاجتماعية لمؤسسات القطاع الخاص تجاه تنفيذ

1- جريدة الاقتصادية على الموقع: <http://aleqt.com> بتاريخ: 21 اوت 2017.

البرامج الإسكانية: ضآلة أو عدم استمرارية المبادرات والدعم الذي تقدمه مؤسسات القطاع الخاص، وخاصة الشركات العقارية لدعم البرامج الإسكانية في الدولة. وثالثا القدرة المالية للأفراد لشراء أو بناء المساكن: فتدل مؤشرات السوق إلى ارتفاع الأسعار المتعلقة بقطاع العقارات مما يصعب على ذوي الدخل المحدود والمتوسط الحصول على المساكن والأراضي.

وتؤثر عدة عوامل على أسعار المساكن وبنائها، ومن أهمها: قوى العرض والطلب في السوق: وتشير الإحصائيات إلى وجود فجوة بينهما في إمارة أبو ظبي.

السياسات المالية للجهات الممولة للفرد وحجم الفوائد المترتبة على القروض: والتي تستخدم في تمويل شراء أو بناء المساكن.

أ. زيادة الطلب على المنازل: نتيجة لزيادة عدد السكان، وتأخر تسليم الوحدات السكنية. ارتفاع تكلفة البناء: المتضمنة مواد البناء والأيدي العاملة نتيجة لارتفاع قيمة مواد البناء المحلية والمستوردة.

نمط المشروعات العمرانية التي ركزت على الاستثمار العقاري الفاخر: والذي يحظى بالعائد السريع والمجزي.

المضاربة في الوحدات العقارية الجديدة: وبشكل لا يعكس قيمتها الحقيقية. ب. غياب قواعد بيانات إسكانية موحدة وغياب نظم إدارة المعلومات الحضرية: نظرا لغياب التنسيق بين الجهات المعنية بالإسكان في الدولة.

ج. التضخم: ويرتبط التضخم في هذا القطاع بقضيتين هما: ارتفاع أسعار مواد البناء مما يحد من قدرة الأفراد على تشييد منازلهم أو صيانتها: رغم جهود الحكومة لتحقيق الاستقرار في سوق البناء والتشييد، كإعفاؤها لواردات الحديد والإسمنت من الرسوم الجمركية، وتوقيعها لمذكرة تفاهم مع مجموعة من مصنعي الإسمنت.

ارتفاع أسعار إيجارات المساكن بشكل يهدد فرص ذوي الدخل المحدود والمتوسط من الحصول على سكن ملائم.

د. البيئة التشريعية المنظمة للقطاع الإسكاني والعقاري: البطء في آلية تغيير القوانين والتشريعات الخاصة.

هـ. قضايا البيئة الحضرية: وهي تعد من أهم الأولويات في الدولة. وقد تبنت إمارة أبو ظبي مبادرة للحفاظ على البيئة المستدامة، تتمثل في إقامة مدينة مستدامة، تضم 50 ألف فام من السكان، وتخلو من الانبعاثات الملوثة للبيئة.

و. القضايا الإسكانية المتعلقة بالعمالة الأجنبية الوافدة: وتشكل تحديا كبيرا للسياسات الإسكانية المستدامة في الدولة، و"الهجرة العائلية" للوافدين تؤدي إلى زعزعة استقرار وأمن الأحياء السكنية، كما تعد ظاهرة انتشار سكن العزاب الوافدين في وسط الأحياء السكنية للعائلات وفي ظروف معيشية صعبة إحدى القضايا التي تحد من التطور الحضري.

تولي حكومة الإمارات اهتماما كبيرا لتوفير المساكن الملائمة لمواطنيها. وتقوم في هذا الخصوص بتوزيع الأراضي أو المساكن المجانية، أو قروض الإسكان، والمرافق السكنية والصيانة لمستحقيها من مواطني الدولة.

على المستوى الاتحادي، تُعنى وزارة تطوير البنية التحتية بمسئولة تنظيم قطاع الإسكان. ويمكن لمواطني دولة الإمارات التقدم بطلب الحصول على المساكن والأراضي من خلال لجنة الإسكان في وزارة شؤون الرئاسة، ومن أبرز المشاريع التي تم العمل عليها في الفترة الأخيرة ما يلي: - إنشاء صندوق، في العام 2011، برأس مال 10 مليارات درهم لدراسة ومعالجة قروض المواطنين من ذوي الدخل المحدود، وإجراء تسويات للقروض الشخصية المتعثرة المستحقة بالتنسيق مع المصرف المركزي والمصارف الدائنة.

- تسريع العمل في تنفيذ المشروع الوطني الخاص بالسكن.

- تطوير البنية التحتية والمرافق الخدمية في مناطق الدولة كافة؛ بهدف دفع عجلة التقدم الاقتصادي والاجتماعي.

#### 4- الإسكان في المغرب

رغم أن دول المغرب العربي تشترك في ماضي اجتماعي متشابه في تمفصلاته إلى حد بعيد، إلا أن الظروف السياسية وطبيعة النظام في كل دولة من دول المغرب العربي (المغرب، الجزائر، تونس) جعلت من تحليل ودراسة إعادة الإسكان والاندماج الحضري والحراك المجالي للسكان يختلف في مقارباته من دولة إلى أخرى.

نفذت المغرب مجموعة متنوعة من سياسات الإسكان منذ الاستقلال في عام 1956، بما في ذلك تخطيط المواقع والخدمات، ورفع مستوى المناطق السكنية العشوائية وغير الرسمية، ودعم الرهن العقاري، وتقديم الدعم الرأسمالي للمساكن الجديدة. وكذا سياسة إعادة تأهيل من خلال عمليات إعادة تسوية السكن العشوائي، في هذا الباب وطيلة أكثر من ربع قرن من 1978 إلى حدود سنة 2002،

تم إعادة هيكلة وتهيئة أكثر من 54360 قطعة أرضية على مساحة 1030 هكتار تقريبا أي أكثر من 40 حيا صفيحيا.<sup>1</sup>

بعد أن عرفت المناطق العشوائية في السبعينيات انخفاضا ملحوظا، بدأت الوتيرة في التسارع في الثمانينيات. وقدمت الحكومة في ذلك الوقت برنامج كبير للتصدي للإسكان منخفض المستوى تم إطلاقه في الثمانينيات، بالإضافة إلى وكالة خاصة أنشئت لذات الغرض، والوكالة الوطنية للوقاية من الإسكان منخفض المستوى، في عام 2004 تمت متابعة هذه الجهود من البرنامج الرسمي الحالي (VSB) والذي يعكس شعار تحالف المدن "مدن بدون صفيح"، هذا البرنامج تم تأسيسه بشكل مركزي لفهم سياسة الإسكان الحالية في المغرب. الذي يهدف إلى التخلص من جميع الأحياء العشوائية بحلول عام 2010، واستهدفت الحكومة من 10-15 مدنية لتعلنها "بدون عشوائيات" في كل عام.

برنامج مدن بدون صفيح أو ما يعرف ب(VSB) كان يستند إلى مفهوم استرداد التكاليف لكنه اعترف بأن الحلول المادية التي كانت المقترحة سواء لإعادة التوطين في الشقق أو النقل إلى المناطق المزودة بالخدمات سيكون أمرا بالغ الصعوبة قياسا بحجم المستفيدين. وبناء على ذلك، كان لا بد من اتخاذ تدابير جديدة لتشجيع المصارف والمؤسسات المالية الأخرى لإقراض المجموعة المستهدفة. ويتوقع أن نحو 210 ألف أسرة في 70 مدينة، ستستفيد من هذا البرنامج. والذي تقدر تكلفته الإجمالية بنحو 6.2 مليار دولار أمريكي، منها 1 مليار دولار ستأتي من المنح الحكومية. الحاجيات للسكن في المغرب في ارتفاع منذ عقود على الرغم من كثرة المشاريع المنجزة وتنويع العرض والتحفيز المقدم للباحثين العقاريين والزبائن على حد سواء. فالعجز السكني ناهز مليونين و200 ألف وحدة سنة 2002، بينما الإنتاج لم يتعد مائة ألف وحدة، وتختلف النسب بين مدينة وأخرى، حسب حجمها ومكانتها الاجتماعية وجاذبيتها الاقتصادية. بينما انتقل العجز إلى 800 ألف وحدة سكنية سنة 2008، ليتراجع إلى 560 ألف وحدة سنة 2014، ومن المتوقع أن يتقلص إلى النصف في أفق 2021.<sup>2</sup>

ينضاف إلى هذا العجز المساكن الآيلة للسقوط بالمدن القديمة 43 ألف بناية والتي أصبحت تتزايد خطورتها يوما بعد يوم ويصل عدد الأسر القاطنة بها إلى 142 ألف أسرة، أي ما يمثل 700

1- ماجدة صواب وبوشتي الخزان، الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية لعملية إعادة هيكلة السكن غير القانوني بالمدن المغربية: دراسة حالات، ندوة دولية بالمدينة المنورة المملكة العربية السعودية، من تنظيم المعهد العربي لإنماء المدن أيام 8-10 أبريل 2013.

2- تصريح للوزير المكلف بوزارة الإسكان وسياسة المدينة، أمام لجنة الداخلية والجماعات الترابية والسكنى وسياسة المدينة بمجلس النواب، 10 مايو 201

ألف نسمة، دون احتساب سكانات أحياء السكن العشوائي الآيل للسقوط، حيث تأتي مدينة فاس في المقدمة.<sup>1</sup>

لم يعد إنتاج السكن في المغرب يعبر عن الحاجيات الحقيقية للسكان وإنما يوظف فقط للاستهلاك، بل أصبح مع دخول الاستعمار يتحكم في إنتاجه مبدأ الربح. وتحول بذلك من حاجة ضرورية إلى بضاعة تعرض في السوق كباقي السلع. ويظهر تتبع مسلسل تدخلات الدولة في هذا الميدان وبالملموس مدى عدم تمكنها من تلبية الطلب على الرغم من تجنيدها الاحتياطي العقاري الذي ورثته عن الفترة الاستعمارية، كما أن سياسة التقويم الهيكلي والتخلي التدريجي عن تلبية حاجيات المواطنين السكنية ساهم في تقليص تدخل القطاع العمومي في هذا الميدان خلال الثلاثة عقود الأخيرة من القرن الماضي، ورغم التجربة الغنية للمغرب في ميدان إعادة الهيكلة فإن التدخلات ظلت دون توفير الحاجيات.<sup>2</sup>

### 5- الإسكان في تونس

لقد شجعت حكومة الاستقلال على امتلاك المواطن لمسكن، فخصصت القروض التي كانت تسندها الشركة التونسية للبنك بفوائض منخفضة، وتم بعث الشركة الوطنية العقارية للبلاد التونسية التي قامت بدور كبير في بناء مئات الآلاف من المساكن، ثم بعث صندوق الادّخار السكني والوكالة العقارية للسكنى، ولكن هذه المؤسسات زال البعض منها كما هو الشأن بالنسبة إلى صندوق الادّخار السكني ليحلّ محله بنك الإسكان، بينما تقلص دور الوكالة العقارية للسكنى فأصبح المواطن ينتظر مدة طويلة دون الحصول على أي مقسم من الأرض من الوكالة المعنية، التي فقدت نجاعتها وأصبحت لا تضطلع بالدور الحقيقي الذي بُعثت من أجله.<sup>3</sup>

غير ان الحكومات المتعاقبة في تونس فشلت في حلّ أزمة السكن على اعتبار أن سوق العقارات رهين للمضاربات ولارتفاع نسب الفوائض التي تفرضها البنوك على الراغبين في شراء أو بناء مساكن لائقة، وهو ما يفسّر ارتفاع أرباح هذه البنوك رغم الأزمة الاقتصادية التي تمرّ بها البلاد.

1- عمر الحسوني، إشكالية الأبنية الأيلة للسقوط بالمغرب - نموذج فاس - مجلة تقنية البناء، العدد 15، الرياض، المملكة العربية السعودية، يونيو 2008، ص 54

2- نفس المرجع ص14.

3- عادل كعنيش، هل ثمة أزمة سكن في تونس؟ ، مقال بجريدة ليترز العربية بتاريخ: 2016/07/18. على الموقع: -هل-ثم-أزمة-سكن-في-تونس. <https://ar.leaders.com : tn/article/1030>



إذا ما قارننا عدد العائلات التونسية يساوي 2.713,000 عائلة، بينما يبلغ عدد المحلات السكنية بالبلاد 3.290,000 مسكن، ممّا يعني أن هنالك أكثر من محل سكني لكل عائلة تونسية.<sup>1</sup> وهذا ما يؤكد أن الأزمة مفتعلة وهي تتعلق بالتوزيع العادل للسكن.

رغم تعاقب الحكومات وتعدد السياسات المتبعة لحل أزمة السكن والبعث العقاري، ما يزال الحصول على مسكن في تونس حلما صعب المنال، في ظل الارتفاع المتواصل لأسعار العقارات وزيادة نسبة الفائدة التي تفرضها البنوك على طالبي القروض السكنية، وتراجع قيمة الدينار التونسي.

**رابعا: سياسة الإسكان في الجزائر**

يمكن تقسيم ذلك إلى ثلاث مراحل فاصلة المرحلة الأولى مرحلة ما قبل الثورة التحريرية وهي المرحلة الأطول والتي حاول خلالها المجتمع الجزائري المحافظة على بنائه الاجتماعي وتميزت بغلبة المجتمع الريفي وما ينجر عنه من علاقات وبنى اجتماعية رغم التأثيرات التي أحدثها الدخول الاستعماري، والمرحلة الثانية وهي مرحلة الثورة التحريرية ورغم قصر مدتها، سبع سنوات، غير أنها الأشد تأثيرا على البناء الاجتماعي نتيجة التحولات التي أحدثتها الثورة ونتيجة التدخلات الاستعمارية، والمرحلة الثالثة وهي مرحلة ما بعد الثورة التحريرية وهي مرحلة مهمة في تطور الحضيرة السكنية وتغير ابني الاجتماعية للمجتمع الجزائري الحديث في ظل الدولة القطرية وما شهدته من تحولات عميقة بالانتقال من مجتمع ريفي محافظ إلى مجتمع حضري تسوده العلاقات التي تفرضها المدنية والتحضر.

### الإسكان قبل الثورة التحريرية

بعد الدخول الفرنسي للجزائر وخلال السنوات الأولى من الاستيطان الفرنسي، حيث كان (يسكن إيالة الجزائر عشرة ملايين نسمة، وتتكون هذه الإيالة من مدن، وقرى، ومواني، وأرياف. غير أن الجزء الأكبر الذي هو قاعدتها ومصدر ثرواتها يوجد خارج المدن التي يبدو أنها تكونها).<sup>2</sup> وفي إحصاء قامت به حكومة فرنسا سنة 1856 كان عدد سكان الجزائر مليونين وثلاثمائة ألف نسمة<sup>3</sup>، ويبدو حسب رأيي انه يمثل عدد السكان المناطق التي تم السيطرة عليها فقط، لوجود تناقض بينها وبين ما ذكره حمدان خوجة، و في الحقيقة وحسب بعض التقديرات كان عدد سكان الجزائر سنة 1930 يقدر بـ: 4.2 مليون نسمة، لم يعرف هذا العدد إلا في إحصاءات بداية القرن العشرين و بالرجوع إلى حسابات بنيت على إحصاء سنة 1921 (4.9ملايين)، ويعتبر هذا هو الإحصاء

1- عادل كعنيش، هل ثمة أزمة سكن في تونس؟ مرجع سابق.

2- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، ت: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر 2005، ص 13.

3 -Ch.R.Ageron : Histoire de l'Algérie contemporaine, P.U.F..1964, P.37.

الموثوق، حسب كمال كاتب، أي إحصاء سنة 1886 الذي يقدر عدد سكان الجزائر بـ: 4.9 مليون نسمة<sup>1</sup>. ولا يتعدى نسبة الحضر منهم الـ 7% في سنة 1886 ووصلت في سنة 1948 نسبة الحضر إلى في أقصى حدودها إلى مليون نسمة أي بنسبة 16%<sup>2</sup>. وتظهر السجلات الفرنسية المبكرة أنه حتى عام 1872، أدت المجاعة والأوبئة الناجمة عن الكوليرا والتيفوس والجذري إلى انخفاض عدد السكان الأصليين في الجزائر إلى حوالي مليوني شخص. ومنذ ذلك الحين، لم تعد هناك كوارث إنسانية. وبحلول عام 1948، تجاوز عدد السكان سبعة ملايين ونصف المليون. هذا النمو، بالإضافة إلى حقيقة أن معظم الأراضي الأكثر إنتاجًا استولت عليها فئة المعمرين، كان يعني هذا زيادة الضغط البشري على موارد الأرض، واضطر كثير من البدو الرحل إلى أن يصبحوا مزارعين مستقرين. حيث تم تكثيف زراعة الواحات وتوسيعها مما أدى إلى انخفاض منسوب المياه الجوفية بشكل خطير. وقد اضطر أبناء المزارعين على نحو متزايد إلى البحث عن عمل في المدن، بعدما أصبحوا الفئة الفقيرة من سكان الأحياء. وبخصوص التحضر بين 1886 و1948، ارتفعت نسبة السكان الأصليين الذين يعيشون في المدن من سبعة إلى ستة عشر بالمائة ووصلت إلى رقم مطلق يزيد عن المليون<sup>3</sup> إن السكن هو بلغة مانويل كستال «عالم العلامات، وهو عالم مشحون بالدوافع والإحباطات، ولإدارة تلك الرموز دلالة قوية من حيث الإدماج الاجتماعي والتطور النفسي لهؤلاء النازحين»<sup>4</sup> للمدينة مما عقد من أزمة الإسكان واندماج الأهالي في المدينة الحديثة المهيم عليها من طرف المعمرين.

كانت نسبة الحضر سنة 1950 تقدر بـ 22.2 بالمائة وهي اقل من المعدل العالمي والمقدر بـ 29.6 بالمائة (الجدول 01)

### الإسكان ثناء الثورة التحريرية

كان للثورة التحريرية دور كبير في التغيير الحضري الذي شهدته الجزائر، من خلال ما قامت به السلطات الاستعمارية من ترحيل قسري لسكان الأرياف والقرى وخلق نوع من الإسكان يعرف

1 - Population indigène au recensement de 1901: 4,07 millions, 1906: 4,4 millions, 1921: 4,9 millions.

Voir aussi : Kamel Kateb, Européens, « indigènes » et juifs en Algérie (1830-1962).

Représentations et réalités des populations, Paris, INED, travaux et documents, cahier 145, 2001, p. 115.

2 - Service de Statistique Générale, Gouvernement Générale, de l'Algérie. Résultats Statistiques du Dénombrement de la Population Effectué le 31 octobre 1948( Algiers : Service de Statistique Générale, 1950).p.xxvii.

3 -Horace M. Miner; George De Vos Oasis and Casbah: Algerian Culture and Personality in Change· Ann Arbor· University of Michigan, 1960.

4 - Manuel Castells, op.cit., 1972), p. 190.

ب: "مخيمات التجميع" وهو الترحيل الأكثر وحشية في التاريخ، حيث تم ترحيل أزيد من مليوني شخص<sup>1</sup>. مما أدى إلى إحداث (زوبعة من النزوح الفوضوي نتيجة العمل القمعي الذي تمت فيه هذه العملية)<sup>2</sup>. أدى هذا الترحيل واجتثاث السكان من موقع إقامتهم الريفية إلى تخلخل في البناء الاجتماعي وظهرت بفعله عادات جديدة مست البناء الأسري للعائلة، وتغيرت الهرمية التقليدية حيث فقد بعض أصحاب المزايا والمكانة من ملاك للأراضي والشيوخ مكانتهم الاجتماعية، وفقدت الأرض قدسيته وتم التخلي عن زراعتها، (فالزراعة لم تنتزع عنها القدسية فقط، ولكن تراجعتم فيمتها كذلك)<sup>3</sup>، هذا النوع من الإسكان أحدث تقسيم جديد للعمل، ونوع من العلاقات الاجتماعية التعاقدية. وحاول ديغول سنة 1958 استعمال 'السكن كسلاح'<sup>4</sup> في وجه الثورة من خلال مشروع قسنطينة وبعض المشاريع الإسكانية الأخرى في الجزائر ووهران ومعظم المدن الكبرى، بالإضافة إلى إنشاء مدن إدارية للمعمرين الهدف منها عزل المعمرين عن الجزائريين النازحين للمدن.

### الإسكان بعد الاستقلال

شهد قاع السكن بعد الاستقلال عدة مراحل يمكن تقسيمها زمنيا إلى أربعة مراحل بناء على السياسات التي اعتمدها الدولة الجزائرية تجاه قطاع الإسكان وهي:

### المرحلة أولى (1962-1979)

وهي تنقسم الى قسمين مرحلة ما قبل المخططات التنموية (1962-1967) بحيث لم تكن السياسة الحضرية حول السكن واضحة المعالم ولا ذات أهمية في ميثاق طرابلس 1962 ولا في ميثاق الجزائر 1964، ما عدى ما تعلق بمحاولة تأمين للمواطنين حياة كريمة ودمجها فالتطور لحياة أفضل كما أن السلطة كانت تبدي قلقها من أبعاد التي تفرزها مشكلة السكن ولإسكان، حيث جاء في هذا الميثاق (إن السياسة الحضرية يجب أن تبدأ أولا بالبنية التحتية المتمثلة في جلب المياه الصالحة للشرب وإنجاز قنوات الصرف الصحي داخل المدن ، وثانيا بالبنية السكنية من خلال إنجاز المرافق الصحية وفضاءات التسوق والقضاء على الأحياء القصديرية التي تشوه المدن الكبرى، والتي شملت شريحة عريضة من السكان .....). ويعتبر ميثاق الجزائر ، هو خلاصة أعمال مؤتمر جبهة التحرير الوطني، والذي يركز على الاهتمام وخلق التجهيزات العمومية الاجتماعية ، الثقافية

1 - Pierre Bourdieu et Abdelmalek. Sayad, op.cit. p13.

2 -Ibid., P 12.

3 - Ibid., P 95.

4 - Samia Henni, Architecture de la contre-révolution; L'armée française dans le nord de l'Algérie, éd B42 ,Paris.2009

والصحية ، إلا أن مسألة السكن لم تكن مركز اهتمام ، هذا ما يفسر ارتفاع السكن الهش ارتفاعا في هذه الفترة.

وهذا لا ينفى بعض الجهود المبذولة بخصوص مسألة السكن غداة الاستقلال حيث كان هناك حوالي 03 ملايين جزائري من دون مأوى، أضف إلى ذلك حوالي 300 ألف لاجئ عند الحدود الشرقية والغربية. حيث تم هدم البيوت القصدية التي أنشئت حول المدن الكبرى (الجزائر، وهران)، وإعادة بنائها من جديد، وظهرت نتيجة لذلك أحياء "وادي أوشايح" في العاصمة و"بلانتور" في وهران، كما تم بناء وحدات سكنية في الأرياف قدرت بحوالي 25 ألف وحدة سكنية.<sup>1</sup>

والقسم الثاني بداية من 1967 م، حيث وضعت الجزائر خلال هذه الفترة، ثلاثة مخططات تنموية، بدأ بالمخطط الثلاثي 1967-1969، ثم المخطط الرباعي الأول (1970-1973)، ثم المخطط الرباعي الثاني (1974-1977)، حيث كان الهدف من هذه المخططات هو تحقيق التنمية شاملة، وخاصة في الميدان الاقتصادي.

وخصت الدولة في المخطط الثلاثي الأول لقطاع السكن حوالي 400 مليون دينار من مجموع 10 ملايين دينار وهو ما يمثل نسبة 4% من إجمالي الاستثمارات، وفي الرباعي الثاني حوالي 900 مليون دينار من مجموع 26 مليار وهو ما يعادل نسبة 3% من إجمالي الاستثمارات، حيث تعتبر الحصة المحصنة للسكن في هاذين المخططين ضعيفة و لا تلبي حاجيات السوق الوطني من السكن، غير انه وفي المخطط الرباعي الأخير خصص لقطاع السكن أكثر من 08 ملايين دينار من مجموع 100 مليار وهو ما يمثل نسبة 8% من إجمالي الاستثمارات، وهو ما يشير إلى إحساس السلطات بتفاقم الأزمة السكنية.<sup>2</sup> وهي تمثل البدايات الأولى لتفاقم الأزمة السكنية.

### المرحلة الثانية (1979-1989)

بقيت سيطرة الهيئات العمومية على السوق السكنية باعتبارها صاحبة العرض والمكلفة بالإنجاز في هذا المجال، حيث كانت الدولة المتعهد الوحيد الموكل له عملية بناء السكن، وقد خصصت 71 مليار دينار مابين 1980-1989.<sup>3</sup>

حتى سنة 1987 كان سوق العقار ممنوعا على القطاع الخاص مما ساهم في تفاقم أزمة السكن، حيث كانت الوسيلة الوحيدة لاقتناء المساكن هي الإيجار من طرف الهيئات العمومية، رغم

1- لونيبي رابح، رؤساء الجزائر في ميزان التاريخ، تقييم أكاديمي لنصف قرن من مسيرة الجزائر المستقلة، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص. 114.

2- سعدون بوكبوس: الاقتصاد الجزائري، محاولتان من أجل التنمية (1962-1989) و(1990-2005)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2012، ص151-152،

3- المجلس الاقتصادي والاجتماعي، ص4.

وجود ميزانيات خاصة لتمويل المشاريع السكنية إلا أن السياسة المتبعة وكل العوامل لسالفة الذكر أدت إلى ضعف العرض اما الطلب الهائل نتيجة التحضر السريع للمدن. الوضعية السيئة التي آل إليها قطاع السكن في نهاية سنة 1989 دل على عدم نجاح السياسة السكنية المتبعة من خلال المخططات التنموية، ولعل أهم الأسباب التي جعلت قطاع السكن وصل إلى هذه الوضعية الحرجة تعود إلى: عدم امتلاك الدولة للوسائل المالية وعدم استقرار نمط تمويل السكنات، وندرة مواد البناء، وضعف السوق العقارية الإيجارية، بالإضافة إلى النمو الديمغرافي الذي عرفته المدن.<sup>1</sup>

### المرحلة الثالثة (1990-2000)

خلال هذه الفترة عرفت الجزائر ازمة سياسية أثرت على الاستقرار السياسي والاجتماعي للبلاد، أدى ذلك إلى هجرة جماعية لسكان المناطق الجبلية والريفية نحو المدن هربا من الإرهاب، وعرفت الدولة ازمة اقتصادية حادة بسبب تدهور أسعار النفط، كان له تأثير على الاقتصاد الوطني وعلى قطاع السكن. وتجدر الإشارة، أن عرض السكن أثناء العشرية الأخيرة، لم يقتصر على الشرائح المحرومة حيث كانت السياسة المنتهجة تهدف إلى جعل عروض السكن أو الإعانات تتلاءم أكثر مع مدا خيل الأسر.

وشهدت الجزائر في هذه المرحلة عدة إصلاحات مست معظم القطاعات وبالأخص قطاع السكن، الذي ظهرت فيه أنماط سكنية بعدما كانت تعتمد على نمطين فقط، هما السكن الحضري المخطط والسكن الريفي، كما تم إنشاء هيئات تمويل جديدة للتصدي للازمة السكن، قامت الدولة في بداية هذه المرحلة بتبني استراتيجية جديدة في مجال بناء السكنات، حيث أصبحت الدولة تحمل على عاتقها بالإضافة إلى البناء مسؤولية التهيئة التحسين الحضرية، كما تم إنشاء سوق عقارية منتظمة أين يكون بمقدور الدولة التدخل من أجل مساعدة الطبقات الفقيرة من المجتمع قصد الحياة على ملكية سكن. هناك استقرار في نسبة إنجاز السكنات الاجتماعية حيث عرفت هذه المرحلة إنجاز 86992 وحدة سكنية وهي لا تلبى حجم الطلب المتزايد على السكن حسب حجم طلبات الأفراد أو العائلات.

في المرحلة من 1995 إلى 2000 إضافة إلى السكن الاجتماعي الذي تموله الدولة كلية من ميزانيتها ويبقى مخصص فقط للأسر ذات الدخل الضعيف، تم تبني صيغة سكن جديدة عرفت في

1- المجلس الاقتصادي والاجتماعي مرجع سابق، ص 7 و 8

البداية بالسكن التطوري ابتداء من سنة 1995<sup>1</sup>، الذي عوض فيما بعد بالسكن الاجتماعي التساهمي الذي يمس الشرائح الاجتماعية ذات الدخل المتوسط، ويرتكز أساسا على تركيبة مالية مشتركة بين المساهمة الشخصية للمستفيد وإعانة الدولة، وعليه أصبحت هذه المساهمة الشخصية النقطة البارزة في المسعى الجديد الذي بادرت به الحكومة، كما يمكن للمستفيد من اللجوء للبنوك قصد الحصول على قرض بفوائد مقبولة. وعرف هذه الصيغة من السكن إقبالا كبيرا في عدة ولايات، بالإضافة إلى إعانات الدولة للسكن الريفي.

### المرحلة الرابعة (2001-2014)

اعتمدت الجزائر في فترة حكم الرئيس بوتفليقة، أربعة مخططات لدعم الإنعاش، ثم النمو الاقتصادي وإذا كان المخطط الأول تمهيدا بقيمة مالية قاربت 10 ملايين دولار ما بين 2001 و2004 وعرف تحت تسمية (برنامج دعم الإنعاش الاقتصادي). واعتمد مقارنة كينزية جوهرية أريد من خلالها تحفيز المؤسسات الوطنية وتنشيط الطلب في السوق، فإن المخطط الثاني أضحى خماسيا وخصص له قيمة تقارب 200 مليار دولار ما بين 2005 و2009 ووظف أساسا لتوسيع قاعدة البنى التحتية والمنشآت القاعدية، تلاه أهم مخطط خماسي من حيث القيمة بـ 286 مليار دولار ما بين 2010 و2014 والذي كان يراد منه تنويع الاقتصاد الجزائري وتحفيز الآلة الإنتاجية الوطنية، وأخيرا 262 مليار دولار في المخطط الرابع المعتمد<sup>2</sup>.

عرف قطاع السكن مشروعا لإنجاز مليون وحدة سكنية وهو أول مشروع من هذا النوع تعرفه الجزائر في إطار الخطة الخماسية الممتدة من سنة 2005 إلى سنة 2009، حيث خصص له غلاف مالي قدر بـ 671 مليار دج أو ما يعادل 7 مليار دولار، وقد ساهم هذا المشروع برفع النشاط العقاري الجزائري، كما انه موجه خاصة لخدمة الطبقة ذات الدخل المتوسط باعتبارها تشكل أكبر نسبة من إجمالي السكان الجزائريين، وجاء هذا المشروع كمتنافس للشعب الجزائري لاسيما بعد تفاقم أزمة السكن، وتشرف شركات وطنية محلية و أجنبية (عربية وصينية) على إنجاز هذا المشروع، كما قدمت السلطات كل التسهيلات التمويلية مع منح للمواطنين مبالغ مالية عن طريق الصندوق الوطني للسكن لمساعدتهم على شراء وحداتهم السكنية.

في الفترة من 2010 إلى 2014، خصصت الحكومة الجزائرية نحو 50 مليار دولار لقطاع الإسكان في خطة خماسية، تشمل إنفاقا حكوميا قدره 286 مليار دولار، وتهدف لتحديث البنية الأساسية، وتوفير فرص عمل. ومع ذلك، فإن بعض المراقبين يرون أن كل الصيغ والبرامج الإسكانية

1- المرسوم التنفيذي رقم 94-308 الصادر في 4 أكتوبر 1994 المتعلق بشروط تدخل الصندوق الوطن للسكن لتقديم الإعانة المالية للحصول على ملكية سكن.

<http://www.elkhabar.com/ar/economie/421502.html-2>

للحكومات الجزائرية قد فشلت وأخفقت في وضع حلول مجدية لمشكلة السكن، وذلك يرتبط بالسياسة العامة من خلال حجم الفساد الكبير وسوء التسيير الذي يشوب عملية التوزيع في اختيار مستحقي هذه المساكن، وباعترافات كبار مسؤولي القطاع، فإن هناك من يستفيد لمرات عديدة من السكن، ليعيد بيعه بأسعار خيالية. إن المضاربة والفساد وضعف المراقبة يعتبر كلها عوامل أدت إلى إخفاق كل البرامج السكنية بمختلف صيغها المطروحة في القضاء على أزمة السكن.<sup>1</sup>

ففي المخطط الخماسي 2005-2009 استطاعت السلطة السياسية إنجاز ما يقارب من مليون وحدة سكنية من كل الصيغ الحضرية انظر الجدول رقم (01)، وعدد كبير من إعانات السكن الريفية (348.620 إعانة)، غير أن ذلك زاد من حدة المطالبة بالسكن من طرف الفئات المحرومة والمتوسطة، وهذا ما يفسر أحداث الشغب الحضرية المتكررة أثناء عمليات توزيع السكن، وكيف أن الحركات تندمج في منطق الاستحواذ على الريع السكني باعتباره أحد الأشكال المترتبة عن الريع البترولي الذي توزعه السلطة السياسية لتمديد فترة بقائها وشرء السلم الاجتماعي. وهذا ما يؤكد مقولة أن أحداث الشغب ومظاهر تكرارها تشرح وضعية انتقالية غير مكتملة للأنظمة الحضرية الجزائرية التي تعاني من صعوبات كبيرة للخروج من البراديغم الريعي.<sup>2</sup>

الجدول رقم: (01) الإنجازات السكنية الحضرية الخاصة بمشروع مليون وحدة سكنية البرنامج

### الخماسي 2005-2009.

| السكنات المنجزة في الخماسي 2005-2009 |         |        |        |        | البرنامج | البرامج السكنية |
|--------------------------------------|---------|--------|--------|--------|----------|-----------------|
| 2009                                 | 2008    | 2007   | 2006   | 2005   |          |                 |
| 55.550                               | 57.657  | 44.079 | 43.527 | 25.834 | 226.647  | السكنات         |
| 37.924                               | 37.145  | 19.325 | 23.801 | 15.787 | 243.351  | السكنات         |
| 9.043                                | 1.827   | 8.491  | 7.128  | 12.350 | 129.115  | سكنات           |
| 5.644                                | 4.070   | 5.028  | 8.419  | 8.027  | 55.081   | السكنات         |
| 108.161                              | 100.699 | 76.923 | 82.875 | 61.998 | 649.946  | مجموع           |

المصدر: وزارة السكن والعمران والمدينة

### أزمة السكن في الجزائر

إن أزمة السكن في الجزائر تعود بوادرها إلى الحقبة الاستعمارية، في البداية كان سببها اجتثاث سكان الأرياف من أراضيهم، حيث يرى عبد الملك الصياد " أن الأرض التي كانت حجر

1- رحيمة، حوالم، التكاليف الاقتصادية والاجتماعية للسكنات العشوائية في الجزائر، ص 381.

<https://knepublishing.com/index.php/KnE-Engineering/article/view/2181/4723>

2 -Madani Safar Zitoun, « Violence et rente urbaines : quelques réflexions critiques sur la ville algérienne d'aujourd'hui », Insaniyat /, 57-58 | 2012, juin 2015,

الزاوية في النظام التقليدي، هي أول ما استُهدف من خلال عمليات الانتزاع، وأشار إلى أن عمليات إعادة تقسيم الأراضي لتخصيص جزء منها للمستوطنين بين 1847 و1863، جعلت أفراد القبائل يُحشرون في قسم ضئيل من أراضيهم السابقة، غير أن الاقتصاد التقليدي الجزائري، كان يقوم على أن الأرض الزراعية، سواء أكانت ملكاً خاصاً أم أرض العرش (القبيلة) غير قابلة للقسمة ولا للتعويض عنها، وأجبر الوضع الجديد الفلاحين على بيع قوة عملهم في سوق الشغل، خصوصاً بعد دخول نمط الإنتاج الرأسمالي بواسطة القوة إلى مناطق لم تعرفه من قبل، مما أدى إلى انهيار الزراعة التقليدية وإفقار المزارعين، ويستنتج صياد، أن مسار الهجرة -الانتقال من الريف إلى المدن- بدأ في الواقع بواسطة الإكراه، للمساهمة في بناء الاقتصاد الفرنسي وتعويض النقص المسجل في العمالة الفرنسية<sup>1</sup>، وأثناء الحرب التحريرية عرفت عمليات الترحيل الإجباري والنزوح أوجهاً، حيث قام المستعمر بإنشاء المحتشدات ومراكز الإيواء وكان الهدف من ورائها هو القضاء على الثورة وقطع طريق الإمدادات عن الثوار، كانت هذه المحتشدات عبارة عن مراكز تجميع في العراء لسكان الأرياف حيث تفتقر إلى ادني متطلبات الحياة الإنسانية وهذا ما خلص إليه البحث الذي قام به أنذاك بيار بورديو وعبد المالك صياد<sup>2</sup>.

بعد الاستقلال ورثت الدولة عجزاً كبيراً في مجال السكن، فتشير البيانات إلى أن 10 في المائة فقط من السكان الجزائريين كانوا يعيشون في مساكن لائقة عند انتهاء الاستعمار. ولمعالجة هذا الوضع، بذلت الدولة جهوداً كبيرة تدخل مع ذلك في إطار الخصائص الاجتماعية -الاقتصادية المنبثقة من تاريخ إنهاء الاستعمار في البلد، وكذلك من هيمنة النفط كمصدر أساسي من مصادر دخل الدولة<sup>3</sup>. ففي الفترة الممتدة بين عام 1962 وعام 1981، اعتمدت الحكومة سياسة اشتراكية تتمثل في تأميم الرصيد السكني والعقاري الذي أخلته السلطة الاستعمارية السابقة، وأممت قطاع البناء بحيث أصبحت هي الجهة الوحيدة تقريباً التي تتولى المسؤولية في مجال بناء المساكن وتوزيعها وإدارتها<sup>4</sup>. وخلال هذه الفترة، لم تتبع الدولة سياسة السكن الاجتماعي بالمعنى الضيق لأنها شيدت نموذجاً سكنياً واحداً للجميع ووزعت المساكن على السكان بناءً على حصص محددة وفقاً لمعايير إدارية<sup>6</sup>.

1- مقال لرشيد خشانة بتاريخ 10 ديسمبر 2009. على الموقع <http://www.swissinfo.ch>

2 - Pierre Bourdieu et Abdelmalek. Sayad, op.cit. p57.

3 - Madani Safar-Zitoun, « Les politiques urbaines en Algérie : une réforme libérale inachevée » Habitat sociale au Maghreb et au Sénégal. J. Le Tellier et A. Iraki (dir.) : Éditions l'Harmattan, Paris, 2009, pp.65-73.

4 - Ibid., p.68



وبعد الاستقلال تواصلت عملية النزوح الريفي، وانتقال سكان الأرياف والمدن الصغيرة إلى الحواضر الكبرى مثل الجزائر العاصمة بحثا عن العمل، "حيث سارعت السلطات الجزائرية منذ الاستقلال إلى إعادة إسكان الطبقات المحرومة والسكان المعرضين للخطر وضحايا الكوارث الطبيعية في أحياء جماعية، غير أن سياسات التوزيع المتكررة لم تكن واضحة وأنتجت نخب إدارية إلى جانب طبقة هامة من السكان الحضريين بواسطة السكن الذاتي (سكن تطوري بواسطة المستفيد)، كانت ثاني هذه التجارب مع الطوباوية الاشتراكية (1000 قرية فلاحية اشتراكية)، غير انه تم الرجوع إلى فكرة السكن التطوري في سنة 1994 (عينة الدراسة حي سيدي حرب 3، 2، 1 بعنابة)، ثم تطورت الفكرة إلى السكن التساهمي الذي لم يلق إقبالا كبيرا هو الآخر <sup>1</sup>

بعد أن استعادت الحكومة استقراراً سياسياً ومؤسسياً وحصلت على موارد مالية هامة بفضل ارتفاع أسعار النفط، منذ عام 1999، اهتمت الدولة من جديد بدورها في مجال العمران. وتشير المصادر الرسمية إلى أن البرنامج الخاص للسكن الذي بدأ للفترة الممتدة بين عامي 1999 و2004 قد سمح ببناء 810 000 مسكن، بينما بُني 912 326 مسكناً في إطار برنامج الفترة الممتدة بين عامي 2005 و2009. وتسعى الخطة الخمسية للفترة 2010-2014 لإنجاز 1.2 مليون مسكن، ولإكمال بناء 800 000 مسكن في الفترة ما بين عامي 2015 و2017.<sup>2</sup>

الملاحظ انه في السنوات الأخيرة ونظرا للانتعاش الاقتصادي بفضل ارتفاع أسعار النفط، قامت الدولة بإطلاق برامج سكنية ضخمة من خلال البرنامج الخماسي 2004-2008 والبرنامج 2009-2014 حيث سطرت الدولة إنجاز مليوني سكن بكل صيغه خلال كل خماسي. مما ساعد في التخفيف من ازمه السكن والقضاء على الأحياء القصدية، هذه الأحياء التي أصبحت هي المخرج الوحيد للحصول على سكن اجتماعي في أقصر مدة <sup>3</sup>

### مراحل الإسكان في الجزائر

من أكبر مشكلات المدينة مشكلة الإسكان، وهي من أكبر المشكلات الاجتماعية الأكثر حدة التي تعاني منها كل المجتمعات الحضرية سواء في الدول المتقدمة أو النامية أو السائرة في طريق النمو. وتكاد تكون آثارها ومظاهرها تتشابه في كل دول العالم وكذلك الحلول والطرق المتبعة للتغلب عليها، ويرى غازي عبد الواحد مكي أن الإسكان كظاهرة حيوية يمر بمراحل متعددة يسميها " الدورة الحيوية للإسكان الحضري" ويلخصها في أربعة مراحل، فالمرحلة الأولى شهدت دول العالم الغربي نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن العشرين وبعد الحرب العالمية

1 - Madani Safar Zitoun, Abderrahim Hafiane , Ibid..

2- وزارة السكن والعمران، مجلة السكن، العدد 6، كانون الثاني/يناير 2011، الصفحتان 6 و7

3 - Ibid .p221

الثانية ، كما أن دول العالم الثالث مازالت تعيش هذه المرحلة، تبدأ هذه المرحلة بنقص شديد في إعداد الوحدات السكنية ومن خصائص هذه المرحلة تدخل الدولة لدعم السكن الكمي على حساب النوع وظهور برامج الدعم المالي المباشر وغير مباشر لقطاع الإسكان.<sup>1</sup>

نلاحظ أن هذه المرحلة عاشتها الجزائر بعد الاستقلال ولازالت تعيشها لحد الآن، فالدولة الجزائرية منذ لاستقلال تدعم السكن بكل أنواعه من سكن ترقوي إلى سكن اجتماعي ومن سكن تطوري إلى سكن تساهمي من بناء ذاتي إلى إعانات لبناء السكن الفردي وسكن مدعم، ومن قرى اشتراكية إلى إعانات لدعم البناء الريفي، كل هذه الصيغ إما لبناء أو دعم السكن، هدفها التصدي لمشكلة الإسكان التي تعاني منها التجمعات الحضرية والريفية على حد سواء.

هناك مرحلة ثانية تتسم بالتركيز على حجم الوحدات السكنية وتلبية رغبة السكان في المساحة اللازمة في السكن، من خلال تخفيض الكثافة في المسكن<sup>2</sup>، أو ما يعرف تخفيض معدل شغل المسكن (TOL) رغم أن هذه المرحلة عاشتها الجزائر في فترة بداية الثمانينات القرن الماضي فكان حجم المسكن في الأحياء السكنية الاجتماعية يتراوح بين السكن المكون من غرفة وصالون + مطبخ (F2) إلي سكن مكون من أربعة غرف وصالون + مطبخ (F5)، وفي السنوات الأخيرة تم اعتماد بصفة كبيرة نوع المسكن المكون من غرفتين وصالون + مطبخ (F3) و النوع المكون من ثلاث غرف وصالون + مطبخ (F4).

المرحلة الثالثة تبدأ فيها الدولة الاهتمام بنوعية الوحدات السكنية، ومن خصائص هذه المرحلة ظهور المواصفات المتعلقة بنوعية مواد البناء واحترام وتطبيق مواصفات تقنية صارمة في الإنجاز، وتأتي المرحلة الأخيرة بعد أن تتحقق أهداف الرفع من مستوى نوعية الوحدات، وتبدأ الدولة هنا في التقليل من دعمها لقطاع الإسكان وتشجيع السكان على تملك مساكنهم.<sup>3</sup>

الجزائر عاشت هذه المراحل الرابعة في فترات متعاقبة تارة وفي نفس الفترة تارة أخرى أو فترات متقاربة، ومن الضروري أن يختلف الوزن النسبي لما يساهم فيه التمويل العمومي في إجمالي الأموال التي يمكن استثمارها في قطاع الإسكان، وهذا يعتمد على مقدار دخل الدولة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية<sup>4</sup>. وهناك عاملان يؤثران في كل مرحلة هما الزيادة السكانية الحضرية والجانب الاقتصادي للدولة وفي الجزائر يتحدد الجانب الاقتصادي بسعر البترول،

1- غازي عبد الواحد مكي، الدورة الحيوية للإسكان الحضري دراسة مقارنة لتمويل المساكن في الدول النامية والدول الصناعية، مجلة جامعة أم القرى، السنة الخامسة، العدد السابع، مكة المكرمة، السعودية، 1992-1993، ص225.

2- غازي عبد الواحد مكي، نفس المصدر، ص226.

3- غازي عبد الواحد مكي، نفس المصدر، ص226.

4- إسماعيل إبراهيم الشيخ دره، اقتصاديات الإسكان، عالم المعرفة، يوليو 1988، الكويت، ص168.

هذان البعدان الإسكاني والاقتصادي هما اللذان يفرضان المرحلة التي تمر بها دولة في الدول العالم الثالث.

### الصيغ السكنية في الجزائر

وخلال هذه المرحلة عمدت السلطات الجزائرية إلى وضع سياسة إسكانية، تقوم على آليات محددة، بناء

على توزيع الحالات المستهدفة. ومن أبرز الصيغ التي تم العمل على وفقها:

#### • صيغة السكن الريفي<sup>1</sup>:

يندرج السكن الريفي في إطار سياسة التنمية الريفية، ويهدف لتنمية المناطق الريفية وتثبيت السكان المحليين. والحفاظ على الطابع الريفي لهذه المناطق، ويتمثل في تشجيع الأسر لإنجاز سكن لائق في محيطهم الريفي في إطار البناء الذاتي. تتمثل مشاركة المستفيد في هذه الحالة، في توفير قطعة أرض تكون ملكه، ومشاركته في تنفيذ وإنجاز الأشغال. للاستفادة من إعانة الدولة لبناء سكن ريفي يجب توفر بعض الشروط. وتقدر تكلفته ب: 25 ألف للتوسعة والترميم ومبلغ 100 ألف دينار جزائري للبناء الجديد. الهدف منه تثبيت السكان.

#### • السكن العمومي الإيجاري (LPL)<sup>2</sup>: والمعروف سابقا بتسمية السكن الاجتماعي، وهو

سكن يتم إنجازه على أساس ميزانية خاصة وذلك من قبل مقاولين يتم تكليفهم بذلك من طرف دواوين الترقية والتسيير العقاري. وهو موجه فقط لفائدة الأشخاص أصحاب الدخل الذين يتم تصنيفهم في خانة الطبقة الاجتماعية الأكثر حرمانا أو الذين يقطنون في ظروف هشة أو غير صحية، ويشمل الأجراء بدخل لا يفوق 24000 دينار جزائري والعائلات بدون دخل. وهو مدعم بالكامل من الخزينة العمومية. وعادة ما يكون على شكل سكن جماعي أو نصف جماعي أو فردي مكون من غرفتين، ثلاث غرف، أربع غرف أو خمس غرف. الملاحظ أن إنجاز هذه الصيغة من السكن مرتبطة مباشرة الريع البترولي، فكلما زاد الدخل زاد عدد الوحدات المنجزة سنويا.

وأمام الزيادة المستمرة للنمو الديموغرافي والحاجة إلى السكن ظهر عجز الدولة واضحا في هذا الميدان وذلك من خلال التأخر في إنجاز البرامج السكنية المحددة بمدة زمنية معينة. كما ظهر سوق للسمسرة حيث يعمل بعض المستفيدين على بيع مساكنهم بأسعار مرتفعة وبتفاقم الأزمة ظهر

1- لقرار المؤرخ في 19 جوان 2013، المحدد كميّات الحصول على الإعانة المباشرة التي تمنحها الدولة لبناء سكن ريفي، المعدل والمتمم ب القرار المؤرخ في 18 جوان 2014.

2- المرسوم التنفيذي رقم 08-142 المؤرخ في 11 ماي 2008 المحدد لشروط لقواعد الحصول على السكن العمومي الإيجاري.

مفهوم جديد للسكن الاجتماعي حيث أصبحت الدولة تهتم بتوفير هذا النوع من السكن للفئات المحرومة وذوي الدخل الضعيف. الذين تتوفر فيهم شروط القانونية<sup>1</sup>.

### • السكن الاجتماعي التطوري (LSE)<sup>2</sup>:

تقوم بإنجازه الوكالة الوطنية لتطوير السكن أو مرقى عقاري أو مقاولات إنجاز، على شكل تخصيص اجتماعي حيث يتم استغلال المجال أفقياً من خلال بناء وحدات سكنية صغيرة متجانسة المظهر ويمكن للمستفيد أن يوسع مسكنه بشكل عمودي أو أفقي، وهو موجه للطبقات ذات الدخل المحدود. حيث تقوم الدولة بإعطاء إعانة مالية موجهة لتهيئة الأرضية وربطها بمختلف الشبكات في حين المستفيد بتكليف بدفع ثمن الخلية القاعدية. وتم التخلي على هذه الصيغة السكنية في سنة 1998.

### • السكن الاجتماعي التساهمي (LSP)<sup>3</sup>: هو سكن يتم إنجازه أو شراؤه اعتماداً على إعانة

للحصول على ملكية السكن، حيث تقدم الدولة جزءاً من الإعانة لذوي الدخل المتوسط، مقابل تسديد المعني للمبلغ المتبقي على مراحل، وهذا بالاتفاق مع مرقى عقاري. شريطة ألا يتعدى دخله ثمان مرات للأجر الوطني الأدنى المضمون (SMIG) في الجزائر. وهو سكن يتم إنجازه عن طريق مرقى تموله الدولة (الصندوق الوطني للسكن)، ويتكفل المستفيد بباقي المبلغ بمساهمته الشخصية بالإضافة إلى قرض بنكي. وقد تحولت الصيغة إلى ما يعرف السكن الترقوي العمومي.

### • السكن الترقوي العمومي (LPP)<sup>4</sup>:

يمثل السكن الترقوي العمومي، صيغة جديدة من السكن، تستفيد من دعم الدولة، وموجهة للمواطنين الذين تفوق مداخيلهم الشهرية هم وأزواجهم، ست (6) مرات الحد الأدنى للأجر الوطني المضمون وتقل عن (12) مرة الحد الأدنى للأجر الوطني المضمون.

### • صيغة سكن البيع بالإيجار (AADL):

هو أحد أهم الصيغ السكنية التي لاقت رواجاً كبيراً في الشارع الجزائري، وعقد عليها آمالاً كبيرة للتخفيف من أزمة السكن في الجزائر، حيث يعتمد هذا النوع من الصيغ على شراء منزل سكني بالتقسيط ومن دون فوائد، شريطة أن يكون المستفيد من ذوي الدخل المتوسط فما فوق.

1- المرسوم التنفيذي رقم 98-42 المؤرخ في 01/02/1998 وكذا الأحياء القصدية.

2- التعلية الوزارية رقم 1/ المؤرخة في 08/04/1997 والمنتشور الوزاري رقم 340/ المؤرخ في 07/10/1997.

3- المرسوم التنفيذي رقم 94-308 المؤرخ في 04 أكتوبر 1994 المحدد لقواعد تدخل الصندوق في ميدان الدعم المالي للأسر. والقرار

الوزاري المشترك المؤرخ في 15/11/2000

4- المرسوم التنفيذي رقم 14-204 المؤرخ في 15 جويلية 2014 المحدد لشروط وكيفيات اقتناء السكن الترقوي العمومي.

### • السكن الترقوي المدعم (LPA)

السكن الترقوي المدعم هو سكن جديد منجز من طرف المرقى العقاري، موجه لطالبي السكن المؤهلين للحصول على مساعدة الدولة.

### • التجزئة (Lotissements):

التجزئة هي وسيلة عمرانية رسمية تهدف إلى توفير السكن الفردي الحضري الأفقي المنظم و المنسجم مع النسيج العمراني القابل للتوسعة العمودية وفق القوانين المعمول<sup>1</sup> بها والمحددة في المخططات التوجيهية ومخططات شغل الأراضي، وهي تهدف إلى الحد من انتشار السكن الفوضوي، بموجبها يتحصل المواطن على قطعة و ارض متوفرة على جميع الشبكات، التجزئة هي من النماذج الممثلة للبناء الفردي الذاتي الذي يستطيع الفرد من خلاله تجسيد خصوصياته، ورغم صرامة القانون فإن تطبيقه الميداني يعتبر محدودا، حيث نلاحظ في اغلب التجزئات وخاصة بالمدن والبلديات الصغيرة الكم الهائل من المباني المخالفة للقانون دون أي تدخل ، كل هذه القوانين والآليات التي أوجدتها الدولة لم تنجح في تنظيم العمران بصفة منظمة وتامة، وذلك بسبب خصوصية المجتمع و العمران و خاصة و أن إعداد المخططات العمرانية يتم دون الاعتماد على الخصائص و المقومات المعمارية سواء المحلية منها أو الجهوية أو الوطنية، مما يجعل من الصعب تبنيها وتطبيقها على أرض الواقع.

ترى نافيز بوشانين أن عمليات إعادة الإسكان لها أبعاد اجتماعية مختلفة ومتعددة، وان من أهدافها استعادة وامتلاك الفضاءات العمومية والجماعية المستولى عليها من طرف سكان الأحياء الغير رسمية أو العشوائية.<sup>2</sup> فالمجمعات السكانية الكبرى وكيفيات التعايش والتناظر هي إحدى أهم اهتمامات علم الاجتماع الحضري، فمنهم من ير أن مدة الإقامة في السكن هي العامل الأهم وأكثر تأثير من نوع السكن في علاقات الجيرة وبناء الروابط الاجتماعية وتحقيق التعايش وسط

1-بدا التشريع الجزائري بخصوص التجزئات بالأمر 67-75 المؤرخ في 26 سبتمبر 1975 المتعلق برخصة البناء ورخصة التجزئة وهو أول نص تشريعي يصدر عن الدولة الجزائرية في هذا المجال، ثم تلاه القانون رقم 82-02 المؤرخ في 06 فبراير 1982 المتعلق برخصة البناء ورخصة تجزئة الأراضي، ثم جاء بعدة المرسوم التنفيذي رقم 91-176 المؤرخ في 28 مايو سنة 1991 الذي يحدد كيفية تحضير شهادة التعمير ورخصة التجزئة وشهادة التقسيم ورخصة البناء وشهادة المطابقة ورخصة الهدم وتسليم ذلك المعدل والمتمم. وجاء بعدة المرسوم التنفيذي رقم 15-19 مؤرخ في 25 يناير سنة 2015 الذي يحدد كيفية تحضير عقود التعمير وتسليمها.

2 - Françoise Navez Bouchanine, PRISE EN COMPTE DES DIMENSIONS SOCIALES, in Patrimoine et Développement Durable dans les Villes Historiques du Maghreb Contemporain Enjeux, diagnostics et recommandations, Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture, Bureau de l'UNESCO à Rabat, maroc, p46.

هذه الأحياء 1، ويرى فاروق بن عطية أن طبيعة السكن تساهم بدرجة كبيرة في التحولات الأساسية في سلوك الأفراد ومواقفهم، وأن التمايز الاجتماعي عائق لاندماج السكان في الفضاء الحضري، 2. ويرى عبد الملك صياد في حوار أجراه مع سكان محلة بباريسية من أصول جزائرية، أن التمايز الثقافي والاجتماعي للسكان هو العامل المؤثر في علاقات الجيرة وبالتالي في نوع العلاقات الاجتماعية بالحي. 3 ويرى بورديو أن المجال الاجتماعي يترجم عادة في المجال الفيزيائي 4. وهناك من يرى أنها تتأثر بالتكوين الاجتماعي للسكان، فكلما كان هناك فئات كثيرة في الحي كل ما كانت هناك تحالفات وتكوين علاقات بين الفئات الأكثر تجانس. 5

### إعادة الإسكان في الجزائر

إعادة الإسكان كظاهرة اجتماعية مرتبطة بعاملين رئيسيين مهمين هما النمو الديموغرافي والهجرة الريفية نحو المدن، بالإضافة إلى عامل ثالث غير ثابت، لا يقل أهمية والمتمثل في الكوارث سواء كانت طبيعية كالمجاعات والزلازل والبراكين والفيضانات أو من صنع الإنسان كالحروب والنزاعات الإقليمية والطائفية.

حينما نتكلم عن إعادة الإسكان يتبادر إلى الأذهان عدة مفاهيم مرتبطة بها ارتباطا تلازميا، مثل الأحياء التصديرية، السكن الغير لائق، السكن العشوائي، السكن الغير رسمي، مدن الصفيح .... الخ من المسميات التي لها تقريبا نفس المدلول.

إعادة الإسكان إذا نظرنا إليها في السياق الزمني هي نتيجة لعملية الترحيل التي هي عملية مفصلية تربط بين مرحلتين مهمتين في حياة المرحلين (ما قبل الترحيل - ما بعد الترحيل) والترحيل هي الكيفية التي بموجبها يتم نقل مجموعة من السكان من مكان إقامة اعتادوا عليه إلى مكان إقامة جديد سواء كان ذلك بطريقة إرادية أو قسرية، قد يتم ذلك في ظروف عادية كما قد يتم في ظروف طارئة واستثنائية، وقد يكون على مراحل أو دفعة واحدة وقد يستغرق وقتا طويلا أو قصيرا، وقد يكون مخطط له مسبقا كما يمكن أن يكون فجائيا، وقد يكون انتقائيا أو عشوائيا، وقد تكون في نفس المكان أو إلى مكان بعيد، وفي العادة تكون من مكان اقل ملائمة للحياة إلى مكان أكثر ملائمة

1 -Jean-Claude Chamboredon, Madeleine Lemaire, Proximité spatiale et distance sociale. Les grands ensembles et leur peuplement.p.11.

2- Farouk Benatia. Alger, agrégat ou cité, op. cit.P318.

3- عبد الملك صياد، بؤس العالم الجزء الأول رغبة الإصلاح، إشراف بيبير بورديو، ترجمة: محمد صبح، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، دمشق، سوريا، 2010، ص 51-75.

4- بيبير بورديو، بؤس العالم الجزء الأول، مرجع سابق، ص 241.

5 - Jean-Claude Chamboredon, Madeleine Lemaire, Proximité spatiale et distance sociale. Les grands ensembles et leur peuplement.p.11.

يتوفر على متطلبات الحياة الكريمة، والمرحلة التي تسبق عملية الترحيل فترة حساسة والتي ينبغي الانطلاق منها، حيث كشفت دراسة قامت بها ليسي فالاداريس (Licia Valladares) عن مدى تماسك سكان الأحياء القصدية الشعبية لمدينة ريو دي جانييرو Rio رافضين الانتقال نحو الضواحي و محاولين التفاوض مع السلطات لتحسين أوضاع حيهم و تفادي كسر البنية الاجتماعية المتشكلة في هذا الحي منذ زمن طويل.<sup>1</sup>

وكذلك دراسة دريا اوزيل (Derya Ozel) بعنوان المنظمات الغير حكومية في مواجهة السكان، إدارة عملية إعادة الإسكان وإعادة إدماج لسكان الأحياء القصدية بمدينة مومباي<sup>2</sup>، ودراسة فيرونيك دوبون (Véronique Dupont) بعنوان خلق بدو حضريين وتفقيروهم، وأثر سياسات القضاء على المخيمات العشوائية في دلهي<sup>3</sup>. ودراسة دانيال كاربون (Daniel Capron) بعنوان مدينة التخصيص الحضري لمدينة جديدة من طرف مجتمع جديد، نموذج شنديغار بشمال الهند.<sup>4</sup>

من خلال قراءتنا وتحليلنا فيما يتعلق بعمليات الترحيل وإعادة الإسكان وما ينتج عنها من حراك اجتماعي وكيف يتم نسج وإعادة بناء الرباط الاجتماعي، فمجموعات القربى والجوار تبدو في أزمة تاركة الفرد في حالة من الوحدة<sup>5</sup>، هذا الرباط الاجتماعي الذي هو من التساؤلات الكبرى لعلم الاجتماع عموماً: كيف يتماسك المجتمع؟ كيف يحدث ألا تغرق التجمعات البشرية في العنف المعمم أو لا تتفجر إلى زمر صغيرة لانهاية لها؟<sup>6</sup>، و يرى ألان توران أن تشظي الفردية وضعف الأنا،<sup>7</sup> والحفاظ عن الهوية والذاكرة الجماعية للمرحلين "فالماضي له آثار يتركها، بكون مرئية أحيانا ويمكن أن نجدها في تعابير الوجه والأشكال المكانية وحتى في طرق التفكير والشعور التي يعاد إنتاجها من بعض الأفراد بطريقة لا واعية،<sup>8</sup> والهوية كما يعرفها ماكس فيبر (Max. Weber) بأنها

1 - Licia Valladares, La favela d'un siècle à l'autre. Editions de la MSH, coll. Horizons américains, Paris, 2006, p229.

2 - Derya Ozel, Les ONG contre les habitants. La gestion du relogement et de la réinsertion des populations des bidonvilles à Mumbai, Métropole, 9/2011.

Sur le site : <https://journals.openedition.org/metropoles/4438#tocfrom1n3>

3 - Véronique Dupont, « Création de nomades urbains et appauvrissement. Impact des politiques d'éradication des camps de squatters à Delhi », Revue Tiers Monde 1/2010 (n° 201), p. 25-45.

4 - Daniel Capron, L'appropriation citadine d'une ville nouvelle par une société nouvelle, l'exemple de Chandigarh en Inde du Nord. Thèse soutenue à l'Université Paris Ouest Nanterre La Défense, 2014.

5- الآن توران، ت جورج سليمان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2011، ص125  
6- فيليب لاكان وجان فرانسوا دورتيه، ترجمة الياس حسن، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ، دار الفرقد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2010. ص14  
7- الآن توران، مرجع سابق، ص177.

8 - Maurice Halbwachs, La mémoire collective, op.cit., p37.

إحساس الجماعة بالأصل المشترك وهي التعبيرات الشائعة مثل الرموز والألحان و العادات و تميز أصحاب هوية ما عن سائر الهويات الأخرى ، وتظل هويتهم محتفظة بوجودها وحيويتها ،مثل الأساطير والقيم و التراث الثقافي.<sup>1</sup> وتتكون الهوية الوطنية من مكونات مادية منها اللغة والملابس والأزياء والتراث المعماري والمأكل والمشرب، وأخرى غير مادية كالدين والعادات والتقاليد والقيم والأخلاق،<sup>2</sup> والتقاليد هي مجموعة من الممارسات تحكمها قواعد ذات طابع طقسي أو رمزي، وتكون هذه القواعد مقبولة علنيا أو ضمنيا، وتسعى إلى غرس قيم ومعايير سلوكية معينة من خلال التكرار وهو ما يعني التواصل مع الماضي.<sup>3</sup> والصراع حول امتلاك المجال العمومي بشقيه اللامادي والذي لا يذكرنا فقط بأماكن النقاش السياسي، ومواجهات الآراء الخاصة والذي يسعى الإشهار لتحويلها عمومية ولكن كذلك سلوك ديمقراطي وشكل من أشكال الاتصال وتداول الرؤى المختلفة، في حين أن الشق المادي يعني الأماكن العمومية المعروفة بين السكان وهي الشوارع والساحات والأفنية والحدائق ومواقف السيارات والشواطئ والممرات الغابية السهبية والجبلية، باختصار، الشبكات التي تسمح بحرية الحركة لكل واحد مع احترام ثنائية العمومي والمجاني.<sup>4</sup>

### المجمعات السكنية بين التصميم العمراني والتصميم الاجتماعي.

يربط موريس هالبواك بين الشكل المادي و العلاقات الاجتماعية، ويدرس تأثير الأشكال المادية على الحياة الاجتماعية للسكان، و يعتبر كتابه المورفولوجيا الحضرية من أهم الدراسات في هذا المجال حيث يرى -هالبواك- "أن المجتمع ينحصر في العالم المادي، ويوجد فكر الجماعة في الصور التي تأتيه من هذه الظروف المكانية، وهذا هو مبدأ الانتظام والاستقرار"<sup>5</sup>، وأن للمجتمع مظهران متتاليان: السكان في الحيز المكاني على الأرض، والسكان في ميدان الحياة، ويتطرق إلى دراسات سابقة مثل دراسة موس M.Mauss حول حياة الاسكيمو وكيف يربط بين شكل المسكن وبنية السكان وكذا الزمن (سكن الشتاء وسكن الصيف)، وكيف أن الظروف المناخية تؤثر على الحياة الاجتماعية للسكان من خلال التوزيع على الأرض<sup>6</sup>. والترتيب الحضري يتعدى إطار الإنتاج إلى احتواء الأبعاد المادية (المجالية والفيزيقية) والاجتماعية(التفاعلات)والسياسية (القوانين).<sup>7</sup>

1-مجموعة من المؤلفين، جديليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، ط1، بيروت، 2014، ص216.

2-قيس العزاوي، المواطنة في مجتمع متعدد القوميات والأديان، المواطنة والتعايش، العدد 2007، 01.

3-أريك هوبز باوم وتيرينس رينجر، ت احمد لطفي، اختراع التقاليد، دار الكتب الوطنية، ص1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2013، ص07

4 - Thierry Paquot, op.cit.,p03.

5-موريس هالبواك مرجع سابق، ص 34.

6- موريس هالبواك مرجع سابق، ص 74

7 -Capron G., 2012, « Auto-ségrégation résidentielle et ordre urbain chez les classes moyenne et supérieure à Mexico : une question d'échelle ? ». L'Esace Politique, n°17



يحاول كل من موس وهالبواك أن يربطاً بين الشكل (الحيز المكاني) والعلاقات الاجتماعية -الدينية والسياسية والاقتصادية -، هالبواك يرى أن الهجرة في أوساط الشعوب الحضرية لم يكن لها تأثير ديني -حسب رأيه-فالتنقل لأجل غاية تبشيرية أو الحج كلها ذات طابع مؤقت<sup>1</sup>.

ويخلص إلى أن إنشاء أي حي سكني جديد يؤدي إلى ظهور وقائع(سياسية) اجتماعية جديدة<sup>2</sup>، حيث يبادر سكان الحي الجديد إلى تقاسم ما يرونه خيارات اقتصادية تدر عليهم بالفائدة المادية<sup>3</sup>، فالسكان المرشحين ومن خلال معاشهم اليومي يهتمون في البداية بضمان الغذاء ثم الانتقال إلى شراء سلع وسائل الراحة كالتلفاز والثلاجة ثم السيارة ثم البحث عن مسكن أكثر رفاة<sup>4</sup>، ويرى أن عامل الزمن له دور كبير في زوال الفروقات وميل السكان إلى التجانس وظهور نوع من التماسك الظاهري كما يصفه (Jules Romain)<sup>5</sup>.

وفي دراسة ميدانية لعبد الرحمان رشيق بحي «الأحباس» التاريخي في مدينة الدار البيضاء المغربية، يتساءل، هل النمط العمراني للسكن يؤثر على الرباط الاجتماعي؟ وي طرح الباحث مسألة العلاقة بين أشكال المساكن وأنماط الاجتماع السائد في المغرب منذ الحقبة الاستعمارية حين سكن المغاربة والأوروبيون المستعمرون معاً مدينة الدار البيضاء، حيث كان النمط الاجتماعي السائد بينهما هو النمط الانعزالي، بسبب الوصم المتبادل، وانعدام الاتصال بين تلك المجموعات الاجتماعية المتنافرة، وهو ما انعكس عمرانياً في إقامة فوارق وحدود مجالية -وإن كانت غير مرئية- بين الفضاء السكني الخاص بالمغاربة والمدينة السكنية التي كان يقطنها الأوروبيون، وكانت السياسة التخطيطية آنذاك تسعى إلى تأكيد هذا الطابع التمييزي، فأنحصر على تقسيم المدينة أثناء مرحلة التصميم إلى مناطق وظيفية تترجم الفوارق العرقية بالدرجة الأولى ثم الفوارق الاجتماعية.<sup>6</sup> بالقياس، يمكن النظر بعين السوسيولوجيا إلى مسألة انتشار المجمعات السكنية المغلقة «الكومباوندات» كمظهر عمراني لحالة القطيعة الاجتماعية التي تسود بين الطبقات المرفهة والطبقات الفقيرة في البلاد، إلى درجة وصف البعض لها بال «مستوطنات الجديدة»، أو «المحميات البشرية» لما تتسم به من عزلة.<sup>7</sup>

1- موريس هالبواك مرجع سابق، ص 39 .

2- نفس المرجع ص 46

3- نفس المرجع ص 58

4- نفس المرجع ص 68

5 - Jacques Coenen-Huther, « Jules Romains, « poète de la sociologie » », Revue européenne des sciences sociales, 54-2 | 2016, 251-276.

## الإسكان ومسألة الاندماج

مقاربات الاندماج والتي تعنى بقضايا دمج سكان الريف و الأحياء الهامشية ، في الحياة الحضرية ،و من الباحثين الغربيين الذين اهتموا بالموضوع نجد جون تورنر (John F. Turner) ،حيث قام بعدة دراسات ميدانية في مدن أمريكا اللاتينية بالخصوص، حول ما يسمى نمو (المستوطنات الشعبية) و هو مفهوم يدل على أنها مجالات نتيجة للتسيير الذاتي للفقراء 1 ، حيث شارك في عدة مشاريع تهدف إلى مساعدة الفقراء في إنتاج مساكنهم في إطار نظام المساعدة الذاتية ،و إدماجهم في الحياة العامة لسكان المدن، ففي دراسة قام بها في البيرو حيث نشأت الأحياء الغير رسمية في العاصمة ليما وكان ذلك في يوم عيد الفصح 1954 تم الاستيلاء على ارض تابعة للدولة في ضواحي العاصمة ليما من طرف مجموعة من العمال و تم تقسيمها بينهم بطريقة منظمة ،سمي الحي بمدينة الرب (cité de dieu) لإضفاء قدسية و هبة للمكان في وجه النظام، وتم تعيين أماكن لبناء الكنيسة و المدرسة و بعض التجهيزات الأخرى، بمباركة عدد من الجمعيات و المنظمات العمالية ، و حدث صراع بين الحكومة و السكان مما خلق نوع من الوحدة و الإخاء والتضامن بين السكان في وجه الدولة التي خضعت لمطالبهم و منحتهم الأرض بأسعار رمزية. ويعتقد الفوضوي انه نجح في تأسيس نموذج -مجموعة محلية للحكم الذاتي -متكون من تعاونيات مستقلة يتساوى فيها الجميع، لان رؤساءها لا ينتمون إلى أحزاب سياسية ولا يخضعون للقانون، وهنا يرى تورنر انه من اجل السير الحسن لهذه المساكن والأحياء، لابد من تدخل السلطات المحلية لمساعدته كمهندس معماري منسق من اجل التقليل للمشاكل المستمرة التي تنشأ في أي مجتمع، ومن اجل ضمان ديناميكية الكل كميكانزيم يخلق الاتفاق رغم الاختلافات والخلافات بين الأفراد.2

الوكلاء في إنتاج السكن، ثلاث فئات كبيرة مهمتها تتحصر بين البناء وترقية السكن وهم الخواص فيما يخص التجزئات والعمومي المكلف بإنجاز السكن الاجتماعي والشعبي وهو يشمل إنتاج السكن الغير قانوني والبناء الذاتي.3

على المستوى الوطني مقارنة-الاندماج - وفي سياقها الزمني في مرحلة ما بعد الاستقلال و خاصة في ظل تبني الدولة للنظام الاشتراكي، توصل الباحث الجزائري "فاروق بن عطية" في دراسته بعنوان "agrégat ou cité," إلى أن اندماج القرويين و الريفيين من سكان الأحياء القصديرية يمر

1 - Turner J., 1976، Housing by people، Marion Boyard, P162.

2 - Turner J, john Turner au Pérou Slum of Hope, Laboratoire urbanisme insurrectionnel, Mars 2016, Edition N°01 ?P126

3 - Schteingart M., 2001, [1ère ed. 1989]. La production de l'espace habitable: Etat, les entreprises et la société à Mexico, Centre d'études démographiques et du développement urbain, Mexique.p 415.

عبر مراحل ، و يرى أن التفاعل الاجتماعي و التنشئة الاجتماعية في المدن كانت تنظمها مؤسسات اجتماعية مثل العائلة، جماعة الخلان، شبكة القرابة، المجاورة (Voisinage) وكذا مؤسسة الحي (quartier) فداخل هذه الأخيرة كان الشباب يقضون معظم حياتهم الاجتماعية... فالحي كان يشكل الوحدة الاجتماعية الأساسية داخل النسيج العمراني للمدن الجزائرية، والذي يضيف هوية خاصة للقاطنين به. فخلال المرحلة الاستعمارية لعبت هذه الأحياء دور الملجأ الاجتماعي الطبيعي للسكان الأصليين. بعد الاستقلال استمرت هذه الأخيرة في لعب دورها الاندماجي للسكان الوافدين. إلا أنه ونظرا لحركة التمدن السريعة المتزامنة مع الهجرة الريفية خلال الستينات والسبعينات، ظهرت أحياء محيطية جديدة، وإليها جلب الوافدون الجدد أنماط عيشهم القروية، وقطنوا عادة بجوار عائلاتهم أو قرابة أناس ينحدرون من نفس مناطقهم.<sup>1</sup>

وفي إحصاء 1966 كشف لنا فاروق بن عطية، أن الأحياء الشعبية هي التي حافظت على بعض استقرار تركيبها السكانية. "وأن هناك علاقة بين الدخل واختيار مكان السكن، كما أن الاندماج في الأحياء الراقية أسرع من الأحياء الأخرى، والاستحواذ على المجال يأخذ في عين الاعتبار العلاقات الإثنية.<sup>2</sup>

كما أوضح أن "كبر المدينة أدى إلى ضعف العلاقات في الحياة الاجتماعية وزيادة في للحراك السكاني، فالقصة فرغت من سكانها القدامى واستقبلت جماعات من أصول ريفية وقروية، لا يكتون أي اهتمام أو عاطفة لأي شارع أو منزل في القصة، هذا ما أدى إلي شرح ثنائي: - من جهة السكان المستقرين، الأصليين، نسبيا مندمجين، يشكلون عادة مجتمع محلي له طموحات ورغبات مشتركة.

- من جهة ثانية، السكان الجدد، مهاجرين من مناطق غالبا ريفية، المعروف هذه التركيبة المتباينة هي مصدر للخلافات اليومية في الحي.

يرى بن عطية أن التغيرات التي شهدتها الجزائر العاصمة خلال الحرب التحريرية من تنقل آلاف الأشخاص من عصر إلى آخر (الصناعي) و من منطقة إلى أخرى حدث في زمن قصير حدده بجيل واحد، عكس ما حدث في أوربا خلال عدة قرون ، و يرى انه من الطبيعي عند نزول القرويين بهذه الكثافة و السرعة للمدينة يحدث هناك احتكاك يولد عدة مشاكل، و الحل لهذه المشاكل، حسب اعتقاده، يكمن في التأقلم مع التغيرات و استيعاب جماعة الريفيين في المدينة ، في كلمة

1 -Farouk Benatia, le travail féminin en Algérie, Alger , SNED, SD, PP41-50

2 - Farouk Benatia. Alger, agrégat ou cité, op. cit.p110

واحدة يرى أن مركز المدينة القديم يساهم بجزء كبير ،بواسطة حضوره و تاريخه و عاداته الحضرية، في عمليات تأقلم و اندماج المهاجرين<sup>1</sup>.

بالنسبة للأحياء القصدية بالعاصمة، يرى بن عطية أن الإشكالية في تزايد ظاهرة الأحياء القصدية يعود إلى عدة عوامل ويقترح ثلاث فرضيات وهي:2  
أولاً: تضاعف الأحياء القصدية مرتبط بالتصنيع السريع حول المناطق الحضرية، ونقص العمل في الريف.

ثانياً: الأحياء القصدية في وضعها الحالي تسمح بظهور أشكال مؤقتة من التعمير مما يعيد النظر في التوازن العمراني.

ثالثاً: اندماج سكان الأحياء القصدية في المدينة يمر عبر المشاركة والحياة اليومية. وفي الأخير خلص بن عطية في دراسته هاته إلى أن شروط الاندماج في المدينة تكون عبر ثلاث مستويات:

المستوى الاقتصادي المتمثل في توفير العمل.

والمستوى الثقافي والمتمثل في ترقية التعليم.

والمستوى المجالي هو تهيئة العمرانية السليمة وتوفير السكن اللائق.<sup>3</sup>

السكن والرباط الاجتماعي.

لقد كانت المنازل التقليدية في المدينة الجزائرية القديمة تتسم بالبساطة كما تمتاز بالرحابة المكانية، وهذا ما فقدته المدينة الحالية نتيجة للتوسع الرأسي في المدينة، فهذا الشكل من التوسع يمثل مظهراً سلبياً للانفتاح على العالم الخارجي، كان من الواجب أن تتم المحافظة على التصاميم التقليدية، أو تطويرها بشكل يجعلها تلبي احتياجات السكان المعاشية، وتراعي القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية، التي تمثل الجوانب الروحية في حياة المجتمع الجزائري المحلي، وهي الأسس التي كانت تدعم أواصر العلاقات الأسرية الواحدة، سواء كان العيش مشتركاً في منزل واحد كما في الأسر الممتدة، أو حتى في التطور الذي حدث في أحياء البناء الذاتي الرسمي منه والفوضوي، وهو وجود الأسرة الكبيرة في مجمع سكني واحد، فالوالدان في منزل مستقل وبجواره منازل الأبناء بعد زواجهم، فهو في حقيقة الأمر استقلال مكاني ولكنه يحقق قرباً اجتماعياً بين أفراد الأسرة الواحدة إلى حد كبير، فهو شكل مطور وجديد يجمع بين العائلة الممتدة والعائلة النووية.

1- Farouk Benatia agrégat ou cité op.cit,p172

2 - ipid, p274

3 - Farouk Benatia agrégat ou cité op.cit, p313

في علم النفس الاجتماعي، ينتج التماسك عن "الانجذاب المتبادل، أو عن التكامل بين الأفراد الذين ينتمون لنفس الجماعة، في منظومة من الأهداف، الفعل، المعايير، وأحيانا للأصل أو الإخلاص لنفس الزعيم." <sup>1</sup>ومن الخصائص السلوكية، والممارسات الحضارية التاريخية لمجتمعات المدينة المحلية القديمة هو التعاون والتكافل المتبادلان بين الأسر في محيط الجوار وعلى مستوى المجتمعات المحلية، فقد كانت مجالات هذا الاعتماد والتكافل تشمل العمل المشترك مثل: التوزيع و المعروف والوزيرة والوعدة، وكلها تعبر عن مسميات التعاون في العمل في الدول والمشاركة في الأفرح والأتراح والممارسات والمناسبات الدينية، وكان ذلك كله تعبيراً عن أنماط من التماسك والتضامن الاجتماعي على مستوى الأسرة وعلى مستوى أسر الجوار، كما كان هذا التفاعل يساهم في إيجاد حلول لبعض المشكلات الاجتماعية والمادية لكثير من الأسر المحتاجة

### الرباط الاجتماعي في المجتمع الجزائري

عرف المجتمع الجزائري عدة تحولات عميقة أثرت على البناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري وأدت إلى إنتاج عدة أشكال جديدة ومختلفة من التنظيمات.

#### 1-الرباط الاجتماعي داخل الفضاء العائلي:

أثناء الاستعمار الفرنسي وما قبله كانت العائلة الجزائرية عائلة أبوية، أي تركز السلطة في الأبوة ومن يمثلها من الذكور (الأبناء والأعمام)، حيث كان الجميع يساهم في القرار الأسري أو العائلي والتربية الأسرية.....أما في الفترة التي تلت نيل الجزائر للاستقلال فقد طرأت عدة تغيرات لشكل الأسرة الجزائرية الذي كان أبويا متعدد الأطراف في التربية والسلطة الأسرية العائلية. بينت الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية أن العائلة الأبوية تركت المكان لظهور عدة أشكال جديدة للتنظيم الأسري، ربما أهمها الأسرة الممتدة والأسرة النووية التي تعيد إنتاج كل منها إنتاج نفسها والعامل المتحكم في ذلك هو العامل المادي، حيث يمكن أن تتواجد هذه الأشكال الجديدة كوحدات سكنية كبيرة أو مجموعات استهلاكية تتكون من مجموعات من الأسر والعائلات أو أسر نووية مستقلة في مساكنها لكن تحتفظ بوحدة وقوة عائلية تتمحور أساسا على الوالدين لكن بمجرد رحيلهما تتلاشى وتزول تدريجيا.

بفضل ملاحظتنا ومعايشتنا لواقع الحياة اليومية في مجتمعنا، حاولنا بناء وتأسيس مجموعة من الفرضيات حول مصطلح الرباط الاجتماعي في الفضاء العائلي الأسري وكذلك لمعرفة وإدراك طبيعته داخل الفضاء العائلي (الخاص) خارجه.

1 - Madeleine Grawitz(1999), Lexique des Sciences Sociales, Paris, Dalloz, 7eme édition, p.69.

- ولعل أهمها تتركز على ديمومة أو زوال السلطة الأبوية وهيمنتها وتأثيرها وفعاليتها على تشكل الروابط الأسرية والعائلية.

- وكذا رغم صعوبة الحياة العصرية المادية التي أفقدت السلطة والثقافة الأبوية الكثير من تأثيرها وفعاليتها إلا أنها تتجلى في العديد من المرات حسب المصالح الفردية ومختلف الوضعيات الاجتماعية.

## 2- تحول الفضاء العائلي الجزائري من العائلية الأبوية إلى العائلة الممتدة:

رغم التغيرات والتأثيرات التي طرأت على العائلة الجزائرية منذ الاستقلال إلى يومنا هذا نجدها تقاوم وتحاول التكيف والاندماج ومقاومة الظروف المحيطة بها وذلك بسعي أفرادها للحفاظ على القيم الأساسية لتأسيس الثقافة الأبوية.

المجتمع الجزائري في فترة ما قبل الاستعمار كانت الجماعة الاجتماعية الأساسية المكونة للمجتمع والمهيكله للتنظيم الاجتماعي، هي تلك الجماعة التي يمارس فيها الثأر للدم، وقد كانت العائلة والفضاء العائلي عموما هو الوحدة الأساسية التي يمكن فيها تجاوز حالة تستدعي الثأر كانت هي الوحدة الاجتماعية عامة. حيث كانت تتكون من الأخوة، الأعمام، وأبناء العم أو الأعمام. والكل يعيش تحت سلطة الجد الأكبر وتحت سقف واحد. وانتماء نسبي واحد لنفس الأب.

يقول الباحث "لهواري عدي" بأن التنظيمات الأسرية والعائلية سمحت بتحديد مستويين للهوية: -مستوى القبيلة: التي تمثل الرابط الأعلى للجماعة على مستوى القبيلة. وهو يتجسد في الفضاء العام الممثل في المدينة أو القرية تتحدد ملامحه من خلال العدد والحجم والقوة والسلطة والنفوذ. -مستوى العائلي: أحد أهم مكونات القبيلة. وهي أشكال العلاقات التي تحدث في الفضاء الخاص نسبيا الذي يتمدد ويتقلص حسب المكانة التي يحتلها أفراد العائلة أو شيخها داخل القبيلة، ومن ثمة المدينة أو القرية.

والعائلة الممتدة تجمع في كيان واحد أكثر من أسرة أي تضم ثلاثة أجيال، لأنها تضم الأجداد وأبناءهم غير متزوجون وأبناءهم المتزوجون أو بناتهم وأحفادهم، أو أسرة مركبة من أسرتين نوويتين ويتواجد هذا النمط من الأسر في المجتمعات الريفية والمجتمعات العشائرية القبلية، يمكن اعتبارها جماعة مقيمة تحت سقف واحد، وقد تضم كذلك الأعمام والأخوال وغيرهم من الأقارب تحت سلطة رب العائلة وف ظل ما يسمى بالدار الكبيرة. ومن خصائص هذا النمط من الأسر أن أعضاءها يعتمدون على بعضهم اقتصاديا اعتمادا كاملا، ويشتركون في التنشئة الاجتماعية للأطفال.

كانت العائلة بمثابة الفضاء الحامل والحاوي للرابط الاجتماعي لذلك سرعان ما تجلت القبيلة كمجرد امتداد لها وللفضاء العائلي، وبما أن العائلية تتميز بالأبوية والفرد لن يكون له وجود باعتباره

فرد مستقل، فإن العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع القبلي (الجماعات القبلية) يمكن اختزالها أو التعبير عنها بعلاقة رجل لرجل، أي علاقة قرابة بين رجلين. ويعبر على ذلك عن طريق المصاهرة، التبادل الاقتصادي والتعاون الفلاحي وكل أشكال المعاملات والتبادلات الاجتماعية... إن الرجل هو المحور الرئيسي للرباط الاجتماعي في المجتمعات التقليدية.

كان التقسيم الاجتماعي في القبيلة ضعيف، لكنه كان متطورا في صفوف أو داخل القبيلة وبفضله كانت العائلة تعيد إنتاج نفسها بإنتاج ما تحتاج إليه عبر تقسيم المهام بين أفرادها.

كانت الأرض محور العلاقات بين أفراد العائلة ومصدر رزقهم الأساسي لكن مع دخول الاستعمار وإدخاله معه لبعض الأنظمة الإنتاجية الرأس مالية (ولو كانت محدودة)، بدأ بعض الأفراد داخل العائلة يحصل على موارد من خارج خدمة الأرض، وكانت تلك بمثابة بداية أولى لتحول شكل العلاقة السلطوية بداخلها لكن رغم ذلك ضلت الأرض الرأس مال الأساسي للعائلة.

تتجلى العائلة الجزائرية كوحدة أبوية خطية تتكون عادة من الأولاد الذكور المتزوجون يعيشون مع بعضهم البعض تحت سلطة واحدة هي سلطة الأب طبعا أثناء حياته، أو الأخ الأكبر بعد وفاة الأب، أو أحد الإخوة المعروفين بالحس العائلي والقدرة على تحمل المسؤولية.

إن رب العائلة هو الجد (الأب الأكبر) في حياته أو الابن الأكبر بعد وفاته.... وتكمن وظيفة رب العائلة في تقسيم الأعمال الفلاحية على الأبناء وتنظيم العلاقات مع العائلات الأخرى، وحل الخلافات بين أفراد العائلة والأقارب، وتمثيل العائلة أيضا في مختلف المناسبات داخل القبيلة أو خارجها.

إن مكانة العائلة بين العائلات الأخرى في القبيلة تتحدد من رأس مالها المادي والرمزي، فإذا كان الرمزي يتمثل أساسا في النسب ونقاوة الدم، لأن الرأس مال المادي يتمثل في حجم الأراضي وقطيع المواشي الذي تملكه العائلة. وتستطيع به منافسة العائلات الأخرى في المناسبات المختلفة كلما قدمت العائلة عدد أكبر من الأضاحي للقبيلة في المناسبات وكم من أراضي تبرعت بها لبناء مسجد أو مقابر للقبيلة..... وكلما تزايد الرأس مال الرمزي للعائلة كلما زادت مكانتها الاجتماعية داخل القبيلة.

مكانة الأفراد تتحدد بما تملكه العائلة من مكانة وسمعة وحظوتها التي تتحدد وترتبط كذلك بدورها بما تمتلك من أراضي ومواشي وتجارة وعلى أساس هذه المكانة تتحدد علاقة العائلة بالعائلات الأخرى، خاصة في مجال المصاهرة والأنساب. والإيديولوجية الأبوية تستمد شرعيتها وقوتها من هذه المعطيات الموضوعية ومسألة نقاوة وصفاء الدم وعراقة الأصل هي مجرد رساميل رمزية يتم إضافتها مع مرور الزمن على العائلات النافذة المالكة لتبرير سطوتها وهيمنتها ونفوذها.

## 3- إيديولوجية العائلة الأبوية:

تتكون إيديولوجية العائلة الأبوية من نسق القيم والمعايير الاجتماعية المجسدة في سلطة الرجل وأهم محدد لسلطته هي في قدرته على أن يفرض على نسائه باستعمال العنف المادي والرمزي مع تمجيد النسب والأسلاف والأجداد، فالإحساس بالفخر الاجتماعي والذي يعتبر محرك للوحدة العائلية لا يعني أو يمثل نساء العائلة فقط بل رجالها كذلك. والمرأة باعتبارها فردا تم نسبه إلى العائلة عن طريق الزواج (في حالة الزوجة) وأنه فرد قد يغادر العائلة في أي لحظة ما (في حالة البنت) مقصية تماما من هذا الرأس مال الرمزي إن المرأة في المجتمع الأبوي قد تعرض شرف وفخر العائلة في أي لحظة إلى التدنيس والتشويه، ولهذا فمن دون سلطة الرجل عليها لا يمكن أن تكون حارس للشرف.

ترى فاطمة المرنيسي الإنسان المغربي عموما يعتقد بأن شرف العائلة يكمن في عفة المرأة (زوجة، أخت، بنت) وشرف العائلة مرتبط بسلوك المرأة لدرجة أنه يجوز اجتماعيا قتلها إذا ما تصرفت بطريقة تعرض هذا الشرف إلى التدنيس والتشويه. وإن شرف الرجل مرتبط بعفة النساء اللواتي يقعن تحت سلطته، وهذا ما يفسر حاليا جانبا مهما من العلاقات الصراعية داخل الفضاء العام حينما يتم التعرض إلى نساء بحضور أحد رجال العائلة.<sup>1</sup>

إن النظام الاجتماعي في المجتمعات المغربية مهيكّل حول ثنائية المرأة (تمثل الخاص والمقدس) والرجل (العام والمتاح)، ويمكن قراءة كل الفضاء الاجتماعي الذي تحتله الأبوة عبر مجموعة المؤشرات الملاحظة حول العلاقة بين الجنسين، أي حول نزعة هذا المجتمع المغربي إلى إسناد المرأة دورا ثانويا في المجتمع، وهو فقط دور بيولوجي يضمن إعادة إنتاج العائلة وتكاثرها. هذا الدور البيولوجي للمرأة جعل من العفة والطهارة رأس مال رمزي بالنسبة للوحدة العائلية بين العائلات الأخرى.

تتباهى الوحدة العائلية في المجتمعات المغربية بإنجابها وتربيتها لنساء عفيفات، يمكن تقديمها كزوجات للعائلات الأخرى، دون أي خوف على نقاوة دمها تتحدد أهمية العائلة المغربية بمدى عفة نسائها، بمدى استعدادهن للقيام بوظيفة المحافظة على نقاوة الدم العائلة الجديدة التي يتم تزويج البنت إليها. حيث يتحدد مدى كثافة علاقات عائلة معينة مع العائلات الأخرى، بمدى قدرتها على توفير نساء عفيفات وهذه القدرة مرتبطة بدورها بمدى هيمنة الرجل على الفضاء العائلي وبسط نفوذه عليها، غالبا ما تتحدد عفة النساء بمكانة وسمعة الرجل في الفضاء العام في الفضاء العام داخل القبيلة أو العشيرة.

1- فاطمة المرنيسي، أحلام النساء الحريم، ت: ميساء سري، ورد للطباعة والنشر، دمشق، 1997، ص78.



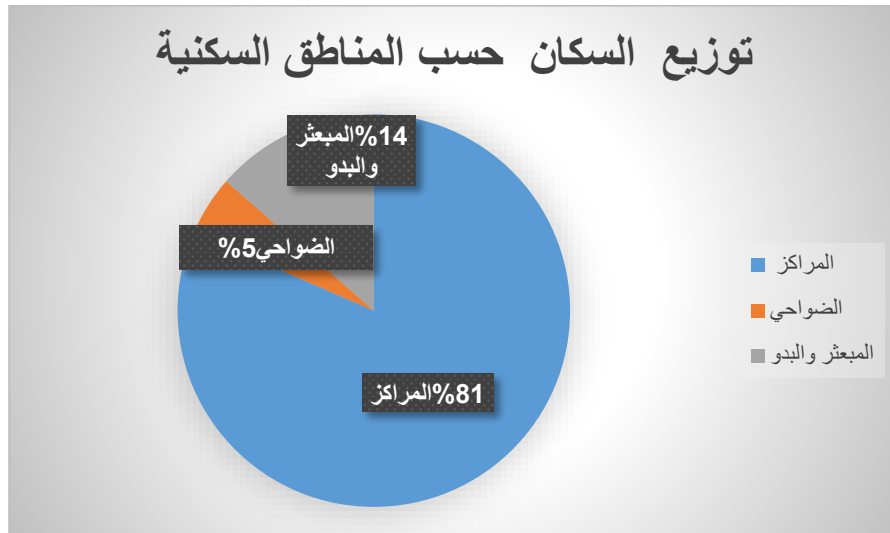
## خامسا: الإسكان في ولاية الأغواط

## السكان

حسب تقديرات الديوان الوطني للإحصاء لسنة 2008، فإن معدل النمو السكاني بولاية الأغواط هو 3.8 بالمائة بنسبة لكل البلديات، وقد وصل عدد سكان الأغواط إلى 674690 نسمة حسب مونتوغرافيا الولاية لسنة 2018، يتوزعون على مساحة إجمالية قدرها 25052 كلم<sup>2</sup> بكثافة قدرها 26.93 نسمة /كلم<sup>2</sup>، وهي نسبة تختلف من بلدية إلى أخرى، فنجدها تصل إلى 525.39 نسمة /كلم<sup>2</sup> ببلدية الأغواط وتنخفض إلى 4.36 نسمة /كلم<sup>2</sup> ببلدية الخنق. وهي نسب لا تعكس الكثافة السكانية داخل محيط التجمعات السكانية او خارجها باعتبار هذه التجمعات تتركز على رقعة عمرانية محددة داخل تراب البلدية.

يتوزع السكان على الرقعة الجغرافية لولاية الأغواط بطريقة غير عادلة ويرجع ذلك لعوامل متعلقة بالمناخ والموارد الطبيعية، وتعتبر مقرات المدن والبلدات هي الأماكن الأكثر اكتظاظا بالسكان فتأتي في المرتبة الأولى بتعداد سكاني قدره 550111 نسمة وهو يمثل نسبة 81 بالمائة من مجموع سكان الولاية، ويأتي سكان المناطق المبعثر وسكان البدو في المرتبة الثانية بنسبة 14 في المائة وبتعداد سكاني قدره 91358 نسمة، أما سكان المراكز الثانوية فهم قلة قليلة ويمثلون نسبة 5 بالمائة بتعداد قدره 33220 نسمة، ويرجع ذلك لطبيعة المنطقة الصحراوية انظر الشكل رقم(01).

الشكل رقم(01): التوزيع السكاني حسب المناطق



المصدر: مونتوغرافيا ولاية الاغواط

تقدر نسبة التحضر بولاية الأغواط بـ: 68.53 بالمائة حسب مونتوغرافيا 2018، حيث نجد أن 583331 نسمة تتركز بالتجمعات الحضرية و91358 نسمة تمثل البدو وسكان المناطق المبعثرة، ويوجد بالولاية 09 بلديات مصنفة مراكز حضرية انظر الجدول رقم(02)، وهي: الأغواط، أفلو، قصر الجيران، عين ماضي، حاسي الرمل، حاسي الدلاعة، قلعة سيدي سعد، عين سيدي علي. ونجد اعلى نسبة تحضر ببلدية عين ماضي، تليها بلدية الأغواط، ونلاحظ أن المقاييس التي اعتمدت في قياس نسبة التحضر هي مقاييس عددية بحتة.

الجدول رقم(02): جدول يبين التجمعات الحضرية بالولاية ونسبة التحضر بها.

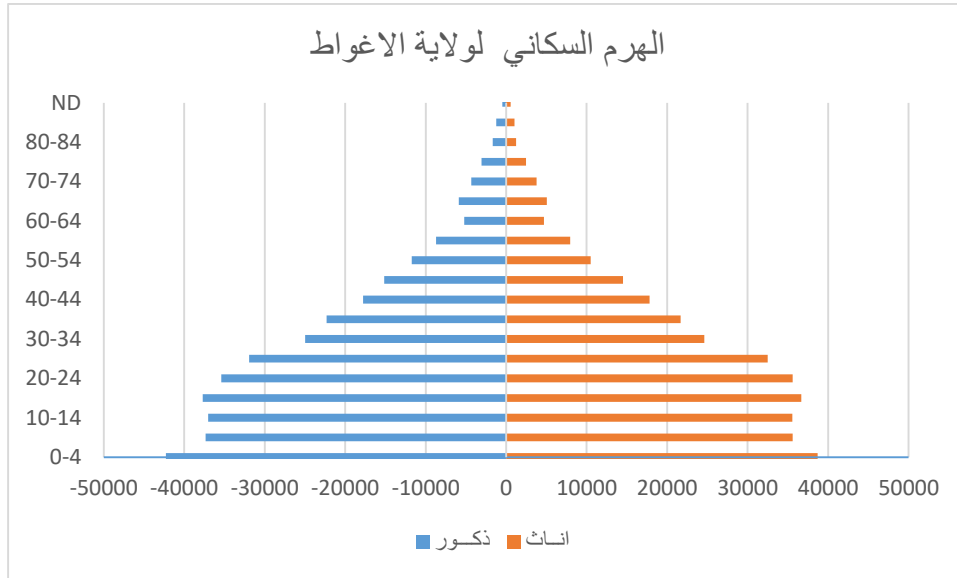
| نسبة التحضر | نسبة سكان التجمعات | مجموع السكان | السكان المبعثر + البدو | التجمعات السكانية |               |                | البلدية       |
|-------------|--------------------|--------------|------------------------|-------------------|---------------|----------------|---------------|
|             |                    |              |                        | المجموع           | تجمعات ثانوية | التجمع الرئيسي |               |
| 92,83       | 97,53              | 210 155      | 5182                   | 204 973           | 9879          | 195094         | الأغواط       |
| 90,82       | 90,82              | 34 510       | 3169                   | 31 341            | 0             | 31341          | قصر الجيران   |
| 97,49       | 97,49              | 16 296       | 409                    | 15 887            | 0             | 15887          | عين ماضي      |
| 67,92       | 73,57              | 35 333       | 9340                   | 25 993            | 1995          | 23998          | تاجموت        |
| 87,45       | 87,45              | 16 703       | 2095                   | 14 607            | 0             | 14607          | الخنق         |
| 72,32       | 95,78              | 32 441       | 1369                   | 31 071            | 7610          | 23461          | حاسي الرمل    |
| 91,73       | 91,73              | 149 129      | 12333                  | 136 796           | 0             | 16263          | حاسي الدلاعة  |
| 91,73       | 91,73              | 149 129      | 12333                  | 136 796           | 0             | 136796         | أفلو          |
| 58,58       | 68,99              | 17 974       | 5574                   | 12 400            | 1871          | 10529          | قلعة سيدي سعد |
| 70,84       | 70,84              | 15 091       | 4401                   | 10 690            | 0             | 10690          | عين سيدي علي  |

المصدر: مونتوغرافيا الولاية لسنة 2018 بتصريف

عدد السكان القاطنين في التجمعات الرئيسية هو 550111 نسمة، أي بنسبة 81% مقارنة بإجمالي عدد السكان، ومن ناحية أخرى يبلغ عدد السكان المقيمين في التجمعات الثانوية 33220 نسمة أي بمعدل 5% من إجمالي السكان، أما باقي السكان والبالغ عددهم 91358 نسمة مقيمين في المناطق المبعثرة المتفرقة ويمثلون نسبة 14% من مجموع السكان، منهم 11246 نسمة هم البدو (نتيجة 2008 RGPH).

عرف النمو السكاني لولاية الأغواط استقرارا نسبيا في الزيادات ويبدو ذلك واضحا من خلال الشكل رقم(02): الممثل الهرم السكاني لشكان ولاية الأغواط لسنة 2018، فنلاحظ ان الفئات العمرية إلى غاية سن 24 سنة هي في حالة استقرار او تراجع في بعض الحالات، ويعود ذلك لعدة أسباب متعددة أهمها الأسباب الاقتصادية وثقافية.

الشكل رقم(02): الهرم السكاني لشكان ولاية الأغواط لسنة 2018



المصدر: مديرية التخطيط لولاية الاغواط.

الحضيرة السكنية لولاية الأغواط حتى نهاية 2018 تقدر ب: 130890 سكن من كل الصيغ، مع معدل شغل السكن (TOL) للولاية يساوي 5.59 فرد/سكن، ويختلف هذا المعدل من بلدية إلى أخرى، وهي حضيرة سكنية تعتبر متنوعة الصيغ أكثر من ثلثها من السكن الذاتي واحولي الثلث من السكن الاجتماعي الإيجاري يتركز معظمه في المراكز الحضرية ويقدر ب 24856 سكن اجتماعي إيجاري، بالإضافة إلى 31056 إعانة الدولة الموجه لبناء السكن الريفي. انظر الجدول رقم(03). هذه السكنات موزعة على التجمعات الريفية والمناطق المبعثرة خلال الفترة الممتدة بين 2005 و2018.

الجدول رقم(03): البرامج السكنية المنجزة بمدينة الأغواط 2000-2018.

| النسبة % | المسجل | صيغة السكن                                     |
|----------|--------|--|
| 28,63    | 20042  | السكن العمومي الإيجاري (LPL)                   |
| 5,52     | 3865   | السكن الترقوي المدعم الصيغة القديمة (LPA/LSP)  |
| 3,93     | 2750   | السكن الترقوي المدعم الصيغة الجديدة (LPA)      |
| 0,54     | 378    | سكنات الترقية العقارية ذات الطابع التجاري      |
| 2,86     | 2000   | سكن صيغة البيع بالإيجار (AADL)                 |
| 0,53     | 369    | السكن الترقوي العمومي (LPP)                    |
| 44,36    | 31056  | السكن الريفي (HR)                              |
| 12,96    | 9072   | إعانة البناء في إطار التجزئة الاجتماعية (ACLS) |
| 0,67     | 470    | السكن الوظيفي                                  |
| 100      | 70 002 | المجموع الكلي                                  |

المصدر: مديرية السكن لولاية الأغواط.

## الإسكان وجودة الحياة

النمو الاقتصادي والتطور الحاصل على مستوى القطاعات المتعلقة بالإسكان كان لها آثار إيجابية على طبيعة البناء والمواد المستعملة والمرافقة للسكن، فالملاحظ أن في الآونة الأخير معظم المساكن التي تتوفر عليها الولاية مربوطة بشبكة الغاز بنسبة 97 بالمائة وهي تقدر بحوالي 10410 مسكن، و92 بالمائة مربوطة بشبكة الغاز، 98 موصولة بشبكة الصرف الصحي، و94 بالمائة مربوطة بشبكة مياه الشرب. هذا يما يدل على أن هذه السكنات تحتوي على مرافق مثل الحمام والمطبخ وتتوفر على التدفئة.

نلاحظ أن الارتفاقات الضرورية التابعة للسكن مثل التزويد بالماء والكهرباء والربط بشبكة الصرف الصحي متوفرة وحتى في المناطق المبعثرة والمراكز الثانوية، بالإضافة إلى توفر شبكة الاتصالات والأنترنيت، كلها جعلت من السكن في المدينة لا يختلف كثيرا في المراكز الثانوية أو حتى المبعثر وخاصة إذا كانت قريبة من المراكز الحضرية.

## خاتمة الفصل

يعد المسكن اهم مكونات المدينة على الإطلاق وهو من الحاجات الأساسية للفرد، ولا يمكن الاستغناء عنه في الحياة العادية للأفراد، ويعتبر توفره بشكل مناسب أهم مؤشرات المستوى المعيشي للفرد، والتكوين المورفولوجي للمجتمع. وقد تؤثر هندسة بناء المساكن وأنواع مواد البناء وشكل وطبيعة الفضاءات المكونة له مثلا: اتساع الحجرات أو ضيقها وحالة التهوية وغير ذلك، تأثيرا كبيرا في نوع العلاقات الاجتماعية، بين أفراد الأسرة، وكذلك تلك التي يمكن أن تقوم بين سكان الحي الواحد. مسألة مكان لإقامة والعلاقة التي تربط الفرد به، كانت ولا تزال من أولى اهتمامات علم الاجتماع لأنها تختزل العلاقات الاجتماعية والرمزية لعدد من المجتمعات.1 فالأفراد يختارون مساكنهم بناء على معطيات اقتصادية واجتماعية وثقافية وحتى بيئية وهو بدوره يؤثر في شخصية الفرد وعلاقاته بالمجتمع.

إذا كان المسكن هو الملجأ أو السقف الذي يقي الفرد من العوامل الطبيعية، فهو كذلك الفضاء الخاص الذي يؤسس لبناء الهوية الشخصية للفرد والعائلة ويساعد على تنظيم العلاقات الاجتماعية.2 سواء كان ذلك في الفضاء الخاص أو الفضاء العام بطريقة غير مباشرة، فالراحة

1 -Pierre Lamaison, « La notion de maison : entretien avec Claude Lévi-Strauss », Terrain, 9 | octobre 1987 p. 34-39.

2 - Changer de ville, changer de vie Utopies, aspirations et engagements habitants à Villeneuve d'Ascq Michel Rautenberg Dans Ethnologie française 2017/1 (N° 165), pages 121,

النفسية والجسدية التي يوفرها المسكن تغني الفرد عن البحث عن أماكن أخرى للراحة وخاصة تلك الموجودة في الفضاء العام كالمقاهي والساحات وقاعات اللعب والترفيه.

في معظم قصور ومدن المناطق الصحراوية وحى المناطق الجبلية الداخلية ومنطقة القبائل نجد المنزل أو ما يسمى بـ"أغام" ذو مواصفات هندسية خاصة، مغلق تماما من الخارج، مفتوح عن السماء، يمثل الإطار المثالي للحياة التقليدية في المنطقة المتميز بخصوصية الحياة الأسرية للأسرة الممتدة المبنية على رابطة الدم،<sup>1</sup> ويتوافق مع النظام الأبوي للأسرة ومكانة الحرمة بالنسبة للرجل والمجتمع معا، لارتباطه بالعقلية المحلية من جهة والثقافة العربية الإسلامية من جهة أخرى، وباعتبار أن " كل شعب قد أنتج هندسته المعمارية يخرج من خلالها خطوطه الخاصة به كما يفعل مع لغته أو لباسه أو فولكلوره. 2

- 
- 1 - Pierre Bourdieu, « La maison kabyle ou le monde renversé », in J. Pouillon et P. Maranda (éds), Échanges et communications. Mélanges offerts à Claude Lévi-Strauss à l'occasion de son 60e anniversaire, Paris-La Haye, Mouton, 1970, p.739-758
- 2 - Hassan Fathi, « Construire avec le peuple histoire d'un village d'Égypte · Gournā » 4e, Sindbad, Paris 1985.p 60.

# الباب الثاني: الجانب الميداني

# الفصل السادس:

دراسة جغرافيا وتاريخية لمدينة الأغواط

المعطيات الجغرافية والتاريخية

## الباب الثاني: الجانب الميداني

## الفصل السادس: دراسة جغرافية وتاريخية لمدينة الأغواط

## تمهيد

إن مجال البحث الميداني هو أحد الأحياء الجديدة، وهو جزء من مدينة الأغواط، وحتى نتبين أكثر خصوصيات هذا المجال على المستويين الديموغرافي والعمراني، بدأ لنا من الضروري إعطاء صورة عن تطور الظاهرة الحضرية بهذه المدينة تاريخياً ومجالياً، وتعتبر مدينة الأغواط من المدن الجزائرية التي عرفت تحولات العميقة مست نسيجها العمراني كما أصابت بناءها الاجتماعي، وأصبحت كباقي المدن الجزائرية الأخرى تعاني من ظاهرة التضخم الحضري والمشاكل المترتبة عنه، وما ينجم عن ذلك من مشاكل اقتصادية واجتماعية وثقافية وعمرانية، أثرت على الروابط الاجتماعية والبناء الاجتماعي والعلاقات بين الجماعات والأفراد داخل فضاءات المدينة ومجالاتها المتعددة.

نحاول في هذا الفصل إعطاء بعض المعلومات الجغرافية والتاريخية وبعض المعطيات الاجتماعية والسكانية عن المنطقة والمدينة على الخصوص. الهدف من هذه المعطيات هو تكوين نظرة شاملة عن مدينة الأغواط التي تستمد أهميتها من موقعها الجغرافي والتاريخي، باعتبارها بوابة للصحراء وعاصمة السهوب وعروس الأطلس الصحراوي، كلها أسماء ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالموقع، فالمعطيات الجغرافية لها دور مؤثر في حياة الناس الاجتماعية والثقافية، فالمعطيات المناخية يتحدد بها الملبس والمأكل والمسكن، وأنواع الزراعات وأصنافها، وأشكال الحدائق وبعض العادات والتقاليد هي الأخرى تتأثر بالأحوال المناخية، والتضاريس تحدد اتجاهات نمو المدينة وتطورها وطبيعة عمرانها. تاريخياً المدينة قديماً كانت محطة للقوافل المتنقلة بين الصحراء والتل، وبين الشرق والغرب حيث كانت محطة لقوافل الحجيج، ولقد اعتبرها الفرنسيون عندما احتلوا مدخل لاحتلال الصحراء الجزائرية.

وفي الوقت الراهن تتوفر المدينة على شبكة من الطرقات الهامة، حيث يمر عبرها طريق الوحدة الأفريقية (الطريق الوطني رقم 1) الذي يربط الجزائر العاصمة بتمنراست، والطريق الوطني رقم 23 الذي يربط عاصمة الولاية بالجهة الغربية من الوطن، والطريق الوطني رقم 18. والطريق الولائي رقم 31 الرابط بين مدينة الأغواط وبلديات بن ناصر بن شهرة وقصر الجيران وحاسي الدلاعة، والطريق الولائي رقم 120 الذي يربط مدينة الأغواط ببلدية العسافية ومدينة مسعد من ولاية



الجلفة والولايات الشرقية، والطريق الولائي رقم 230 الذي يربط عاصمة الولاية ببلديات تاجرونة والحويطة وعين ماضي وبريزينة من ولاية البيض.

### دراسة جغرافية

ولاية الأغواط هي إحدى الولايات الجزائرية الثماني والخمسين تحمل الرقم (03) ضمن التقسيم الإداري للبلاد، يحدها من الجنوب ولاية غرداية، ومن الشمال والشرق ولاية الجلفة، ومن الجنوب الغربي ولاية البيض، ومن الجهة الشمالية الغربية ولاية تيارت. تتوسط

الخريطة رقم(01): موقع ولاية الأغواط



المصدر: <https://i.servimg.com/u/f40/16/20/01/85/uuuuuu12.jpg>

منطقة الأطلس الصحراوي وبالتالي منطقة السهوب. تشتهر بالنخيل وتعرف بتربية المواشي بحكم طابعها الرعوي والسهبي، تنقسم إلى منطقتين، منطقة شمالية هي منطقة الأطلس الصحراوي، وأخرى جنوبية هي المنطقة السهبية. وهي تعتبر من الولايات ذات طبيعة فلاحية رعوية، بالإضافة إلى جود حقل الغاز بحاسي الرمل والمنطقة الصناعية بالأغواط ما اكسب المدينة طابعا صناعيا. تتوسط هذه الولاية القطر الجزائري.<sup>1</sup>

1 - <https://www.wikiwand.com/ar/ولاية-الاغواط>

تقع ولاية الأغواط ما بين التل والصحراء عند سفوح سلسلة الأطلس الصحراوي بشقيها جبال عمور غرب الولاية وجبال أولاد نايل شرقها ولهذا يمكن تقسيم الولاية إلى ثلاث مناطق رئيسية، أولا: منطقة الأطلس الصحراوي وتقع في الشمال الغربي من الولاية وبالتحديد شمال جبل عمور، تتميز بعلو ما بين 1000 و 1700 م عن سطح البحر. يمكننا تمييزها إلى منطقتين فرعيتين: منطقة الهضاب العليا في الشمال ومنطقة جبلية جنوبها. تضم كل من دائرة قلته سيدي سعد، دائرة أفلو، دائرة بريدة، دائرة الغيشة ودائرة وادي مرة. أهم ما تتميز به هذه المنطقة كونها منبع لأهم أودية الجزائر وهما وادي الشلف من خلال رافده واد الطويل ووادي جدي من خلال رافده وادي امزي. كما يميزها وجود غابات السد الأخضر. ثانيا: المنطقة السهبية: تقع في الوسط تتميز بعلو ما بين 700 و 1000 م تعرف بكونها مناطق رعوية إذ أنها تحتوي على العديد من النباتات السهبية والأعشاب فهذه المنطقة تضم معظم الغطاء النباتي للولاية عدا غابات السد الأخضر في المنطقة الجبلية. تضم كل من دائرة سيدي مخلوف، دائرة الأغواط، الجزء الشمالي من دائرة عين ماضي. وثالثا: المنطقة الصحراوية وهي الجزء الجنوبي من الولاية أو ما يعرف بالهضبة الصحراوية وتضم كل من دائرة حاسي الرمل، جنوب دائرة قصر الحيران وجنوب دائرة عين ماضي. تتميز بقلة غطائها النباتي إذ ينحصر في نبات الحرمل والكداد عدا بعض الضايات هنا وهناك التي تتميز بتنوع نباتاتها كالسدره والبطم -الفسق الأطلسي- والأعشاب المتنوعة والزهور في فصل الربيع.<sup>1</sup>

أصبحت الأغواط ولاية بموجب التقسيم الإداري لسنة 1974<sup>2</sup>، ثم تغيرت حدودها بموجب تقسيم سنة 1984، مساحة الولاية الحالية هو 25052 كلم<sup>2</sup>، بتعداد سكاني إلى غاية 2018/12/31 يقدر بـ: 674690 نسمة أي بكثافة قدرها 27 نسمة/كلم<sup>2</sup>، يحدها من الشمال ولاية تيارت ومن الشرق ولاية الجلفة ومن الغرب ولاية البيض ومن الجنوب ولاية غرداية.

طبيعيًا تنقسم إلى منطقتين هما: منطقة الأطلس الصحراوي الذي يتميز بالعلو عن سطح البحر يتراوح 1000م إلى 1700م) مع انحدار يتراوح بين 12.5 إلى 25 بالمائة هذه المنطقة تقع شمال الولاية وتشمل بلدية افلو وبريدة، وتشكل مساحة غابية تقدر بـ: 47095 هكتار وغطاء من الحلفاء يقدر بـ: 315125 هكتار ومساحات للرعي تقدر بـ: 1531766 هكتار. من خلال موقعها الجغرافي هذا هي واحدة من تسع ولايات سهبية هذا ما يجعلها ولاية رعوية بامتياز.

1 نفس المرجع - 1

2- المادة 7 من الأمر رقم 69/74 المؤرخ في 12 جمادي الثانية عام 1394 الموافق 2 يوليو سنة 1974 يتعلق بالإصلاح التنظيمي للولايات، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 55، مؤرخة في 09 يوليو 1974.

منطقة الهضاب العليا الصحراوية وتتميز بارتفاع عن سطح البحر من 700م ويصل الى 1000م وبانحدار ضعيف من 0 الى 3 بالمائة. وهي المنطقة الرعوية الواسعة التي تقع في الجهة الجنوبية من الولاية وتتربع على مساحة تقدر ب 1900.000 هكتار وهي منطقة شبه صحراوية و صحراوية تعرضت للجفاف واليد الانسان، تتخللها بعض الضايات والمناطق الخضراء.

المناخ ينقسم الى قسمين الأول يخص المنطقة الشمالية وهو مناخ قاري يتميز بتساقط للامطار متوسط بين 300 الى 400م، مع تساقط للثلوج بالمناطق الجبلية في الشتاء. ثانيا المنطقة الجنوبية المناخ صحراوي جاف مع تساقط بين 150م في الوسط و50م في الجنوب، الشتاء بارد والظيف حار وجاف.

طابع الولاية: تعتبر الأغواط ولاية رعوية وصناعية في نفس الوقت بفضل وجود حقل غاز حاسي الرمل والمنطقة الصناعية بالأغواط بالإضافة إلى وجود مواد خام مثل الجبس والطين والرمل وهي مواد مهمة في صناعة مواد البناء.

التقسيم المجالي تتمثل المرحلة الأولى من الدراسة (PAW-Laghouat 2013) في تشخيص إقليم الولاية من أجل تصحيح وتعديل أنماط الإدارة والتوقعات المستقبلية.

تقترح هذه الدراسة تقسيم مجال الولاية إلى 04 مناطق تخطيطية وهي كالتالي: المنطقة الأولى وتشمل: حاسي الرمل، حاسي الدلاعة، الأغواط، بن ناصر بن شهرة، قصر الحيران، تاجرونة، الحويطة، الخنق، عين ماضي، وادي مزي، تاجموت، العسافية، سيدي مخلوف.

المنطقة الثانية وتشمل: عين سيدي علي، قلعة سيدي سعد، البيضاء.

المنطقة الثالثة وتشمل: بريدة، الحاج مشري.

المنطقة الرابعة وتشمل: واد مرة، الغيشة، تاويالة، سباق، أفلو، سيدي بوزيد.

في إطار المخطط الجهوي لتهيئة الإقليم تعتبر الولاية جزء من الهضاب العليا الوسطى المتكونة من ثلاث ولايات وهي ولاية الجلفة وولاية المسيلة وولاية الأغواط. وهي منبع لبعض الأودية المهمة التي تمر عبر ولايات الجلفة وتيارت والمدية.

تقع مدينة الأغواط حسب معطيات جوجل إيرث (Google Earth Pro) بين خطي عرض  $33^{\circ} 44'$  و  $33^{\circ} 50'$  شرقا وعلى خطي طول  $02^{\circ} 49'$  و  $02^{\circ} 54'$  شمالا، ترتفع عن سطح البحر بحوالي 764 م، تقع على الطريق الوطني رقم 01، تبعد عن الجزائر العاصمة جنوبا بحوالي

413 كلم، تقع شمال الصحراء، وجنوب الشمال الجزائري. مساحة البلدية الإجمالية تقدر بحوالي 400 كلم مربع المعمرة منها تقدر بحوالي 29 كلم مربع، عدد سكانها يقدر بـ 195094 ساكن حسب تقديرات سنة 2018.<sup>1</sup> وهي عاصمة الولاية التي تضم الولاية 10 دوائر و24 بلدية.

نسبة التحضر بالولاية إلى غاية نهاية ديسمبر 2017 تقدر بـ: 68.35%، حيث تعتبر 9 بلديات حضرية (الأغواط، أفلو، حاسي الرمل، قصر الحيران، تاجموت، الخنق، عين ماض، عين سيدي علي، قلعة سيدي سعد)، الاعتماد في هذا التصنيف جاء على أساس عدد سكان البلديات المعنية، أما نسبة التحضر ببلدية الأغواط فهو 92.83%. هذا ما يجعل المدينة هي نقطة تكز للسكان ويجعل منها مدينة جاذبة للسكان من المناطق المجاورة لها، فالتجمعات السكانية القريبة من المدينة هي بمثابة الظهير الذي تعتمد عليه في التزويد بالوسائل البشرية والمادية وخاصة الفلاحية والرعية.

تقع مدينة الأغواط على الضفة الغربية لوادي "مزي" الذي يأخذ مجراه من جبال العمور غربًا ويتوجه نحو الشرق حيث يحمل اسمًا آخر هو واد "جدي"، وتقوم فوق تلين متفرعين من جبل تيزي غرارين ويقسمانها قسمين: الجهة الشمالية وتشمل المدينة العتيقة وأحياء المعمورة والواحات الشمالية وحي الوئام، الجهة الجنوبية وتشمل الشطيط وقصر الفروج وقصر البرائم وكلها أحياء قديمة نسبيا بالإضافة إلى بعض التوسعات الداخلية لهذ الأحياء.

### دراسة تاريخية

#### نشأة المدينة (الأغواط من قصر إلى مدينة)

لقد شكلت المدينة القديمة على العموم منذ نشأتها نسقا اجتماعيا لم تكن الحضارة الإنسانية قد عرفتة من قبل<sup>2</sup>، وهناك من يرى أن ظهورها كان نتيجة لامتداد التعاون والتفاهم من داخل القرية الواحدة إلى القرى القريبة منها والمجاورة لها، فتنشأ طرق القوافل للتبادل التجاري، وإذا تقاطعت الطرق صارت نقطة هامة تجذب إليها الناس، بعضهم جاء للتبادل التجاري، وبعضهم للشراء، وبعضهم الآخر يتخذها مقره الدائم، ويعتمد في معيشتة على خدمة المسافرين أو على حرف يدوية وإنتاج سلعة، فتتكون عند مقاطع الطرق مراكز للتبادل التجاري وإذا كبرت و اشتهرت جذبت إليها أعدادا أكبر من الناس فتنمو إلى بلد ثم إلى مدينة وفي هذه البلدان تتكوّن العلاقات وتتشابك، وتوضع

1 - Direction de la Programmation et Suivi Budgétaire, Monographie de la Wilaya de Laghouat Edition 2018.P.10.

2- السيد الحسيني، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، ط2، دار المعارف القاهرة، 1981، ص18.

أصول المعاملة، ويتكوّن المجتمع وتحاط المدن بالأسوار من أجل الدفاع عنها، وكلما كبرت وازداد النشاط والرخاء جذبت إليها أعدادا أكبر من الناس ففتضخم وتكتظ، وتتلاصق المباني على طول الطرقات، وهي التي كانت في الأصل طرق القوافل.<sup>1</sup>

شكل المدينة عبارة عن شكل لنظامها الاجتماعي<sup>2</sup>، وهي في حقيقة الأمر ليست ذات طابع وظيفي وجمالي وحسب، بل هي إطار مبني كذلك ومكان للممارسات الجماعية المشتركة التي تعنى بالحياة العامة والمواجهات التي تعترضها، وهي بذلك لها دلالات ذات شكل ومعنى<sup>3</sup>. وهي صفحة ليست بيضاء تماما، بداخلها أجسام تحكي تاريخ هذه المدينة<sup>4</sup>.

من الصعب إعطاء تاريخ محدد للبدايات الأولى لنشأة مدينة الأغواط، نظرا لنقص المعطيات التاريخية، عدا ما ذكره منجين (E.Mangin)<sup>5</sup> وابن الدين الأغواط<sup>6</sup> بأن الأغواط عمّرت من طرف الرومان. كما أن هناك آثار تدل على ذلك فيقول (E.Mangin): (السيد النقيب راقو Ragot أشار إلى وجود سد روماني بواد جدي شرق الأغواط، ذكر ذلك في سنة 1857، والدكتور مايفر Maillefer وجد قطعة نقدية رومانية من البرنز بمدينة الأغواط).<sup>7</sup> وهي محاولات من المستعمر لربط المنطقة تاريخيا بالمد الاستيطاني الروماني. وحينما يتحدث أي مونجين عن اعتناق سكان منطقة الأغواط للإسلام يستطرد قائلا: (بعدما فتح العرب مصر، تقدموا جهة الغرب بقيادة عقبة ابن نافع، خليفة الأمير الأموي "حوالي 653 ميلادي، فاستحوذ على مناطق الجيتول قبل غزوه للساحل، في هذه الفترة كانت منطقة الأغواط تسكنها قبائل مغراوة البربرية التي تشكل أكبر فرع من فروع زناتة، وهي جنس قديم جدا يعود إلى البدايات الأولى لظهور البربر، ومغراوة هي الفرقة الأقوى والأكثر شجاعة. المغراويون يعيشون تحت الخيام، ويتنقلون بين المغرب الأوسط في الجنوب والشلف في الشمال، حيث لم يعتنق السكان صراحة المسيحية، ولما وصل الفاتحين تركوهم في مواقعهم، فاعتنقوا الإسلام وحسن إسلامهم، حيث أن الديانة الإسلامية جاءت متلازمة مع طبيعتهم المتوحشة، وكان تقبلها من الأفراد للتشابه في العادات.<sup>8</sup> ومن هنا نؤكد على أن البناء الاجتماعي للقبائل العربية

1- عرفان سامي، نظريات العمارة، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1998، ص 28.

2- لويس ممفورد، المدينة على مر العصور أصلها وتطورها ومستقبلها، ت: إبراهيم نصحي، ج1، مرجع سابق ص س.

3 - Nassima Dris .op.cit. P.8.

4 - MONGIN, Olivier. (2005) + La condition urbaine la ville à l'heure de la mondialisation. Éditions du Seuil, Paris, p.53.

5 - Mangin E، notes sur l'histoire de Laghouat، revue africaine، vol37، annee1893، p368.

6- مجموع رحلات أبو القاسم سعدالله، رحلة الاغواطى الحاج ابن الدين، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2011، ص87.

7 - Fromentin Eugene, op.cit.p368.

8 - Fromentin Eugene, op.cit. p369-370.

النازحة، جاء متناسب مع البناء القبلي الذي وجدت عليه القبائل البربرية لمغراوة فحدث هناك تزواج بين الثقافتان العربية والبربرية.

ففي الحقبة الرومانية كانت منطقة الأغواط جزء من "الجيتول"، وتقع في الجهة الجنوبية من المملكة النوميديّة، وكانت محطة استراحة للبدو أثناء تنقلهم بين التل والصحراء، وأول سكن بالمنطقة يعود للقرن الحادي عشر حيث كان هناك قصر يسمى قصر بن بوطّة أقامه مهاجرين من منطقة الزيبان وقورارة<sup>1</sup>. وأول من ذكر الأغواط من المؤرخين المسلمين أبي عبد الله بن محمد بن علي بن حماد، في القرن العاشر الميلادي، في حديثه عن سيرة المنصور أبو العباس بن أبي القاسم احد اهم حكام الدولة العبيدية فيقول انه لما (دخل إسماعيل المسيلة.....، جاءه رسول الخير محمد بن خزر الزناتي في نحو مائة فارس يقال انه أقام عودته بمدينة الأغواط وغيرها من عمله.)<sup>2</sup>، يتضح من ذلك أن مدينة الأغواط كانت موجودة قبل وجود الدولة العبيدية أي قبل القرن العاشر الميلادي باعتبار أن الوقعة المذكورة كانت في سنة 335 هجري الموافق لـ 957م.

ويذكرها بعد ذلك بحولي قرنين ونصف عبد الرحمان ابن خلدون في ديوانه فيقول: (وأما لقواط وهم فخذ من مغراوة أيضا فهم في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد، ولهم هناك قصر مشهور بهم، فيه فريق من أعقابهم على سغب من العيش لتوغله في القفر، وهم مشهورون بالنجدة والامتناع من العرب، وبينهم وبين الدوسن اقصى عمل الزاب مرحلتان، وتختلف قصودهم إليهم لتحصيل المرافق منهم.)<sup>3</sup> ومن هنا جاء اسم المدينة نسبة إلى قبيلة لقواط وهو الأرجح، وهذا يعززه أبو القاسم الزباني في كتاب الترجمانة الكبرى،<sup>4</sup> عكس ما يذهب إليه جون ميليا (Jean Méliá) عن التسمية المشتقة من الغوط وجمعه أغواط ومعناه في العربية مجموعة من السكنات المحاطة بالنخيل<sup>5</sup>.

1 - HIRTZ G. "L'Algérie nomade et ksourienne" Ed P.TACUSSEL 1989 .

2- ابي عبد الله محمد بن علي بن حماد، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، دار الصحوة للنشر، القاهرة، مصر، بدون سنة نشر، ص 70

3- عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق ابوصهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان الأردن. بدون سنة نشر، ص 1828.

\* رحلة الاغواطى عبارة عن كتيب من حوالي 30 صفحة، كتبه احد سكان مدينة الأغواط بطلب من وليام شيلر (William Shaler) الذي كان قنصل الولايات المتحدة الأمريكية بالجزائر بين سنوات 1825-1910، يصف فيه عادات ولغة وأحوال الناس عن المدن التي زارها او يعرفها.

4- أبو القاسم الزباني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، 1991، ص 17.

5- انظر:

Jean Méliá, Laghouat ou les maisons entourées de jardins, ed :librairie plon, Paris, 1923.p.11

أما الرحالة فكان حديثهم عن الأغواط لا يتعد الوصف السطحي المقتضب، أما ناصر الدرعي يذكرها في رحلته فيقول: (ونزلنا بعد العصر للمبيت بعد أن ملنا عن الأغواط ذات اليمين لما حل بينهم من الفتن فسفكت الدماء ونهبت الأموال لنائرة بينهم والعياذ بالله، فأدخل بعضهم على بعض عرب أولاد يعقوب فقتلوهم ونهبوا أموالهم وأخرجوهم من ديارهم فإننا لله وأنا إليه راجعون)<sup>1</sup>، وكان ذلك في نهاية القرن السابع عشر. ويذكرها العياشي في رحلته (1661-1663)، دون وصف دقيق لعدم تمكنه من دخولها بسبب الوباء فيقول (وفي الغد لم نرتحل إلى قرب الظهر ونزلنا إلى قرب العوينة التي دون الأغواط، وفي الغد مررنا بالعوينة ضحي ونزلنا الأغواط قبل الظهر يوم الأحد السادس عشر من رمضان، وكان في الركب أعراب سعادة من دمد يتكفون الناس، فقالوا لأهل البلدان في الركب وباء، فلم يتركوا احد يدخل اليهم، ووجدنا الغلاء كثير عندهم مقدار مدين فاسيين بريال قمحا، فلم يخرج احد منهم إلى الركب، وكانوا يدلون الزرع من فوق السور ويأخذون الريال ويغسلونه ولا يتناولونه إلا بعد الغسل.)<sup>2</sup>، ولا يذكرها الحظيكي إلا عابرا وكان ذلك سنة 1776 م<sup>3</sup>، من خلال ما سبق يبدو أن المدينة كانت محاطة بسور في منعة عن سكان الأرياف والفقير. وان للا امن كان سائدا في تلك الأوقات، بالإضافة إلى النزاعات الداخلية بين سكان المدينة أنفسهم.

ويعتبر الأرباع اهم سكان الأرياف والفقير ويذكر العياشي أن الأرباع وهم ممن سكنوا نواحي الأغواط فيقول (فدخلنا واركلا-يقصد مدينة ورقلة-قبل غروب الشمس، ونزلنا باب المدينة المسمى باب السلطان، وكان من لطف الله بالحجاج أن صادف دخولهم دخول قافلة من أعراب الأرباع قدمت بسمن كثير وغنم وابل وزرع، فاشتري الناس ما احتاجوا ليه بأرخص ثمن)<sup>4</sup>. وكان ذلك سنة 1661 ميلادي.

لم تكن المعلومات الواردة في كتاب رحلة محمد الكبير لابن هطال الغرض منها وصف مدينة الأغواط آنذاك ومدى مناعتها في وجه الغزاة، بل كان الهدف هو إبراز قوة جيش محمد الكبير، وقدرته في التغلب على اشد الأماكن تحصينا بأسوارها ورجالها ومثال ذلك قصر الأغواط. وفي هذا الصدد يقول ابن هطال (واشتغلوا بعمارة الأسوار، ... ورتبوا أعيان البلاد، أهل النجدة والبأس في

1- أبو العباس بن ناصر احمد بن محمد بن ناصر الدرعي، تحقيق عبد الحفيظ ملوكي، الرحلة الناصرية، ط1، دار السويدي للنشر، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011. ص 718.  
 2- عبد الله بن محمد العياشي، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، الرحلة العياشية، المجلد الثاني، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص 546.  
 3- ابي عبد الله محمد ابن احمد الحضيكي السوسي، الرحلة الحجازية، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، 2011، ص 85..  
 4- العياشي، المجلد الأول، ص 114.

الأماكن التي يخاف منها، وجعلوا الرماة في الأبراج العالية المشرفة على جميع البقاع. وغلقت أبواب المدينة بالبنيان) ويستطرد قائلاً (والمواضع الرميمة جددوها، والجديدة حصنوها وشيدوها، مع أن هذه المدينة عظيمة في نفسها، محمية بأسوارها ورجالها. ولذلك لم يطمع أحد ممن كان قبله فيها...)<sup>1</sup> ومرة أخرى يؤكد على كثرة الأسوار المحيطة بالقصر حيث يقول (وقبضوا على جماعة فأتوا بهم أسري، وحال بينهم وبين البغاة كثرة الحيطان، فكانوا مهما نقضوا حائطا وطلبوهم خلفه، إلا وجدوهم تأخروا من ذلك الموضع وتحصنوا من وراء حائط بعده).<sup>2</sup> وعلى ما يبدو من خلال ما نقله ابن هطال، أن قصر الأغواط كان يتمتع بأسوار متعددة تحيط بالبساتين وتعمل كحماية للقصر، مما يصعب السيطرة عليه، قبل الوصول إلى السور الرئيسي الذي يحيط بالمدينة والذي يحتوي على أبراج عالية للمراقبة والدفاع عن المدينة.

وإذا ما أخذنا بنظرية كارل وايتفوجل (Karel Wittfogel)<sup>3</sup> وأفكار جوليان ستوارد (Julian Steward) فإن سبب ظهور مدينة الأغواط وباقي مدن الصحراء هو الماء، حيث أنشأت كمحطات للقوافل التجارية فالبيئة الطبيعية المواتية كان لها دور كبير في نشأة المدينة الصحراوية، فالأغواط تقع على ضفة أحد كبريات الأودية التي تتوغل بالصحراء وهو وادي مزي الذي تغذية ينابيع جبل العمور والذي كان دائم الجريان هذا من جهة. ومن جهة أخرى الموقع المنيع، حيث شيدت هذه المدينة على حافتي جبل " تيزي قرارين " حيث تصطف الدور كالمدرجات على منحدرين من هذا الجبل مكونة واحة شمالية غربية وأخرى جنوبية شرقية. وعلى ثلاث مرتفعات صخرية، الأولى المطلة على وادي مزي وتحوي ضريح الولي الصالح سيدي عبد القادر والثانية بالوسط وتحوي البرج الغربي، أما الثالثة فغرباً وتحوي ضريح سيدي الحاج عيسى، وبالامتداد غرباً نجد صخرة الكلاب، وبالمقابل نجد بالشمال الغربي سلسلة الكاف الأحمر وكاف مقران. ومن خلال تتبع آثار السور المتبقية قد تكون مساحة المدينة المسورة حوالي 20 هكتار.

1- ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير، ص55، 54.

2- ابن هطال التلمساني، نفس المرجع، ص59.

3 للتفصيل انظر:

- Karl August Wittfogel, Oriental Despotism: A Comparative Study of Total Power, (New Haven and London: Yale University Press, 1967).

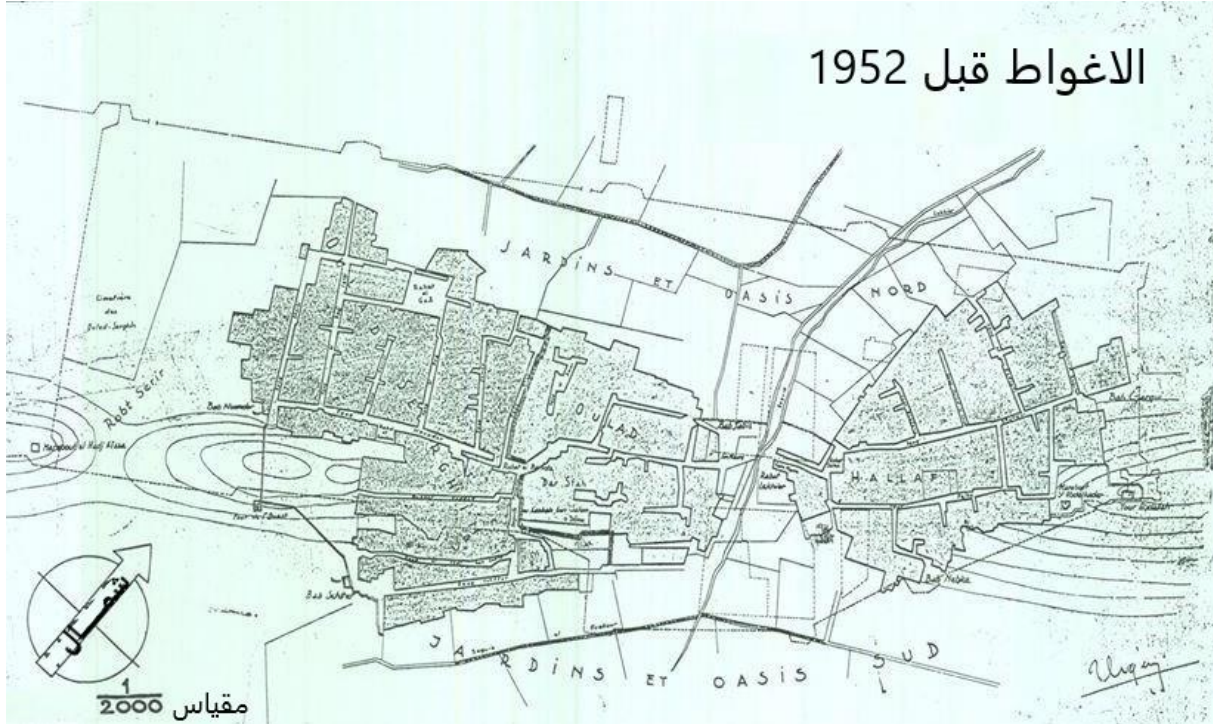
- Steward, Julian H. Theory of Culture Change. University of Illinois Press, 1990



في كتابه رحلة الأغواط للحاج ابن الدين الأغواطى وهو عبارة عن تقرير بطلب من القنصل الأمريكي وليام شيلر (William Shaler) بالجزائر في السنوات الأولى قبيل الاحتلال الفرنسي والمرجح أنها تكون بين السنوات 1810 و1825، يصف الأغواط قائلاً: إن الأغواط بلدة كبيرة، وهي محاطة بسور وحولها تحصينات. ولها أربعة أبواب وأربعة مساجد ولغة سكانها هي العربية، وهم يرتدون الملابس الصوفية، ولا تخرج فيها النساء المحترمات من بيوتهن ابداً، ولكن غيرهن يظهرن في الشوارع، وليس في هذه البلدة حمامات، وهي تنتج الفواكه بكثرة، ومن بينها التمر، والعنب، والتين، والسفرجل، والرمان، والإجاص. ويقسم واد امزي الأغواط إلى شطرين، وهو يجرى وسطها، وهذا الوادي مشهور في الناحية، أما السكان فهم فريقان: فريق يسمى الأحلاف، وفريق يسمى أولاد سرقين، وهم غالباً في حالة حرب بينهم، وسبب الخصوم على العموم هو رفض فريق منهم طاعة شيخ البلدة، وتوجد شرقي الأغواط آثار بلدة قديمة كان أمراءها مسيحيين، والى هذه الأيام يرى المشاهد كثيراً من النقوش في هذه الآثار).<sup>1</sup>، قام المستعمر بالعمل على ترسيخ مبدأ الجزائر فرنسية والسعي الحثيث على استحداث كيان عمراني فرنسي جديد على أرضها ولتحقيق هذا الحلم شرعوا في عمل ممنهج يستهدف طرد السكان المحليين ويكسر عملية استيطان أوروبي بديل عنهم، وقام بإجراء تعديلات جذرية على حي الغربية (حي أولاد سرعين قبل الاحتلال) مست مورفولوجيا النسيج العمراني والاجتماعي. مما سبق يتضح رغم التعديلات التي قام بها المعمر على النسيج العمراني وخاصة إعادة رسم الشوارع في حي الغربية انظر (الخريطة 02)، فإن المدينة في الجهة الشرقية فيما يعرف بزقاق الحجاج لا يزال تاريخها القديم نابضاً بالحياة في طوبوغرافيته الحديثة، أما من الناحية الاجتماعية فإن المدينة عرفت تغيرات هامة على مستوى البناء الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وإعادة رسم الحدود بينما هو عام وما هو خاص، فظهرت البناءات ذات الطابع الغربي وأنشأ الفرنسيون الحديقة العامة والكوليج و عبدو الطرقات والشوارع وجلبوا المياه عن طريق القنوات.

1- مجموع رحلات أبو القاسم سعدالله، رحلة الاغواطى الحاج ابن الدين، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2011، ص87.

الخريطة رقم (02): مخطط مدينة الأغواط قبل الدخول الفرنسي.



المصدر: أرشيف مديرية التعمير والبناء لولاية الأغواط.

### بداية التكوين القصور:

القصور ظاهرة عمرانية تميز التجمعات الصحراوية بالمغرب العربي دون غيرها، وهو هناك من يسميه بالقصبة، القصر عبارة مسكن كبير يضم عدة عائلات تشترك في النسب وتجمعهم قرابة الدم، والأغواط قبل أن تكون مدينة كانت مجموعة من القصور المتفرقة، أشهرها قصر بن بوطه وقصر بومندالة، وقصر نجال وقصر أولاد ميمون وقصبة بن فتوح وقصبة بدلة (الشكل 02). كانت هذه القصور تشكل تجمعات لعائلات من أصول مختلفة. 1 هذا التمايز كان له انعكاسات سلبية على الحياة الاجتماعية للسكان، فكثر الخلافات والنزاعات حول المكانة والسلطة وتقاسم المجال، بقيت هذه القصور مستقلة عن بعضها البعض مجاليا واجتماعيا وسياسيا منغلقة كل واحدة منها عن الأخرى، والفضاء الوحيد المشترك بينهم هو واحات النخيل وتقاسم مياه الوادي، هذا الأخير الذي يعتبر حلقة الصراع الوحيدة بينهم.

1- حملاوي علي، نماذج من قصور منطقة الأغواط دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص 88-90.

## الأغواط قبل الاستعمار

مثلها مثل باقي مدن الصحراء فقد كانت -الأغواط- قبل مجيء الاستعمار تعيش ضمن مخطط قائم على الثلاثية؛ التجارة والزراعة وتربية الماشية<sup>1</sup>. فالأغواط كمجال هي القصور وما حولها من صحراء، وكفضاء اجتماعي هي المكونات القبلية لهذا المجال، لقد كانت هذه القبائل تتوزع بين نمطين من أنماط حياة الإنسان الصحراوي؛ سكان الواحات والقصور الذين يعتمدون على الفلاحة، والبدو الرحل الذين يعتمدون على التنقل وتربية الحيوانات (الأغنام، الإبل)<sup>2</sup>.

## القصر أو المدينة التقليدية القديمة

من خلال هذه الدراسة التاريخية حول نشأة الأغواط والمراحل التي مرّت بها المدينة، بدءاً بظهور القصور المتفرقة المتصارعة والتمايز اثنيا واجتماعيا، ثم تجمع السكان حول قصر وبناء السور بعد قدوم بني هلال وكثرة الصراعات حول احتلال المدينة والسيطرة عليها، كان من المؤشرات على بداية العلاقات الاجتماعية والتوصل بين السكان هو الشعور بالخطر المشترك فأدى ذلك إلى ظهور مدينة من خلال تجمع السكان في قصر واحد (قصر بن بودة).

رغم الشعور بالخطر الخارجي المشترك، غير أن الصراعات الداخلية بين السكان من أجل السيطرة على الفضاءات المختلفة للمدينة استمرت، واختصرت في فئتين اثنتين هما الأحلاف من جهة وبني سرغين من جهة أخرى، ويتجلى ذلك في الصراع على تملك واحات النخيل، والاستيلاء على فضاء السوق، فكان في الغالب هناك سوق لكل فئة يتواصلون في فضاءه فيما بينهم ومع سكان القرى والأرياف المجاورة، أما غابات النخيل فكانت مسرحاً للصراعات والعراك الدائم حول مصادر المياه والسقي، وتصدير المنتجات للمناطق المجاورة وبناء العلاقات التجارية والتحالفات.

لم ينجح الفضاء الديني بتمظهراته المادية والمتمثلة في المسجد في لم شمل الإخوة الفرقاء إلا بعد قدوم شخصية روحية من خارج القصر (سيدي الحاج عيسى)، كان لها السبق في توحيد سكان القصر لمدة زمنية ثم ما لبثت أن زالت هذه الوحدة مع وفاة هذه الشخصية، ثم عرقت المدينة فيما بعد عدة مرجعيات دينية متعددة تمثلت في الطرق الصوفية، فعرفت المدينة اتباع للطريقة القادرية والطريقة الشاذلية والطريقة الرحمانية والطريقة التيجانية، ساهمت في توحيد السكان تارة وفي تقسيمهم تارة أخرى، لكنها عززت الرباط الديني على حساب الرباط القبلي وأضعفت العصبية القبلية داخل المدينة مما قلل من حدة الصراع داخل أسوار القصر.

1 - Nadir Marouf, Terroirs et villages algériens, OPU, Alger, 1981, P.80.

2 - Fromentin Eugene, op.cit., P. 25.

كان لدخول الفرنسيين واحتلالهم للمدينة أثراً عنيفة أثرت على شكل الفضاء العمومي القديم، فهدمت السور وفتحت المدينة أمام أهل الريف والبدو، وأعدت تشكيل النسيج العمراني، وأدخلت عليه تعديلات عميقة مست فضاءات الحركة والتنقل، فخطت الشوارع المستقيمة والعريضة، وإنشأت فضاءات دخيلة عن السكان المحليين كالكنيسة والحديقة العمومية ثم فيما بعد المدرسة العلمانية. كل هذه التدخلات كان أثرها لها على شكل الرباط الاجتماعي واعدة تكوينه من جديد، فظهرت روابط جديدة، وفئات اجتماعية متميزة جديدة تمثلت في الأهالي من جهة والمعمرين من جهة أخرى، أدى قدوم هذا الوافد الجديد الغير مرغوب فيه محليا إلى تلاشي الصراعات الداخلية بين السكان الأصليين، وتعويضها بصراع عقائدي مسيطر بين المحلي المسلم والمعمر الكافر.

القصور هي عادة مكون أصيل في المدينة واعدة لا يخضع للذاكرة الرسمية وهيمنة الدولة في تسميتها فهو فضاء عام أقدم من ظهور الدولة القطرية الحديثة، ويمثل الذاكرة التاريخية للمدينة، فالفضاءات الشعبية ليست فقط مجالات جغرافياً تعيش فيها الطبقات الفقيرة والمهمشة وتنتشر فيه الآفات الاجتماعية وتتراكم فيه الإعاقات الاجتماعية، وليس فقط ذلك العالم الموازي للحياة الحضرية العادية، بل، إنه، كما يقول لابوريني «مكان للكلمات، فالناس يعيشون وهم يتكلمون ويتكلمون وهم»<sup>1</sup>. فرحة الزيتون وجنان البايك والغربية وزقاق الحجاج والمقطع الظهراوي والقبلي كلها أسماء ولدت مع المدينة القديمة ولا زالت تعيش معها مادامت هذه الأخيرة تنبض بالحياة، فلا الاستعمار ومحاولاته المتعددة لطمس هوية المدينة، ولا أنظمة حكم الدولة المستقلة ولا عوامل الزمن والمؤثرات الخارجية الأخرى ولا العولمة ولا... استطاعت أن تغير هذه التسميات التي تحولت مع مرور الوقت إلى موروث ثقافي مرتبط بالمدينة القديمة وأصبحت جزء من تاريخها.

ومعظم سكان الأحياء العتيقة من الطبقة الوسطى، وتشمل الطبقة الفقيرة والمتوسطة من السكان الأصليين والسكان الوافدين الجدد عن المدينة، هذه الطبقة التي يقول عنها بيير بورديو بأنها «الجزء المتحرك من الطبقات الاجتماعية»<sup>2</sup>، فهي طبقة بينية يمكن الانتقال منها إلى الأعلى وكذلك إلى الأسفل، وهي كذلك الطبقة الأساس في البناء الاجتماعي نظراً لأهمية تمثيلها في المجتمع، فهي المغذي الأصيل للأحياء الجديدة فمن خلالها يحافظ المجتمع الأغواطي على مقوماته ومكوناته الثقافية، فبهذه الطبقة يحافظ المجتمع ويتوارث بعض العادات، فهي المرجع والسلاح الذي

1 -Didier Lapeyronnie, Ghetto urbain: Ségrégation, violence, pauvreté en France aujourd'hui, avec Laurent Courtois, (Paris: R. Laffont, 2008), p. 58.

2 -Pierre Bourdieu (éd.), La misère du monde (Paris : Le Seuil, 1993).p.154

يستعمله الفرد ضد الآخر القادم من الأرياف ومن خارج المدينة، في حين يرى الآخر أن وصم المدينة العتيقة وما يرتبط بها من سمات الإنسان المديني الجشع والمادي والفاقد للشهامة وصفات الكرم والتعاون والبطولة النابعة من أهل الريف والبادية، هذا الصراع الذي أصبحت الأحياء الجديدة مسرحاً له، وأصبحت فضاءاتها العمومية هي البوتقة التي تتفاعل بداخلها مكونات المجتمع المستحدث وهي الشاهد الحي على نمو وتطور العلاقات الاجتماعية التي هي في الأساس نتاج لصراع متجذر منذ القديم بين المدينة والريف.

**دحول الفرنسيين ونشأة الساحات العمومية.**

تعتبر معركة الأغواط (3 و4 ديسمبر 1852) أو بما يسمى بعام الخلية أو عام الشكاير بمثابة الزلزال العنيف الذي مس النسيج الاجتماعي للمدينة قبل الأنسجة الأخرى، وهو نقطة محورية نتج عنها تحولات عميقة طالت التركيبة الاجتماعية والاقتصادية وكذلك الديمغرافية لسكان المدينة، فالحصار الذي دام أكثر من ستة أشهر للمدينة انتهى بمحرقة راح ضحيتها حوالي (2300 من الرجال والنساء والأطفال)1، من الناحية الاجتماعية أحدثت المعركة اختلالات كبيرة في البنية الاجتماعية فالمكانة والدور لم تعد كما كانت قبل الدخول الفرنسي للمدينة، ومن الناحية الاقتصادية تغيرت الأنشطة التجارية وهجرت الطبقة البرجوازية الصغيرة هي الأخرى المدينة فاسحة المجال أمام المستعمرين من امتلاك الفضاء الاقتصادي، ومن الناحية الديمغرافية، بالإضافة لسكان المحليين، نلاحظ دخول عنصر جديد في البناء الاجتماعي وهو عنصر الأوروبي والمتمثل في الكولون (colons) أي المستعمرين، هذا العنصر الدخيل الغير مقبول اجتماعية والمفروض من طرف السلطات الاستعمارية، استطاع أن يلج الفضاء الاقتصادي والسياسي عنوة، غير انه رغم ذلك لم يتمكن من ولوج الفضاء الاجتماعي إلا نادراً من خلال الواجهة الدينية باستعمال المسجد تارة والكنسية تارة أخرى.

فالأغواط قبل التغييرات التي أحدثتها الفرنسيون، يقول فرومونتان (E.Fromentin) الذي زارها في شهر جوان سنة 1953 حيث كتب يقول: (ككل مدن الجنوب، بنيت الأغواط على مخطط بسيط مفاده خفض حجم الفضاء لحساب الظل، مشكلة ممرات وأزقة وأروقة وفنادق محاطة بأقواس. وسط هذه الشبكة من الممرات الضيقة، ين تم بعناية مضاعفة الانحناءات والزوايا لكسر الخطوط، لترك فرصة قليلة لضوء الشمس، حيث يوجد شارعين فقط للحركة المرورية، الأول، المهم الوحيد

1 - Théodore.Pein, Lettres familières sur l'Algérie : un petit royaume arabe, Ed :T.Martin, Paris, 1871, p.371.

يبدأ من الباب الشرقي إلى غاية الباب الغربي، يقطع المدينة عرضاً، من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، وفي منتصفه بالتقريب حيث يفصل الجزء العلوي للمدينة عن الجزء السفلي ويربط الحيين، وهو متسع ومستوي وزلق. هذا الشارع يعتبر تقريبا الشارع التجاري الوحيد المتواجد به متاجر، هذه الحوانيت هي مقاهي، ومتاجر خردوات ومحلات صغيرة للقماش والخياطة أصحابها مزاييين، كما يتواجد يهود ضعاف ينفخون الفحم بواسطة منفاخ يشد باليد، يشكلون أشياء صغيرة من المعدن تبدو كأنها لعب من الرصاص، وذلك بواسطة ضربات المطرقة على سندان موضوع على الأرض.<sup>1</sup> لقد كان تخطيط المدينة يراعي المتطلبات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وكذلك البيئية للسكان المقيمين بالمدينة والزائرين لها من المناطق المجاورة بغرض الزيارات والمبادلات التجارية والتسوق وطلب العلم... الخ. ففي إطار نسبة المقاييس نجد أن علاقة الشارع بالإنسان علاقة إنسانية منطقية تشعره بكيانه، فهو يسيطر عليها سيطرة كاملة<sup>2</sup>. خلاف ما نجده مثلا في شوارع المدينة المعاصرة، حيث يسيطر الشارع على الإنسان وحركته.

وتصف، جون بوميرول (Jean Pommerol)، البدو في ساحة سوق بالأغواط وكان ذلك في نوفمبر سنة 1898 قائلة (بدو السوق - رجال يلبسون الأبيض، في كل الأحوال، يسيرون، مشغولون، يصرخون، يجرون، يتخاصمون. البعض منهم يجلس أمام معروضاته من السلع، يتتاجون ويضحكون، نوم دون اكرتات هنا أو هناك تحت الشمس أو في الظل، ثرثرة، صراخ، هرج كبير)<sup>3</sup>، فالسوق هو فضاء للتواصل ونسج العلاقات بين أهل المدينة وسكان الأرياف المجاورة، وأولئك القادمين من البوادي.

حيث كانت المدينة موجودة قبل الدخول الفرنسي (المدينة في ذلك العهد كانت مكسوة بالمنازل، الجهة الجنوبية أكثر انحدار، وفي بعض الأحيان تكون شديدة الانحدار، وكانت المساكن متباعدة. القمّتين الموجودتين على الأطراف متوجّتين بقلعتين، على الرّبوة الوسطي بينهما يرتفع بناء رحب شيدّ بالحجارة، أبيض، بدون نوافذ خارجية يسمى دار الصفاح بسبب الكم الهائل من الحجارة المستعملة في الأساسات، هذا القصر القلعة هو قصبة بن سالم، يقع بمكان يهيمن على المدينة. هذه القلعة تحوي أربع منازل كبيرة مستطيلة الشكل من طابقين، بدون نوافذ خارجية، ويربط فيما بينها جدار سميك. تطل خاصة على الجهة الجنوبية الغربية من الواحة. هناك جدار يفصل حيي

1 Vol39 p30-31

2- محمد عبد الستار عثمان، مرجع سابق، ص173.

3 - JEAN POMMEROL, une femme chez les sahariennes entre Laghouat et In-salah, E Flammarion éditeur, Paris, 1900,p

المدينة. لكل حي منهما سوقه الخاص به، ووجود رحبة واسعة أمام أبواب مداخل للمدينة، بالنسبة لأولاد سرعين تسمى هذه الرحبة بسوق القاعة، وتسمى سوق الخير بالنسبة للأحلاف.<sup>1</sup> الأغواط بها ثلاثة آلاف وخمسمائة ساكن وحوالي خمسمائة مسكن. كل المساكن مبنية من الطين ولها فناء داخلي ومدخل منخفض، يتم الولوج إلى المسكن عن طريق سقيفة مظلمة ومتعرجة، بعض مداخل هذه السكنات إطارها مطلي بالجير الأبيض، والأخرى تعلوها رسم يد مفتوحة باللون الأزرق، المقصود بها طرد الأرواح الشريرة، كل البناءات، على العموم، تحتفظ بلونها الأسمر، الملقى على المدينة وكأنه رداء حزين.<sup>2</sup> وعلى عكس ما تعودنا عليه من آثار للمسكن المتوسط أو مسكن الأغنياء كما هو في المدن العربية القديمة قبل بداية العصر الحديث. 3 نجد أن الاستعمار الفرنسي قام بطمس معالم كل هذه البناءات وتعويضها بمساكن ذات طابع معماري أوروبي، ليمحو بذلك كل الأشكال المكانية التي تركز عليها الذاكرة الجماعية وما تحمله العادات المحلية من مقاومة للقوى التي تحاول تغييرها.<sup>4</sup> ما عدى الجهة الشرقية من المدينة التي كان بها التدخل الاستعماري اقل حدة.

لقد أحدث المستعمر تغييرات على النسيج العمراني للمدينة القديمة، ليتماشى مع متطلباته، فشق الشوارع المستقيمة بدل الشوارع الملتوية والضيقة، سهلا بذلك المرور للسيارة والعربات المجرورة، وأحدث فضاء جديد وسط المدينة محاذيا للرحبة القديمة ومنافسا لها، هذا الفضاء الغريب عن المدينة المحلية يتمثل في حديقة عمومية، ليستغل من طرف مكون جديد من مكونات المدينة وهو السكان (الكولون) القادمين مع المستعمر دون غيرهم من السكان.

فالرموز الموجودة بالعمارة المحلية هي كليات تحمل معان كثيرة تربطها عبر التاريخ والحقب الماضية في حضارة سكان المنطقة ووعيهم وبوجودهم.<sup>5</sup> فالرمز هو حامل لجينات الشكل والتكوين، وإطار لمشروعية التشكيل من الناحية الحضارية، وهو مرتبط بتراث الجماعة ومناخ المعاني فيها سواء في عقائدها أو في أساطيرها أو قيمها، وهو يقترب من حس الجماعة المقدس<sup>6</sup>، فاليد بخمسة أصابع ترمز إلى الخمس آيات في سورة الفلق، بعد بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ

1 - Revue africaine vol38 annee1894, note sur l'histoire de Laghouat, p91-92

2 - ibid., p92

3- أندريه ريمون، مرجع سابق، ص205.

4 - Maurice Halbwachs, La mémoire collective op.cit., p.271.

5- أندريه ريمون، مرجع سابق، ص205.

6- عبد الوهاب المسيري وآخرون، إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد (الجزء 1)، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن-فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1996، ص469-470.

(1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5). فهي تعويذة من شر كل ما خلق الله، ومن شر مظلم إذا دخل وهجم علينا بظلامه ومعناه الليل وما يحمل من شرور، ومن شر السواحر، ومن شر الحسد والعين<sup>1</sup>.

إن "لغة الخطاب في العمارة" في العمارة القديمة يخضع لمبدأ "لا ضرر ولا ضرار"، أما حالياً وخاصة في عمارة ما بعد الاستقلال، فهي مسيطر عليها من طرف الدولة واختصار العملية الحيوية للبناء إلى عملية قسرية للتصميم دون استشارة وإشراك السكان في أحداث البناء بدأ من عمليات التصميم واختيار الموقع والتوجيه والحيرة وحجر الأساس وتوزيع العناصر وزخرفة المبنى.<sup>2</sup>

### المورفولوجيا الاجتماعية والسكانية للمدينة القديمة

الراجح أن قصر الأغواط سمي نسبة إلى قبيلة لقواط كما ذكر ابن خلدون<sup>3</sup>، وبني لقواط هم فرع من قبيلة مغراوة التي هي بطن من بطون زناتة، وقبيلة زناتة قبيلة أمازيغية اصلها من القبيلة الأم "لواتا"، ثم تعاقب على القصر عدة قبائل، ففي القرن الحادي عشر للميلاد شهد الأغواط نزوح مجموعات سكانية مثل البدارة ولغواط كسال<sup>4</sup>، تم دخلت الأغواط بعد ذلك قبيلة أولاد سالم الفارة من الصراعات القبلية التي كانت سائدة بالجنوب الغربي الجزائري<sup>5</sup>، كما عرف القصر نزوح عناصر أخرى قدمت من الزاب -منطقة بسكرة- كقبيلة أولا بوراس وأولاد يزيد وأولاد سقال<sup>6</sup>، فاندمج هؤلاء مع من سبقهم من القبائل وشيدوا خمسة قصور هي: قصر بن بوطة بالمدينة العتيقة حالياً، قصر بدلة وقصر أولاد ميمون وقصر لنجال بالوحدات الشمالية حالياً، وقصر بومندالة بالوحدات الجنوبية، وقصبة بن فتوح بالجهة الشرقية من واد مزي ببرج السنوسي حالياً (انظر الخريطة رقم: 03)

1- الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل أي القرآن، المجلد السابع، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1994، ص 584-586.

2- عبد الوهاب المسيري وآخرون، إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد (الجزء 1)، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن-فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1996، ص484.

3- عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مرجع سابق، ص 1828.

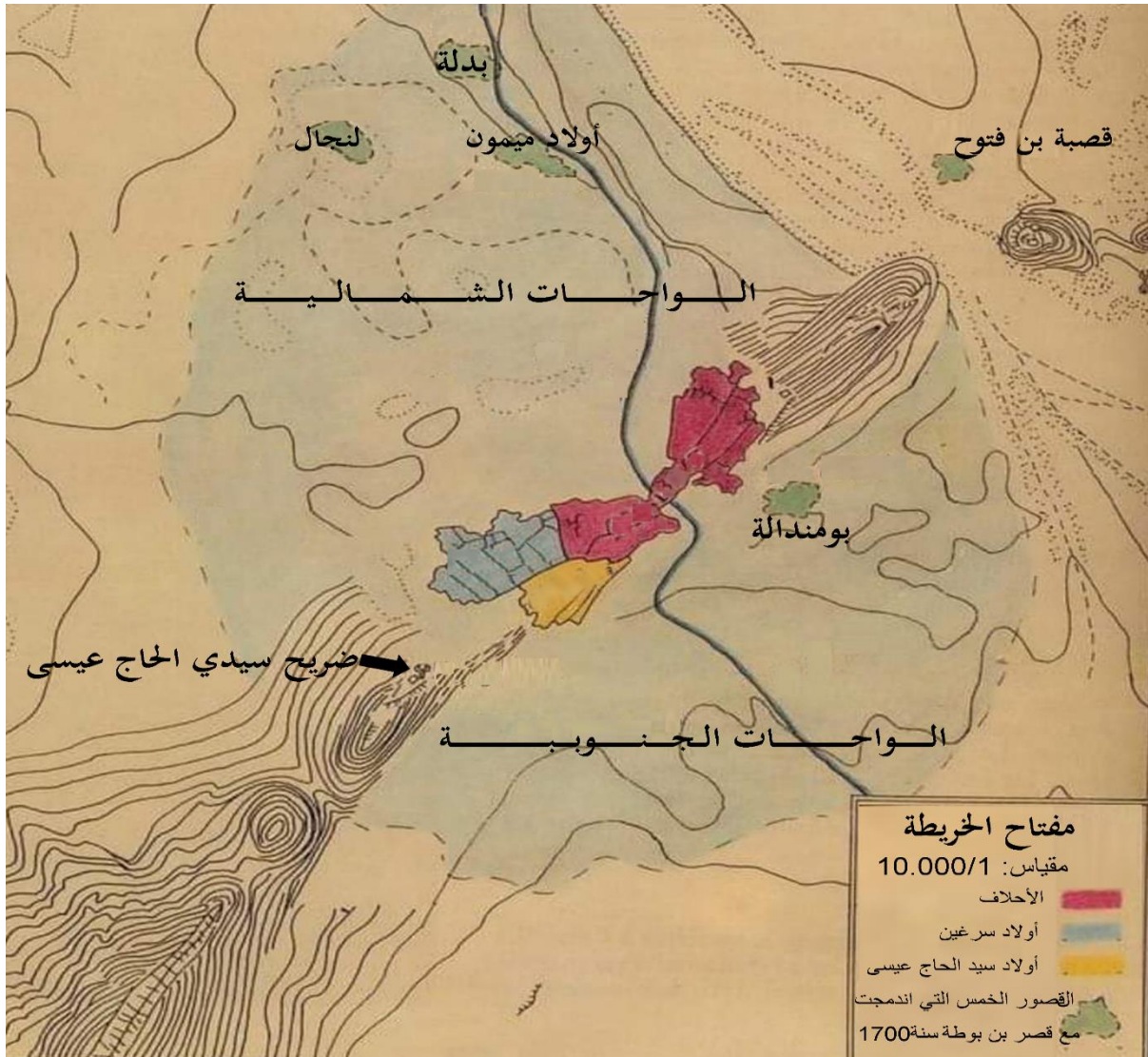
4- لغواط كسال هي مجموعة من القبائل طردت من طرف الهلاليين إلى ناحية البيض، ومن جبلها المعروف بكسال اشتق اسمها. وتتكون هذه القبيلة من أربعة أعراش هي أولاد مومن-الرزايقية- أولاد عمران وأولاد عيسى.

5 - Mangin E، notes sur l'histoire de Laghouat، revue africaine، vol37، annee1893، p371.

6- على حملاوي، مرجع سابق، ص 88.



## الخريطة رقم(03): الأغواط قبل 1952



المصدر: Hirtz (L'Algérie nomade et ksourienne) بتصريف

في الوضع التقليدي القديم قامت علاقات تاريخية طويلة بين مجتمع مدينة الأغواط وقبائل البدو في الصحراء المتاخمة للمدينة على أساس التكامل يظهر في تقاسم العمل والمقايضة والمبادلات والحماية، علاقات دامت طويلا زمن ازدهار القوافل التجارية، يظهر في قوة من التماسك الاجتماعي الذي كان قائما بين البدو من قبائل الأرباع والرحل من التجار أو المحاربين أو الرعاة المرابين الذين يضمنون المبادلات وحركة السلع وحماية المدينة في إطار من التحالفات والولاءات. فسكان المدينة من الفلاحين "الخماسين"، والإقطاعيين والملاك الكبار الذين يجمعون الفائض من المبادلات التجارية لإنشاء المزيد من البساتين والملكيات الواحاتية، التي هي أساس حياة التجمعات الحضرية في مدينة الأغواط، هذه المحيطات الفلاحية التي تعيش من أجلها القصور المكونة للمدينة وأهلها، هذا النظام

الذي وصفه كابوت راي (Capot Rey) في كتاباته حول الصحراء 1، أين كانت الوضعية منذ البدايات الأولى لتكوين المدينة بسيطة غير معقدة منذ ما يقرب من الألف سنة من هذا النظام الذي عزز التعاون الاقتصادي والتعايش الاجتماعي في مراحل قديمة، بمقارنته بالوضع الحالي نتيجة التحولات، هذا النظام قد تحول وبشكل عميق وأفضى إلى نوع المواجهة الخفية وعلاقات القوة تظهر ملامحها في قضايا المجال وتملكه وتشكيله.

المدينة بعد الاحتلال فقدت بعض العناصر المكونة للثقافة الاجتماعية المحلية، فتضاءل الشعور بالواجب نحو الجماعة، رغم نظرة الاحتقار للمحتلين الأجانب وعدم التعامل معهم في بداية الأمر، وبدى التفاوت الطبقي أكثر وضوح، وكانت الإدارة الفرنسية والقوانين الجائرة التي تصب في خانة الوافدين الجدد من وراء البحر لها الدور الأكبر في خلق هذا التباين الاجتماعي.

### الفضاءات العمومية قبل الاحتلال

المدينة القديمة محاطة بسور بناءاتها مكتظة ومتراصة بنيت على مبدأ المدينة الإسلامية " لا ضرر ولا ضرار"<sup>2</sup> فجاءت شوارعها ضيقة وملتوية ما عدى شارعين كبيرين نسبيا بهما المقاهي والمحلات التجارية يتصلان مباشرة بمدخل المدينة، ووجود سوقين منفصلين داخل أسوار المدينة أحدهما يخص الأحلاف والآخر بالجزء الغربي للاد سرغين، أما باقي الفضاءات فهي خارج حدود السور كالسوق الأسبوعي وأماكن الفنتازيا وضريح سيدي حكوم وأماكن الخاصة بصلاه العيد.

يبدو أن الدور الذي اضطلع به الدين الإسلامي في هيكلة المكان<sup>3</sup> يبدو أكثر وضوحا من خلال مراجعة الأنسجة العمرانية للمدينة القديمة، ولا عجب أن نجد أن تعاليم الإسلام التي تذكر بالترابط بين المؤسسات وتنظيم الحياة السياسية، والأنشطة الاجتماعية والاقتصادية، وتدعو إلى توافق ذلك مع البنية المادية للمدينة، والمكونات الأساسية للمنزل وترابط فضاءاته مع الفضاء الخارجي والمكونات المادية للحركة والتنقل داخل فضاء المدينة.

معظم شوارع المدينة القديمة ما عدى تلك المخصصة للتجارة والعامه وهي التي تمثل العام في اقصى مراميه داخل المدينة وهي قليلة تتمثل في شارع طويل يقطع المدينة من الغرب إلى الشرق، يوجد به نزل ومقهيين وبعض المحلات الخاصة بصناعة الحلي والصباغة وبيع الخردوات،

1 - Capot REY « le Sahara Français » PUF; 1953; Paris. p 564.

2- جاء في الحديث الذي رواه أبي سعيد سعد بن سنان الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا ضرر ولا ضرار)، حيث يعتبر هذا الحديث قاعدة فقهية مهمة وهو يشكل بابا واسعا في فقه العمارة الإسلامية وقامت عليه أحكام في هذا المجال لا حصر لها، كما اثرت هذه القاعدة على حركة العمران في المدن الإسلامية،

3 - Robert Ilbert, la ville islamique : Réalité et abstraction. Les Cahiers de la recherche architecturale, vols10-11(avril1982), p.12.

والباقي عبارة عن ممرات ضيقة ملتوية لها نهايات حادة، لا تعترف بميزة "الخط المستقيم" كطريق تقود من نقطة إلى أخرى<sup>1</sup>، الذي نجده أكثر شيوعاً في هيكلية المدن الرومانية والإغريقية.

الرحبة من المكونات الأساسية في المدينة العتيقة فهناك رحبة تسمى رحبة الجمال وهي في مدخل المدينة وهي بمثابة الموقف والمنزل الذي يتوافد عليه سكان المناطق المجاورة وفي حلقة وصل بين السكان المقيمين داخل أسوار المدينة وسكان المناطق المجاورة من الأرياف والبوادي، يباع بها الحطب والفحم والقلم والشعير وكل ما تزود به القوافل على المدينة، ومن جهتها يبيع سكان المدينة تمورهم وصناعاتهم والألبسة الصوفية والمعدات الفلاحية.

عادة تكون القصور الصحراوية وتحتوي على جامع وهو ما يدل على توحيد مجتمع القصر تحت راية دينية وسياسية واحدة، غير أن المدينة في حالة الأغواط كمركز حضري، سياسياً تبدو مفككة فهي قسمين متناحرين على خلاف دائم يتم عن خلاف طائفي واثني غير متسامح، رغم ظهور شخصية "سيدي الحاج عيسى" هذه الشخصية الدينية التي حاولت توحيد شطري المدينة غير أنها لم تفلح في ذلك، ويبقى القاسم المشترك بين الفصيلين هو دار الصفاح والتي تمثل الجانب السلطوي الذي نجح في توسيد المدينة لوقت ما. وتبقى دار الصفاح هي الفضاء السياسي الوحيد الذي عرفته المدينة قبل الاحتلال.

على الصعيد الاجتماعي مدينة الأغواط القديمة ومن خلال دراسة الوثائق والمخططات المتوفرة، ماهي إلا مجموعة من الأفراد لهم مصالح متضاربة يعمل كل منهم لحسابه الخاص، وهذا ما نستشفه من خلال الصراع الدائم بين الفريقين الأحلاف وأولاد سرغين، وهي غير خاضعة لسلطة معينة سواء أكانت دينية كشخصية سيدي الحاج عيسى أو سياسية كشخصية بن سالم، أو سلطة خارجية كالأتراك أو حكام المغرب. وكانت الفضاءات الواقعة خارج المدينة وخاصة واحات النخيل هي الحلقات التي يتجسد فيها الصراع بين الأفراد والجماعات. غير أن السكان إذا ما شعروا بالخطر القادم من الخارج اتحدوا فيما بينهم كما حدث أثناء وصول باي وهران والاستعمار الفرنسي.

من خلال دراسة الأنسجة العمرانية القديمة نلاحظ أن المدينة مرت بثلاث مراحل:

أولاً: مرحلة القصور المبعثرة وهي المرحلة التي سبقت نشأة المدينة المسورة حيث كان هناك

خمسة قصور متفرقة

1 - Marçais (G.), « L'urbanisme musulman », in Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman, Alger, 1957, 2 vol., p, 227

بعد استيلاء الفرنسيين على المدينة والقرى والمناطق المجاورة لها تم تقسيم إقليم الأغواط إلى قسمين: هما قسم يضم سكان الحضر وهو محيط المدينة وقسم يضم سكان الأرياف والبدو وهي المناطق المحيطة بها، ويصف أ منجين (Mangin E-) الأغواط قائلاً: (في 1889، مدينة الأغواط المختلطة بها 3839 ساكن، منهم 519 أوروبي بما فيهم الأهالي اليهود و3320 مسلمون بما فيهم التونسيين والمغاربة، ومساحة بلدية المدينة 2062 هكتار. بلدية الأهالي تضم 13463 من الأهالي المسلمين ومساحتها 3415000 هكتار مقسمة على 18 ملحقة تشكل فرق خاصة. 1، من خلال المخططات كانت مساحة المدينة المحاطة بسور لا تزيد عن 15 هكتارات (الخريطة رقم: 03) بتعداد سكاني حوالي 3600 ساكن أي بكثافة 24000 نسمة /كلم<sup>2</sup> وهي كثافة جد عالية إذا ما قورنت بالكثافة الحالية للسكان التي لا تتعدى في كل الحالات 15000 نسمة/كلم<sup>2</sup>، قد نفسر هذا إلى سيطرة الفضاء الخاص، فضيق الشوارع وعدم وجود فضاءات عامة كالمساحات والحدائق ووجود السوق الأسبوعي خارج أسوار المدينة بالإضافة إلى تكديس المساكن رغم أن معظمها مكون من "طابق ارضي".

يعتبر السوق الأسبوعي المتواجد آنذاك خارج حدود المدينة همزة وصل حلقة للتواصل بين سكان المدينة وسكان الأرياف والمناطق المجاورة من البدو الرحل، فمن خلاله نشأت علاقات تجارية ومبادلات للسلع، فالبدوي يخزن متاعه أثناء تنقلاته بين الصحراء والتل عند أصحاب القصر، في حين سكان القصر يودعون ما عزمهم وأنعامهم عند أهل البدو، وهناك مبادلات فأصحاب القرى المجاورة يزودون سكان المدينة بالسمن والحليب والصوف في حين سكان المدينة، يزودون سكان الأرياف بالتمر والمنتجات الحرفية والصناعية.

### المورفولوجيا الاجتماعية للمدينة الحديثة

المورفولوجيا الاجتماعية تدرس بنية المجتمع ومشكلته وهيئته أو حالة الشكلية أي مجمل الظروف المادية الأساسية التي تبني عليها الحياة الاجتماعية وهي التي تتحكم في قيم المجتمع وتصرفاته وأفعاله، وأيضا المورفولوجيا الاجتماعية تطلق على طبيعة المجتمع وكيانه الاجتماعي ودراسة الوحدات او الجماعات التي يتكون منها المجتمع و علاقة البيئة بالتنظيم الاجتماعي و الخصائص الطبيعية للمجتمع و علاقة الترابط بينهم، ومدينة الأغواط من المدن الداخلية المتوسطة التي عرفت التحضر منذ زمن بعيد وتطبع ساكنتها بطبائع أهل الحضر، فحجم المدينة وعدد سكانها

1 - Mangin E، notes sur l'histoire de Laghouat، revue africaine، vol37، annee1893، p365.

الذي يقدر بـ: 144748 ساكن حسب تعداد 2008 ، و الذي سوف يتعدى 180 الف ساكن حسب تقديرات المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير، واختلاف أصول سكانها وخاصة الوافدين بعد الاستقلال جعل منها قطبا حضريا فرض بناء اجتماعيا يختلف عن البناء التقليدي القبلي الذي كان سائدا في المراحل الاستعمارية وما قبلها- وإن كان هذا البناء القبلي يطفو للسطح أحيانا وخاصة أثناء الحملات الانتخابية- كما أدى تقسيم العمل من خلال مختلف النشاطات الحديثة الإدارية والصناعية والحرفية التي شهدتها المدينة في السنوات الأخيرة إلى ظهور نوع من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، تتميز بالعقلانية والنفعية والمصلحية غيرت شكل البناء الاجتماعي، وساعد توسع المدينة على ترسيخ السمات الحضرية لدى الفرد، قال لي احد العمال الأجراء يعمل في مجال البناء ( الناس هذه الأيام ما يعرفك غير في صالحتو ، غير يقضي حاجتو منك ينسأك)، فالعلاقات النفعية المبنية على المصلحة الشخصية أصبحت هي المسيطرة في تعاملات الأفراد داخل المدينة.

### الأصول الحضرية

هناك مجموعات بشرية من أصول عرقية مختلفة سكنت الأغواط، جاءت من غرب وشرق وجنوب الوطن، شكلت بذلك نسيجا عمرانيا تتباين خلفاته الثقافية والحضرية وكان له انعكاسات سلبية على الحياة الاجتماعية بالمدينة فكثرت الفتن والصراعات بين السكان المتناحرين، إلى غاية قدوم الولي الصالح(مول البلاد سيدي الحاج عيسى) الذي حاول توحيد الفرق المتناحرة ونشر ثقافة السلم بين السكان وعلمنا أن الحضرية، كأسلوب في الحياة والانتظام ليست جديدة في الأغواط، فللمدينة تاريخ عريق من التمدن والعمران المتكاثف، تحدثنا عنه جميع المصادر التاريخية وآداب الرحلات، عززتها تجارة القوافل ورحلات الحج التي امتدت منذ القرن الثامن الميلادي إلى الثامن عشر ، كانت هذه المدينة حاضرة ومحطة من المحطات التجارية للقوافل المتنقلة بين الصحراء والتل، وبين الشرق والغرب.

البدايات العمرانية للأغواط، حسب المصادر التاريخية، تبدأ مع بداية ظهور القصر، كأصغر وحدة، هذه القصور مرتبطة بالإنتاج الفلاحي وكقلاع دفاعية ضد الغزاة، إذ أن تعبير (لَقَصْر) الصحراوي هو سكن الفلاحين أساسا. هؤلاء، كما يقول ابن خلدون، هم مجموعات بربرية قديمة، تمازجت مع أصول هلالية في فترة تاريخية محددة، تشكلت منهم مجموعات فلاحية أصيلة مستقرة ذات مواصفات عالية في التمدن وقيم العمل والنظام الاجتماعي والفنون والحرف، إن ما نراه من

تسميات وآثار لبساتين النخيل بالواحات الشمالية والواحات الجنوبية من إنجاز هاته المجموعات المتناحرة تارة والمتحالفة تارة أخرى.

التنظيم الاجتماعي في الأغواط ينقسم إلى عدة فئات وتنظيمات على أسس مختلفة منتجة لنخب حضرية، هي في الأساس مجموعات حضرية تمارس الأنشطة الحرفية والتجارة وتتخذ من المدينة محطة تشرف على حركة قوافل التجارة، أو تمارس الحرف والصناعات اليدوية، مجموعات اجتماعية منظمة ومهيكله ذات تقاليد حضرية عريقة، أصولها متعدد منها المحلي أو المهاجر، تقاس حسب إشعاع المدينة التاريخية ومكانتها في السلم التجاري. يضاف إلى هذه التركيبية، النخب الدينية - سيدي الحاج عيسى مثلا- من مؤسسي الزوايا أو أحفادهم أم مريديهم كشرائح اجتماعية تخصصت في الجانب الديني الدعوي والثقافي أيضا المرتبط أصلا بالمؤسسة الدينية " الزاوية" في الأغلب كتنظيم انتشر في كل أرجاء الصحراء والمغرب، على رأس كل ذلك الطبقات السياسية أو مجموعات الحكم والتي كان دورها الربط والتوازن بين المجموعات والشرائح وأيضا الارتباط الاستراتيجي مع القبائل والعروش المحيطة بمدينة الأغواط و تكون إما نخب محلية تتفاوض سلما أو حربا مع القوى الإقليمية (المفاوضات مع الأتراك ثم مع الأمير عبد القادر وأخيرا مع الفرنسيين ) .

### الأصول الريفية والبدوية

نسبة كبيرة من سكان مدينة الأغواط ينحدرون من المناطق والبلدات المجاورة للمدينة، ونقصد بسكان الأرياف أولئك القادمين من القرى والمدن والتجمعات السكانية المجاورة للمدينة الأم وعادة ما كان سكان هذه المناطق يمتنون الفلاحة والأعمال القارة المرتبطة بالأرض. أما السكان ذوو الأصول البدوية فهم غالبا سكان المناطق المبعثرة التابعة إقليميا لولاية الأغواط والولايات المحيطة بها، وحرفتهم الرئيسية تربية المواشي وخاصة الأغنام والإبل حسب الموقع الجغرافي والظروف المناخية، فتجد مثلا سكان الجهة الشمالية للولاية حيث المناطق الجبلية الوعرة والباردة نسبيا يمتنون بالدرجة الأولى تربية الأبقار ثم الماعز ثم الأغنام، أما سكان المناطق الجنوبية حيث البيئة الصحراوية فتجدهم يربون الأغنام والإبل بدرجة أولى. وتتمثل هذه المجموعات في شبكة واسعة من البدو وأنصاف البدو بإقليم الولاية والولايات السهبية المجاورة.

إن الانتقال إلى المدينة بالإضافة إلى العامل الزمني فعشرات السنين من التمدن غيرت كثيرا من طرق وأنماط حياتهم، الفترات الطويلة من الجفاف التي أصابت مناطقهم في الصحراء أو على الهوامش الصحراوية شمال الصحراء التي ينتشرون فيها، وعوامل التحولات التي أدخلت على المدينة

منذ بداية القرن العشرين، ساعدت في تسارع عملية تمدنهم، في مدينة الأغواط كما سارت عليه كل مدن الواحات<sup>1</sup>. إن ظروف الصحراء القاسية أرغمتهم على مغادرتها، فلم يكن البديل أمامهم من خيارات سوى التمدن أو التهميش، هذا التمدن الذي أحيى إشكالية التمييز بين نوعين من الحياة الريفية في الصحراء، البدو والسكان ذوو الأصول الريفية في الأغواط والعلاقات بين هذه المجموعات المتميزة اجتماعيا وثقافيا مع عالم السكان الحضريين، هذا التمايز الذي يطرح في ميدان دراستنا، وبشكل واضح مشاكل الصراع حول امتلاك المجال واستعمالاته، وكيفيات الولوج للفضاء العمراني، وتطفو على الساحة علاقات هذه المجموعات الاجتماعية بالمجال وبالحياة في المدينة .

### البناء الاجتماعي:

المجتمع الاغواطي هو مجتمع قبلي مقسم على أساس عرشي، فهناك الأرباع في الجنوب وأولاد يوسف ولعجلات في الشمال

### البناء القبلي

تعتبر العصبية هي المفتاح الذي حل به ابن خلدون جميع المشكلات التي يطرحها سير أحداث التاريخ الإسلامي إلى عهده، وقيمة آراء ابن خلدون تكمن في الإشكالات العديدة التي تطرحها نظريته في العصبية والدولة، وفي العلاقة القائمة بينهما، هذه العلاقة التي تُحدّد في نظر ابن خلدون شكل العمران، وتجسم حركة التاريخ<sup>2</sup>. وإن كانت بشكل مغاير للزمن الذي عاشه ابن خلدون، ورغم التحضر الذي عرفه المجتمع الجزائري لازالت القبيلة تلعب دورها كفضاء سياسي يتم من خلاله محاولة الوصول إلى مقاليد السلطة، وفي حالات الشعور بالخطر تصبح العصبية أداة للصراع وتقاسم الثروة والأدوار الاجتماعية. وهذه الظاهرة تتجلى بوضوح أكثر في الانتخابات البلدية والولائية، فتقاسم المقاعد يلعب فيه البناء القبلي الدور الرئيس وإن كان في بعض الأحيان بشكل خفي وبتدعيم من الدولة. فمجتمع مدينة الأغواط مكون من عنصرين هامين هما السكان ذوو الأصول البدوية القادمين من المناطق والبلديات والصحاري المجاورة والسكان الذين لهم أصول حضرية تمتد لعدة أجيال داخل المدينة القديمة، فالملاحظ هنا أن مجتمع البادية تبرز عصبية المستوى الأول (الخاص)، وفي مجتمعات العمران أو الحضارة يبرز المستوى (العام)، فعصبية البادية قابلة للتطور مع الانفتاح على العمران، ومحاولة إيجاد المكانة والسيطرة على الفضاء العام، أما والمجتمع المتحضر الذي

1 - Jean BISSON « le nomade, L'oasis et la ville » URBAMA, n °20, 1989, p 5.

2- محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1993، ص 12.

تظهر فيه آفاقٌ جديدة للتعاون والتكافل للدفاع عن "راس المال الاجتماعي" الذي يتراءى له معرض للخطر، وهنا يبدأ الصراع بين الذوات المختلفة.

ينقسم سكان الأغواط إلى أربع فئات اجتماعية متميزة، الفئة الأولى وتتكون من السكان الأوائل وهي فئة ترتبط ارتباطا وثيقا بالمكان (أحنا اولادت لبلاد)، والفئة الثانية ممن سكن المدينة بعد الاستقلال من المناطق الريفية المجاورة وهي الأخرى تحاول أن تجعل لنفسها موقع ومكانة داخل ذاكرة المدينة القديمة (بكري كانت لبلاد لا باس اعليها قبل ما يدخلوها البرانية)، والفئة الثالثة تتكون من النازحين من المناطق الريفية والبدوية البعيدة وخاصة في سنوات الإرهاب، والفئة الرابعة تتكون من السكان القادمين من مناطق خارج حدود الولاية وهي فئة قليلة ليس لها كيان يمثلها داخل المدينة وهي مجموعة من الكيانات المتفرقة ليس لها تأثير اجتماعي أو ثقافي.

رغم كبر المدينة واتساعها إلا أن مبدا القبيلة لا يزال سائدا في تفكير وعقول أغلب سكان المدينة ذوو الأصول الريفية والبدوية، ويعتبر السمة المشتركة بين هؤلاء وهو المحفز والمحرك في طرق التفكير وأنماط السلوك ومن ثم بناء العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. فلا تزال النزعات القبلية سمة ظاهرة فيه تطفو للسطح في المدينة وخاصة أثناء الحملات الانتخابية، مما يضيف على المدينة طابعا ريفيا من خلال تصرفات الأفراد والجماعات، لقد انتج غزو المدينة بعد الاستقلال من طرف هؤلاء السكان الذين اصبحوا يشكلون الأغلبية المطلقة، مجتمعا متميزا، وارتباط هؤلاء السكان بمكان إقامته القديم وخاصة الكبار منهم اثر على الحياة الاجتماعية، وعلى التقسيم المجالي للمدينة، فاصبح وصم بعض الأحياء بقاطنيها من البدو والأعراب، لكن مع مرور الوقت ظهرت فئات اجتماعية من الجيل الثالث تتصلت تماما عن انتمائها للقرية الأم، وأصبحت علاقتهم بالمدينة فقط وانتماءهم لها تعزز مع الوقت، غير أن ذلك الانتماء لم يتلاش تماما ونجد ذلك يتجلى في بعض العادات والتقاليد التي يجاول من خلالها الأفراد التعبير عن هويتهم الاجتماعية، ويبدو ذلك اكثر وضوح في الأحياء الجديدة.

لقد كرسّت الدولة من خلال الأنماط والصيغ السكنية المنتجة والمجسدة مكائيا عبر مجموعة من أدوات التعمير وحزمة من القوانين تمايز مكاني افضى إلى تمايز اجتماعي على أسس اقتصادية وثقافية وبالإضافة إلى الأسس القبلية التي كانت سائدة من قبل، مما قد يؤجج من حدة الصراع الموجود داخل هذه الأحياء. فنجد السكن الاجتماعي الإيجاري هو سكن موجه أساسا للفئة السكان



العاطلة وذوو الدخول المنخفضة (الدخل الشهري العائلي لا يتعدى 24000 دج)<sup>1</sup>، أما السكن الترقوي المدعم والتجزئات الاجتماعية فهي موجهة للسكان الميسورين (دخل الزوجين لا يتجاوز ستة أضعاف الحد الأدنى " للأجر الوطني المضمون"<sup>2</sup>)<sup>3</sup>.

### البناء الاجتماعي حسب العمل

افرز التغيير الاقتصادي تغيير في البناء الاجتماعي، وأدى إلى بروز فئات اجتماعية متباينة شكلتها الوظائف التي يشتغلونها، فمن خلال الثورة الصناعية التي شهدتها الجزائر بعد الاستقلال، وإنشاء مناطق صناعية بالمدن الكبرى والمتوسطة، حيث كانت الأغواط من المدن التي استفادت من منطقة صناعية مساحتها 220 هكتار بها عدة منشآت صناعية كبرى، نذكر منها مصنع للنسيج ومطاحن الأغواط ومحازن الديوان الوطني للحبوب وفروع لكبرى شركات البناء فضلا عن الشركات البترولية الكبرى التابعة لشركة سوناطراك وشركة سونلغاز، وبعض الشركات الخاصة لصناعة الأجر والبلاط والكوابل. كل ذلك جعل من الأغواط مدينة صناعية، فظهرت أحياء عمالية كثيرة، كحي سونيتكس نسبة إلى شركة الصناعات القطنية، وحي سوناطراك، وحي سونلغاز، وحي عمال التربية وحي عمال الولاية، وسكنات الجنوب، وحي عمال الصحة. هذه الأحياء شكلت كيانات داخل المدينة وساهمت في البناء الاجتماعي للمدينة وكانت علاقات العمل هي المؤسس لبقية العلاقات الأخرى. تمثل الطبقة العاملة بالأغواط الفئة الأكثر حضورا وتأثيرا في الحياة اليومية للمدينة، حيث يقدر عددها بـ: 51832 عامل من مجموع سكان البلدية المقدر بـ: 210155 ساكن. أي بنسبة 24% وهي نسبة تبدو للوهلة الأولى جد مرتفعة غير أن عمل المرأة وامتصاص الشركات البترولية بحاسي الرمل وحاسي مسعود لعدد كبير من العمال هو ما ساعد على ارتفاع هذه النسبة وخلق نوع من الرفاه الاجتماعي وساعد على النزوح نحو المدينة وخلق فرص للعمل وخاصة في بعض النشاطات والخدمات كصناعة الخبز والحلويات والمطاعم وورشات الميكانيك والتجارة، إن تقسيم العمل وما افرزته من تحولات على المستوى المعيشي للسكان وعلى مسارات التنقلات اليومية للعمال

1- المادة 4 من المرسوم التنفيذي رقم 08-142 المؤرخ في 5 جمادى الأولى عام 1429 الموافق 11 مايو سنة 2008 يحدد قواعد منح السكن العمومي الإيجاري. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 24، مؤرخة في 11 مايو 2008.

2- مرسوم رئاسي رقم 21-137 مؤرخ في 24 شعبان عام 1422 الموافق 7 أبريل سنة 2021، يحدد الأجر الوطني الأدنى المضمون. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 28، مؤرخة في 14 أبريل 2021.

3- المادة 4 من المرسوم التنفيذي رقم 10-235 مؤرخ في 26 شوال عام 1431 الموافق 5 أكتوبر سنة 2010 يحدد مستويات المساعدة

المباشرة الممنوحة من الدولة لاقتناء سكن جماعي أو بناء سكن ريفي ومستويات دخل طالبي هذه السكنات وكذا كفاءات منح هذه المساعدة، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 58، مؤرخة في 07 أكتوبر 2010.

والموظفين خلق نوع من الحراك الاجتماعي ساعد على ظهور فئات الاجتماعية جديدة بدأت تتصل من العلاقات التي يفرضها البناء الاجتماعي القبلي والقرابي.

التوسع الذي شهدته المدينة في السنوات الأخيرة وما صاحبه من تقسيم للعمل وما له من آثار على شكل الأسرة والمسكن والبناء الاجتماعي بصفة عامة، وكانت السياسة المتبعة من طرف الدولة لها كذلك دور في ظهور تكتلات عمالية مختلفة أفرزت تمثيلاً للنقابات على المستوى المحلي كان الهدف منها الدفاع عن حقوق العمال حسب كل قطاع فتجد نقابة عمال مصانع النسيج ونقابة تمثل عمال سونطراك والشركات البترولية وأخرى عمال قطاع التربة ونقابة عمال الوظيف العمومي، نقابة عمال سيارات الأجرة... الخ. كل هذه التكتلات تمثل انساقاً تتكون منها المدينة، تتكامل فيما بينها وظيفياً لتشكل مجتمع المدينة.

إن تقسيم العمل خلق أنماطاً معيشية مختلفة ومسارات في حياة المواطنين تتماشى وطبيعة العمل الممارس، فالتوقيت تأثير على مثلًا وأوقات تناول الوجبات والفترات التي يمارس فيها الفرد حياته الخاصة، وزيارة فضاءات التنزه والأماكن، فالعامل في المهنة يختلف في توقيته عن العامل في الإدارة العامة، والعامل في المخبزة والحارس الليلي... الخ، التوقيت وطبيعة العمل هي محددات لنوع العلاقات وأماكن وأزمنة نسجها وهي محددات كذلك لطبيعة الفئات الاجتماعية والعلاقات التي قد تنشأ بينها.

يتفاوت الأفراد في المداخل التي يتقاضونها مقابل الأعمال التي يقومون بها، وهذا ما يعود على حياة الفرد والعائلة الاقتصادية وعلى طبيعة الممارسات اليومية والاتجاهات والتصرفات أثناء التنقلات اليومية واختيار الأماكن والجماعات ووسائل التنقل وفضاءات التسوق واختيار جماعة الأصدقاء وطريقة اللباس، فالمستوى المعيشي يتأثر مباشرة بالدخل. الأفراد المرفهين مساراتهم في التسوق مثلًا تختلف عن تلك التي يتبعها الفقراء وذوو الدخل الضعيفة، فالدخل يحدد الفضاء المستعمل ويحدد الجماعة ويتدخل في صنع العلاقات الاجتماعية وبالتالي في هيكل البناء الاجتماعي. فالأسواق العامة هي الفضاءات المحببة لدى الطبقات العامة وهي أماكن للالتقاء والتقاطعات اليومية، ووسائل النقل العامة كذلك هي فضاء يستعمله طبقة معينة أكثر من غيرها وهكذا، التمايز الاجتماعي هنا قد يخلقه الدخل وطبيعة العمل.

نسبة الشغل بمدينة الأغواط تقدر بـ: 93.58 % وهي نسبة عالية، والسبب يعود إلى توفر المدينة على مرافق عمومية كثيرة باعتبارها مقراً للولاية، ولوجود المنطقة الصناعية بحاسي الرمل

بالإضافة امتصاص لقطاع الأشغال العمومية والبناء لنسبة كبيرة من البطالين، ويمكن تسجيل أربع فئات عمالية بالمدينة تتوزع على خمسة مجالات وهي:

**الإدارة:** 20965 موظف أي بنسبة 25.59% مقسمين على الإدارات المحلية والهيئات التقنية والمؤسسات العمومية والخاصة، التي تقدم خدمات عمومية للمواطنين كبلدية والدائرة والولاية وكل الإدارات التنفيذية التابعة لها، والمصالح التقنية المكلفة بالمرافقة المباشرة للتنمية المحلية في كل القطاعات، وعمال المستشفيات العمومية والخاصة، المؤسسات التعليمية والتوجيهية. وهي عبارة عن كيانات تتباين في الحجم والتأثير في الحياة العامة، وهناك من لها اتصال مباشر مع الأفراد الخارجين عن النسق المكون لها كتلك التي تقدم خدماتها مباشرة للمواطن، ومنها ماهي مغلقة كتلك التي تقدم خدمات خاصة بالمؤسسات وعاملها يكون بين المؤسسة والمؤسسات الأخرى، ومنها ماهي شبه مغلقة لها اتصال مزدوج مع الأفراد والجماعات من جهة ومع المؤسسات الأخرى وهي تقوم بدور الوسيط بين الأفراد والسلطة.

**البناء والإشغال العمومية:** 20686 عامل أي بنسبة 25.25%، هذه النسبة متغيرة لها علاقة باستفادة الولاية من قطاع السكن والمشاريع التنموية. وتشمل العمال الدائمون والمؤقتون من اليد العاملة المحلية المقيمة بتراب البلدية والمناطق المجاورة لها ممن يقومون بالانتقال اليومي، وكذلك أصحاب الحرف التي لها علاقة بالبناء والورشات التابعة للأشغال البناء، في قطاع البناء.

**الصناعة:** 17712 عامل أي بنسبة 21.62% (معظمهم في المنطقة الصناعية للأغواط وحاسي الرمل وباقي الشركات الوطنية الأخرى المتواجدة بتراب الولاية والمناطق الصحراوية الأخرى) وهي نسبة كبيرة إذا ما قورنت بعدد العمال في القطاعات الأخرى وهي خاصية تمتاز بها الولاية نظرا لوجود المنطقة الصناعية لحاسي الرمل وما تستوعبه من يد عاملة محلية في قطاع المحروقات.

**الخدمات:** 17712 بنسبة 21.62% يشغلون في التجارة والنقل والخدمات المختلفة، وهي أعمال في الغالب حرة ولها علاقة مباشرة بخدمة الأفراد، فالتاجر له دائرة علاقات واسعة تشمل مجموعة كبيرة من الأفراد، وشبكة النقل تتكون من خطوط النقل الجماعي وكذلك النقل الفردي وهي كلها تشكل شبكات من العلاقات الاجتماعية داخل تراب البلدية.

**الفلاحة:** 5398 بنسبة 6.59%، الغالبية من سكان المناطق المبعثرة أو ممن يعملون في المحيطات الفلاحية الموجودة خارج المحيط العمراني والتابعة إداريا لبلدية الأغواط مثل منطقة حمدة وبرج السنوسي والسريجة والمرجة وكل المحيطات الفلاحية التي تم استحداثها،

من خلال المعطيات السابقة نستنتج أن مدينة الأغواط، هي مدينة حضرية يقدر عدد من يمتنون أشغال غير الزراعة بنسبة 93.41 % وهي نسبة كبيرة،

### المورفولوجيا المكانية للمدينة القديمة

كباقي المدن الإسلامية، نشأت مدينة الأغواط على مبدأ لا ضرر ولا ضرار في الشريعة الإسلامية، وكان إحياء العامر هو الأساس الذي توسعت على مبادئه المدينة.1 فهي لم تنشأ بناء على تخطيط مسبق أو على قرارات من سلطة كما هو الحال في مدننا الحالية. بالإضافة، طبعا، إلى العوامل البيئية والخصوصيات المحلية لكل منطقة والظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في كل مرحلة من مراحل توسعها بدءا بنشأة القصور ثم تجمعها في مركز محاط بسور، ثم دخول الاستعمار وزوال السور وتدخل السلطات الاستعمارية في تخطيط المدينة، وانتهاء بتولي الدولة المستقلة تسيير مورفولوجيا المدينة وكيفيات توسعها، وهذا ما نلاحظه في الأحياء الجديدة.

هناك علاقة وطيدة بين البيئة الطبيعية والبيئة الاقتصادية، حيث يري باتريك شاركي

(Patrick Sharkey) أن استمرار الفقر بين الأجيال والحرمان الاقتصادي يرتبط ارتباط وثيقا

بالموقع.2 فالموارد الطبيعية التي تزخر بها المنطقة كوفرة المياه والأراضي الفلاحية-زراعة النخيل والخضر والفواكه- وازدهار التجارة طريق القوافل الذي يربط الشمال بالجنوب- كلها ساعدت على نمو المدينة باعتبارها "عامل جذب" وجعلها تمارس سيطرتها على المراكز الحضرية الصغيرة المجاورة.3 وساعد ذلك على ظهور نظام طبقي مكون من طبقة كبار الملاك والتجار التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالحركة التجارية للقوافل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، وطبقة الخماسين (أقنان الأرض) بالإضافة إلى الحرفيين وأصحاب الورش، قابله تقسيم للعمل مهد لظهور المدينة الحديثة. وهذا النظام كان سائدا في الأغواط حيث كانت المدينة تسيطر على المناطق المجاورة للمدينة المتكونة من الواحات الشمالية والجنوبية والبلدات الصغيرة المجاورة مثل العسافية والخنق وقصر الحيران، وتحتمي بسكان هذه المناطق في حالات الخطر، كما حدث في الحرب مع باي وهران، وقد يتعدى ذلك إلى الاستعانة بسكان البدو من الأرباع، كما حدث في معركة الأغواط سنة 1852.

شهدت المدينة توسعات كبيرة قسمناها إلى ستة مراحل (انظر الخريطة رقم 04) وهي:

- 1- جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت لبنان، 1998، ص 159.
- 2- Patrick Sharkey, Stuck in Place : Urban Neighborhoods and the End of Progress Toward Racial Equality, University of Chicago Press. Chicago, 2013, p.264.
- 3- السيد الحسيني، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، ط2، دار المعارف القاهرة، 1981، ص91.

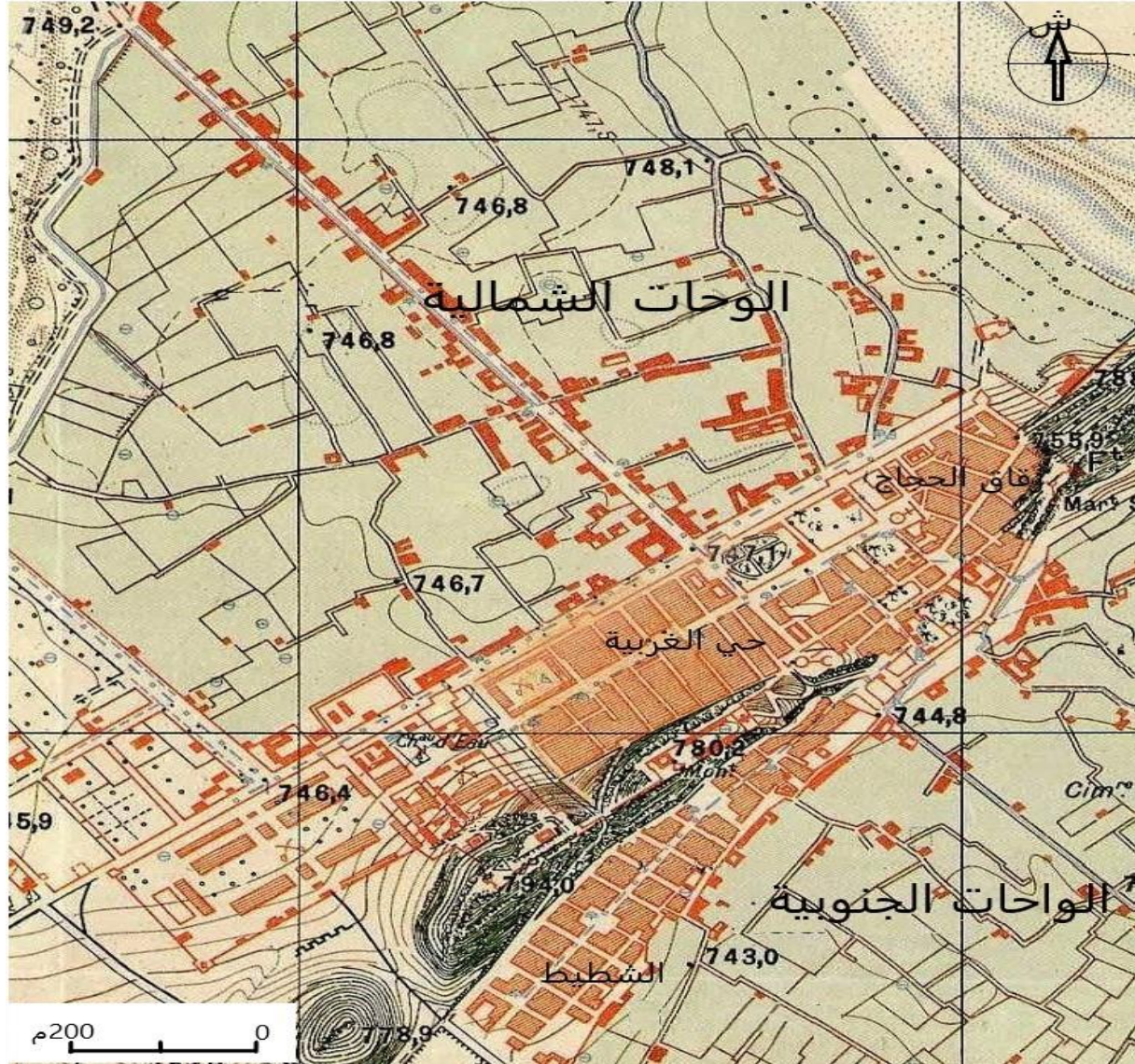
### المرحلة الأولى: ما قبل الاحتلال (قبل سنة 1852)

كانت المدينة صغيرة نسبياً مسورة مساحتها الإجمالية لا تتعدى 20 هكتار، يسكنها ما يقارب 3600 ساكن، النسيج العمراني للمدينة كثيف ومتراص والشوارع ضيقة، ومعظم البنايات والمسكن بالمدينة مكونة من طابق واحد، ورغم ذلك الكثافة السكانية بالمدينة كانت مرتفعة جداً (حوالي 180 ساكن/ هكتار)، وهي ظاهرة وسمة من سمات المدن القديمة، السكان يمتنون التجارة والأنشطة الحرفية والفلاحة، في هذه المرحلة لم تشهد المدينة توسعات تذكر وكانت تعيش مرحلة ركود عمراني، ساعد في ذلك وجود واحات النخيل التي كانت بمثابة الضواحي أو المنتجعات التي يأوي إليها السكان في النهار عوضاً عن البقاء في المدينة المكتظة. كانت هذه الواحات المحيطة بالمدينة تحوي سكنات ثانوية يستغلها السكان في أوقات النهار وفي فصل الصيف وعند الإحساس بالأمان.

### مرحلة الثانية: 1853-1960

عند دخول المستعمر المدينة أحدث عدة عمليات في النسيج العمراني للمدينة حيث قام بهدم السور وإعادة توسعته وإنشاء سبعة أبواب بدل الأربعة التي كانت موجودة قبل الاحتلال، وفتح شوارع مستقيمة مثل نهج (Cassaigne) أو طريق الجزائر الذي يربط باب الدزاير بجسر وادي مزي مرورا بالواحات الشمالية، وأنشأ الحديقة العمومية سنة 1875 وبعض المباني الخاصة بالمعمرين، حيث شيد كنيسة سنة 1900، ثم تدارك بعد ذلك وسمح ببناء مسجد الصفاح سنة 1908 من طرف البناء الإيطالي موليناري الذي اسلم قبل ذلك، وبناء جسر المدينة سنة 1920، بالإضافة إلى بعض المرافق العامة الحالة المدنية سنة 1928 ووصول الهاتف إلى المدينة سنة 1929 ونزل ومقر إداري للحاكم العسكري وبنى تكنة على حدود المدينة وشق الطرقات داخل الواحات الشمالية والجنوبية. وبنى في مرحلة متأخرة سنة 1953 تم إنشاء المدرسة اللاتينية (l'école laïque) التي تعتمد النظام الفرنسي في التعليم، كانت التوسعات العمرانية محتشمة ما عدى تلك التي كانت تخدم مصالحه ومصالح الكولون وبعض الموالين له من القياد، وفي مجال البناء وفي إطار مخطط قسنطينة استقادت الأغواط من 96 سكن جماعي لأصحاب المداخل المنخفضة (HLM) مكون من أربع طوابق وذلك راجع لعدة أسباب أهمها عدم تسامح السلطات الفرنسية

الخريطة رقم(04):.مخطط مدينة الأغواط سنة 1954



المصدر: مديرية التعمير والبناء لولاية الأغواط بتصريف

مع السكان حول عمليات البناء، ونفور السكان المحليين من الحكم الفرنسي وعدم الاعتراف ضمناً به وبالقوانين التي يسنها، وكذلك الطبيعة البدوية لسكن المناطق المجاورة التي تنجح إلى الحرية والعيش خارج أسوار المدن، غير أن مرحلة الجمود التي عرفتها المدينة انتهت مع قيام الثورة التحريرية، حيث سارعت السلطات الفرنسية إلى إنشاء المحتشدات في الجهة الجنوبية للمدينة فيما يعرف حالياً بالشطيطي وقصر الفروج، وتضاعف عدد سكان المدينة، وتضاعف معها النسيج العمراني للمدينة.

منذ عام 1854 بدأت عملية إعادة إعمار الأغواط من خلال إنشاء أحياء ومناطق جديدة باعتماد الهندسة المعمارية الأوروبية والعمارة العسكرية. من بينها، ترميم وإعادة تخطيط حي الأحلاف

القديم في جزئه السفلي، وهو الموقع المعروف آنذاك بدار الصفاح الذي يربطه بحي أولاد سرغين غربي المدينة. وهو المكان الذي كان معروف قديما بـ"رحبة الجمال" من قصر الأغواط أو ما يعرف حاليا برحبة الزيتون.

وتمثل ساحة راندون أحد أهم المعالم التذكارية الفرنسية للمدينة الكولونيالية، وهي عبارة عن مركز أوربي تم تشييده وفق رؤية المارشال جاك لويس راندون (Jacques Louis Randon) الحاكم العام للجزائر (1851-1858) لجعل هذا المركز عدة مبانٍ معًا، تتمثل في صالات عرض (أروقة) زينت الجوانب الأربعة للمربع: بازار المازبيين يعلوه برج يحمل جرس حيث توجد ساعة المدينة، وفي الجهة المقابلة يوجد بازار الشيخ علي، وهو مبنى مكون من متاجر في الطابق الأرضي والشقق في الطابق الأول. الوجهان الآخران يوجد نزل القائد الأعلى ودائرة الضباط مقابل مبنى المهندسين ومكتب عرب (Bureau arabe).

هذه الفراغات الكبيرة والتنظيم المفتوح الذي يعتمد التقاطعات الشبكية والأماكن العامة، خلق نوع من التشويش على الذاكرة الجماعية التي توارثتها الأجيال المتعاقبة من السكان المحليين وخلقت نوع من القطيعة النسبية مع الماضي، وساعد على ذلك التسميات الغربية التي سكها المستعمر على هذه الفضاءات لترسيخ ذاكرة في وجه الذاكرة المحلية.

### مرحلة الثالثة: 1961-1965

بعد الاستقلال مباشرة ازدادت عملية الهجرة نحو المدينة، بشكل ملفت، وعرفت الواحات الشمالية والجنوبية عملية عمرانية كبيرة مست المحيطات الفلاحية وحولتها إلى مناطق سكنية بحتة بعدما كانت في الغالب تحوي سكنات مبعثرة لعائلات معروفة، وتضاعفت رقعة المدينة عدة مرات في مدة أربع سنوات وهي من أهم مراحل النزوح الريفي نحو المدينة، لقد تم غزو المدينة من طرف سكان الأرياف والبوادي المجاورة وشكلت كتلات قبلية أخذت كل قبيلة أو عشيرة جهة معينة من المدينة. فقدت المدينة في هذه المرحلة حضريتها لصالح الريف، وكانت الدولة على المستوى التخطيط العمراني شبه غائبة، فالقوانين والمخططات المتوارثة عن المستعمر بقيت سارية المفعول في ظل فراغ قانوني يترنح بين العداء للماضي الاستعماري وعجز تقني وقانوني في تسيير المنظومة العمرانية الموروثة.

هذه المرحلة لم تعرف أي توسع عمراني رسمي، ما عدا تكثيف في النسيج الموجود وتحويل واحات النخيل إلى تجمعات سكنية غير منضمة. وتحولت المدينة إلى ريف كبير وفقدت الفضاءات

التي تركها المستعمر وظائفها بسبب رحيل مستعمليها مع خروج فرنسا. لقد أوجد المستعمر الكنيسة والحديقة والكاзино والخمارة وبيت الدعارة والمدرسة اللائكية، وكلها فضاءات تخص المعمرين. أصبحت هذه المرافق فضاءات مدنسة مما ساعد على زوالها مع مرور الوقت ومسحت من الذاكرة الجماعية لجيل الاستقلال.

### مرحلة الرابعة: 1966-1974

عرفت هذه المرحلة اختيار سياسي جديد يتمثل في الاتجاه الاشتراكي للدولة، وكانت الأغواط عبارة عن واحة تابعة إداريا وإقليميا لعمالة ورقلة، وظل الحال كذلك إلى غاية سنة 1974، وشهدت المدينة في هذه المرحلة تفهقرا طفيفا في التوسع العمراني الرسمي، حيث لم تعرف المدينة إلا توسعا واحدا، فيما سيعرف لاحقا بحي المعمورة في جزئه الشرقي.

غير انه كان هناك توسعا مجاليا رهيبا على حساب واحات النخيل التي كانت تشتهر بها المنطقة، فقد تجولت الواحات الشمالية والواحات الجنوبية أحياء مكتظة بالسكان، وانتقل عدد السكان من 17200 ساكن سنة 1966 إلى 49656 سنة 1977. ويعود ذلك لسبب رئيسي هو الهجرة الريفية نحو المدينة وخاصة سكان الأرياف المجاورة والبدو بسبب انتعاش الصناعة البترولية بالمنطقة.

### مرحلة الخامسة: 1975-1998

عرفت هذه المرحلة منحيين مختلفين، فمع سياسة الجديدة التي استخدمتها الدولة الجزائرية المستقلة في إنشاء ولايات جديدة أصبحت حينها أصبحت الأغواط بموجب التقسيم الإداري الجديد لسنة 1974 ولاية رسميا مستقلة عن ورقلة وتضم معها ولاية غرداية إلى غاية سنة 1985 ومنذ ذلك التاريخ بالخصوص شهدت المنطقة بأسرها والمدينة على وجه الخصوص تحولات متتالية مست جوانب العمران، الصناعة، التربية والتعليم والصحة والتجارة.

كان لهذا التنظيم الإداري الجديد الذي عرفته المدينة تبعاته على البناء الاجتماعي مما أدى إلى حراك سكاني واتساع المجال الحضري وكان ذلك على حساب المجال الاجتماعي نتج عنه اختلالات ثقافية واجتماعية وعمرانية كبيرة.

المنحى الثاني كان مع دخول الجزائر في دوامة من العنف السياسي والاجتماعي، أدى إلى ازمه سياسية واقتصادية وأمنية، كثفت من الهجرة نحو المدينة بسبب فقدان الأمن في المناطق الريفية، عرفت الأغواط في هذه المرحلة ظهور أحياء قصديرية كبيرة كحي الأفران القصديري.



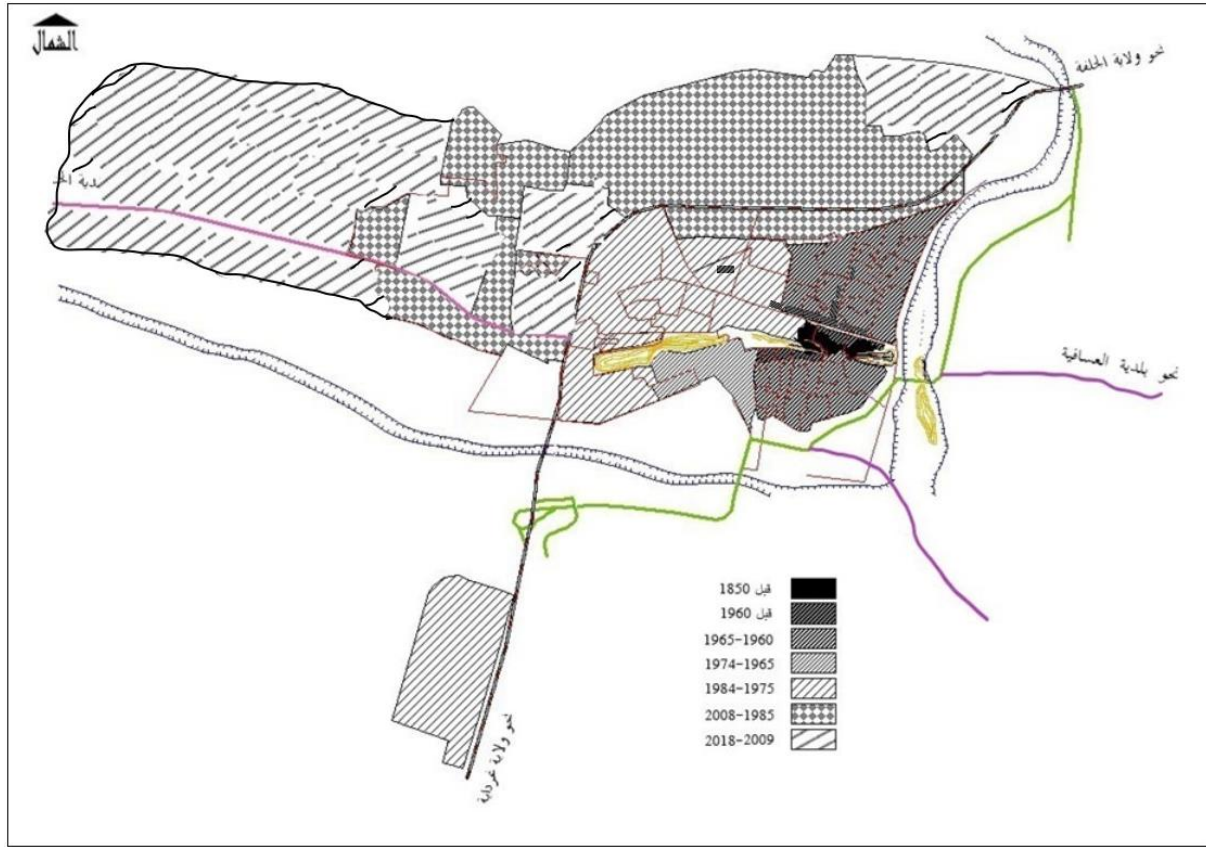
## مرحلة السادسة: 1998-2018

خلال هذه المرحلة عرفت المدينة نموا سكانيا هائلا، هذه الزيادة في السكان رافقها إنجاز موازي لعدد كبير من المساكن وهو ما يمثل تطور البرامج السكنية لمدينة الأغواط منذ بداية القرن الحالي والى غاية يومنا هذا بعدد يعكس الزيادة السكانية ويعتبر المسكن بمثابة المؤشر الأساسي لطبيعة العلاقات الاجتماعية، من خلاله التوزيع المجالي للفئات الاجتماعية بين الصيغ المتعددة للسكن التي ظهرت في هذه الفترة الأخيرة هذا التنوع بطبيعة الحال يعكس التنوع في الممارسات والخصوصيات الاجتماعية الخاصة بالسكان وقد أعطت الدولة اهتماما كبيرا بالسكن والمجالات السكنية المتنوعة، حيث تم إنجاز 24945 وحدة سكنية في نهاية سنة 2018، هذه الزيادات الاجتماعية بالصيغ المختلفة حوالي 43810 وحدة سكنية في نهاية سنة 2018، هذه الزيادات الكبيرة في عدد المساكن عرفت من خلاله المدينة توسعا عمرانيا كبيرا، كان له آثاره على مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وعلى حياة الأفراد والجماعات الاجتماعية داخل هذه الوحدات السكنية الجديدة والتوسعات المستحدثة بالمدينة.

هذا النمو السكاني والسكني والمجالي الهائل والغير متوقع أدى إلى استهلاك كل الأراضي القابلة للتعمير على المدى المتوسط والطويل حسب المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير (PDAU) لسنة 1998، مما اضطر بالمخططين والمشرفين على إدارة الولاية والبلدية من اتخاذ إجراءات جديدة حول إعادة تنظيم المدينة ودراسة كيفية توسعها نحو البلديات المجاورة لها مثل بلدية الخنق، بن ناصر لن شهرة، حيث تمت مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير سنة 2010.

من خلال تتبع نمو المدينة ومجالاتها الحضرية، يبدو أن هنالك علاقة وثيقة بين شكل ونوع الفضاء العمومي من جهة والفرد أو الأفراد والجماعات من جهة أخرى، نتيجة عوامل موضوعية مرتبطة بالفضاءات العمومية كمجال حضري للتفاعل اليومي من جهة وبين الأفراد باعتبارهم كيان اجتماعي وثقافي يؤثر على السلوكات والممارسات الاجتماعية. فهناك علاقة تأثير وتأثر تساهم السلطات بشكل أو بآخر في إنتاجها عبر عمليات الترحيل المتعددة والمختلفة.

## الخريطة رقم (05): مراحل النمو العمراني للمدينة (1852-2018)



المصدر: من إعداد الباحث

## المورفولوجيا الثقافية

حينما نتكلم عن الحضر في مدينة الأغواط، نقصد هنا سكان المدينة المقيمين بها قبل سنة 1954، لأنه في اعتقادنا أن البدايات الأولى للزحف نحو المدينة بطرق مكثفة وقسرية كان بعد قيام الثورة التحريرية أي منذ حوالي ستين سنة وهو ما يعادل ثلاثة أجيال حالياً، كان يوجد بالمدينة قبل الدخول الفرنسي أربعة مساجد مهمتها بالإضافة إلى الصلاة التعليم الديني والتربية، وكانت مدينة الأغواط قبل زوال السور مقسمة إلى قسمين، الجهة الغربية للأولاد سرغين والجهة الغربية للأحلاف، يفصل بينهما جدار به باب يفتح في وقت السلم، وحيث كانت المدينة في بداية نشأتها مجموعة من القصور المتناحرة، وهي محرمة على الغرباء والبدو فلا يمكنهم التجول في أزقتها الملتوية والحادة، فالمدينة خصوصيتها الاجتماعية والثقافية، فنمط العيش بها لا يليق بسكان البدو ولا يروقهم، ورغم

وجود علاقات اقتصادية وطيدة بين سكان المدينة والبدو، فهي محددة بعلاقات السوق، وهذا ما يفسر وجود السوق عند مدخل المدينة.<sup>1</sup>

### المورفولوجيا الفضاء السياسية للمدينة الحديثة

كما هو الحال الجزائر، إن التحولات التي يشهدها الفضاء السياسي في العالم العربي يشبه إلى حد بعيد (رحلة أوروبا الطويلة والمؤلمة مع الأوتوقراطية، عبر القومية، إلى الديمقراطية).<sup>2</sup> غير أن الفارق الوحيد هو متغير الزمن وماله من دور في تسريع عمليات التحول داخل الفضاء السياسي بمكوناته المختلفة وما يمكن أن يستسخه من التجارب السابقة رغم التشويش الذي سيكون له هو الآخر كبير الأثر على عمليات تشكّل هذا المجال.

إن الفضاء السياسي العام في الجزائر المستقلة له خلفيات تاريخية ودينية واجتماعية ساعدت في عمليات تكوينه، وبروز مقوماته منها الإطار الديني باعتباره أحد الموجهات الأساسية في البناء النخبوي، بالإضافة إلى البناء القبلي الذي يميز المجتمع المحلي وماله من دور في بناء العلاقات ذات البعد السياسي. عرفت الأغواط حركة سياسية مرافقة للحركات السياسية التي عرفت كل المدن الجزائرية ونشأ عدد كبير من الأحزاب والجمعيات ذات الطابع السياسي.

مدينة الأغواط الحديثة كباقي مدن الجزائر وباعتبارها مقرا للولاية فهي مشكلة من ثلاثة فضاءات سياسية تتباين في سيطرتها على المدينة وهي:

**الولاية والمؤسسات التنفيذية التابعة لها:** وهي مؤسسات بيروقراطية تعنى بالتنمية المحلية للولاية وهي شكل من أشكال السلطة المركزية، وهي تشكل نسق من العلاقات والروابط والمصالح المشتركة، ويعتبر الوالي ورئيس الدائرة هما السلطانان السياسيان أكثر تأثيرا على المستوى الاجتماعي والعائقي.

### المجلس الشعبي البلدي والمجلس الشعبي الولاوي.

المجلس الشعبي الولاوي يضم 39 عضوا، أما المجلس الشعبي البلدي لمدينة الأغواط يضم 33 عضوا، وهما الهيئتان الوحيدتان المنتخبتان، وهما في علاقة مباشرة مع السلطة البيروقراطية من

1- للاطلاع أكثر انظر:

مجموع رحلات أبو القاسم سعدالله، رحلة الاغواطى الحاج ابن الدين، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2011، ص87

Fromentin Eugene, op.cit., P. 82.

2- فرنسيس فوكوياما، النظام السياسي والانحطاط السياسي من الثورة الصناعية الى عولمة الديمقراطية، ترجمة: معين الإمام ومجيب الإمام، منتدى العلاقات العربية والدولية، ط1، الدوحة، قطر، 2016، ص 553.

جهة ومجتمع المدينة من جهة أخرى، فضاء العلاقات الاجتماعية وخاصة للمجلس الشعبي البلدي هو الأكثر تأثيراً في بناء العلاقات الاجتماعية ذات الطابع السياسي داخل المدينة، ويعتبر رئيس البلدية هو الشخصية الأكثر تواجداً في الخطابات الجموعية ولدى سكان الأحياء وعند المطالبات بالحقوق المتعلقة بجودة الحياة في فضاء المدينة.

### الجمعيات والأحزاب ومنظمات المجتمع المدني.

هي مؤسسات حديثة النشأة في المجتمع لها دور المعارض في اغلب الأحيان، وهي فضاءات للنقاش السياسي والاجتماعي والمشاركة السياسية، وهي جماعات ضغط لها تأثير نسبي على باقي الانساق الأخرى المشاركة في الفضاء السياسي للمدينة.

### المورفولوجيا السكانية

لم تعرف مدينة الأغواط زيادة سكانية تذكر منذ سنة 1952 إلى غاية 1954 حيث كانت الزيادة السكانية في هذه المرحلة جد ضعيفة تكاد لا تذكر، ففي مدة 102 سنة انتقل عدد السكان من 3600 نسمة إلى 11058 نسمة، حيث تضاعف العدد في هذه المدة ثلاث مرات فقط. وقد يرجع السبب في ذلك إلى عدة عوامل من أهمها السياسة الاستعمارية الإقصائية تجاه السكان المحليين وخاصة بعد معركة الأغواط والمقاومة الشرسة التي عرفتها المدينة، وكذلك لعدم تقبل سكان المنطقة العيش في ظل المراقبة الدائمة للمستعمر الذي كان يشدد الرقابة على سكان الحضر أكثر من سكان البوادي والأرياف الذين كانوا في منأى عن أعين المستعمر مباشرة. فالذاكرة الجماعية بقيت تحفظ تلك الذكريات الأليمة عما حدث بالأغواط وهذا هو السبب الرئيس في رأينا، بالإضافة إلى أن هذه المدة عرفت استمرار المقاومة بقيادة بن ناصر بن شهرة وعبد الله بوشوشة، مما شجع السكان على البقاء خارج المدينة.

يقدر عدد سكان بلدية الأغواط إلى غاية نهاية 2018 بـ: 210155 ساكن، منهم 195094

بمقر البلدية والباقي 15061 ساكن بالمناطق المبعثرة داخل تراب البلدية. انظر الجدول(04)

## الجدول رقم(04): تطور عدد سكان مدينة الأغواط ما بين سنة 1852 و2018.

| المصدر           | المدى | النسبة المئوية<br>لزيادة السنوية | عدد السكان | سنة التعداد |
|------------------|-------|----------------------------------|------------|-------------|
| E Mangin         |       |                                  | 3600       | 1852        |
| E Mangin         | 37    | 0,17                             | 3839       | 1889        |
| RF 1954          | 65    | 1,64                             | 11058      | 1954        |
| RGPH 1966        | 12    | 5,03                             | 27070      | 1966        |
| RGPH 1977        | 11    | 5,77                             | 49646      | 1977        |
| RGPH 1987        | 10    | 5,28                             | 66932      | 1987        |
| RGPH 1998        | 11    | 3,63                             | 99540      | 1998        |
| RGPH 2008        | 10    | 3,15                             | 135793     | 2008        |
| MONOGRAPHIE 2018 | 10    | 3,69                             | 195094     | 2018        |

من إعداد الباحث

وكانت البدايات الأولى للنمو السكاني العنيف مع بداية الثورة التحريرية حيث كان عدد السكان 11058 ساكن سنة 1954، ووصل في غضون 12 سنة إلى 27070 أي تضاعف إلى مرتين ونصف تقريبا، أي بنسبة زيادة سنوية قدرت بـ 5.03 % وهي ثاني أعلى نسبة زيادة في تاريخ المدينة ويعود السبب في ذلك إلى عمليات الترحيل القسري نحو المدن الذي مارسه المستعمر على سكان القرى والأرياف لقطع الإمداد عن الثورة التحريرية.

وتعتبر مرحلة ما بعد الاستقلال أي منذ سنة 1966 إلى غاية 1977 هي الأخرى مرحلة مهمة في تاريخ النمو الحضري للمدينة، حيث عرفت المدينة أعلى مستويات النمو الحضري الذي بلغ 5.77 بالمائة ويرجع ذلك إلى النزوح الريفي نحو المدن الذي عرفته الجزائر بعد الاستقلال. وقيت عملية النمو المتسارع إلى غاية 1987 حيث بلغ النمو السكاني 5.28 كثاني أعلى معدل نمو في تاريخ المدينة ويعود ذلك إلى عدة أسباب أهمها تحول المدينة التي مقر ولاية وازدهار الصناعة البترولية بالولاية.

يمكن تقسيم مراحل نمو المدينة حسب درجة النمو إلى ثلاث مراحل وهي:

**المرحلة الأولى (1852-1954):** مرحلة طويلة نسبيا عمرها أكثر من قرن وهي المرحلة الاستعمارية، تميزت بنمو عمراني ضعيف من 0.17 إلى 1.64 بالمائة، كان نفور الأهالي من المدينة له مبرراته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فالمدينة بالنسبة لهم هي الرضوخ لسلطة المستعمر والانضواء تحت رايته، هذا ما جعل من الريف والبادية الملاذ الوحيد للهروب من الرقابة الدائمة، فالذاكرة الجمعية للمدينة تذكرهم بعام الخلية وما فعله المستعمر من أعمال قتل وتكيد واضطهاد. ففضاءات الراحة القليلة والمرافق العمومية الموجودة في المدينة أصبحت حكرا على سكانها من الأوربيين وطبقة محدودة من السكان المحليين. البناء الاجتماعي في المدينة الاستعمارية يكشف عن تمايز طبقي واضح من جهة المعمرين المستحوزين على الفضاء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ومن جهة أخرى الأهالي المنعزلين في بيئة متردية اجتماعيا واقتصاديا.

**المرحلة الثانية (1954-1987):** مرحلة متقلبة جزء منها عرف قيام الثورة التحريرية وما رافقها من اختلالات في البناء الاجتماعي ومن حراك مكاني وظروف اجتماعية واقتصادية صعبة على سكان المدينة وظروف أمنية مشددة من قبل المستعمر، والجزء الثاني وهو خروج المستعمر وترك المدينة شاغرة مما ساعد على استفحال ظاهرة النزوح الريفي التي كانت في السابق عملية اجتثاث من الأرياف نحو المدن، تميزت بنمو عمراني قوي متسارع من 5.03 إلى 5.77 بالمائة، المدينة رغم قلة الإمكانيات التي كانت تتوفر عليها الدولة المستقلة غير أن ذلك لم يحد من عملية النزوح نحو المدينة لعدة أسباب منها السياسة المتبعة من طرف الدولة فيما يخص بتقاسم الريع الاستعماري والمتمثل في الفضاءات المتروكة على المستوى الثقافي والاقتصادي والعمراني والاجتماعي، وكذلك ترقية المدينة إلى مقر ولاية، وكان اكتشاف الغاز وتطور الصناعة البترولية بالمنطقة هو الآخر مساعد على النمو الحضري المتسارع. هي مرحلة تميزت بنمو السكن العشوائي داخل الواحات، وذلك بإنجاز سكنات فردية من طرف السكان، بالإضافة إلى استحداث أحياء سكنية جديدة في الناحية الجنوبية للمدينة، من بينها نجد حي الصادقية، حي المقدر، حي شطيط، وقد ظهرت هذه الأحياء نتيجة التوافد الكبير للسكان الريفيين والبدو الرحل من مختلف المناطق المجاورة للمدينة، وتم التوسع داخل الواحات الشمالية والجنوبية.

وتعتبر سنة 1975 نقطة تحول في تاريخ التحول الحضري والتعمير بالمدينة، حيث عرفت الأغواط تطور ملحوظ في نمو نسيجها العمراني واتجاهاته، فتوسعت المدينة نحو الغرب والجنوب الغربي جسده عدة مشاريع مهمة وضخمة تتمثل في منطقتي السكن الحضرية الجديدة واحد واثنين

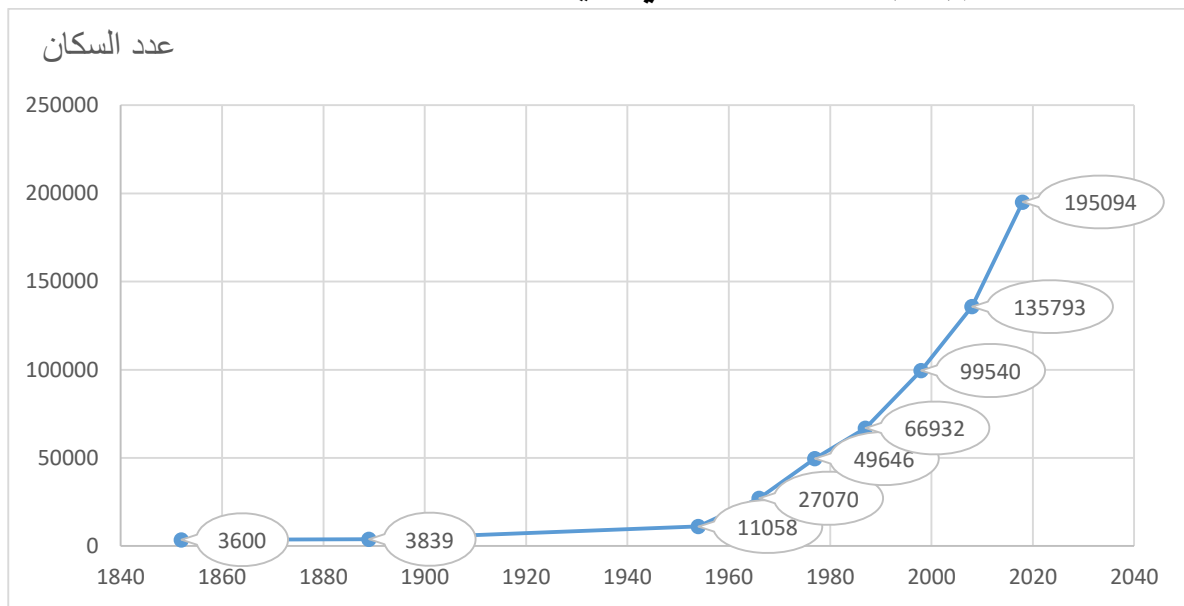
(ZHUN1 et ZHUN2)، بالإضافة إلى تجزئات حضرية متفرقة مثل حي بوعامر، حي المقام، حي الصنوبر، بالإضافة إلى إنجاز فضاءات تعليمية ودينية وخدمية وصحية وإدارية، مما ساهم في تشكل النسيج العمراني الحضري الجديد للمدينة، فكل هذه الإنجازات ساهمت بطريقة أو بآخري في زيادة عدد السكان النازحين من مختلف المناطق، وبذلك ازدادت المساحة العمرانية في هذه المرحلة حتى وصلت 1,799 هكتار من المساحة الكلية أي بنسبة 61,23%

**المرحلة الثالثة (1987-2018):** تميزت بنمو عمراني متوسط من 3.15 إلى 3.69 بالمائة، بدأت هذه المرحلة مع التحول الاقتصادي الذي عرفته الدولة الجزائرية والانتقال إلى اقتصاد السوق، وهي مرحلة عرفت فترتين متباينتين، الأولى وهي مرحلة العشرية السوداء ودخول البلاد في ازمه سياسية واقتصادية كان لها تبعات على البناء الاجتماعي والسياسي للمجتمع، والثانية وهي مرحلة الاستقرار السياسي والنمو الاقتصادي، والانفتاح على اقتصاد السوق وشهدت هذه المرحلة انطلاق مشاريع سكنية كبيرة وتعدد الصيغ السكنية وانخفاض في معدل شغل السكن وإنجاز عدد هائل من المرافق والفضاءات ذات الطابع الاجتماعي والثقافي. في هذه المرحلة تواصل توسع المدينة نحو اتجاه واحد وهو الخنق، أي من حي الوئام باتجاه الغرب، حيث شهد توسع كبير لهذا الحي بإنشاء تجزئات عديدة، كما ازداد استهلاك المجال من طرف السلطة والمجتمع.

على المستوى العمراني في هذه المرحلة عرفت المدينة توسعا كبيرا، إذ نجد مدينة الأغواط وخاصة بعد التقسيم الإداري الأخير لسنة 1985 مكتظة بالسكان واستهلكت معظم الأراضي الزراعية، مما أدى إلى تقليص مساحتها و نجدها كذلك ذات حدود طبيعية محددة، إذ لا يمكنها التوسع في كل الاتجاهات إلا نحو بلدية الخنق و بلدية بن ناصر بن شهرة، مما اعدة التفكير في عمليات التخطيط و ترشيد السياسة العمرانية للمدينة، فتم استحداث تجزئات سكنية جديدة تتمثل في حي الوئام و المصالحة باتجاه بلدية الخنق غربا، وحي الواحات الشمالية عند أقدام جبل لحمر شمالا، و كذلك من الملاحظ التوسع على حساب الأراضي الفلاحية خاصة بمنطقة حمدة، إضافة إلى تداخل النسيج العمراني الحضري مع الضاحية و المنطقة الثانوية المتواجدة شرق المدينة باتجاه بلدية العسافية في المنطقة المسماة برج السنوسي، و تشييد سكنات خاصة من طرف أفراد الشعب مما يجعل صورة المدينة تتدهور من خلال النسيج العمراني المتباين داخل المدينة. وهذا كان سببه أساسا النزوح الريفي من المناطق المجاورة إلى مركز المدينة للظفر بكل الخدمات المتوفرة بها، وأيضا الهجرة الداخلية بسبب الإرهاب في المرحلة الأولى والتصنيع المتواجد في

منطقة حاسي الرمل في المرحلة الثانية. مما أدى بالسلطات المختصة إلى إعادة تعديل مخطط التهيئة والتعمير قبل انتهاء مدته القانونية، بسبب عدم قدرته على تلبية نمو النسيج العمراني المتسارع وعدم وجود مناطق للتعمير المستقبلي، وهذا ما أدى إلى خلف مخطط جديد ما بين البلديات المجاورة للمدينة، والمتمثلة في بلدية الخنق وبلدية بن ناصر بن شهرة، من أجل إيجاد مناطق توسع للعمران المستقبلي لتغطية العجز في العقار الواضح في المدينة. بسبب نقص ارضي التعمير في أطراف المدينة.

الشكل رقم(03): منحنى توضيحي للزيادة السكانية بمدينة الأغواط 1852-2018.



### المورفولوجيا الخدمائية

تتوفر مدينة الأغواط على شبكة كبيرة من الفضاءات العمومية تختلف من حيث طبيعتها ووظيفتها، فهناك الفضاءات ذات الوظيفية العمرانية مثل الشوارع والطرق والممرات والأرصفة وهناك الفضاءات ذات الوظيفة الخدمائية والتجارية والثقافية والترفيهية ويمكن تلخيصها فيما يلي:

**شبكة الطرقات:** وتشمل ممرات الحركة والعبور من شوارع وممرات وطرق وهي نوعان منها ما هو مخصص لحركة المشاة ومنها ما هو مخصص للحركة الميكانيكية، بالإضافة إلى الساحات والفسحات ومواقف السيارات والجسور والممرات، وهي تمثل أكبر نسبة في المدينة حيث تقدر تقريبا بحوالي 35 في المائة انظر الجدول رقم(05) ومن المساحة العامة بالمدينة.



الجدول رقم(05): استخدامات الأرض في المدينة الحالية.

| النسبة %   | المساحة (هكتار) | الاستخدامات                      |
|------------|-----------------|----------------------------------|
| 37         | 876             | السكنية                          |
| 19         | 454             | التجهيزات                        |
| 9          | 216             | الصناعية والنشاطات               |
| 35         | 822             | مختلفة (الطرق والمساحات الخضراء) |
| <b>100</b> | <b>2368</b>     | <b>المجموع</b>                   |

المصدر: مكتب التخطيط بالبلدية وفق المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير

### المرافق العامة

تتوفر مدينة الأغواط على عدد هائل من المؤسسات العمومية ذات الطابع الخدماتي التي هي أحد المحاور الهامة في المسارات اليومية للسكان فلا يخلو يوم من حياة المواطن دون الانتقالي هذه المرافق العمومية الهامة في حياه السكان من أهمها:

### المرافق الخدماتية

بالنسبة للخدمات البريدية تتوفر ولاية الأغواط على 52 مكتب بريدي منها 14 مكتب بمدينة الأغواط وحدها، واحد منها بحي الوئام مجال الدراسة، بمعدل استقبال لكل مكتب بريدي بمدينة الاغواط يقدر بـ: 15052 ساكن وبشباك لكل 4471 ساكن، هذا ما يعني أن هذا المرفق جد هام في عملية الاتصال والاحتكاك بين السكان من جهة وبين السكان والموظفين من جهة مما يخلق شبكة مهمة من العلاقات وخاصة المصلحية منها، وهي علاقات قابلة للتطور والتوسع.

شبكة الاتصالات بالخطوط الأرضية تعتبر ضعيفة حيث هناك 24771 مشترك على مستوى مدينة الأغواط، باعتبار أن المشترك هو مسكن فقد يصل عدد المستعملين للشبكة إلى عدد يفوق (24771 \* TOL) أي حوالي 130000 مشترك من مجموع السكان المقدر بـ: 210155 وهو يمثل نسبة 62 بالمائة، هذا العزوف يرجع لوجود بدائل أخرى تتمثل في شبكات الهاتف النقال (موبيليس، جازي، اوريدو)، فموبيليس وحدها لديها 480690 مشترك مقابل 245365 مشترك لجازي و68457 مشترك لاوريدو. الملاحظ أن المشتركين في مختلف الشبكات يتعدى 924000 مشترك وهو ما يمثل 227 بالمائة. إن هذا العدد الهائل من المشتركين دليل على أهمية الاتصالات في العملية التواصلية بين أفراد المجتمع وتعتبر من الفضاءات الأكثر تأثيرا في حياة الأفراد اليومية،

فالمجتمع الأغواطي كباقي المجتمعات الأخرى في الجزائر تحول إلى مجتمع شبكي، يستعمل وسائل متعددة في تفاعلاته اليومية، فبالإضافة إلى المكالمات الهاتفية هناك وسائل التواصل الاجتماعي وخاصة الفيسبوك والتويتر والواتساب والفايبر...لخ. وأصبحت أدوات مثل الهاتف والحاسوب واللوحات الرقمية من الأدوات المهمة والضرورية في حياة الأفراد، وانتشرت في أوساط كل الفئات الاجتماعية وخاصة الشبانية منها. ونشأت أسواق ومحلات تجارية كبيرة لتداولها وأصبحت جزء من الحياة الاقتصادية للمواطن والمدينة ككل.

### المرافق الدينية الثقافية

يوجد بمدينة الأغواط 59 مسجد يستقبل المصلين منتشرة عبر النسيج العمراني للمدينة وهي من الفضاءات الأكثر استعمالاً في الحياة اليومية للمواطنين فهي تستقبل المصلين خمس مرات في اليوم وهي بذلك تعتبر بؤر للتواصل بين روادها. هناك كذلك 59 جمعية دينية تنشط بهذه المساجد مهمتها مرافقة المسجد وتقديم المساعدات وهي أداة للتكافل وللتواصل بين رواد المسجد والطبقات المحرومة فمهمتها هي جمع التبرعات للمسجد والمحتاجين والقيام بالأعمال الخيرية والتطوعية، وهي تمثل نسفاً مهماً في العملية التواصلية كذلك بين السلطة والمواطن والبحث عن السبل الناجعة لمحاربة الآفات الحضرية المختلفة كالجريمة والانحرافات السلوكية ومحاربة الفقر الحضري. كما يوجد بمدينة الأغواط 4 مدارس قرآنية و97 قاعات لتحفيظ القرآن، تستقبل 2116 طالب قرآن. وبطاقم إداري يقدر بـ: 93 موظف. مهمة هذه المدارس الأساسية هي التعليم القرآني من تحفيظ وحديث وفقه وأصول الدين وهي مدارس داعمة للمدارس الرسمية فهي تعلم كذلك اللغة والرياضيات والتاريخ. يرتاد هذه المدارس طلاب من الجنسين وهي مخصصة للكبار والصغار، وتقدم حصص في محو الأمية وتعليم أصول الدين للنساء وكبار السن.

### المرافق التعليمية

يوجد بمدينة الأغواط 72 مدرسة ابتدائية تتوزع على نسيج المدينة ككل، منها 13 مدرسة ابتدائية بميدان الدراسة، تستقبل هذه المؤسسات حوالي 22386 تلميذ منهم 10841 بنات أي بنسبة 49% وهذا ما يؤكد اهتمام السكان بتعليم البنات. من جهة أخرى نجد أن مجتمع التلاميذ هذا يمثل نسبة 11% من مجتمع سكان المدينة وهذا يؤكد على أن المدرسة باعتبارها فضاء تعليمياً له دور كبير في العملية التواصلية وإعادة بناء الرباط الاجتماعي في المدينة. يوظفهم 866 أستاذ وأستاذة والملاحظ أن الجنس الأنثوي هو المسيطر على هذه الشريحة بنسبة كبيرة جداً. ويوجد كذلك 26

متوسطة منها 5 بميدان الدراسة، تستقبل 14330 طالب و6983 طالبة بنسبة 49%، وهو مجتمع يمثل نسبة مجتمع المعلمين هذا يمثل هو الآخر نسبة كبيرة في عالم الشغل وهو بذلك يمثل قوة مؤثرة في الفضاء الاجتماعي والتأثير على السلطة السياسية في المدينة وفي الاختيارات والتوجهات المحلية ومنها الوطنية. انظر الجدول رقم(06)

الجدول رقم(06): المرافق التعليمية ومجتمع التعليم المتمدرسة بالحي

| المرحلة           | عدد المؤسسات | عدد الطلبة |        |         | الطاقم الإداري والبيداغوجي |         | المجموع |
|-------------------|--------------|------------|--------|---------|----------------------------|---------|---------|
|                   |              | الذكور     | الإناث | المجموع | الأساتذة                   | الإدارة |         |
| الابتدائي         | 72           | 11545      | 10841  | 22386   | 866                        | 739     | 46377   |
| المتوسط           | 26           | 7347       | 6983   | 14330   | 788                        | 404     | 29852   |
| الثانوي           | 15           | 3618       | 4399   | 8017    | 621                        | 289     | 16944   |
| المجموع           | 113          | 22510      | 22223  | 44733   | 2275                       | 1432    | 93173   |
| النسبة من المجتمع |              | 45.5       | 45.9   | 92.3    | 4.7                        | 3       | 100     |
| النسبة المئوية    |              | 10.7       | 10.6   | 21.3    | 1.1                        | 0.7     | 23.1    |

عدد السكان = 210155

المصدر: مديرية التربية لولاية الاغواط.

أما فيما يخص التكوين المهني يوجد بمدينة الأغواط 05 مراكز للتكوين المهني بقدره استيعاب تقدر ب: 3450 متربص منهم 1850 ذكور و2012 إناث، مدى تأثير هذه المعاهد يتعدى حدود المدينة ليشمل كل بلديات الولاية وحتى خارج الولاية.

مركز التكوين المهني والتمهين احمد بورزق

مركز التكوين المهني والتمهين للمعاقين محبوبي احمد

مركز التكوين المهني والتمهين ليناى أحمد

مركز التكوين المهني والتمهين للبنات حدباوي خديجة

مركز التكوين المهني والتمهين موتح قدور

المركز الولائي للتعليم والتكوين عن بعد الأغواط

المعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني للتسيير - بن الزويبر احمد

المعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني - كركبان احمد

المعهد التعليم المهني - كريم بلقاسم

### الجمعيات والمجتمع المدني

يعرف المجتمع المدني بأنه سلسلة متشابكة من المجتمعات الإنسانية والكيانات التي تربط بينها مجموعة من العلاقات والروابط الاجتماعية. وتختلف المجتمعات المدنية من حيث خصائصها الوصفية وأنظمتها المعيشية ومنظورها الاجتماعي تجاه كافة القضايا، وفي بعض الحالات يتم الربط بين المجتمع المدني والتطلعات السياسية والمنظومة الأخلاقية التي قد يختص بها مجتمع مدني عن آخر، وهذا يقود إلى مكونات المجتمع المدني وتأثيرها على الأفراد الذين يعيشون ضمنه، يوجد بالولاية 301 جمعية ثقافية منها 15 جمعية تاريخية و 10 جمعيات فلكورية و 33 جمعية فنية و 15 جمعية مسرحية 15 جمعية تراثية. هدفها بناء شبكات التواصل الفعال بين أفراد المجتمع، مما يساهم في توثيق العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد، والمساهمة في تقليص بعض المشكلات الاقتصادية والاجتماعية من خلال وجود الجمعيات الخيرية والتعاونيات التي تنفذ العديد من الأعمال الخيرية وأعمال التطوع. وترسيخ قيم التعاون والتكافل الاجتماعي في المجتمع. المكتبات: يوجد ثلاث مكتبات بقدرة استيعاب تقدر ب: 1200 قارئ، وهو عدد ضئيل مما يثبت قلة فائدة مثل هذه الفضاءات في العملية التفاعلية، بالإضافة إلى عزوف فئات كثيرة عن زيارة هذه الفضاءات في الأوقات العادية، فهي فضاءات يستعملها الطلاب في فترات الامتحانات والمناسبات الخاصة. فالمكتبة فقدت مكانتها الاجتماعية نظرا لعدة أسباب تتعلق بالتغيرات التكنولوجية ووجود فضاءات تعوضها على المستوى الافتراضي.

دار الشباب: هناك أربعة دور شباب بها 7630 منخرط وهو بذلك يمثلون نسقا اجتماعية تربطهم علاقات مشتركة تتمثل في الجوانب الترفيهية والثقافية والتعليمية. وهي فئة محدودة هي الأخرى فهي لا تمثل سوى 3.6 بالمائة من إجمالي عدد سكان المدينة.

المرافق الرياضية: يوجد بمدينة الأغواط عدد كبير من المرافق الرياضية المتعددة غير أنها غير وظيفية وغير كافية، حيث قد تم إنجاز اغلبها بطريقة عشوائية متسعة بدون تخطيط وبدون دراسة مسبقة حيث تم تشييد وإنجاز عدة ملاعب جوارية بالقرب من المدارس والطرق، وإنجاز بعض الملاعب بين العمارات، يوجد بالأغواط 02مركب راضي و 03 مسابح مغطاة و 02 قاعة رياضة و 02 مركز رياضي و 04 دور شباب و 02 بيت شباب، 62 ساحة لعب منها 26 مغطاه

بالعشب الاصطناعي مخصصة للأحياء السكنية، هذه الملاعب رغم عددها الكبير فهي تلا تلبية الطلب عليها نظرا لاهتمام فئات كثيرة باستعمالها، وهي فضاءات للتعارف وتكوين الصداقات. وهي تساعد الشباب على الاندماج الاجتماعي من خلال الممارسة الرياضية في إطار جماعي، وتعمل على نشر ثقافة التعارف والتسامح في أوساط الشباب من خلال النشاطات الرياضية. ولها دور من خلال الجمعيات الرياضية الجوارية في التنشئة الاجتماعية للشباب.

### المدينة أو الإضافات الكولونيالية داخل المدينة القديمة أو على أطرافها

مثل ما حدث في غالبية المدن الكولونالية التي جاءت على حساب المدن القديمة، ومع دخول المستعمر إلى أسوار مدينة الأغواط ذات مساء من يوم الأربعاء من عام ألف وثمانمائة وأربعة وخمسين، وما إن وصل هذا المستعمر حتى شرع في المساس "بالأشكال والصور" الحضرية المتأصلة في المدينة، التي أنتج الإنسان الأغواطي هندستها "وحدد من خلالها خطوطه الخاصة به كما يفعل مع لغته أو لباسه أو فلكلوره"<sup>1</sup>. فقام بهدم السور في معظم أجزائه، والجزء الغربي من المدينة (حي أولاد سرغين) آنذاك وكذا مركز المدينة القديمة وتحويله إلى نسيج كلونياكي (الشكل)، فأضاف مكونات جديدة للمدينة تتمثل في الكنيسة أو ما يسمى محليا بجامع اليهود، ثم أنشأ الحديقة العامة وكان ذلك في سنة 1920، فقام بشق الشوارع العريضة على الطراز الهوسماني في كامل المدينة، وادخل مكونات الشارع الحديثة من أرصفة وتأثيث غرس للأشجار وإحداث التقاطعات والمداخل والأقواس، وأنشأ الثكنات وأبراج المراقبة والمرافق الإدارية. ثم ما لبث إن بدا في استمالة المحليين فحاول استدراك أخطائه تجاه المرافق الدينية فبعدهما حوّل مسجد الخليفة إلى إسطنبول في بداية دخول المدينة، سمح ببناء مسجد الصفاح على أنقاض قصر كان هناك يسمى قصر بن سالم، كما جلب الماء عبر القنوات وأحدث قنوات للصرف الصحي.

### الأغواط بعد الاستقلال

تعرضت مدينة الأغواط بعد الاستقلال لتغيرات سوسيو-مجالية كبيرة -"كالتى مست الجزائر العاصمة"<sup>2</sup> وإن كانت أقل حدة في الشكل العمراني والبناء الاجتماعي والسكاني لأحيائها، لقد كانت تحولات سريعة وعميقة نتيجة لعدة عوامل كالهجرة الريفية وهجرة البدو نحو المدن، والنمو الديمغرافي الناتج عن الزيادة الطبيعية للسكان، بالإضافة إلى عامل ثالث يتمثل في الهجرة الداخلية فيما بين

1 - Hassan Fathi , op.cit., p64.

2 - Madani Safar-Zitoun, Alger d'aujourd'hui : une ville à la recherche de ses marques sociales, in « Insaniyat » n° 44-45, avril - septembre .2009., p. 33.

المدن. حيث شهد مجالها الحضري توسعا عمرانيا كبيرا وخاصة خلال الثلاث عقود الماضية أي من سنة 1990 إلى يومنا هذا.

الخريطة رقم (06): مخططات المدينة القديمة والتدخلات الاستعمارية



المصدر: أرشيف مديرية التعمير والبناء بتصرف

هذه التغير في مورفولوجيا الفضاء العمراني بشقيه العام والخاص، حيث مس العمارة التقليدية باعتبارها (هي المعبرة بشكل واضح عن القيم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وعن التواصل بين الإنسان ومحيط عيشه)1، هذا المسخ في المورفولوجيا العمرانية الذي انتج تغير في البناء الاجتماعي ومورفولوجيا السكان ونسق العلاقات الاجتماعية2، فغاب الزقاق والدرب، أين كان السكان متعارفين فيما بينهم، يعيشون متجاورين متعاونين بطريقة سلمية، وحل محلها العمارة والحي المشكل من

1 - Youcef Nacib, cultures Oasiennes, ENAL, Alger, 1986, p146.

2 -Richard. Sennett, op.cit., pp.32-35.

مجموعة من العمارات، يسكنه مجموعة من الأفراد متميزين اجتماعيا، منفصلين عاطفيا، وغابت معها العلاقات القرابية والأولية وحل محلها العلاقات النفعية والتعاقدية<sup>1</sup>.

إن الفضاء العمراني هو أحد أشكال تعبيرات المجتمع بكل تعقيداته، والخطوات المتخذة هنا تركز على الربط بين الاجتماعي والمجالي من أجل تحليل التصرفات الاجتماعية في حياة اليومية<sup>2</sup>. فالأشكال المادية المعمارية والعمرانية من بنايات وشبكات تفرض على الفرد داخل المدينة مسارات يتحتم عليه اتباعها في حياته اليومية.

بعد انتهاء الحرب التحريرية، فإن مختلف الفئات الاجتماعية التي شاركت في الثورة قد تطورت اجتماعيا واقتصاديا وفكريا بهد الحصول على الاستقلال، مما أدى إلى انقسام المجتمع على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، أكثر مما هو ملحوظ على الصعيد الأيديولوجي. فالفرص المتاحة في المدينة، بعد ذهاب المعمرين، والمرتبة المكتسبة للبعض على حساب الآخرين، عزز وجود طبقة حديثة تتكون من أصحاب المكانة الاجتماعية والنفوذ السياسي، من جهة أخرى فإن الطبقة التي توفر لها الكفاف من العيش في عهد الاستعمار تحولت إلى طبقة برجوازية صغرى التفت حول السلطة القائمة وتحصلت على الامتيازات على حساب الطبقة الكادحة في المدينة وسكان الأرياف المجاورة<sup>3</sup>.

ويرى اناتول كوب (Anatole Kopp) أن أي تغير في الإطار المبني حتما يؤدي إلى حدوث تغيرات اجتماعية<sup>4</sup>. بمعنى أن هناك علاقة بين الإطار المني والإطار المعيش. وأن التعمير والعمارة يعتبران عامل رئيسي في الحياة الوطنية، ... وأن السكن والمدينة "تجسد" الشروط الاجتماعية<sup>5</sup>. فالعمارة باعتبارها "مكتفات اجتماعية جديدة" مهمة لتحول الإنسان. ومن خلاله المجتمع.

كان، من المهم، في المدينة القديمة، التحري في اختيار المكان بتجنب ما يعتقد أنه ملاذ ومأوى لجاليات الشر من القوى الخفية ومحاولة التموضع داخل حدود جغرافية المقدس، وذلك عبر الارتباط رمزيا بالمركز الذي يمثل منطقة المقدس بامتياز<sup>6</sup>، حيث يعتقد أن المكان محمي من طرف

1 - Tönnies, Communauté et société, Paris, trad. Française, 1970. (1ere édition, 1987), p.82.

2 - Nassima Dris. op.cit.p.24.

3- مصطفى الاشرف، الجزائر: الامة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2007، ص27.

4- في هذا الاطار يمكن الرجوع إلى :

Anatole Kopp, (1969), ville et révolution, Architecture et Urbanisme soviétiques des années vingt, 2eme Éditions Anthropos,.

5 - ipid,p.107.

6 - Eliade, Mircéa, Le Mythe de l'éternel retour, Paris, Gallimard, 1969, p. 30.

الأولياء الصالحين المدفونين بالمدينة، سيدي الحاج عيسى، وسيدي حكوم، ... الخ، أن الموقع محمي من الحشرات السامة والأوبئة والأمراض.

### استخدامات الأرض في مدينة الأغواط

تشغل الاستخدامات السكنية أكبر نسبة من مساحة المدينة حيث تصل إلى حوالي 37% بينما شبكة الطرق والمساحات المفتوحة حوالي 30% والصناعة والنشاطات 9% والتجهيزات والمرافق العامة 19%، وهي نسب مقبولة نسبيا مقارنة بالمدن الحديثة، غير أن المشكلة هي في الكيفيات التي تمت بها عمليات التوزيع والترابط فيما بينها. ويمكن تقسيم المدينة إلى ثلاث مناطق من حيث استخدامات الأرض، وهي المنطقة السكنية ومنطقة النشاطات والمنطقة الصناعية، وسوف نتطرق إلى المناطق السكنية باعتبارها المناطق الأكثر أهمية في مسارات الحياة اليومية للسكان.

### المناطق السكنية:

تعتبر المناطق السكنية الأساس الأول للمدينة في تطورها التاريخي حيث تنمو حوله بقية استخدامات حضرية أخرى، تتدرج المناطق السكنية في المدينة من حيث التوزيع إلى أربع مناطق، وهي أولا: مركز المدينة أو المدينة العتيقة وتشمل البناءات التي سبقت الدخول الفرنسي وهي بناءات مكتظة قديمة شوارعها ضيقة، وهي ذات كثافة سكانية وسكنية مرتفعة واغلب مبانيها متراسة النمط متعددة الطوابق ومتعددة الأسر وتشمل زقاق الحجاج والمقطع الظهر اوي والمقطع القبلي وقصر البزائم والشطيط والقابو. بالإضافة إلى التوسعات التي أحدثها المستعمر وهي بناءات قديمة ولكن طابعها العمراني المنظم وشوارعها الكبيرة جعل منها أحياء وظيفية مهمة في المدينة وأكسبها قيمة عقارية كبيرة، تنشط بها تجارة الألبسة والأقمشة والروائح والعطور ولإلكترونيك والمواد الكهرومنزلية وتوجد بها المطاعم وبعض الخدمات الطبية والإدارية، منها حي الغربية ومركز المدينة وحي لاسيليس. ثانيا: منطقة سكنية ثانية اقل اكتظاظا وكثافة سكانية متوسطة وهي تشمل منطقة المعمورة المشهورة بتجارة الجملة ووجود بعض الخدمات وخاصة البنكية، والمقام وهو حي مختلط بناء ذاتي وبناء جماعي وهو حي راقي يتوفر على بعض الخدمات وفنادق، والواحات الشمالية وهو حي يغلب عليه الطابع الفردي وهي بناءات ذاتية بنيت في فترة الثمانينات من القرن الماضي وهي تخصيصات رسمية تشتمل على سكنات فردية بمساحات نوعا ما كبيرة من 200 إلى 400م<sup>2</sup>، بالإضافة إلى بعض السكنات الجماعية التي بنيت في إطار البناء الاجتماعي الإيجاري، وبعض المرافق الإدارية، وهو حي معروف بتجارة مواد البناء، قيمة الأرض مرتفعة هي الأخرى في هذه الأحياء وخاصة الشوارع



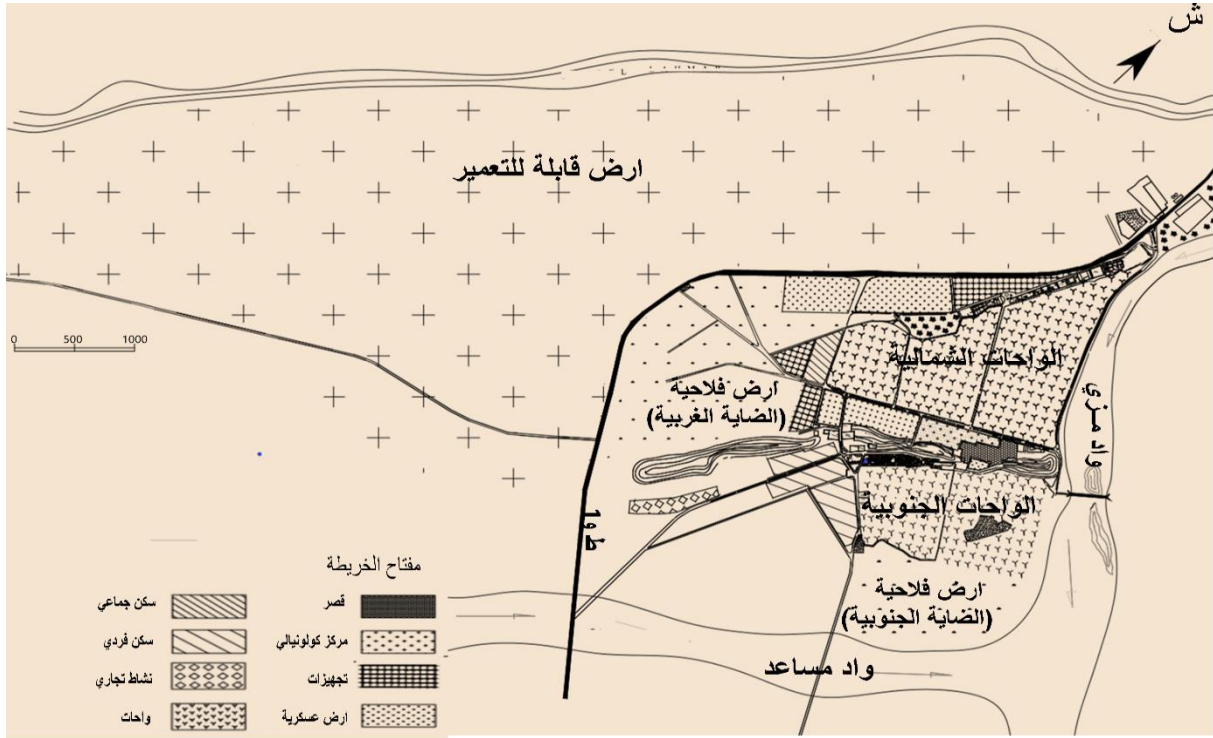
الرئيسية منها، وعموماً تنشط بها التجارة المختلفة كتلك التي موجود في مركز المدينة. ثالثاً: التوسعات العمرانية الجديدة وهي أحياء ظهرت بعد التحول الاقتصادي الذي عرفته الجزائر وجاءت في ظل قوانين التعمير الجديدة التي ظهرت بعد سنة 1991 وهي أحياء يغلب عليها الطابع الرسمي ويوجد بها تنوع في الصيغ السكنية المختلفة التي عرفتها الجزائر في السنوات الأخيرة، بعض هذه الأحياء تقتقر إلى الخدمات الضرورية. ورابعاً: منطقة النشاطات والمنطقة الصناعية وهي مناطق غير سكنية مهيئة لإنشاء المصانع والخدمات التي يحضر قيامها في المدينة، وعبرة عن مساحات واسعة مخصصة للقيام بالنشاطات والصناعة، ويوجد بالأغواط منطقة صناعية مهمة في الجهة الجنوبية للمدينة على الجهة الغربية للطريق الرابط بين الأغواط وغرداية، مساحتها الإجمالية حوالي 200 هكتار غير مستغلة بصفة كلية، وهناك منطقة نشاطات على الطريق الرابط لمدينة الأغواط ببلدية الخنق مساحتها حوالي 16 هكتار هي الأخرى غير مستغلة كلياً، وحُولت بعض الأجزاء منها إلى سكن لقربها من المدينة ومن الخدمات العامة.

### أحياء التعمير المخطط

لم تشهد الأغواط أي توسع عمراني مخطط له إلا بعد مدة طويلة نوعاً ما من الاستقلال، فكانت أولى بدايات التوسع العمراني المخطط مع التقسيم الإداري لسنة 1972، وتحول الأغواط إلى ولاية، وأصبحت بذلك مقراً إدارياً ومركزاً حضرياً وعاصمة للولاية تحمل الترتيم 03، وكان لاكتشاف حقل الغاز بحاسي الرمل وازدهار العمالة البترولية دور كبير في التوسع العمراني السريع الذي عرفته المدينة بعد ذلك، مما سرّع في تخلي المدينة عن طابعها الواحاتي والتحول إلى النشاط الصناعي، حيث كان السكان يعتمدون في معاشهم على الزراعة وخاصة بساتين النخيل التي كانت تزخر بها واحة الأغواط بالإضافة إلى تربية الأغنام والماعز، ومع ظهور الشركات البترولية الكبرى في حاسي الرمل، بدأ المجتمع الاغواطي يعتمد على العمل في الشركات البترولية بدلاً من العمل في غابات النخيل التي كانت تشكل مصدر الرزق لعدد كبير من العائلات وكانت تمثل حزاماً بيئياً اخصر حول مدينة الأغواط، هذا التغير في الطابع المعيشي اكسب المدينة اهم الخصائص الحضرية وهي العمل في مجالات غير زراعية، مما افقد المجتمع بعض الخصائص الريفية، وانتقلت بذلك الروابط الاجتماعية من ميكانيكية إلى روابط عضوية بسبب تقسيم العمل، وتسارع السكان في أبناء المساكن المريحة واستعمال مواد البناء النبيلة والحديثة، وبدأ التمايز الاجتماعي يطفو إلى السطح، فانتعشت تجارة وصناعة مواد البناء، وازدهرت سوق العمل وأصبحت المدينة مركز جذب لليد العاملة

الماهرة وغير الماهرة من خارج الولاية، وخاصة في مجال البناء، مما دفع بالمخططين إلى إنشاء توسعات عمرانية جديدة غير أنها كانت محدودة، فظهر حي المعمورة الحالي، بالإضافة إلى إنجاز عمارات جديدة بجانب البناء الجاهز (حي لاسيليس) وهي العمارات التي خلفها المستعمر (78Logts HLM)، ومن بعده حي المقام، إلى جانب ذلك بعض التوسعات الداخلية على طول الشوارع القديمة (لمقطع الظهرأوي، لمقطع القبلي..).

الخريطة (07): الأغواط سنة 1974



المصدر: مخطط العام للتعبئة ولتعمير (PDAU) 1994 بتصرف.

### الأحياء العشوائية:

عرفت الأغواط حين عشوائيين منذ الاستقلال تم القضاء عليهما، كان ظهور الحي الأول مع بداية الثورة حيث تم الزج بسكان الأرياف والبدو في مخيمات على الحافة الجنوبية للمدينة في ظروف معيشية وسكنية سيئة، وكان هذا الحي الذي يسمى حاليا بحي الشطيط من الأحياء الغير رسمية التي ساعد المستعمر على إنشائها، فالأغواط من المدن التي تعرضت لعمليات هجرة داخلية نحوها، وكان ذلك منذ بداية الثورة التحريرية. واستفحلت الظاهرة بعد الاستقلال فظهر حي بوخنفوس القصديري وهناك من يرى أن ذلك راجع (لقلة المراقبة الإدارية للتغيرات التي تحدث في النسيج

العمراني لعدة أسباب واعتبارات سياسية وإدارية فسح المجال لمزيد من التعدي على الأراضي العمومية والمضاربة عليها وتوسيع المستوطنات العشوائية، التي تعتبر المحرك الأساسي للهجرة الدائمة<sup>1</sup> غير أن الأغواط تعتبر من المدن الجزائرية القليلة التي تغلبت على طاهرة البيوت القصدية بفضل البرامج السكنية التي استفادت منها تم توزيعها في السنوات الأخيرة. ويبقى الهاجس الأكبر هو مشكلة السكن الهش الذي حاولت السلطات المحلية إعادة الاعتبار له من خلال بعض عمليات الترميم والتهيئة المحدودة.

### الحضيرة السكنية بالأغواط.

تعتبر المناطق السكنية الأساس الأول للمدينة في تطورها التاريخي حيث تنمو حوله بقية استخدامات حضرية أخرى، تتدرج المناطق السكنية في المدينة من حيث التوزيع إلى أربع مناطق، وهي أولاً: مركز المدينة أو المدينة العتيقة وتشمل البناءات التي سبقت الدخول الفرنسي وهي بناءات مكتظة قديمة شوارعها ضيقة، وهي ذات كثافة سكانية وسكنية مرتفعة واغلب مبانيها متراسة النمط متعددة الطوابق ومتعددة الأسر وتشمل زقاق الحجاج والمقطع الظهراوي والمقطع القبلي وقصر البزائم والشطيط والقابو. بالإضافة إلى التوسعات التي أحدثتها المستعمر وهي بناءات قديمة ولكن طابعها العمراني المنظم وشوارعها الكبيرة جعل منها أحياء وظيفية مهمة في المدينة وأكسبها قيمة عقارية كبيرة، تنشط بها تجارة الألبسة والأقمشة والروائح والعطور والإلكترونيك والمواد الكهرومنزلية وتوجد بها المطاعم وبعض الخدمات الطبية والإدارية، منها حي الغربية ومركز المدينة وحي لاسيليس. ثانياً: منطقة سكنية ثانية اقل اكتظاظاً وكثافة سكانية متوسطة وهي تشمل منطقة المعمورة المشهورة بتجارة الجملة ووجود بعض الخدمات وخاصة البنكية، والمقام وهو حي مختلط بناء ذاتي وبناء جماعي وهو حي راقي يتوفر على بعض الخدمات وفنادق، والواحات الشمالية وهو حي يغلب عليه الطابع الفردي وهي بناءات ذاتية بنيت في فترة الثمانينات من القرن الماضي وهي تخصيصات رسمية تشتمل على سكنات فردية بمساحات نوعاً ما كبيرة من 200 إلى 400م<sup>2</sup>، بالإضافة إلى بعض السكنات الجماعية التي بنيت في إطار البناء الاجتماعي الإيجاري، وبعض المرافق الإدارية، وهو حي معروف بتجارة مواد البناء، قيمة الأرض مرتفعة هي الأخرى هذه الأحياء وخاصة الشوارع الرئيسية منها، وعموماً تنشط بها التجارة المختلفة كتلك التي موجود في مركز المدينة. ثالثاً: التوسعات العمرانية الجديدة وهي أحياء ظهرت بعد التحول الاقتصادي الذي عرفته الجزائر وجاءت في ظل

1- عبد العزيز بون: التحضر في الجزائر، مجلة الباحث الاجتماعي العدد 5، 2004، الجزائر، ص ص.52.

قوانين التعمير الجديدة التي ظهرت بعد سنة 1991 وهي أحياء يغلب عليها الطابع الرسمي ويوجد بها تنوع في الصيغ السكنية المختلفة التي عرفت الجزائر في السنوات الأخيرة، بعض هذه الأحياء تقتصر إلى الخدمات الضرورية. ورابعاً: منطقة النشاطات والمنطقة الصناعية وهي مناطق غير سكنية مهيئة لإنشاء المصانع والخدمات التي يحضر قيامها في المدينة، وهي عبارة عن وهي عبارة عن مساحات واسعة مخصصة للقيام بالنشاطات والصناعة، ويوجد بالأغواط منطقة صناعية مهمة في الجهة الجنوبية للمدينة على الطرق الرابط بين الأغواط وغرداية، مساحتها الإجمالية حوالي 200 هكتار غير مستغلة بصفة كلية، وهناك منطقة نشاطات على الطريق الرابط الأغواط ببلدية الخنق مساحتها حوالي 16 هكتار هي الأخرى مستغلة كلياً، وحول البعض منها إلى سكن لقرىها من المدينة ومن الخدمات العامة.

تتوفر مدينة الأغواط على حضيرة سكنية متنوعة بها كل الصيغ السكنية التي عرفت الجزائر قبل العهد الاستعماري فهي مدينة قديمة بها أحياء قديمة سبقت الدخول الفرنسي ومازالت تحافظ على طابعها الخاص منها حي زقاق الحجاج وبعض الأحياء المتفرقة الأخرى كحي الزبارة وحي القابو وأجزاء من المقطع الظهرراوي والمقطع القبلي وقصر البزائم والشطسيط وسيدي يانس. بالإضافة إلى التوسعات التي أنشأتها فرنسا بحي الغربية وحي لاسيليس والواحات الشمالية وحي الصنوبر، وبعد الاستقلال ظهرت توسعات جديدة وصيغ سكنية مختلفة بدء من البناء الذاتي بأنواعه المختلفة والسكن الإيجاري العمومي بصيغه المختلفة والسكن المدعم الذي ظهر في السنوات الأخيرة.

تم إحصاء 12158 سكن بمدينة الأغواط سنة 1966، هذه الحضيرة التي عرفت نمواً بطيئاً في الفترة ما بين 1966 إلى غاية 1998 حيث لم كانت الزيادة بحوالي الثلث فقط في مدة 32 سنة لا تتعدى الثلث، فحين عرفت الحضيرة السكنية زيادة نوعية وكمية معتبرة في السنوات الأخيرة وخاصة بعد الخروج من العشرية السوداء سنة 1998، حيث تضاعف إلى مرتين ونصف ليصل إلى 43810 سكن سنة 2018، وهذا راجع لعدة عوامل أهمها البحبوحة الاقتصادية التي عرفتتها الدولة، وسياسة الإسكان التي اتبعتها النظام السياسي في هذه المرحلة وخاصة في البرامج الخماسية (2004-2009) الذي عرف إنجاز و (2009-2014)، حيث عرفت الولاية خلال هذه المرحلة إنجاز عدة برامج سكنية وصيغ سكنية متنوعة ساهمت في التخفيف من أزمة السكن بالمدينة، غير أنها خلقت تمايزاً في السكنى أنتج هو الآخر تمايزاً اجتماعياً ظهر جلياً في استهلاك المجال

واستعمالاته وافرز عن علاقات اجتماعية جديدة وحراك مجالي واجتماعي واقتصادي لم تعرفه المدينة منذ نشأتها.

الاختلالات السكنية التي عرفتھا المدينة بظهور صيغ سكنية جديدة متعددة وبطابع عمراني يطغى عليه السكن الجماعي العمودي الذي يكثر فيه استعمال المجال العام والفضاءات المشتركة بين السكان كالسالم والرحبات والساحة بين العمارات ومداخل العمارات المشتركة وأماكن التوقف المشتركة كذلك كل هذا الاستهلاك الجماعي للفضاء الخارجي وطغيانه على ما هو خاص، افقد المجتمع بعض خصوصياته المحلية مثل الحشمة والحرمة وظهرت عادات دخيلة عن السكان أدت إلى اختلالات في البناء الاجتماعي أثرت على بناء الرباط الاجتماعي، وإعادة نسج العلاقات بين سكان هذه التوسعات المتسارعة التي عرفتھا المدينة في الفترة الأخيرة، إن التنوع السكني والتنوع السكاني وزيادة الحجم والكثافة وما رافقهما من حراك سكاني على كل المستويات افقد المدينة هويتها واكسبها هويات جديدة متباينة من حي إلى الآخر بل ومن مجمع سكني إلى آخر، هذه التباينات كان له اثر سلبي على الروابط الاجتماعية الأولية والقربانية لصالح روابط المصلحة والمنفعة، وروابط الصداقة وروابط الجيرة. انظر الجدول رقم(07)

الجدول رقم(07): تطور الحضيرة السكنية بمدينة الاغواط (1962-2018)

| السنة | عدد السكنات | الزيادة | معدل الزيادة السنوية | المدى |
|-------|-------------|---------|----------------------|-------|
| 1966  | 12185       |         |                      |       |
| 1977  | 15850       | 3665    | 2.42%                | 11    |
| 1988  | 16949       | 1099    | 0.65%                | 11    |
| 1998  | 18865       | 1916    | 1.08%                | 10    |
| 2008  | 32567       | 13702   | 5.61%                | 10    |
| 2018  | 43810       | 11243   | 3.01%                | 10    |

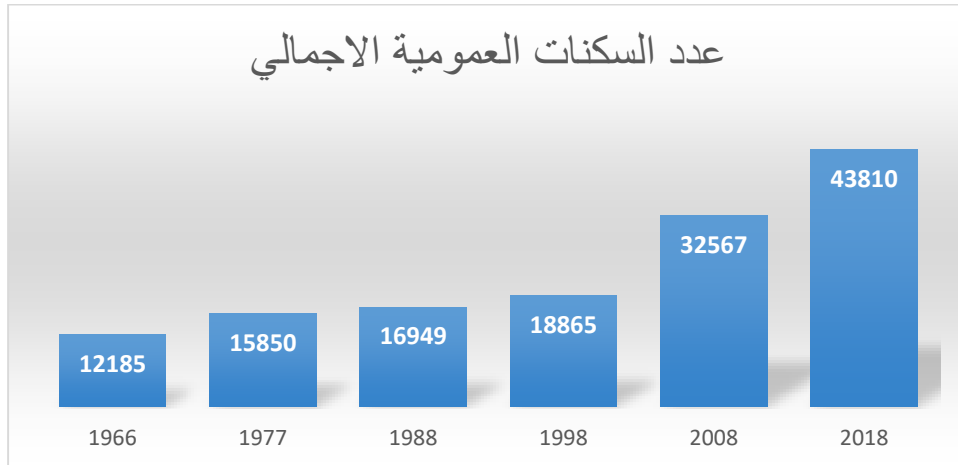
المصدر: مكتب الإحصاءات لبلدية الأغواط بتصرف

معدل النمو السكاني السنوي الذي عرفنه الأغواط ما بين سنة 1999 وسنة 2008 هو اعلى معدل في تاريخ الجزائر المستقلة حيث وصل إلى 5.61 %، ويرجع ذلك للبرامج الضخمة التي أطلقتها الدولة خاصة برنامج إنجاز مليوني وحدة سكنية عبر الوطن في هذه الفترة. ثم تراجع هذه النسبة في الأغواط إلى حدود 3.01% فيما بعد. هذه البرامج كان لها آثار إيجابية على جودة الحياة، حيث انخفض معدل شغل المسكن ليصل إلى 4.80 فرد/ مسكن، كما انخفض الطلب على السكن هو الآخر، وتقلص العجز في السكن بمدينة الأغواط ليصل إلى 4684 وحدة سكنية، وهي نسبة مقبولة نسبيا.

هذه الزيادة في عدد المساكن التي بلغت 24945 مسكن خلال عشرين سنة، وهي أكثر من نصف المساكن الموجودة بالمدينة، رافقها حراك سكاني كبير مس نسبة كبيرة من السكان المقيمين في المدينة بنسبة قد تصل إلى نصف السكان خلال جيل واحد، وهذا يعتبر انقلاب جذري وتحول عميق مس البنى الاجتماعية وأحدث تحولات كبيرة كان لها تأثير على العادة تشكل الرباط الاجتماعي.

هذا النسيج المختلف من حيث طبيعة المسكن ومكوناته الداخلية والخارجية والفضاءات التي أنتجها ورافقته هي بمثابة مكونات اجتماعية تدخل في سيرورة عمليات البناء الاجتماعي للمدينة والكيفيات التي تتشكل بها الروابط الاجتماعي بين الأفراد داخل أجزاء المدينة، وبين قطاعاتها السكنية المختلفة وهي كذلك محددات تقسيمات مادية لها أثر على بناء الهوية للحي والجماعة ومؤشرات يستدل بها الباحث في معرفة العلاقات المكانية والزمانية والاجتماعية داخل حدود المدينة وقطاعاتها السكنية المختلفة.

الشكل رقم(04): رسم بياني يبين تطور الحاضرة السكنية بين سنة 1966 و 2018.



المصدر: الإحصاء العام للسكان ومونوغرافيا 2018.

ويوجد بالحاضرة السكنية للمدينة حوالي 43810 سكن مقسمة كالاتي:<sup>1</sup>

#### الأحياء القديمة:

السكن التقليدي يقر بالعرف بين القاطنين ويحترم العادات والتقاليد والتزام العلاقات بين الجميع على مبدأ لا ضرر ولا ضرار، وهي منتجة لبيئة امتازت بقوة الروابط المجتمعية بين الجيران فهم في الغالب إما أسرة واحدة ممتدة اجتمعت بين أفرادها روابط الجيرة والقربة أو نشأت بينهم علاقة قوية

بفضل حاجة لإقرار العرف بينهم، وكذلك الإحسان للجار وهناك آيات وأحاديث كثيرة تدعو لذلك. والسكن التقليدي مفتوح على صحن بالداخل وهو عنصر مهم لأهل الدار اجتماعيا ومناخيا مغلق من الخارج له واجهات عمياء أو صماء ما عدى بعض الفتحات التي تمنع التلصص وانتهاك الخصوصية وتسمح بدخول الهواء وهي عادة تكون عالية وصغير وتطل على فضاءات اقل خصوصية.

تشكل المدينة القديمة المكونة من حي الغربية وزقاق الحجاج، والبنائات المقطع الطهراوي والمقطع القبلي وأحياء متفرقة. وهي مجموع البنائات التي بنيت في الفترة التي سبقت الاحتلال بالإضافة إلى السكنات التي أضافها المستعمر ونقصد هنا البنائات ذات الطابع السكني والخدماتي وكل المرافق التي من شأنها العمل على بناء التوال بين الأفراد وهي الأماكن ذات الطابع العام. ومنها الحديقة العامة والمسجد والكنيسة والمدرسة والسكن للمعمرين والأهالي. وان كانت مرحلة بناء السكن للأهالي جاءت متأخرة في نهاية 1958 بعد المشروع الذي جاء به الرئيس الفرنسي ديغول. حيث كان المجتمع الفرنسي المتمثل في المعمرين مغزولا مكانيا واجتماعيا عن المجتمع المحلي. وكانت فرص التواصل نادرة ومحدودة. مما أدى إلى فشل سياسة الاندماج التي تبنتها فرنسا نهاية الخمسينات.

### البناء الذاتي:

ونقصد به التجزئات الاجتماعية والترقوية التي منحتها الدولة للمواطنين قصد بناء منازلهم ذاتيا وهي صيغة تقوم فيه الدولة بالقيام بعمليات التهيئة وبناء المرافق العمومية ومن اهم الأحياء حي المعمورة الذي أنشأ على مراحل ابتداء من سنة 1974، وحي المقام هو الآخر أنشأ سنة 1988 وحي الواحات الشمالية وبعض التجزئات بحي الوئام. معظم هذه الأحياء بنيت على أراضي فارغة تابعة للدولة وحسب مخططات رسمية مرت بمراحل بدا من تخصيص الأرض إلى رخصة التجزئة ثم رخص البناء الفردية، ورغم المرافقة التقنية والرسمية غيرا نهذه الأحياء ظهرت بها نقائص عدة كمنقص الأراضي لإنشاء الفضاءات والمرافق المختلفة المهمة للحي، وعرفت فوضي في بعض جوانب الإنجاز وكشفت عن قصور تقني وقانوني واجتماعي كان له اثر سلبي على الحياة العامة للسكان، فتصميم الشوارع لم يراعى فيه الجوانب المستقبلية وما أحدثته السيارة من ثورة في بناء شبكة المرور، وهناك نقص في الفضاءات ذات الطابع البيئي خاصة الحدائق والمساحات الخضراء وفضاءات الراحة، وهي فضاءات مهمة في عمليات التواصل بين أفراد الحي الواحد.

وتعتبر من المساوئ التي تعرفها هذه الأحياء هي قلة الفضاءات لبناء المرافق الضرورية للحي كالمدراس الابتدائية والمصحات والمرافق الخدماتية العامة. وهذا ما يجعل الفرد يقطع مسافات كبيرة للوصول إلى المرافق الضرورية، فتلاميذ المراحل الابتدائية يقطعون مسافات تفوق في بعض الأحيان الألف متر للوصول إلى المدرسة وسط حي مليء بالفوضى والحركة التجارية والمرورية المزدحمة مما يجعل الطفل عرضة لمخاطر كبيرة، وهذا بدوره يؤثر على الحياة العائلية ومنها العلاقات الاجتماعية، ويدخل في رسم مسارات السكان ومراحل حياتهم اليومية.

### السكن الاجتماعي

السكن الاجتماعي ظهر في الأغواط سنة 1958 في إطار مشروع قسنطينة الاستعماري، حيث استفادت المدينة من 96 سكن لذوي الدخل المنخفض (HLM)، ثم ظهر فيما بعد الاستقلال باسم السكن الإيجاري (LL)، فاستفاد الأغواط من عدة مشاريع كان بداياتها في سبعينيات القرن الماضي مع مشروع 104 سكن بحي لاسيليس وثم حي 600 سكن سنوات 1980 بحي المقام، ومشروع 482 ومشروع 250 بح المعمورة، كلها مشاريع أنجزت قبل سنة 1990، غير أن القفزة النوعية كانت مع بدايات الألفية الثالثة حيث تم بناء ما يقارب 12249 سكن منها 8460 سكن بنيت بعد سنة 1998. وهي تمثل شريحة كبيرة من المجتمع، معظم هذه السكنات جماعية من نوع F4 وبمساحة إجمالية قدرها حوالي 65 متر مربع.

### السكن التطوري

عرفت الأغواط خلال السنوات من 1995 إلى 1998 بناء 550 سكن تطوري في عدة مواقع متفرقة كان أهمها مشروع 200 سكن تطوري بتجمع المحافير الموجود بحي الوئام موضوع الدراسة، حيث استفادت عائلات من حي بوخنفوس القصديري من هذه السكنات التي بنيت النواة الأولى للسكن من طرف مقاولين محليين.

### السكن التساهمي والترقوي المدعم

تم بناء 3865 سكن تساهمي (LSP) و 2750 سكن ترقوي مدعم (LPA) بمدينة الأغواط خلال الفترة الممتدة من سنة 2000 إلى غاية 2018. هذه السكنات هي لفائدة الطبقة ذات الدخل الذي يتراوح بين 24000 دج و 108000 دج، وبذلك تم خلق فئة اجتماعية جديد على أساس الدخل.



### السكن الوظيفي

470 سكن وظيفي منها 100 سكن لعمال الإدارة العمومية على شكل مجمع سكني نصف جماعي و150 سكن لعمال التربية داخل المدارس بأطوارها المختلفة، و220 لأساتذة التعليم العالي على شكل تجمع سكني نصف جماعي وفردى من طابقين.

### السكن الترقوي العمومي (LPP)

هذه الصيغة السكنية التي تم اعتمادها منذ سنة 2013 لم تعرف إقبالا عليها 369 سكن فقط. وسبب العزوف يرجع إلى القيمة المالية المطلوبة من المستفيد.

### سكن صيغة البيع بالإيجار (AADL)

منذ سنة 2013 بدأ بناء السكن بصيغة البيع بالإيجار (AADL) حيث استفادت مدينة الأغواط من 1500 سكن جماعي.

سكنات الترقية العقارية ذات الطابع التجاري وهي سكنات فردية فاخرة، حيث تم إنجاز 378 سكن على طراز الفلل وهي سكنات باهضة الثمن وليست في متناول الجميع. انظر الجدول رقم(08).

جدول رقم(08): الحاضرة السكنية بمدينة الأغواط ونسب توزيعها.

| الفترة الإنجاز                    | النسبة | العدد | الصيغة  |
|-----------------------------------|--------|-------|---|
| منذ الاستقلال إلى غاية نهاية 2018 | 27,96% | 12249 | سكن عمومي إيجاري.   |
| منذ الاستقلال إلى غاية نهاية 2018 | 33,91% | 14857 | بناء ذاتي   |
| قبل الاستقلال                     | 9,23%  | 4045  | السكن الهش  |
| منذ 1993 إلى غاية نهاية 2018      | 27,78% | 12171 | سكن مدعم (تطوري، تساهمي، بيع بالإيجار، سكن الجنوب، ترقوي، ريفي) |
| قبل الاستقلال إلى غاية نهاية 2018 | 1,11%  | 488   | سكن وظيفي   |
|                                   | 100%   | 43810 | المجموع   |

المصدر: مصالح البلدية + ديوان الترقية والتسيير العقاري + الوكالة الولائية لتسيير العقاري + مديرية السكن

## خلاصة الفصل

مدينة الأغواط هي إحدى المدن السهبية، التي عرفت نموا سكانيا وتوسعا عمرانيا كبيرين وخاصة بعد الاستقلال، وعرفت هجرات إليها وخاصة من القرى والأرياف المجاورة أثرت على البناء الاجتماعي للمدينة وعلى الرباط الاجتماعي، وجعلت المدينة تكشف عن تباينات اجتماعية كبيرة، وخلقت نوع من الصراع على المجال العام بالمدينة بين الأفراد والجماعات، ويظهر ذلك جليا في التوسعات العمرانية التي عرفتتها المدينة في السنوات الأخيرة.

عرفت مدينة الأغواط تحولات كبيرة مست الجوانب الاجتماعية واقتصادية والثقافية والسياسية كانت الفضاءات العمومية هي المسرح الذي يمكن من خلاله ملاحظة الوقائع المعاشة التي تتجسد على أرضه كل التفاعلات اليومية بين السكان. تعتبر الأشكال المادية للفضاءات العمومية بالمدينة هي الموارد المادية التي تتقاطع فيها المصالح الشخصية للأفراد، فهي مهمة في الحياة اليومية للموطن ومحددة لبناء العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، كما أن توفرها من عدمه وكيفيات توزيعها المجالي، واستعمالاتها يخلق نوع من التباين والتفئة داخل مجتمع المدينة.

## الفصل السابع:

### الإجراءات المنهجية للدراسة

أولاً: مجالات الدراسة

ثانياً: المناهج المتبعة في الدراسة

ثالثاً: أدوات الدراسة

رابعاً: عينات الدراسة

خامساً: اهتمامات الدراسة

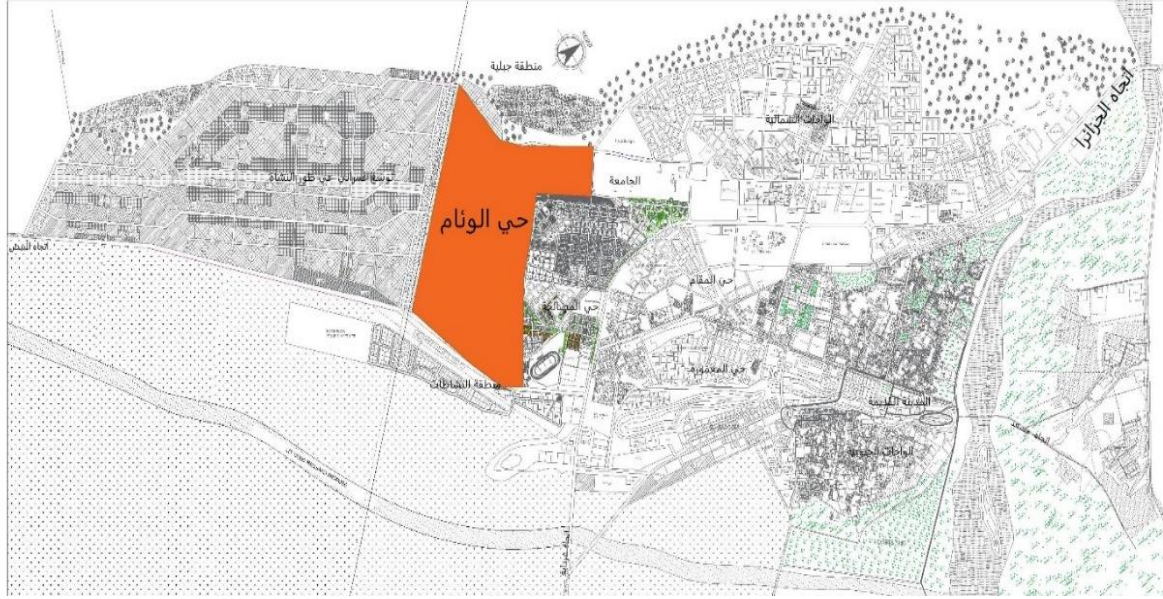
## الفصل السابع: الإجراءات المنهجية للدراسة

## أولاً: مجالات الدراسة

## الإطار المكاني:

يقع ميدان الدراسة بين خطي طول  $41.94'2^{\circ}51$  شرقاً و  $55.02'2^{\circ}49$  غرباً، وخطي عرض  $58.35'33^{\circ}47$  شمالاً و  $58.35'33^{\circ}47$  جنوباً، وعلى ارتفاع يتراوح بين 763 متر و 790 متر عن سطح البحر، وتتمثل هذه الرقعة من الأرض في جزء من التوسع العمراني الحديث للمدينة في الجهة الغربية، أنشأ بعد صدور القانون 29/90 المتعلق بالتهيئة والتعمير، هذا التوسع الذي فرضته الحتميات الديمغرافية والاقتصادية وما شهدته المدينة من توسع عمراني مخطط في اغلب مراحلها، المساحة الإجمالية لمجال الدراسة تقدر حوالى ب 84 هكتار، يحده من الشرق حي المصالحة ومن الشمال سلسلة جبلية، ومن الجنوب منطقة النشاطات للمدينة، ومن الغرب توسع عمراني في طور النشأة تم التخطيط له بعد مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة التعمير (PDAU) سنة 2011. ويحتوي هذا التوسع على كل أنماط السكن المعروفة وطنياً (تجزئات، سكن تطوري، سكن ترقوي، سكن اجتماعي، سكن تساهمي بأنواعه الفردي والنصف جماعي والجماعي) بالإضافة إلى المرافق العمومية والشبكات المختلفة انظر الخريطة (رقم 08)، تعتبر هذه الجهة هي المجال الوحيد لتوسع المدينة في الوقت الحاضر، وهو عبارة عن توسع طولي أو خطي، وهذا ما احدث عدم توازن في النسيج العمراني، فاصبح مركز المدينة القديم على حافة الجهة الشرقية للمدينة، مما افقدها توازنها العمراني ، وأرغمها على التنازل عن مركزيتها لصالح التوسعات الجديدة، فاصبح حي الوئام بما يحتويه من مرافق عمومية وإدارية وبرامج سكنية بكل أنواعها احد اهم أحياء المدينة، فانتشرت به المؤسسات والمحلات التجارية وازدهرت التجارة بها، ونشأ فضاء اجتماعي واقتصادي جديد.

## خريطة رقم (08) موقع ميدان الدراسة (حي الوئام) بالنسبة للمدينة



المصدر: من إعداد الباحث

## الإطار الزمني:

مرت الدراسة الميدانية بمرحلتين:

**المرحلة الأولى:** وهي مرحلة جمع المعلومات المونوغرافية عن ميدان الدراسة، وكان ذلك منذ الوهلة الأولى لاختيار الموضوع أي منذ جانفي 2016، وقصد جمع المعلومات والبيانات الرسمية التي تتعلق بالحي بدأت في الاتصال المباشر بالدوائر والمؤسسات الرسمية المنتجة للتعمر والإسكان والبناء والمرافق والشبكات وخاصة مديرية التعمر والبناء والهندسة المعمارية باعتبارها الهيئة الوصية على إنجاز مخططات التهيئة التعمر ومخططات شغل الأراضي، وكذلك مصلحة التعمر لبلدية الأغواط وهي الهيئة المسيرة والمشرفة على عمليات إنجاز التعمر وصاحبة القرار في منح الرخص لإنجاز التوسعات العمرانية، وكذلك ديوان الترقية والتسيير العقاري والوكالة الولائية للتسيير والتنظيم العقاريين باعتبارهما الشريكين الأكثر مساهمة في إنتاج السكن بالتوسع المذكور، وكل الفاعلين في مجال التعمر بالمدينة، ورغم التسهيلات التي قدمت لي في هذا الإطار غير أنه ولضعف المعلومات المتوفرة لدى هذه الهيئات فقد لاقيت صعوبة في الوصول إلى المعلومات المطلوبة.

**المرحلة الثانية:** مرحلة المعاينات الميدانية للفضاءات العمومية والمؤسسات العامة المتواجدة بالحي، كانت البداية التخطيط لعمليات جمع المعلومات عن المكان وأخذت في التنقل بين الفينة والأخرى داخل الأحياء المختلفة للحي وتسجيل الملاحظات حول ما يدور بداخلها من علاقات اجتماعية ومن تفاعل للأفراد داخل هذه الأماكن والفضاءات العمومية، وكيفيات استعمالها واستغلالها

من طرف السكان. ونظرا لكبر الحي فقد استغرقت مدة زمنية معتبرة-حوالي 25 شهر أي منذ مارس 2016 إلى غاية افريل 2018 وكانت على مراحل متقطعة مراعي في ذلك الجوانب الاجتماعية والاقتصادي والبيئية في تحديد أوقات المعاينات.

### المرحلة الثالثة: وهي مرحلة المقابلات، قمنا بثلاث أنواع من المقابلات.

1- المقابلات مع العينة القصدية: جاءت بعد إعداد دليل المقابلة ولم يتم في الأول تحديد العينة غير انه زمن خلال الأجوبة التي (24 عينة تتوزع على الجنسين ستة نساء وثمانية عشر رجل ومن كل الفئات العمرية من سن البلوغ حتى سن التقاعد مع الحرص على تحقيق التباين التام بين أفراد فيما يخص العمر والعمل والسكن، وباستعمال تقنية كرة الثلج تم النجاح في تحديد أفراد العينة المطلوبة، كانت البداية مع احد الموظفين المتقاعدين الذي كان زميلا في العمل، الذي بدوره ارشدني إلى احد السكان وذلك بعدما حددت له المواصفات المطلوبة بخصوص الجنس والعمر والوظيفة وطبيعة وموقع السكن باعتبارها المعايير الأساسية في تباين العينات، أما بخصوص العينة النسوية كانت البداية مع عاملة نظافة تعمل بجامعة الأغواط وبدوها أرشدتني إلى الستة الباقية وقام بالمقابلة مع البقية احدي الزميلات بجامعة الأغواط.

### 2- المقابلات مع الموظفين بالمؤسسات العمومية

تم إجراء 8 مقابلات كانت الأولى مع رئيس المجلس الشعبي البلدي والثانية مع مديرة دار الشباب والثالثة مع إمام أحد مساجد الحي الرابعة مع مديرة مدرسة ابتدائية والخامسة مع مدير متوسطة والسادسة مع مراقب عام بثانوية السادسة مع رئيس وحدة ديوان الترقية والتسيير العقاري بالحي والسابعة مع موظف الاستقبال بالوحدة الجوارية للبريد والمواصلات بالحي، والثامنة مع موظفة بالمكتبة البلدية.

### 3- المقابلات أصحاب المهن الحرة

قمنا بإجراء 12 مقابلة مع أفراد يعملون عند الخواص راو في مهن حرة، وراعينا في ذلك درجة التواصل والاحتكاك بالزبائن تحدث داخل الفضاءات التي رأينا أنها مهمة في عمليات بناء الرباط الاجتماعي بالحي، وهي المقاهي والحمامات وقاعات الحلاقة والمتاجر والمخابز والمطاعم. بالإضافة إلى صاحب سيارة أجرة وقابص حافلة وكانت المقابلات تتم بعد الاتفاق مع المخبر وتحديد الوقت وكانت في معظمها محددة وقصيرة نسبيا وأسئلتها مغلقة مع ترك المجال للمخبر في الإبداء بآرائه وطرح أفكاره حول الموضوع وكانت النحو التالي: المقاهي: تم إجراء مقابلتين مع

عاملين (قهواجي) بمقهيين مختلفتين. الحمامات: عامل استقبال وكياس. قاعات حلقة: 02 حلقة رجال تمت المقابلة أثناء عملية الحلقة معي، 01 حلقة نساء حيث قامت احدى الطالبات بإجراء المقابلة. المتاجر: عامل بديكان للمواد الغذائية، عامل بمحل لبيع الخضر والفواكه، عامل بمتجر خردوات تجار، 01 عامل بمخبره. المطاعم: عامل استقبال بأحد المطاعم.

#### 4- المقابلات الجماعية

مقابلة مع مجموعة من سكان تجمع المحافير، 03 مجموعات شبانية، بالإضافة إلى لقاءات مع مجموعات من تلاميذ المدارس الابتدائية والمتوسطات والثانويات.

#### ثانيا: المناهج المتبعة في الدراسة

اختيار منهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية وكيفية استخدامه يختلف باختلاف طبيعة المواضيع والظواهر التي تتناولها هذه العلوم، فالباحث بحاجة إلى منهج يتبعه في كل مراحل بحثه، والمنهج هو عبارة عن مجموعة العمليات والخطوات التي يتبعها الباحث بغية تحقيق وضبط أهداف أسئلة وفروض بحثه 1.

ونظرا لما تتميز به الفضاءات العامة من واقع قابل للمعايشة اليومية والملاحظة بكل أنواعها، إضافة إلى أهميتها في التخطيط العمراني الحديث وأصالتها في المدن القديمة منذ النشأة، إن موضوعنا هذا يحتم علينا اعتبارات منهجية دقيقة تفضيها طبيعة الموضوع. لذلك سنعتمد على عدة مناهج حسبما يقتضيه كل موقف. وفي بحثنا هذا فرضت علينا طبيعة الموضوع عدد من المناهج وهي:

**المنهج الاثنوغرافي:** لدراسة المجتمع والمنهج الوصفي لـ: "حي الوثام" بالاستعانة بتقنيتي الملاحظة البسيطة والمقابلة المفتوحة عسى أن نجيب على تساؤلات الإشكالية، لقد فرضت طبيعة الموضوع المزاجية بين المنهج الأنثروبولوجي-الذي يعتمد على الملاحظة ومعايشة الواقع من خلال الحياة اليومية للسكان على فترات زمنية تدوم أشهر حتى يستعيد الأفراد أدوارهم الاعتيادية 2 بما يمكن من وصفه وتحليله-بالإضافة للجوء للمنهج التاريخي الذي يساعد على رصد البعد التاريخي للظاهرة. انطلاقا من أن الدراسات التي تخلص من المضمون التاريخي-على نحو ما ذهب إليه محمد الجوهري-تميل إلى أن تكون دراسات استاتيكية أو محدودة النطاق-تجري في وسط اجتماعي محدود، ولا يمكن أن تتاح فيها الفرصة لفهم التفاعل بين البناءات الاجتماعية الصغرى والأسباب العامة

1- رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث في العلوم الاجتماعية، دار هومة، الجزائر، 2002، ص 119.

2- سيرج بوغام، ممارسة علم الاجتماع، ترجمة: منير سعيداني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، 2012، ص 108.

للمظاهرة. وفي مثل هذه الحالات يكون من الصعب فهم الظاهرة في وضعها الاستاتيكي دون الرجوع إلى المادة التاريخية.<sup>1</sup>

### المنهج التاريخي

المنهج التاريخي هو أحد أهم المناهج التي يحتاج إليها الباحث في العلوم الاجتماعية، فاستقصاء الظاهرة الاجتماعية يتطلب من الباحث الرجوع إلى الماضي من خلال دراسة الوثائق والسجلات والآثار كمصادر أولية والمصادر الثانوية كالصحف والمجلات والتسجيلات والبحوث السابقة.<sup>2</sup> ورغم أن الباحث لا يستطيع أن يتحكم في المتغيرات التاريخية<sup>3</sup>، غير أنه يمكنه الاستفادة من الأحداث والوقائع التاريخية في دراسة الواقع الراهن والمعاش، وتحديد العلاقة بين الظواهر في سياقها التاريخي وكيفيات نشأتها وتطورها وتحولها والمراحل التي مرت بها.

ففي مسألة الماضي نجد الحل وأجوبة لبعض مشكلات الحاضر الاجتماعية، ومعرفة ماهية وكنه حدوثها، فالعلاقات الاجتماعية الحالية هي تطور حاصل لما شهدته المدينة في السنوات الأخيرة من تغيرات مورفولوجية وما عرفه المجتمع من تحضر وتغير في البنى الاجتماعية وما أفرزته التحولات الاقتصادية والثقافية على المستوى المحلي والعالمي، وما أنتجته الثورة الإلكترونية من شبكات أفضت إلى تغيير كبير في خريطة الشبكات الاجتماعية وزيادة تعقدتها، وكيفيات بناء العلاقات الاجتماعية داخل الفضاء الحضري بمكوناته المادية وألا مادية.

### المنهج الاثنوغرافي (منهج دراسة الحالة)

الأثنوغرافيا استعملت في أول الأمر في أنثروبولوجيا ثم انتقلت إلى العلوم الاجتماعية بمعنى مختلف بعض الشيء، ومعناها في العلوم الاجتماعية أن يتفاعل الباحث مباشرة مع الناس على أرض الواقع في مكان معين، ويقضي معهم بعض الوقت للتوصل إلى فهم لهذا العالم الاجتماعي المعاش من منظور الشخص الذي يعيش بداخله...، واستعمال هذا المصطلح في تخصصات العلوم الاجتماعية يعني بعبارة أخرى دراسة أي مجتمع أو جماعة إنسانية من خلال المشاركة المتكررة والمتواصلة في أثناء تفاعل الجماعة فيما بينها وقضاء بعض الوقت معها.<sup>4</sup>

1- محمد الجوهري وآخرون، مرجع سابق، ص 123.

2- علي معمر عبد المؤمن، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية الأساسية والتقنيات والاساليب، ط1، منشورات جامعة 7 أكتوبر، بنغازي، ليبيا، 2008، ص 279.

3- مروان عبد المجيد إبراهيم، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، مروان عبد المجيد إبراهيم، ط1، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000، ص 146.

4- لورا آدمز، تقنيات قياس الهوية في البحوث الاثنوغرافية، في قياس الهوية دليل للمتخصصين في العلوم الاجتماعية، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2014، ص 436.



يعتبر المنهج الاثنوگرافي أو منهج دراسة الحالة من اقدم المناج التي استخدمت في البحوث الاجتماعية لوصف وتفسير الظواهر الاجتماعية، ويرجع الفضل في استخدام هذه الطريقة منهجيا إلى فريديريك لوبلاي، وذلك عندما استعان بها في دراسته عن اقتصاديات الأسرة وغيرها من العناصر الهامة في البناء الاجتماعي، ثم استخدمها من بعده هيربرت سبنسر ووسع من نطاق استعمالها لتشتمل على اكبر قدر من الوثائق، ودفع بهذه الطريقة إلى الأمام توماس وزنانيكي في دراستهما الفلاح البولندي، فقدمت دراستهم مثالا حيا على استخدام هذه الطريقة في البحث الاجتماعي.<sup>1</sup>

يسعى التحقيق الاثنوگرافي إلى توثيق وفهم العوالم اليومية للجماعات الاجتماعية والمجتمعات، وهو بذلك يهدف إلى إلقاء الضوء على تفصيل وأهمية العمليات الاجتماعية والتفاعلات وهي تحدث وتتفتح في الزمن المعاش للحاضر<sup>2</sup>. إن دراسة الأفراد وهم يمارسون حياتهم اليومية يتطلب نوعين مختلفين من المهام، بداية أولا من الدخول إلى البيئة الاجتماعية المقصودة و محاولة التعرف على الناس الذين يعيشون فيها، والبيئة المراد دراستها في هذه الحالة هي المحيط العمراني الجديد بالأغواط والمحدد بميدان الدراسة الفيزيقي، والذي هو معروف نسبيا بالنسبة لنا، باعتباري من ساكنة المدينة من جهة وبحكم مهنتي كمهندس معماري بمديرية السكن و التجهيزات العمومية كنت متابع لعمليات إنتاج السكن والتجهيزات والمرافق العمومية بهذا المجال العمراني من جهة أخرى، غير أن هذه المعرفة ليس علمية تماما بالمفهوم الاجتماعي، إلا بعدما بدأ اهتمامنا بدراسة علم الاجتماع الحضري وبموضوع هذه الدراسة في المدة الأخيرة والمقدرة بحوالي اربع سنوات وهي مدة كافية لمثل هذه الدراسات<sup>3</sup>، حيث حاولنا المشاركة الروتينية بالملاحظة بدون مشاركة في اغلب الأحيان، وتسجيل الملاحظات، واستعمال الكاميرات والمسجلات ومن ثم إعادة تدوينها واخذ ما هو مهم منها، ثم الانتقال إلى مرحلة الملاحظة بالمشاركة من خلال كسب ثقة بعض الأفراد ومحاولة تطوير علاقات مستمرة قادتنا في أغلب الأحيان إلى إجراء مقابلات و مناقشات لها علاقة بمحاور الدراسة، بالإضافة إلى العلاقة التي تربطنا باهل الاختصاص في مجال التطوير والتسيير العمراني بالمدينة، الممثل في الهيئات الرسمية ممثلة في الولاية والدائرة والبلدية ومديرية التعمير والهندسة

1- علي عبد الرازق جلبي، المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2012، ص 209.

2- جولي ماكليود وريتشيل طومسون، بحث التغيير الاجتماعي المقاربات الكيفية، ترجمة: سحر توفيق، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة مصر، 2014، ص167.

3- روبرت أيمرسون وآخرون، البحث الميداني الاثنوگرافي في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص53.

المعمارية والبناء، وديوان الترقية والتسيير العقاري، ومديرية السكن ومديرية التجهيزات العمومية، والغير رسمية بالولاية ممثلة في مكاتب الدراسات والوكالات الخاصة والمركبيين العقاريين والمقاولين والجمعيات .. الخ.

وإذا كانت دراسة الحالة هي الأسلوب الذي يقودنا إلى فهم الظواهر الاجتماعية داخل موقع أو عدد صغير من مواقع الأحداث التي تجري على نحو طبيعي. قد يكون الهدف توفير وصف من خلال دراسة حالة بالتفصيل أو محاولة تعميم أو اختبار نظريات معينة.<sup>1</sup> فإن موضوع الدراسة في بعض جوانبه منصباً على المؤسسات الاجتماعية والخدمية والتربوية، فإن كل مؤسسة في هذه الحالة تعد بمثابة حالة، في حين يصبح الأفراد مجرد أجزاء أو مواقف أو عوامل داخلية في تكوين الحالة.

### ثالثاً: أدوات جمع البيانات المستخدمة في الدراسة

رغم أن غالبية العلماء والباحثين في العلوم الاجتماعية من أمثال، بيكر وبودون وبورديو ولازارسفلد وميرتون وتوتزل وستوفر، يقرون بأنه لا يوجد تقنية واحدة صالحة للاستعمال في العلوم الاجتماعية كلها. وهم يعترفون أن النوعي والكمي لا يوجد بينهما تعارض بل بينهما مجموعة من العناصر المتجانسة تسهل الانتقال باستمرار فيما بينها.<sup>2</sup> ومن المتعارف عليه لدى الباحثين في العلوم الاجتماعية بصفة عامة وعلم الاجتماع بصفة خاصة أن طبيعة الظاهرة المدروسة هي التي تتحكم في اختيار منهج الدراسة، ومن ثم تتحكم في اختيار الأداة، ففي بعض الأحيان يجد الباحث نفسه مضطراً لاستعمال العديد من المناهج والأدوات في دراسة ظاهرة معينة، وهذا ما عملنا عليه في هذه الدراسة، فاعتمدنا المنهج الاثنوغرافي منهاجاً رئيسياً ومنهج دراسة الحالة والمنهج المقارن والتاريخي منهاجاً مساعدة ومكاملة، وطبيعة المنهج الاثنوغرافي تحتم استعمال عدة أدوات لكل وظيفتها في دراسة الظاهرة، أهمها الملاحظة بكل أنواعها والمقابلة والدراسة الفونوغرافية ودراسة المحتوى.

### 1- الملاحظة

هي بيانات تستقى من الواقع الذي عايشناه خلال مدة البحث، وهي تسجيل للوقائع الاجتماعية الملاحظة بشكل عفوي أو مقصود، فعادة لا يمكن للباحث الاجتماعي أن يصبح عضواً في وضع اجتماعي بنفس المعنى أو القدر الذي يكون عليه أعضائه الطبيعيون حتى ولو قدر لهذا الباحث أن

1- علي عبد الرازق جليبي وآخرون، البحث العلمي الاجتماعي لغته ومداخله ومناهجه وطرائقه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2003، ص 216.

2- مادلين غرافيتز، مناهج العلوم الاجتماعية الكتاب الثاني منطق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة: سام عمار، ط1، المركز العربي للتعبير والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، سوريا، 1993، ص 41.

يعيد تنشئة نفسه اجتماعيا بشكل مكثف، وقد يكون ذلك النقص في معرفة ما يقوم به الباحث الميداني من عمل ناجما عن أن أهدافه التحليلية واهتماماته دائمة التطور، وهي الأهداف والاهتمامات التي ليست محددة تحديدا صارما من قبل، وإنما تتغير مع استغراق الباحث في الموقع. وكما يؤكد ثورن قائلا (عادة ما يدخل الباحثون الميدانيون الميدان وفي أذهانهم صورة غير محددة للأهداف فهم يميلون للعمل على نحو استقرائي وقد يغيرون موضوعات اهتمامهم ووجهات نظرهم كلما مضى البحث في خطواته، وقد تفرض عليهم الضرورات العملية إجراء تغيير شامل لخطط البحث).<sup>1</sup>

وتعتبر الملاحظة أحد أهم وأقدم طرق البحث الاجتماعي، استخدمت من طرف علماء الأنثروبولوجيا والاثنولوجيا أولا، ثم انتقلت إلى العلوم الاجتماعية وأصبحت من أهم تقنيات البحث الاجتماعي، واليوم تستخدم المعينات البصرية والسمعية<sup>2</sup> من كاميرات ومسجلات صوتية وأجهزة متعددة الوسائط من هواتف نقالة وحواسيب.

"الملاحظة هي اللبنة الأولى التي يقوم عليها البحث العلمي حيث أنها الأسلوب الأول والأهم الذي يلجأ إليه الباحث حتى في اختياره لموضوع البحث. فالملاحظة من أقدم طرق البحث، إذ يبدأ العلم بالملاحظة ويعود في النهاية ليثبت صحتها. وتتميز الملاحظة العلمية عن الملاحظة الغير علمية، فالملاحظة العلمية لا تقتصر على مجرد الحواس بل تستعين بأدوات علمية للقياس، فهي مشاهدة دقيقة لظاهرة ما مع الاستعانة بأساليب البحث والدراسة التي تتلاءم مع طبيعة هذه الظاهرة".<sup>3</sup>

"الملاحظة هي من أهم الوسائل التي يستعملها الباحثون الاجتماعيون والطبيعيون في جمع المعلومات. والملاحظة كوسيلة من وسائل جمع المعلومات لا تقل أهميتها عن المقابلة الرسمية أو غير الرسمية أو عن دراسة الحالة في تقصي المعلومات والحقائق عن المبحوثين"<sup>4</sup>

فالملاحظة أداة لجمع البيانات عن طريق المشاهدة بشكل أساسي، ويمكن الاستعانة ببعض أجهزة التسجيل والتصوير وهي وسائل مادية تمكننا من (إمكانية إعادة الملاحظة أو توسيعها أكثر مما تمثل تعميقا لها)<sup>5</sup> لا غير. ويمكن أثناء الملاحظة الاستعانة ببعض الأدوات التقنية الأخرى

1- Thorne,Barrie, 1980. "You Still Takin Notes ? Fieldwork and Problems of Informed Consent " Social Problems27:284-97.p287.

2- سوتيريوس ساراتناكوس، البحث الاجتماعي، ت: شحدة فارغ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017.

3- موسى معيرش، المعرفة والبحث العلمي-مدخل إلى المنهجية العامة، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2009، ص 112.

4- إحسان محمد الحسن، مناهج البحث الاجتماعي، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2005، ص 123.

5- مادلين غراويز، مناهج العلوم الاجتماعية، الكتاب الثاني منطلق البحث في العلوم الاجتماعية، ت: سام عمار، ط1، المركز العربي للتعبير والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، سوريا، 1993، ص66.

كالمقابلة الجماعية، وهذا ما اعتمدها أثناء الملاحظة، حيث من خلال التجوال والجلوس أحيانا في بعض الأماكن العامة المعينة، ومحاولة الدخول في نقاشات مباشرة مع مرتادي هذه الأماكن والتحاور معهم حول بعض المواضيع العامة قبل الدخول في صلب الموضوع لكسب نوع من الثقة حتى يتسنى لنا خلق جو ملائم يتسم بالثقة، وهناك ملاحظة تخص المادة الجامدة من خلال الدراسة الوثائقية و التتبع التاريخي لما كتب عن مدينة الأغواط في هذا المجال، وذلك دراسة الحالة التي تعتمد هي الأخرى على الملاحظة -بحي الوثام -حيث كان لنا عدة حالات فردية ومكانية تم تتبعها ودراستها. ومع أن الملاحظة تدرس الأشخاص غير أنها يمكن أن تركز على الأشياء بصفاتها مخرجات لفعل الإنسان وتصرفاته، أو بصفاتها جزءا من البيئة المادية.

ولقد استعملنا أداة **الملاحظة بالمشاركة**، باعتبار أن (المجتمع هو الوحدة الموضوعية التي لا تحتاج إلى ملاحظ خارج عنه1)، مع مراعاة الموضوعية والحياد فعلم الاجتماع (يهتم فقط بدراسة الحقائق والأدلة الموضوعية كما هي ويبتعد عن الأهواء والنزعات والمقاصد الذاتية التي تفسد درجة مصداقية وثبات الحقائق الاجتماعية.2) وهي أداة وصف للثابت والمتحرك داخل المجال العام، حيث الاهتمام بالشكل المادي للمواقع والعلاقات الاجتماعية الحاصلة فيه في أزمنة معينة من المسارات اليومية للأفراد، والملاحظة هنا تمتد عبر مدة زمنية طويلة نوعا، مرت بثلاث مراحل.

**المرحلة الأولى:** استرجاعية تعود إلى مرحلة نشأة تجمع المحافير، وهي فترة ما قبل الاهتمام بالعلوم الاجتماعية، حيث كانت نظرتنا للمجال مادية تفتقر إلى الشق الاجتماعي بصفة معمقة، في هذه الفترة كان اهتمامنا ينصب على الجانب العمراني التنظيمي فقط بصفتنا جزء من الفاعلين العمرانيين في المدينة باعتبارنا عضو في لجنة إعداد أدوات التهيئة والتعمير بالمدينة. لقد استفدت من هذه الملاحظات الاسترجاعية في الدراسة. كانت المنطقة قبل تعميمها عبارة عن فضاء خارج نطاق المدينة يسمى بالمحافير وهو عبارة عن ارض فارغة تستعمل لجلب التربة منها ثم تحولت إلى مفرغة عمومية للمواد الصلبة في أجزاء كبيرة منها. وفي إطار التوسعات العمرانية للمدينة كانت هذه الجهة هي الاتجاه الوحيد الذي يمكن للمدينة التوسع فيه، وفي سنة 1995 تم اعتماد هذا المجال كجزء من التوسع العمراني للمدينة على المستوى المتوسط.

1- جورج زيميل، مرجع سابق، ص4.

2- إحسان محمد الحسن، النظريات الاجتماعية المتقدمة: دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة، ط3، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2015، ص260.

**المرحلة الثانية:** وهي مرحلة بداية اهتمامنا بالعلوم الاجتماعية وباعتباري من سكان المدينة والانتقال اليومي داخل هذا الحي وما عايشناه وعاصرناه، تشكلت لدينا ذاكرة وصورة مفصلة عن المراحل التي مر بها هذا التوسع على المستوى العمراني والاجتماعي منذ البدايات الأولى لنشأته الفعلية على ارض الواقع سنة 1996، حينما كان في الأول عبارة عن تجمع معزول لعدد (250 سكن) من السكنات تطويرية تم إنشاءها ليرحل اليها سكان الحي بوخنفوس القصديري. ما لبث أن شهدت المنطقة توسعا ونمو عمرانيا متسارعا حيث أصبح من المراكز التجارية والإدارية المهمة بالمدينة وأصبح ينافس مركز المدينة في نشاطاته المختلفة.

**المرحلة الثالثة:** وهي المرحلة المهمة والتي لها قيمة علمية، فملاحظاتها علمية ودقيقة ولها أهداف معينة تتعلق بالدراسة ومحاورها ودامت هذه الملاحظات لمدة عامين بداية من اختيار موضوع الدراسة التي نحن بصددتها وتحديد مجالها المكاني في ديسمبر 2017 ودامت إلى غاية ديسمبر 2019. وهي مرحلة قصيرة إذا ما قورنت بالمرحلتين السابقتين، غير أنها كافية في العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجيا لتحقيق الأهداف المرجوة منها.

وكانت الملاحظة من دون مشاركة، أو كما يسميهما موريس أنجرس "الملاحظة المستترة".<sup>1</sup> وهي من اهم الأدوات التي اعتمدها وخاصة منذ المراحل الأولى للدراسة، فبعد الاطلاع على الأدبيات والدراسات العلمية التي صيغت حول الموضوع، من هنا بدأ اهتمامنا ينصب حول تحركات الأفراد داخل الحيز والرموز المستعملة واللغة التي يصدرها الجسد وكل التمثلات المعلنة والمستترة المسجلة في الأماكن العمومية، وكيفية استعمال المجال في نسج الرباط الاجتماعي.

## 2-المقابلات:

المقابلة هي احدى أدوات البحث الأكثر شيوعيا والأنسب استعمالا في البحوث العامة والتي لا يكون هناك إحراج في أسئلتها لدي المبحوث، مثل دراسة أنماط التفاعل والعلاقات الاجتماعية، وهي (عملية تقصي علمي تقوم على مسعى اتصالي كلامي من اجل الحصول على بيانات لها علاقة بهدف البحث)<sup>2</sup>، فهي بذلك تعتمد على المشافهة بين الباحث والمبحوث، ولقد عرفها موريس أنجرز Angers. M بأنها (التقنية المباشرة التي تستعمل من أجل مساءلة الأفراد بكيفية منعزلة، لكن أيضا، مساءلة جماعات بطريقة نصف موجهة تسمح بأخذ معلومات كيفية بهدف التعرف

1- موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية تدريبات عملية، ت: بوزيد صحراوي وآخرون، ط2، دار القصة للنشر، الجزائر، 2013، ص 185-189.

2 - Grawitz Madeleine, Méthodes des sciences sociales, 8eme édition, Paris, Ed, Dalloz, 1990, p.742.

العميق على الأشخاص المبحوثين).<sup>1</sup> ويعرفها معن خليل عمر بأنها (عملية سبر غور حياة فرد غير معروف للباحث، بواسطة تحفيز وتذكير ذاكرة المبحوث حول المعلومات التي ترجع إلى الماضي أو فيما يتعلق بحياته الشخصية أو محيطه الاجتماعي عن طريق طرح أسئلة تمهيدية للأسئلة الرئيسية المتعلقة بشكل مباشر بحياة وآراء ومواقف وقيم المبحوث. وتحدث هذه العملية وجها لوجه وتكون إجابتهم بشكل شفوي دون إلزام رسمي أو غير رسمي).<sup>2</sup> فهي أداة من أدوات البحث العلمي يستعملها الباحث للحصول على معلومات تساعد أو تمكنه من الإجابة على تساؤلات بحثه أو اختبار فرضيات دراسته، وتعتمد على مقابلة الباحث للمبحوث وجها لوجه بغية طرح مجموعة من الأسئلة تكون محددة من قبل بدقة أو على شكل نقاط وهذا من قبل الباحث ويجب عليها المبحوث.

وهناك من يرى أن المقابلات شبه المبنية وغير المبنية التي يكون فيها التعامل مع أفراد العينة فيه مساحة من الحرية تعطى للمبحوث في التعبير عن آراءه، هي أكثر أنواع المقابلات استخداما وأكثرها انسجاما مع معايير ومبادئ البحوث النوعية.<sup>3</sup> وتم استعمالها أثناء النقاش العام مع الأفراد في الأماكن العامة وهي عادة ما تكون مواضيع النقاش غير مباشرة وغير محددة تكون فيها للأفراد الحرية في التعبير عن آراءهم.

إن استقاء وجمع المعلومات شفويا هي أسرع الطرق وأيسرها في جمع البيانات والمعلومات، وأكثرها دقة ومصداقية، فالمبحوثون يعطون البيانات كاملة ويدلون بآرائهم بسهولة أكثر في المقابلة منها في الاستبيان، فمن خلال المقابلة الشخصية عادة ما تنشأ علاقة ودية بين الباحث والمبحوث، لا يمكن الوصول إليها في استعمال الوسائط والوسائل و الأدوات الأخرى الغير مباشرة، فالمقابلة تساعد الباحث على تشجيع المبحوثين باستمرار وتحفيزهم على التعمق في المشكلة، من خلال المقابلة المباشرة وجها لوجه يمكن للباحث أن يصل عن طريق التعليقات العارضة وتعبيرات الوجه وحركات الجسم ونغمة الصوت للمبحوثين إلى معلومات مستترة ومهمة وتسجيل ملاحظات قد لا تنقل في الإجابات المكتوبة في الاستبيانات، هذه الدلالات السمعية والبصرية تساعد الباحث في ضبط وتوجيه المحادثة مما يمكنه من إثارة المبحوث في بعض الجوانب الخفية ليحصل على

1- موريس أنجرس، مرجع سابق، ص 197.

2- معن خليل عمر، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 1، 1983، ص 208.

3- معن خليل عمر، مرجع سابق، ص 212.

المعلومات المراد استقائها، وتعتبر المقابلة وتوجيه الأسئلة شفويا أحسن وسيلة لجمع المعلومات وخاصة من الأطفال الصغار وكبار السن والأميين و الأشخاص المهمين.1

### 1-المقابلات الفردية

والمقابلة الفردية هي المناقشة بين شخصين (الباحث والمبحوث) يتم من خلالها تبادل الآراء ووجهات النظر في موضوعات معينة، وللمقابلة هدف رئيسي هو الذي يحدد الموضوعات التي تدور حولها المناقشة، والمقابلة هي التحدث وجها لوجه مع الفرد بقصد أخذ المعلومات منه أو مساعدته على التخلص من بعض المشاكلات التي يعاني منها.2

إن غاية الاتصال المباشر وبين الباحث والمبحوث هو ليس التحوار فقط واخذ المعلومات في مسائل تتعلق بأهداف البحث ومعرفة رأي المبحوث في المسائل المطروحة عليه، وإنما تتعدى ذلك بوجود "علاقة ودية وحميمية"3، أكثر صدق تنم عن ثقة متبادلة بين الطرفين، (إن ما يؤسس المقابلة هو إنتاج كلام اجتماعي لا يكون مجرد وصف وإعادة إنتاج لما هو موجود لكنه اتصال حول ما يجب أن يكون للأشياء ووسيلة تبادل بين الأشخاص كما تتأسس المقابلة على خصوصية وهي إنتاج خطاب في عين المكان. وهذا ما يجعلها وضعية اجتماعية للالتقاء والتبادل وليس مجرد أخذ للمعلومات).4

إن اعتماد المقابلة كأداة للبحث العلمي في العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجيا له مبرراته الكثيرة، فالمقابلة هي أنجع الطرق في التعامل مع الكائن البشري، فهو كائن ذكي يصعب إخضاعه للتجربة والتعامل معه يجب أن يكون فيه حذاقة كبيرة من أجل الكشف عن خبايا المجتمع.

وتعتبر تقنية تحليل المضمون من أكثر التقنيات استعمالا في تحليل المقابلات " ونعني على العموم بتعبير تحليل المضمون، مجموعة من تقنيات تحليل التواصل، تسعى من خلال مجموعة من الطرائق النسقية والموضوعية وصف محتوى الرسائل بغاية الوصول إلى مؤشرات (كمية أو غير كمية) تسمح بالاستنباط المنطقي لمعارف تتعلق بظروف إنتاج /تلفي متغيرات مستنتجة من هذه الرسائل"5.

1- ديوبولد فان دلين، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ت: محمد نبيل نوفل وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1979، ص.401

2- عزيز حنا داود وأنور حسين عبد الرحمان، مناهج البحث التربوي، جامعة بغداد، دار الحكمة، الموصل، العراق، 1990، ص 90-88

3- موريس اجرس، مرجع سابق، ص 198.

4 -Blanchet Alain, Gotman Anne, L'enquête et ses méthodes : l'entretien, Paris, Nathan, 1992, p.17.

5 - Laurence Bardin. L'analyse de contenu., ed, Puf, Paris, p.43.

وفي بحثنا هذا كان اختيارنا لهذه الأداة في البحث - رغم قلة استعمالها في البحوث الاجتماعية في الجزائر كما أشارت إلى ذلك بعض الدراسات 1- نتيجة أسبابين رئيسيين أولهما موضوعي، يتعلق بملاءمة هذه الأداة لمثل هذا النوع من البحوث الاجتماعية، وكذلك تنوع وتعدد فئات عينات مجتمع البحث فهو مجتمع مكون من كل فئات مجتمع المدينة، فهو مجتمع يحتوي على الصغار والأميين وكبار السن مما يصعب التعامل معهم عن طريق أداة مثل الاستمارة، وثانيهما ذاتي يرتبط بالعلاقات الاجتماعية التي التي بنيت بيني وبين عدد كبير من افراد مجتمع البحث من خلال المعاشرة اليومية والمواكبة الانية والميدانية عن طريق الملاحظة بأنواعها في الحياة اليومية في هذا الحي.

### ب-المقابلات الجماعية

تعتبر المقابلة الجماعية المركزة أو جماعات التركيز من أكثر أساليب البحث الكيفي انتشاراً في الوقت الحاضر وفيها يركز المجتمعون في النقاش على موضوع معين تحت إشراف شخص مدرب تدريباً خاصاً ، وهي عبارة عن محادثات جماعية مع المجموعات كتلك التي قنا بها مع مجموعة من التلاميذ أما المدارس، وأخرى أجريناها مع مجموعة من السكان في الأماكن العمومية بتجمع المحافير، وكذلك المقابلات مع بعض الرفقة في المقاهي والملاعب والساحات والمنزهات العامة، وتتكون الجماعة الواحدة في هذا النوع من المقابلات التي اعتمدها من ستة إلى عشرة أفراد، وأحيانا تزيد على ذلك أن تنقص قليلاً، ولقد راعينا في تنظيم هذه الجماعات أن تكون درجة التجانس عالية بين أفراد كل جماعة من حيث الخصائص الاقتصادية والاجتماعية، وكذا العمر والمستوى الثقافي حتى يشارك جميع أفرادها بالتساوي في المناقشة دون أن يسيطر أن المناقشة عدد محدود من الأفراد.

تعد طريقة الجماعات "البؤرية (focus group)" كما يسميها ميرتون وميندال 2 من أكثر أدوات البحث استخداما في مجال العلوم الاجتماعية، واحدة من التقنيات المهمة التي أستعملت في البحوث النوعية وتم من خلالها الحصول على معلومات لا يمكن الوصول إليها بالطرائق والوسائل التقليدية لما تمتاز به من قدرة على جمع وجهات نظر متعددة ومنظورات مختلفة للموضوع نفسه

1- دهيمي زينب، إشكالية تطبيق المقابلة في العلوم الاجتماعية "دراسة ميدانية في قسم علم الاجتماع على بعض طلبة الماجستير جامعة الجزائر " الملتقى الوطني الأول حول " إشكالية العلوم الاجتماعية في الجزائر واقع وآفاق «07-08 مارس 2012، جامعة قاصدي مرباح ورقلة. الجزائر.  
2- دافيد استيوارت، بريم شامداساني، دينيس روك، الجماعات البؤرية النظرية والتطبيق، ت: راقية جلال الدويك، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة مصر، 2012، ص17.



والوصول إلى النظرة الداخلية لفهم الأفراد المشترك للحياة اليومية والطرائق التي يتأثر بها الأفراد ببعضهم البعض في أجواء التفاعل داخل الجماعة.

وتعتمد الجماعات البؤرية بوصفها أسلوباً للفهم على عملية التفاعل التي تتم بين المشاركين الذي يعتبره كيتزيجر (Kitzinger) 1 العامل الحاسم في هذه الأداة، فهو يسلط الضوء على وجهات نظرهم اتجاه العالم وكذلك اللغة التي يستخدمونها والقيم والمعتقدات التي يؤمنون بها فيما يخص الموضوع، وهذه المشاعر والمواقف والمعتقدات يمكن أن تكون مستقلة جزئياً عن الشريحة الاجتماعية التي تنتمي إليها الجماعة البؤرية ولا يمكن الكشف عنها إلا عبر التجمعات الاجتماعية والتفاعل بين الأفراد في الجماعات البؤرية. 2

المقابلة الجماعية الأولى كانت مع مجموعة من كبار السن يقضون معظم أوقات فراغهم تحت أحد الجدران المحاذي لأحد الشوارع الرئيسية، يجلسون يلعبون أحد اللعب التي تسمى الفلجة وهي تعتمد على الجانب الفكري تجري بين اثنين، وأثناء اللعب يتبادل الجميع أطراف الحديث والأخبار المحلية والسياسية والحكايات الطريفة وأخبار الماضي. المواضيع المطروقة

**إعداد دليل المقابلة**

انطلاقاً من أسئلة الإشكالية واعتماداً على المؤشرات التي استقيناها من مساءلة الواقع المعاش، وتنويعات واسعة من الأوضاع الحياتية، والملاحظات الميدانية بالإضافة إلى القراءات والأدبيات حول الموضوع تمت عملية ضبط المحاور الرئيسية لدليل المقابلة، الهدف من أسئلة المقابلة هو الإجابة على أسئلة الإشكالية وجاءت أسئلته في خمسة عشر محوراً تتعلق كلها بأسئلة البحث.

**المحور الأول:** يتعلق بالبيانات الشخصية مثل السن والجنس والمستوى الدراسي والمهنة وحالة العائلة ونوع الأسرة وعدد الأفراد والأصل الجغرافي.

**المحور الثاني:** حول مكان الإقامة الأول وكيفيات الحصول على المسكن الحالي والبيانات حوله نوعيته، مساحته، مكوناته، الكثافة ومدة استغلاله.

1 - Jenny Kitzinger, Ivana Markova, Nikos Kalampalikis. Qu'est-ce que les focus groups ? Bulletin de psychologie, Groupe d'étude de psychologie, tome 57 (3) / 471/ mai-juin 2004, pp.237-243.

2 - Krueger R. A, Focus Group : A Practical Guide for Applied Research, London, Sage, 1994; Morgan D. L., Focus Groups as Qualitative Research, London, Sage, 1997 et Barbour R S., Kitzinger J. Eds., Developing Focus Group Research. Politics, Theory and Practice, London, Sage, 1999.

**المحور الثالث:** بيانات حول الحي لمعرفة فضاءاته التي تنسج داخلها العلاقات الاجتماعية وخاصة علاقات الجيرة من خلال نمط سطن الحي: اجتماعي، تطوري، تساهمي، تجزئة، والمكونات العامة من مساحات خضراء ومواقف للسيارات ومرافق عامة.

**المحور الرابع:** نحاول من خلاله تتبع مسارات الحياة اليومية للأفراد، أين يقضي الفرد أوقاته عندما يخرج من المنزل.

**المحور الخامس:** بيانات حول مكان العمل أو ما يسميه غوفمان المكان الثاني، من خلال وصف لمكان العمل والفضاءات المكونة له ونوع العمل ما اذا كان عام أو خاص، وعدد العمال وعدد ساعات العمل، وكيف هي العلاقات مع العمال من جهة ومع الزبائن إن وجدو من جهة أخرى، وكيفية الانتقال إلى مكان العمل وبعده عن مكان الإقامة وما يترتب عن ذلك.

**المحور السادس:** تخص أوقات الفراغ ووسائل الترفيه أو ما يسميه اولدنبارغ بالمكان الثالث، أين تقضي الفرد باقي الأوقات خارج المسكن بعد الانتهاء من العمل خلال نهاية الأسبوع والعطل السنوية.

**المحور السابع:** ويتعلق بوسائل النقل كفضاء للتواصل من وسائل النقل المستعملة ما إذا كانت وسيلة نقل جماعي كالحافلة أو تاكسي أو سيارة خاصة من خلال كثافة ومعدل الاستعمال.

**المحور الثامن:** ويتصل بأماكن التسوق باعتبارها فضاءات للاحتكاك بين فئات مختلفة من المجتمع، فأوقات التسوق، والأماكن المفضلة منها لدى الأفراد، قد تجيبنا على نوع من السمات لدى الأفراد المستجوبين وتساعدنا على تكوين صورة عن العلاقات التي تنتجها هذه الفضاءات، فطبيعة الأماكن العامة وخاصة تلك المكتظة كالرحبات والبازارات وما يقضيه الفرد من مدة التسوق وتكرارها، تتيح وتزيد من فرص التواصل والالتقاء بين الأصدقاء والجيران والباعة، هذه اللقاءات المتكررة تفتح الباب للتطرق إلى مواضيع مختلفة تفتح الباب إلى مواضيع أخرى.

التسوق ظاهرة حضرية يمارسها الأفراد لقضاء حوائجهم اليومية من مأكّل ومشرب وملبس، هذه الممارسات اليومية والتفاعلات الناتجة عنها تدور رحاها في فضاءات وأماكن مخصصة للتبادلات التجارية، فالعلاقات بين الأفراد في الغالب تبدأ وتنتهي في حيز زمني ومكاني محدد تفرضه الحاجة والمصلحة المتبادلة، غير أن هذه المصلحة في بعض الحالات تتسم بالاستمرارية والديمومة مما ينبثق عنها علاقات أخرى تؤدي إلى اتصال منتج لعلاقات صداقة هي الأخرى توسع من دائرتها. والمستعمل للفضاءات التجارية ليس وحده منعزلاً عن الآخرين أثناء تعاملاته فهناك

الباعة من جهة والمتسوقون مثله من جهة أخرى مما يجعل يتيح له فرضة التواصل مع كل الأطراف المستعملة للمجال، فهي فضاءات مولدة لعلاقات تتعدي حدود العلاقات المبنية على المصلحة.

الفضاءات التجارية من أسواق دائمة ومؤقتة وشوارع مخصصة ورحبات هي أماكن للصراع والتوافقات، وتحمل في طياتها كل تناقضات المجتمع المحلي، ويعتبر الجانب الأمني هو مؤشر على نجاح هذه الفضاءات من عدمه في تأدية المهام المنوطة بها، فمعظم الزبائن يشكون قلة الأمان في الأسواق، فانتشار ظاهرة السرقة والتسول والفوضى في استعمال الفضاء وانعدام الثقة بين الباعة والزبائن تمثلات يحملها الساكنة عن الأسواق خاصة تلك المؤقتة والتي يكثر فيها الغريب عن الحي، في حين الشوارع التجارية والمحلات المنتشرة عبر الحي وخاصة تلك المخصصة للاحتياجات اليومية للساكنة كمحلات المواد الغذائية والمخابر والخدمات والصيدليات كلها فضاءات محددة تبنى العلاقات فيها على المعرفة بالآخر و الثقة.

**المحور التاسع:** يتطرق لشبكات التواصل الاجتماعي باعتبارها فضاءات افتراضية لبناء العلاقات الاجتماعية وتكمن أهميتها في علاقتها بالجانب المادي من الفضاء الحضري وكانت الأسئلة عن الفضاءات المستعملة ومدة استعمالها اليومي الغاية هذه الاستعمالات.

**المحور العاشر:** حول الأطر الاجتماعية كفضاءات للحفاظ على التضامن الاجتماعي والتي أهمها الأعياد الدينية، عيد الفطر وعيد الأضحى وعاشوراء وأول محرم، الممارسات ومسارات الأفراد أثناء هذه المناسبات وكذلك لأعياد الوطنية كعيد أول نوفمبر وعيد الاستقلال والمناسبات وطنية أخرى والأعياد والمناسبات ذات الطابع العالم ك رأس السنة الميلادية والمواسم والأفراح والمآتم والجنائز، كل هذه الفضاءات الظرفية هي أماكن للتواصل والالتقاء بالأصدقاء والأقارب، وهي فضاءات لتكوين علاقات اجتماعية.

**المحور الحادي عشر:** يتطرق للمؤسسات التعليمية كفضاء للتنشئة وإنتاج الرابط الاجتماعي، فالمدرسة هي فضاء يتقاطع فيه عدد كبير من الأفراد من شرائح مختلفة، تلاميذ وطلاب وأساتذة وموظفين وأولياء... الخ، فالذهاب للمدرسة امر حتمي وهو نسق يعاد من خلاله إنتاج المجتمع.

**المحور الثاني عشر:** وهو أماكن العبادة وهي فضاء مقدس له جانب روحي يرتاده الأفراد للعبادة والاتصال بالخالق وكذلك التواصل فيما بينهم تامه كل فئات المجتمع من كل الأعمار والمستويات قد يتحول إلى فضاء للاختلاف في بعض الحالات يحدث داخله التكافل والتضامن وكذلك الصراع. واهم هذه الفضاءات وأكثرها استعمالا وشيوعا نجد مسجد الحي فهو نقطة التقاء

لمجموعة كبيرة من سكان الحي الواحد ويتفقد المصلين بعضهم بعض خلال أوقات الصلاة، وهو حلقة للتواصل ونقطة مركزية في الحفاظ على الرباط الاجتماعي، وهناك الجمعيات دينية كمحور مهم في الفضاء الديني والاجتماعي فهي أداة لها أهمية كبيرة في التنسيق بين الأفراد والسلطات وفي التكافل والخدمة الاجتماعية.

**المحور الثالث عشر:** يبحث في فضاء قديم ومتأصل في المدينة الجزائرية وهو المقهى هذا الفضاء الذي شهد تحولات كبيرة في مكوناته وخدماته وهو فضاء له هو الآخر مرتاديه ورغم ما تعرض له من تحويرات وتغييرات في مكوناته ووظيفية يبقى فضاء متجذرا في حياة المواطن الاغواطي، لا يمكن الاستغناء عنه، ويبقى مكان للنقاش والحوارات السياسية والثقافية والرياضية.

**المحور الرابع عشر:** يتحدث عن الحمام هذا الفضاء الذي عرفته المدينة الإسلامية وارتبط بالطهارة فهو مكان محوري يرتبط بالقداسة والنجاسة، وهو مكان مقسم زمنيا إلى فترة صباحية للنساء وفترة مسائية للرجال.

**المحور الخامس عشر:** يتطرق للسوق كأهم فضاء مؤسس للمدينة في كل العصور، كل المدن وكل الحضارات قامت على مبدأ السوق، ومدن العصر الحديث اسأها السوق، ولا يمكن أن تخلوا المدينة من علاقات السوق كمكون للعلاقات الاجتماعية، فهناك سوق الحي وهو الفضاء الذي يرتاده السكان، في أوقات مختلفة ويكونون هناك علاقات تجارية وروابط اجتماعية تتشا بين طياته وفي فضاءاته بين الباعة والسكان وبينهم وبين السكان أثناء عمليات التسوق.

**المحور السادس عشر:** يعالج الساحات العمومية كأحد أهم المكونات الحديثة للفضاء الحضري للمدينة وهي أماكن عامة حديثة النشأة في المدينة المحلية، كان أول ظهور لهذا النوع من الفضاءات بالأغواط بعد الاحتلال الفرنسي للمدينة، وهو فضاء كان حكرا على الأوربيين في بداية ظهوره، ثم ما لبث أن دخله السكان المحليين، وهو حاليا فضاء رجالي في بعض الساحات ومثال ذلك حديقة القدس بوسط المدينة، وهناك ما هو مختلط كساحة الجامعة وحديقة المريغة والحديقة النباتية الواحتية وهي ساحات لها تأثير وامتداد يشمل المدينة وإقليمها الإداري والبلديات القريبة، وهناك الساحات والمساحات الخضراء داخل الأحياء الجديدة وهي ذات استعمال يقتصر على سكان الحي وهي أماكن مراقبة تخضع للضبط الاجتماعي.

## 3- الوثائق والسجلات

تم اعتماد عدة مصادر تاريخية وتشمل الكتب التي كتبها المؤرخون المسلمون والرحالة، وكتب السير والكتب رحلات الحجيج، هذه الكتب لها فائدة تاريخية محملة لمعرفة المراحل التاريخية التي عرفتھا المنطقة ومعرفة تطور المدينة اجتماعية وعمرانيا وديمغرافيا. بالإضافة للكتب التي كتبها الفرنسيين مع بعض التحفظات، كما اعتمدنا كذلك على الوثائق الاستعمارية والتي تتمثل التقارير العسكرية التي كتبها الضباط الفرنسيين عن مدينة الأغواط، والمراسلات الاستعمارية الإدارية والعسكرية، ووثائق الإدارية الحديثة وتتمثل في القوانين الصادرة في الجريدة الرسمية وسجلات الإحصاءات المختلفة كالإحصاء العام للسكان لسنوات 1966، 1977، 1978، 1988، 2008، ومونوغرافيا الولاية لسنوات 2010، 2018، 2013.

المخططات والرسومات الرسمية لاسيما لمخطط التوجيهي العام والمخطط التوجيهي للتعمير وهي مخططات موروثية عن الاستعمار، وكذلك المخططات المعتمدة بعد الاستقلال وخاصة المخطط العمراني الموجه (PUD) والمخطط العمراني المؤقت (PUP) سنوات سبعينات القرن الماضي الذي عرفته المدينة قبل صدور المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير 1994 ثم نسخة 2014. ومخططات شغل الأراضي (POS) وخاصة رقم: 16، 17، 18، بالإضافة إلى مخطط تهيئة الولاية (PAW). كما تم الرجوع في بعض الحالات إلى الخرائط والصورة المأخوذة من غوغل "إيرث" وغوغل "ماب" وعض صفحات الأنترنت.

## رابعا العينة المستخدمة في الدراسة

## عينات الدراسة

رغم العوائق التي تواجه عادة البحث الاجتماعي الميداني، وخاصة تلك التي تتعلق بصعوبة الوصول الى العينة المختارة، وحتى وان حصل الوصول إلى ذلك بسلاسة ويسر أو عن طريق وسائط أو معارف أو عن طريق المبحوثين أنفسهم، ثقة مسالة كسب ثقة المبحوث والحوّل في حياة الآخرين من الأمور الصعبة المنال فهي تتعلق بالكفاءة المعرفية وقدرة الباحث التواصلية. ورغم كل العوائق فقد تم إنجاز 25 مقابلة فردية مع أفراد العينة الرئيسية الذين تتوفر فيهم المعايير التي افترضناها في المستجوب النموذجي أي ذلك الشخص المقيم بالحي من الذكور والإناث وكل الأعمار شرائح المجتمع ومن مختلف المجمعات والأنماط السكنية المشكلة للحي، بالإضافة إلى 7 مقابلات جماعية، و 5 مقابلات خاصة مع مديرين ومسؤولين محليين.

الهدف الرئيسي من هذا البحث هو معرفة كيف يعاد بناء ونسج العلاقات الاجتماعية داخل الحي الجديد، ولبلوغ هذا الهدف ارتأينا ضرورة اعتماد التعيين الكيفي ( échantillonnage qualitatif) والذي بمقتضاه يتم الحرص بالأساس على بلوغ مستوى التشبع (saturation)، وكما يقول دانييل برطو: «التشبع ظاهرة من خلالها، بعد إنجاز عدد معين من المقابلات (البيوغرافية أو غيرها) يتكون لدى الباحث أو فريق البحث انطباع بان إنجاز المزيد منها لا يؤدي إلى أي معرفة جديدة، على الأقل بالنسبة للموضوع السوسولوجي المطروح للتحقيق.<sup>1</sup>»

**بالنسبة للعينة التمثيلية من السكان:**

في البداية لم يتم تحديد العينات التمثيلية داخل المجال المكاني للدراسة، والهدف من ترك العينة المستهدفة مفتوحة يطرح بشكل اكثر وضوح مع انصار الاتجاه التفاعلي الرمزي كما يتجلى مع تيار النظرية الموثقة، وخاصة جلاسر وستراوس (G.Glaser et A.Strauss) اللذين يريان أن النظرية تستسقى من الميدان، ولذلك لا ينبغي على الباحث أن يقيد نفسه لما يقرر إنجاز بحث ميداني باي نظرية سوسولوجية معينة، ونفس الشيء بطبقاته بالنسبة للعينة و لذلك يريان «أن القاعدة الأساسية في سحب العينة في ضوء النظرية الموثقة، انه يتعين على الباحث ألا يحدد سلفا وبصورة جامدة مواصفات العينة قبل بداية البحث وفي هذا الشأن فان الأسئلة حول الأفراد أو الوقائع أو الأنشطة التي يجب أن تتضمنها العينة، أو عدد الأفراد أو الوقائع التي يجب دراستها، لا يمكن الإجابة عنها قبل البحث، خاصة اذا كان البحث يريد التوصل إلى نظرية.<sup>2</sup>» مع العلم أن تعبير العينة هنا كما يقول جون كلود كوفمان تعبير غير مناسب من منظور الدراسة الكيفية، لأنه ينطوي على فكرة التمثيل والاستقرار، ففي المقابلة الفهمية أن الأمر يتعلق باختيار المخبرين أكثر مما يتعلق ببناء عينة<sup>3</sup>. والعينات التي سوف نختارها تمت بعد الملاحظات الميدانية المتكررة والتي جرت خلال سنة كاملة (من مارس 2017 إلى غاية فيفري 2018)، وجاءت انطلاقا من منظور وتماشيا مع المرونة التي تسمح بها المقاربة الكيفية، وبناء على السن والجنس والمهنة ومدة الإقامة وكثافة العلاقات الاجتماعية التي تنسج داخل هذه الفضاءات من خلال عدة مؤشرات الحركة السكانية اليومية والمعيش اليومي فيما يخص العمل والتسوق والتعليم والتنزّه والراحة والتضامن والصراع، كل

1 - Bertaux, Daniel. (1980) Approche biographique, sa validité méthodologique, ses potentialités. Cahiers internationaux de sociologie, XIX, 197-225.

2- ديرك لايدر، قضايا التنظير في البحث الاجتماعي، ترجمة عدلي السمري، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2000، ص 145.

3 - Jean-Claude Kaufmann. L'entretien compréhensif. Éd Nathan. Paris. 1996. P.41.

هذا يدور داخل فضاءات مكانية مختلفة تتمثل مؤسسات عمومية ومدارس وساحات عمومية وأسواق ومناسبات ومواقع للتنافس، هذه الفضاءات تم ترتيبها مبدئياً حسب الكثافة السكانية التي تستوعبها وعن طبيعة العلاقات التي تنتجها، وقد حاولنا حصرها في أربع مجالات وهي المجال الاقتصادي ويمثله تقسيم العمل ويتجسد في المؤسسات العامة والخدمية والأسواق والفضاءات التجارية، والمجال التربوي يمثله التعليم بمراحله المختلفة ويتجسد في المدارس والمتوسطات والثانويات ومراكز التكوين والتعليم العالي، والمجال الديني والثقافي وهو من شقين، الشق الأول ديني وتمثله التربية الدينية والأخلاقية ويتجسد في المساجد والزوايا والمدارس القرآنية، والشق الثاني الثقافي يمثله الأنشطة الثقافية الترفيهية ويتجسد في الساحات العامة والمقاهي والمكتبات ودور الشباب، والمجال الاجتماعي وتمثله العادات والتقاليد والأعراف المتداولة بين أفراد المجتمع الأغواطي في الأفراح والأحزان والمناسبات والأعياد ويتجسد في الأماكن العامة وقاعات الأفراح والمآتم والمقابر والحمامات وقاعات الحلاقة والمستشفيات و...، كان الاختيار لفضاء دون الآخر صعباً في البداية، ولكن ذلك لم يمنعنا من المضي قدماً في الدراسة فبعد التدقيق في نوع العلاقات داخل كل مجال اهتمنا إلى طريقة تقسيم هذه المجالات بناء على نوع وطبيعة الجمهور وكيفيات الولوج إليه، والأدوار الاجتماعية وتمثلات الفرد داخل الفضاء، بعد الانتهاء من تحديد محاور المقابلات، بدأت عملية إجراء المقابلات والتي استغرقت مدة سنة كاملة، وتم التوقف عند العدد 25 مبحوث بعد التأكد من أن المقابلات لم تعد تأتي بجديد للبحث.

### التفئمة واختيار العينات

قبل استعمال دليل المقابلة تم النزول للميدان وعمدنا إلى تقسيم العينات (عينات قصدية) التي سوف ندرسها إلى أربع فئات بناء على مؤشري الجنس والوضع الاجتماعي للأفراد وتم تحديد عدد الفئة بعد "التشعب" وكانت العينة كالتالي:

فئة المتقاعدين تم التشعب بعد خمس مفردات

فئة العمال تم التشعب بعد ستة مفردات

فئة البطالين تم التشعب بعد ستة مفردات

النساء العاملات تم التشعب بعد أربع مفردات

النساء الماكثات بالبيت تم التشعب بعد أربع مفردات

المقابلة تعرف بأنها: "وجيز أسئلة يطرحها المستجوب الذي يقوم (في نفس الوقت) بتسجيل الإجابات المقدمة من طرف المستجوب"، حيث قمنا باستجواب 25 مبحوث بشكل عشوائي مراعين في ذلك المرونة قدر الإمكان، أين تضمنت هاته الاستمارة بالمقابلة 55 سؤال منها ما هو مفتوح واغلبها ما هو مغلق ضمن 16 محور

بدءا بمحور البيانات الشخصية، ليعكس كل محور من المحاور الأربعة فرضية من فرضيات الدراسة المقترحة حسب مؤشراتنا ومن ثم متغيراتها. إلى جانب المقابلة المفتوحة والتي " تتكون المقابلة في أبسط صورها من مجموعة من الأسئلة أو البنود التي يقوم الباحث بإعدادها وطرحها على الشخص موضوع البحث وجها لوجه ويقوم الباحث بتسجيل الإجابات عليها بنفسه، وهذه البيانات تفيد في معالجة متغيرات الدراسة والإجابة على فرضيات البحث".

من خلال المقابلات الموجه مع عدد من أفراد العينة القصدية التي تم اختيارها تم التوصل إلى أن هناك عدة عوامل تجعل من الأفراد يختارون مسارات حياتهم اليومية، يحددون من خلالها الفضاءات العمومية التي يرتادونها ويمكن ويعود ذلك النوع والعمر والعمل والدخل والأصول الثقافية. السكان الجدد يتحفظون منذ بداية إقامتهم في نسج العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، ومع مرور الوقت يبدأ الفرد في تعديل مساراته اليومية وتصحيح التصورات التي كان يحملها معه عن مكان إقامته الجديد وعن مكوناته الاجتماعية، تكون المرحلة الأولى وهي مرحلة الترقب وتحتين الفرص وهناك محطات عديدة يمكن من خلالها أن تنشأ العلاقات الاجتماعية، كالمناسبات والأعياد والأفراح والمآتم. الخ.

### الخصائص العامة للعينة الفردية

من اجل الوصول إلى الأهداف المرجوة من البحث ولكي تكون العينة ممثلة لمجتمع البحث، تم اختيار عينة للمقابلة بطريقة قصدية وباستعمال تقنية كرة الثلج وفي كل مرة نقوم بقبول الفرد الذي تم الوصول إليه أو حذفه من القائمة بناء على معطيات الوظيفة السن والسكن والجنس وكذلك درجة التشبع،

**الفئة حسب الجنس:** فئة الرجال وهم 17 رجلا وفئة النساء مكونة من 08 نساء

**الفئة العمرية:** فئة الشيوخ مكونة من 06 أفراد وفئة الكهول من 10 وفئة الشباب 09.



**الفئة حسب المهنة:** وقسمتها إلى فئة المتقاعدين وهم 05 وفئة العمال 10 وحدات وفئة البطالين 10 وحدات.

### الدراسة الميدانية (الوثام بمدينة الأغواط كميدان للدراسة)

لم يأتي اختيار ميدان الدراسة اعتباطيا وإنما تم بناء على عدة معايير كتلك المتعلقة بالنمو المتسارع واللاتجانس واستمرار التدخلات الحضرية المختلفة المتعلقة بالجانب المادي والاجتماعي، ولعدة أسباب أهمها احتواء الحي على كل شرائح المجتمع الممثل للمدينة مما يجعل منه عينة ممثلة تمثيلا صادقا لمجتمع المدينة، فوجود كل الأنماط السكنية المختلفة وتوفر بعض المرافق العمومية والاتصال المباشر بمركز المدينة باعتباره امتدادا فيزيقيا للمدينة الأم وكذلك القيمة الاجتماعية والاقتصادية التي يمثلها بالنسبة للمدينة تجعل منه مجالا جيدا للدراسة .

### إنتاج البنية المجالية للحي:

إنتاج الفضاء الحضري يمكن تحليله على انه مجموعة منظمة من العمليات، التي يمكن من خلاله إعادة تفكيكها، لإظهار المنطق الاجتماعي الكامن وراءها، فالمنطلقات التنظيمية للمراحل التي مر بها الحي في إنتاج المورفولوجيا العمرانية اختلفت عن سابقتها في توسع المدينة مجاليا، فالحي الذي هو عبارة عن مخطط لشغل الأراضي يحمل رقم 17 والرقم:18، ضمن المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير كأداة لتنظيم المدينة، هذا الحي أعد في ظل حزمة من القوانين الحديثة التي صدرت في تسعينيات القرن الماضي بعد التحولات الجذرية التي مست النظام الجزائري برمته، ورغم هذا واصلت الدولة لعب الأدوار الرئيسية كمحتكر في إنتاج التعمير 2، وخاصة السكن المدعم من طرفها. فالإنتاج العمراني كان بوتيرة سريعة وفي مدة زمنية (1996-2016) قصيرة نوعا ما مقارنة بحجم الحي بالنسبة للتعمير المنتج في السنوات السابقة، وكان العامل الاقتصادي له الدور البارز في هذا التطور، ويعتبر الحي أحسن الأحياء عمرانيا مقارنة بالأحياء الأخرى، وأصبح في المدة الأخيرة قطب إداري -وجود مقر الولاية الجديد وعدد كبير من المديريات والجامعة والمستشفى الجامعي والمحكمة الإدارية وعدد هام من المؤسسات -واقصادي- واجتماعي في البناء الكلي للمدينة، مما يجعل من الحي بيئة لصنع القرار، سواء من خلال الرغبة في تحديد وظيفة من خلال تخصيص مساحة معينة، وخاصة، من خلال وجود شبكة غير رسمية من العلاقات، لا تعتمد فقط

1- من أهمها القانون رقم 90-29 مؤرخ في أول ديسمبر سنة 1990 يتعلق بالتهيئة والتعمير. والقانون رقم 90-25 المؤرخ في 18 نوفمبر سنة 1990 والمتضمن التوجيه العقاري.

2 - Madani Safar-Zitoun, Le logement en Algérie : programmes, enjeux et tensions, in revue-confluences-mediterranee-2012-2-page-135.

على الاتصالات وجهاً لوجه، ولكن أيضاً على مجتمع جديد متحرك وسريع التغير وتلون ومدى وجوده اليومي.

### تحديد المجال الزمني (مراحل تشكُّن الحي)

المرحلة الأولى (النشأة) 1994-2000:

تتميز هذه المرحلة بعملية ترحيل سكان الأحياء القصدية (حي بوخنفوس) وهم عبارة عن مجموعة من السكان من أصول بدوية وريفية نزحوا للأغواط من ولاية الجلفة ومنطقة أفلو. وقد قدر عددهم آنذاك بجولي 256 عائلة، كان الحي عبارة عن تجمع سكاني معزول يفتقر لمعظم المرافق العمومية والبنية التحتية. كانت التسمية الغير رسمية للحي هي المحافير وهي نوع من الوصم يطلق على المنطقة التي بنيت عليها السكنات التطورية وهي عبارة عن ارض تستعمل لرمي النفايات الصلة خارج حدود المدينة، كان الحي غير متصل بالنسيج العمراني للمدينة، حيث كان عبارة عن تجمع يبعد عن حدود النسيج العمراني بمسافة معتبرة وتربطه بالمدينة طريق غير معبدة. غير انه كان موجود على الخريطة العمرانية كتوسع عمراني على المدى القريب.

### المرحلة الثانية (التشكل) 2000-2006

ظهرت في هذه المدة معظم التجزئات وتم توزيعها على السكان وانطلقت عمليات البناء الخاصة وشرعت الدولة هي الأخرى في تجسيد بعض المشاريع السكنية لعدة أنماط منها، السكن التساهمي (حي 200 سكن فردي تساهمي وحي 50 سكن فردي تساهمي وحي 202 سكن تساهمي جماعي (FNPOS))، السكن الاجتماعي (حي 88 سكن "أ" نصف جماعي وحي 88'ب' سكن نصف جماعي وحي 484 سكن جماعي وبعض المرافق العمومية متوسطة المصالحة وثنائية الجودي بلقاسم وعدد من الابتدائيات، ومقر الأمن، لقد بدأت معالم الحي في الظهور من خلال استعمالات الأرض وتخصيصها والانطلاق في عمليات تهيئة الطرقات بعد الانتهاء من البنية التحتية والتمثلة في مختلف الشبكات، وتعتبر هذه المرحلة من المراحل المهمة في التطور الفيزيقي للحي مما صاحبها من تدخلات حضرية مهمة شجعت السكان على الانتقال إلى الحي واستقرار به، لقد زادت قيمة الأرض في هذه المرحلة وتضاعفت إلى أكثر من عشرين مرة فقطعة الأرض التي كانت قيمتها في السوق الغير رسمية بمائة الف دينار تضاعفت أكثر من خمين مرة في بعض الحالات. من الناحية السكانية بدا التزايد السكاني في الارتفاع وخاصة بعد توزيع الأنماط السكنية المنجزة وخلق نوع من الحركية داخل الحي، وأنتج عدد من الاحتجاجات للمطالبة بمزيد من التهيئة

والمرافق الضرورية وتضاعف عدد سكان الحي وأصبح التمايز الاجتماعي ظاهراً للعيان من خلال الأنماط السكنية المختلفة والتوزيع المكاني للسكان وأنتج نوع من التناثر داخل الحي الواحد وأصبح الوصم لأحياء دون غيرها (حي جفت، حي النوماد، ديار الشعب).

### المرحلة الثالثة (الإسكان الشبه كلي) 2006-2012

وهي مرحلة مهمة في حياة السكان، حيث عرفت بدايات تشكل ما يعرف بالمجتمع المدني، وظهرت جماعات وتنظيمات تربط بينهم مجموعة من العلاقات والروابط الاجتماعية المختلفة معظمها تصب في المصلحة العامة للسكان وهي كيانات تقع في الحد الفاصل بين أفراد المجتمع والدولة التي تحويها، فبرزت عدة جمعيات رسمية وأخرى غير رسمية، فظهرت جمعيات تهتم بالحي لها تطلعات اجتماعية وسياسية بهدف التعبير عن مصالح المواطنين وقضاياهم وإرادتهم ورأيهم تجاه كافة الأحداث والقضايا الاقتصادية أو الاجتماعية المعاشة لدى سكان الحي، وهناك جمعيات تابعة للمساجد لها تطلعات تنظيمية ومنظومة أخلاقية، وجمعيات لتسيير الملاعب الجوارية لها دور في خلق روابط اجتماعية بين الأفراد والجماعات، هذه التنظيمات في إطارها العام هي رواسي وركائز يعتمد عليها البناء الاجتماعي الجديد، ويعد وجود المجتمع المدني من أهم شروط تحقيق التوازن وتقاسم الأدوار داخل المجتمع الجديد، وتختلف هذه التنظيمات من حيث الخصائص ومنظورها الاجتماعية تجاه كافة القضايا المطروحة على مستوى الحي أو المدينة أو حتى على المستوى الوطني. ومن أبرز الأمثلة على المنظمات أو المؤسسات التي تعد من أبرز مكونات المجتمع المدني الجمعيات الخيرية، والأندية الرياضية أو الاجتماعية، ومؤسسات المجتمع المدني، والمنظمات غير الحكومية، والمنظمات غير الربحية، والمنظمات التطوعية، والأحزاب السياسية، والتعاونيات، والجمعيات المهنية، والمنظمات ذات العلاقة بالحراك الاجتماعي، والمؤسسات الدينية.

تكمن أهمية المجتمع المدني في مدى الإضافة النوعية التي يحدثها وجود مكونات المجتمع المدني ذات الاهتمامات المختلفة، حيث يُعنى كل مُكوّن من مكونات المجتمع المدني بجانب مهم من حياة الأفراد في المجتمعات الإنسانية، وعليه فإن أهمية المجتمع المدني يمكن أن تتمثل فيما يأتي: خلق حالة من التواصل الفعال بين أفراد المجتمع، مما يساهم في توثيق العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد. زيادة الوعي والثقافة الاجتماعية من خلال وجود مجموعة الأندية الثقافية أو الاجتماعية أو الرياضية أو غيرها. تشجيع ورعاية بعض الأنشطة العلمية والرياضية المتعلقة بوجود الاهتمامات المختلفة لبعض أفراد المجتمع، مما يساهم في تحديد المكانة

والدور. المساهمة في حل بعض المشكلات الاقتصادية والاجتماعية بالحي الجديد من خلال وجود الجمعيات الخيرية والتعاونيات التي تنفذ العديد من الأعمال الخيرية وأعمال التطوع التي تُنظمها المنظمات ذات العلاقة. كسب اعتراف وتأييد المجتمعات المدنية الأخرى من خلال ما يتم من إنجازات على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي بالمدينة ككل.

### المرحلة الرابعة (الاستقرار) 2012-2018

هذه المرحلة من اهم المراحل على المستوى الاجتماعي، ففيها بدأ السكان في تكوين صورة واضحة عن الحي الذي يقيمون به، وترتيب العلاقات الاجتماعية وثبات البناء الاجتماعي وتقسيم الأدوار والمهام وتحديد المكانة الاجتماعية للأفراد والجماعات وتلاشي الصراع والركون إلى التسامح مع الآخر الممثل في الجار سواء بالمجمع أو الحي وأخيرا الاعتراف والرضوخ للأمر الواقع في غالب الأحيان.

من سمات هذه المرحلة ظهور الفوارق الاجتماعية والطبقية اجتماعيا وان كانت السلطة قد ساهمت فيه بدرجة كبيرة من خلال التقسيم المجالي للحي عبر الأنماط السكنية التي أنشأتها، فظاهرة تقسيم الأحياء السكنية مجاليا اعتمادا على دخل الفرد هو من العوامل المؤسدة لخلق فوارق اجتماعية تجعل من الفضاءات المشتركة بين هؤلاء السكان أماكن لها أدوار مختلفة تتباين من فرد إلى آخر ومن جماعة إلى أخرى، فهي فضاءات للتعبير عن ذوات متعددة تستتر عن صراع خفي يطفوا إلى السطح في شكل تصرفات ورموز وتعابير داخل الفضاءات العامة تجاه الآخر.

علاقات الجيرة الجيدة من اهم المؤشرات التي تساعد على الاستقرار المكاني للفرد داخل الحي فالعلاقات عبر الفضاءات المشتركة التي يتقاسمها الجيران يوميا وخاصة تلك التي يؤول إليها التموضع النهائي للفرد في شبكة العلاقات داخل الحيز الضيق المتكون من الجيران، هذه العلاقات تتحدد عبرها مراكز الأفراد وموقعهم الاجتماعي في البناء الاجتماعي المعاد تشكله داخل الحي، أما بالنسبة للصغار فإنها أماكن التواصل والتعارف وتقاسم الأدوار فالصراع على الزعامة يكون أكثر جلاء للدارس، فالأولاد الصغار معظم تصرفاتهم تكون عفوية تتخذ من التربية الأسرية سندا لها في تكوين الشخصية وان كانت تتأثر بالأقران في سن المراهقة.

المكانة الاقتصادية للأفراد والعائلات هو الآخر له بالغ الأثر في تحديد شبكة العلاقات داخل الحي، ونلاحظ ذلك في مورفولوجيا المنزل من خلال الواجهات واستعمال مواد البناء والطرز

المعماري وهذا هو من الجوانب التي أهملتها السلطة، وقد يرجع ذلك للضعف التقني والمعرفي للفاعلين السياسيين والأجهزة التقنية للدولة، فالطبقة الوحيدة التي يحق لها التعبير عن الذات والهوية الفردية عبر المسكن هي الفئة التي تمتلك سكن ذاتي، فالموقع والقيمة المادية من خلال الحجم وعدد الطوابق والاستعمالات المختلفة للمسكن محدد للقيمة الاجتماعية والاقتصادية لصاحبه، فهذه المساكن تعرف بأسماء أصحابها نظرا للقيمة المادية للمسكن من جهة، ومن جهة أخرى محدد للمكانة الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية للفرد، فهناك عمارات ومقاهي تتخذ من أسماء مالكيها أسماء لها لما لهم من مكانة داخل مجتمع الحي أو المدينة ككل. وتعتبر السيارة هي الأخرى من محددات المكانة الاقتصادية للفرد وخاصة داخل أحياء السكن المنجز من طرف السلطة فهي من الوسائل التي تحدد مكانة الأفراد داخل المجتمع الجديد.

الثقافة المعبر عنها هي الأخرى عبر المعاملات في الفضاء العام واستعمالاته من خلال طريقة الكلام واختيار اللباس وتنسيق الألوان والأذواق والحركات والرموز التي يستعملها الأفراد والتصرفات العامة واستعمال الوسائل العامة، كلها تتم عن ثقافة ما يحملها الأفراد معهم إلى مكان إقامتهم الجديد أو اكتسبوها وتصنعوا بها واكتسبوها مع مرور الوقت. وترتبط الثقافة ارتباطا وثيقا بالمستوى التعليمي للفرد، فالأكثر تعليما ينظر إليه أكثر ثقافة وتعطى له مكانة اجتماعية بناء على المستوى التعليمي، كذلك تعتبر الوظيفة من محددات المكانة الثقافية فالمربي والإمام والأستاذ والمعلم كلها أسماء لوظائف ترتبط ارتباطا بمكانة الفرد الثقافية.

موقع الفرد في الفضاء السياسي والتنظيمي الجمعي وقدرته على المناورة والاشتراك والتواصل والتعبير عن المصالح العامة والتأثير عن الجماهير يجعل منه عضو له مكانة داخل فضاء الفاعلين السياسيين وتظهر مكانة الفرد من خلال القدرات التي يظهرها في الأماكن العامة والموقف التي يتخذها أثناء استعمالاته للمجال العام، فالمقاهي والتجمعات والحركات والمنظمات ومقرات الأحزاب كلها فضاءات يعبر من خلالها الأفراد عن مواقفهم السياسية مما يحقق لهم مكانة داخل البناء الاجتماعي الجديد.

كل هذا لا يتسنى إلا في ظل استقرار اجتماعي وبناء اجتماعي أكثر ثباتا وتماسك وتكامل يساعد على استمراريته من خلال مظاهر الدفاع المشترك عن الهوية الجماعية التي تتشكل مع الوقت والمحافظة عليها وعلى النسق ككل متكامل داخل إطار المدينة ويدافع عن حقوقه ومكوناته المكتسبة.

### تحديد المجال السكاني (المكون الاجتماعي)

إذا اعتبرنا أن معدل شغل السكن (TOL) هو خمسة أفراد حسب المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير للمدينة، وعندنا حوالي 5531 سكن منجز بمجال الدراسة، فإن عدد السكان هو:  $5 \times 5531 = 27655$  ساكن يتوزعون على النحو التالي:

السكن الاجتماعي الإيجاري:  $5 \times 1630 = 8150$  ساكن من مختلف الأعمار ومن الطبقات ذوي الدخل الضعيف الذي يقل فيه مجموع دخل الزوج والزوجة عن 18000 دج، والعاطلين عن العمل والذين يشتغلون في السوق الموازية.

السكن الذاتي:  $5 \times 2275 \times 0.74 = 8420$  ساكن من مختلف الأعمار ومن مختلف شرائح المجتمع وخاصة ذوو الدخل المرتفع والمتوسط من التجار والحرفيين والموظفين وأصحاب الأعمال الحرة. السكن التساهمي:  $5 \times 1987 = 9935$  ساكن من العمال من فئة متوسطي الدخل (أكثر من 24000 دج وأقل من 108000 دج) والأسر عبارة عن عائلات نووية تتكون من فئتين عمريتين على العموم.

السكن الترقوي العمومي:  $5 \times 200 = 1000$  ساكن من الإطارات والتجار والمقاولين من فئة مرتفعي الدخل (أكثر من 108000 دج وأقل من 216000 دج)، والأسر عبارة عن عائلات نووية تتكون من فئتين عمريتين على العموم.

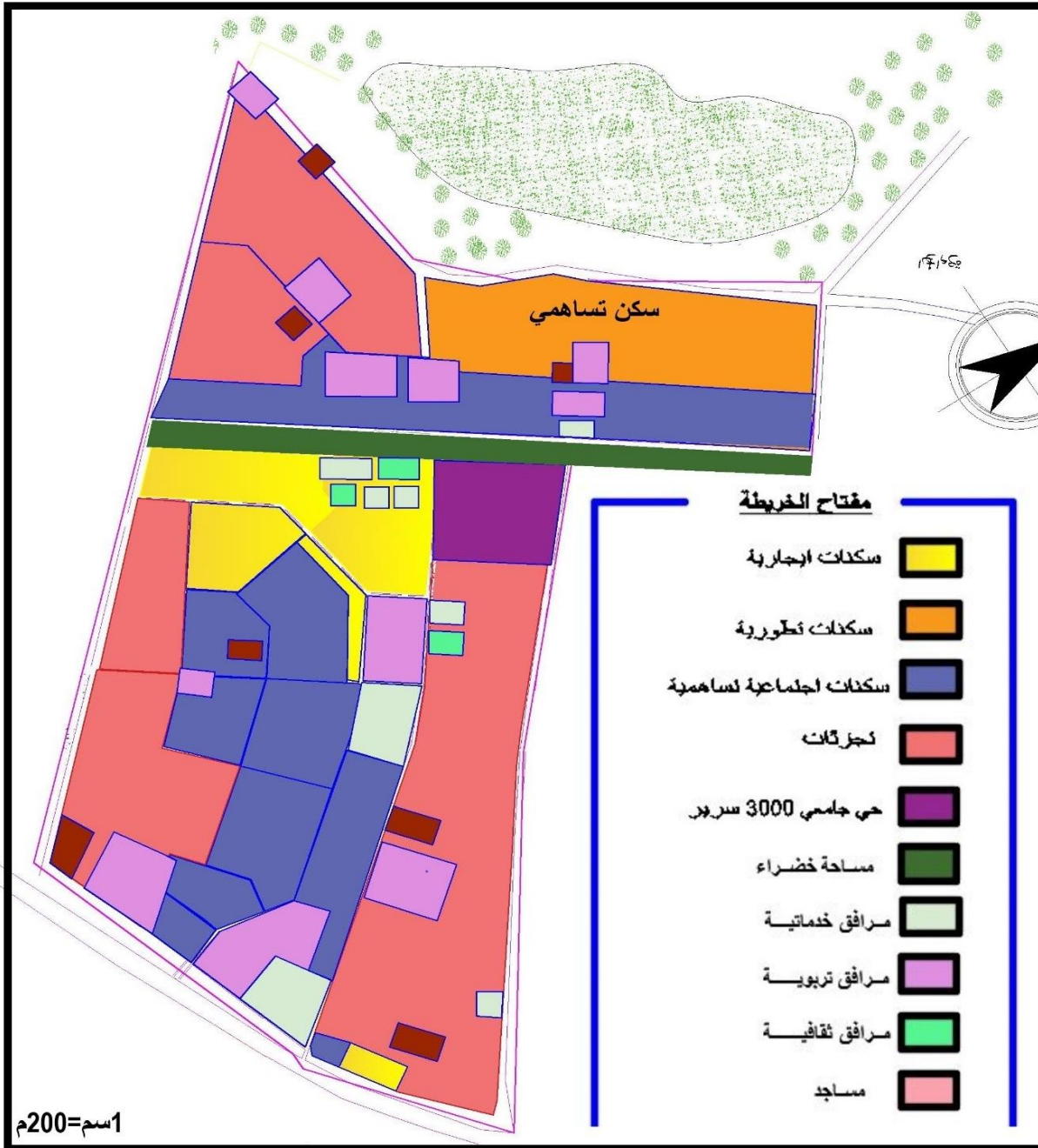
السكن الوظيفي:  $5 \times 30 = 150$  ساكن من موظفي قطاع التربية والمؤسسات العمومية، العائلات هنا من كل الفئات العمرية.

### اهتمامات الدراسة

#### 1- تحديد الفضاءات العمومية المعنية بالدراسة

هناك أرخبيل من الفضاءات العمومية التي يحتوي عليها حي الوئام، فمنها ما هو ذكوري خالص مثل المقاهي وقاعات حلاقة الرجال وسوق السيارات ومنها ما هو أنثوي خالص مثل قاعات حلاقة النساء وقاعات الأفراح والحمامات النسوية ومنها ما هو مختلط كالشوارع والأسواق الجوارية والمتاجر والمؤسسات العمومية والخاصة، ومن أجل تسهيل عملية الدراسة تم تقسيم هذه الفضاءات

## الخريطة رقم (09): الصيغ السكنية والمرافق المنتشرة بالحي



المصر: من إعداد الباحث

إلى نوعين اثنين: النوع الأول هو الفضاءات العمومية المفتوحة: والمقصود بها الشوارع والمساحات العامة والحدائق والأسواق وكل الأماكن والوسائل المخصصة للتنقل، أما النوع الثاني فنقصد به الفضاءات العامة المغلقة مثل المقاهي والحمامات والمرافق والمؤسسات العمومية والتعليمية المختلفة. ونظرا لكثرة هذه الفضاءات إرتينا أن تكون الدراسة مقتضبة في البعض منها، التي رأينا من خلال الملاحظات أن دورها في بناء الرباط الاجتماعي اقل شأنًا. وفي البعض الآخر تكون معمقة نظرا لما رأينا لها من أهمية في بناء الروابط الاجتماعية.

أولاً: **الفضاءات ذات البعد التنظيمي** كالشوارع والممرات والأرصفة وأماكن التوقف والتقاطع وعقد الحركة والحدود وما تحمله من إشارات وزمور لها دلالات وقوة تنظيمية مادية للأحياء واستعمالات الأرض، هنا تكون من مهمة السلطة المحلية المسؤول عن إنشائها وتنظيمها حسب مجموعة من القوانين مجسدة على شكل مخططات، وهي فضاءات للاستعمال العام، يمكن كل أفراد المجتمع اللوج إليها دون استثناء وهي أماكن للاستعمال الدائم والمباشر كل فترات اليوم دون انقطاع، بين أفراد المجتمع من داخل الحي ومن خارجه بدرجات متفاوتة حسب الموقع والجنس والفترة الزمنية، وهي مسرح لكل التناقضات والتوقعات، فهي فضاءات للتواصل اللفظي والرمزي، وهي أماكن لعرض الذات، وهي تجسد العام وتحتكره وتفرضه على مستعمليها، وهي مصدر لكل علاقات التسامح والتوافق والصراع في نفس الوقت.

ثانياً: **الفضاءات ذات البعد الخدماتي** ممثلة في المرافق الجوارية، وهي تلك المؤسسات العمومية التي تقدم الخدمات الصحية والدعم والتضامن والتأمين، والخدمات الإدارية والخدمات التعليمية، وهي تضم انساقا تتواصل فيما بينها من جهة وتتواصل مع الأفراد الخارجين عن دائرتها من جهة أخرى، وهي أماكن للتواصل ينتج عنها هي الأخرى أنماط مختلفة من الأفعال والعلاقات الاجتماعية.

ثالثاً: **الفضاءات ذات البعد الاقتصادي** كالأسواق وأماكن تمركز الخدمات التجارية، ومراكز التسوق والمعارض وهي تشكل مجتمعا مهما في تشكيلة الحي الاجتماعية، من خلال ما تنتجه من علاقات وما تفرضه من سلوك على تصرفات الفرد والمجتمع.

رابعاً: **الفضاءات ذات البعد الثقافي والديني والترفيهي**، من صورها دور الشباب المراكز الثقافية والمكتبات والمراكز الرياضية والملاعب الجوارية والمركز الدينية والمساجد والحدائق العامة والساحات العمومية. وهي فضاءات ذات أهمية كبيرة ولها دور مباشر في الحياة العامة للمجتمع، وتنتج أنماطاً من العلاقات المختلفة حسب طبيعة الفضاء العمومي ووظيفته والدور المنوط به، فالمركز الثقافي ينتج نق من العلاقات الاجتماعية تختلف عن تلك التي يقدمها المسجد، والساحة العمومية والحديقة العامة دورها في بناء الرباط الاجتماعي يختلف عن دور الملعب الجوّاري وساحة اللعب.

## 2- الرباط الاجتماعي أحد أهم مواضيع هذه الدراسة

من التساؤلات الكبرى لعلم الاجتماع ومن أهم قضاياها الرئيسية مسألة الرباط الاجتماعي وكيف يتماسك المجتمع؟ كيف يحدث ألا تغرق التجمعات البشرية في العنف المعمم، أو لا تنجر إلى زمر صغيرة لا نهاية لها؟ هذه الأسئلة كلسة الوجود منذ بدايات هذا الميدان، والإجابات المقدمة



شديدة التنوع، وهكذا فإن نوربير إلياس السيرورة التاريخية "لحضارة آداب السلوك"<sup>1</sup> في مجتمعاتنا: العنف والتعبير عن المشاعر يتعرضان للقمع شيئاً فشيئاً، بل وللإلغاء من الحياة الاجتماعية. ويرى غوفمان أن الرابط الاجتماعي يتعلق بالصفة المسرحية للحياة المشتركة: فلكي يعمل المجتمع يجب على الناس أن "يلعبوا اللعبة" وأن يشاركوا في العرض<sup>2</sup>. ويرى آخرون أن الرابط الاجتماعي ليس سوى محصلة حسابات وآليات المبادلات العقلانية الفردية (تيار الخيار العقلاني)<sup>3</sup>. وهناك من يرى أن الفردانية وبناء الرابط الاجتماعي ليس متناقضتان فالفرد لا يبني ذاته كفرد إلا من خلال الدعم وتأييد الذي يتلقاه من الجماعة التي ينتمي إليها<sup>4</sup>، وزميل هو الآخر (قدم تحليلاً إحيائياً Vitaliste للحياة الاجتماعية، فهو يرى أن الحياة الاجتماعية حركة لا تتوقف العلاقات بين الأفراد من خلالها عن تعديل بعضها البعض. وهذه العلاقات، على شاكلة الجسر الذي يربط والباب الذي يفصل هي علامات لميول متضاربة نحو التماسك والتبعثر. وبشكل أوضح، قدم زميل، في سبيل تحليل هذه العلاقات، تصوراً رئيسياً: هو الفعل المتبادل. وببساطة هو يعني بالفعل المتبادل التأثير الذي يمارسه كل فرد على الغير. وهو فعل موجه بمجموعة من الدوافع المختلفة (الغرائز الجنسية، المصالح العملية، المعتقد الديني، متطلبات النجاة أو العدوان، المتعة في اللعب، العمل....) وإن الكلية-المتحركة دوماً-لهذه الأفعال هي التي تساهم في توحيد كل الأفراد في مجتمع بمجمله<sup>5</sup>. الاجتماعية ويتفق علماء الاجتماع على أن الحياة في الجماعة، هي المكان الطبيعي لكل كائن إنساني منذ ولادته، وهو في علاقة وطيدة بالآخرين، وإن التضامن يشكل على كل مستويات التنشئة ناتج ما يمكن أن نسميه "الإنسان-الاجتماعي" (l'homo-sociologique). والإنسان اجتماعي بطبعه يجب تكوين العلاقات وبناء الصداقات، فمن حاجات الإنسان الضرورية حاجته للانتماء ومن الفطرة إن يكون الإنسان اجتماعياً، والفطرة السليمة ترفض الانطواء والانعزال وترفض أيضاً الانقطاع عن الآخرين، والفرد مهما كان انطوائياً فإنه يسعى لتكوين علاقات مع الآخرين وإن كانت محدودة، ويصعب وربما يستحيل عليه الانكفاء على الذات والاستغناء عن بقية المجتمع. فالإنسان مرتبط

1- «حضارة آداب السلوك» هو الجزء الأول من كتاب ضخم لعالم الاجتماع الألماني نوربير إلياس (1897-1990) عنوانه: «حول سيرورة الحضارة». أما الجزآن الآخران فهما: «ديناميكية الغرب» و«مجتمع البلاط». ظهر الكتاب في سويسرا باللغة الألمانية في عام 1939 ترجم إلى اللغة الفرنسية عام 1973.

2 - Erving.Goffman, La mise en scène de la vie quotidienne, op.cit., p.11.

3- فيليب كابان و جان فرانسوا دورتييه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات، ت: إياس حسن، ط1، دار الفرقد، 2010، ص 14.

4- الاين تورين، براديجما جديدة لفهم علم اليوم، ترجمة: جورج سليمان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2011، ص216.

5- فليب كابان، مرجع سابق، ص 72.

بالمجتمع الذي يعيش فيه، لا لضمان حمايته فقط من مخاطر الحياة، ولكن كذلك لتلبية حاجياته الحيوية كالاعتراف، هذا الاعتراف الذي يعتبر مصدر لهويته ووجود كإنسان. ومنذ خمسينات القرن الماضي، تطورت بسرعة الأبعاد التي ترمز إلى طبيعة الرباط الاجتماعي. وأصبح الاستهلاك الجماهيري هو نظام التواصل الاجتماعي الجديد، "حيث النجاح السريع لمراكز التسوق ( shopping centers) كأماكن عمومية جديدة"<sup>1</sup>، ومفهوم الرباط الاجتماعي حالياً مرتبط بالوعي لدى الجماعات، واستخدامه المتداول، يمكن أن يعبر عن تساؤل، ماذا يمكن أن يفعله المجتمع في عالم تتنافس فيه الفردانية؟ يبدو ذلك شيئاً حتمياً. وهل مجتمع مكون من أفراد مستقلين كذلك هو مجتمع، وإذا كان كذلك كيف؟ فمنذ تأسيس هذا العلم، يسعى علماء الاجتماع للإجابة على هذا التساؤل، حيث قدم الأوائل تفسيرات على أساس تحليل تطور المجتمعات الإنسانية.<sup>2</sup> ففكرة الرباط الاجتماعي إذا كانت مرتبطة برؤية تاريخية في علاقة الفرد بالمجموعات التي ينتمي إليها وشروط التغيير الاجتماعي على المدى الطويل في آن واحد.<sup>3</sup>

المجتمع ليس تجمع أو تجميع لمجموعة من الأسر والعائلات، أو اتحاد قسري أو طوعي لعدد من الطوائف أو القبائل والعروش، وليس تطور ديمغرافي أو امتداد جغرافي للقبيلة أو العشيرة، بل المجتمع هو ظاهرة سوسولوجية حديثة ارتبط ظهورها بنشأة الرأسمالية الليبرالية والسوق في أوروبا الغربية، حيث أدى انهيار البنى العضوية التقليدية إلى نشوء تنظيم اجتماعي جديد قاعدته الأساسية الفرد كوعي وكوجود أفرزته التحولات العميقة التي طرأت على اقتصاديات أوروبا بدأ من القرن السابع عشر، هو ظاهرة حديثة تتكون من مجموعة من الأفراد الذين تربط بينهم مصالح تعاقدية واعية، الفرد فيها هو الوحدة الأساسية، وهو ظاهرة رأسمالية حديثة، ظهر بتحرر الإنسان المعاصر من قيود (التبعية الاجتماعية والتبعية السلالية)<sup>4</sup>، وجبر العائلة والعشيرة والقبيلة حينما سمح له سوق الرأسمالية بتحصيل قوت يومه وحده، وتحمية القوانين التعاقدية.

وإذا كانت التبعية الاجتماعية التي تؤثر في العلاقة بين الأهل والأولاد، وهي بذلك تؤثر في أبعاد ومحددات الفضاء العلائقي للأولاد، والتي تزول مع بلوغ الأولاد سنّ الرشد وبقدر ما تتابع الأجيال، فإن التبعية السلالية عند الولادة تجاه الأهل هي تبعية حتمية موروثية، محددة لفضاءات

1 - Billiard Isabelle. L'espace public. In : Les Annales de la recherche urbaine, N°32, 1986.

Compositions urbaines. p. 88.

2 -Francis Farrugia, op.cit., p 34.

3 -Serge Paugam, les 100 mots de la sociologie. PUF. Paris. 2010.

4- يوغين هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ت: جورج كتورة، ط1، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 2006، ص79.

واضحة المعالم لا يمكن التنصل منها وهي غير قابلة للانعكاس بالطبع. فالأبوين يلدون الأولاد. والعكس غير صحيح، إلا أن هذه التبعية لا تؤثر إلا في الوجود، لا في كينونة الأولاد ككينونة، ولا بأي من المحددات النوعية لحياتهم المستقبلية، مقارنة بالتبعية الاجتماعية، لا تعتبر التبعية الوراثية عند الشخص المبرمج مركزة إلا في فعل وحيد ينسب للمبرمج، غير انه في إطار ممارسة نسالية فإن أفعالا من هذا النوع إنما تؤسس لعلاقة اجتماعية تلغي التبادل المعتاد بين متساوين بالولادة. وفي المجتمعات التقليدية، وحسب التعريف التقليدي، التضامن ينمو أساسا في نسق العائلة، فالأفراد يشعرون بالاعتراف بهم، حيث الهوية العائلية أي هوية الجماعة هي أساس الاندماج الاجتماعي، أما في المجتمعات الحديثة، فالنماذج المؤسسة للاعتراف تحولت إلى الفردانية، معتمدين بذلك على السمات الفردية بدلا من السمات الجماعية، وبصفة اقل فالجماعة باعتبارها مؤسس للهوية والتشابه لدى الجماعات المختلفة -أو الدوائر الاجتماعية- كذلك، التي تتقاطع بطريقة فريدة مع كل فرد.<sup>1</sup>

وفي الجزائر وشمال إفريقيا عموما يتشابه البناء القبلي الذي يستمد مخيال القبيلة جذوره من التقاليد الإسلامية ومن ملاحم قبائل شبه الجزيرة العربية التي تؤسس للنموذج القبلي المحلي<sup>2</sup>، وعادة ما تُدرج القبيلة في شمال أفريقيا ضمن شكل التنظيم الاجتماعي «التقليدي»، بكل ما يتضمنه هذا التصنيف من معانٍ إيجابية وسلبية مرتبطة بـ «التقليد»، أي بوصفه قيمة ثابتة وعائقا في حد ذاته.<sup>3</sup> ومرة ترتبط القبيلة بالعصبية و الحمية والمولاة في أوقات الانتخابات والصراع على العموم، وبذلك يكون الفعل القبلي يساهم في هيكله وتشكيل الفضاء العام،<sup>4</sup> وتارة يرتبط بالفخر والقوة. فهي فضاء مطاطي يسهل استعماله في كل الأوقات والظروف ومن طرف الأنا والآخر على حد سواء.

### 3- تغيير الحي وتغيير الروابط والعلاقات الاجتماعية

من أهم مظاهر الفضاء العام الزحام أو الاكتظاظ وهو زيادة عدد البشر الموجودين في مكان ما عن الإمكانيات الاستيعابية لهذا المكان، وقد يحدث الزحام في الأماكن العامة كالحداثق والأسواق، والمرافق العمومية، والمسارح، والملاعب وقد يكون في الأماكن الخاصة كالسكن، ولاكتظاظ في

1 -George Simmel، Sociologie، études sur les formes de la socialisation، op.cit.

2 -Pierre Bonte et Yazid Ben Hounet ، «La Tribu à l'heure de la globalisation: Introduction،» Etudes rurales، no.

184 (2010)، pp. 13-32، and Paul Dresch، «Les Mots et les choses : L'Identité tribale et son contexte en Arabie،» Études rurales، no. 184 (2010)، pp. 185-202.

3- يزيد بن هونات، مرجع سابق، ص45.

4 Hosham Dawod، Tribus et pouvoirs en terre d'Islam : éd. Armand Colin، Paris، 2004.

الأماكن العامة قد يكون دائم وقد يكون ظرفي يحدث في أوقات محددة من اليوم أو في المناسبات وهو ظاهرة مرضية يطلق عليها علماء الاجتماع الحضري: "التحضر الرث" والبيئة الرثة تُنتج ضغط عن الفضاءات العمومية وهذا الضغط بدوره يطور نسق من العلاقات الاجتماعية المضطربة، تؤدي إلى أزمات أهمها أزمة القيم، والزحام له إيجابيات، فهو يضع الفرد فيفلي شبكة كثيفة من التفاعلات والعلاقات الاجتماعية، فالفرد في أماكن الزحام حدود رؤيته وشبكة علاقاته أوسع من حدود الفضاء الذي تعيش فيه، ويتنقل داخله، فهو فضاء لكسب خبرات في الحياة وهو مجال للتكافل الاجتماعي. والحياة في الأماكن المكتظة قد تكون وقاية من أمراض المدينة الحديثة، فهو يقي الفرد من أمراض الاكتئاب والوحدة والانطواء والانتحار<sup>1</sup>.

#### 4- العلاقات الاجتماعية في ظل التوسع العمراني

قد يكون من المناسب قبل الحديث عن العلاقات الاجتماعية في ظل التوسع العمراني للمدينة الجزائرية التعرف على إحدى النظريات الحديثة، التي تحاول أن تفسر تطور المدن والأثر الاجتماعي المترتب جراء هذا التوسع، وهي الأفكار التي جاء بها لوكاس (Lucas) وهي تكاد تفسر وبشكل كبير واقع المدن الجزائرية والتطور المنظور لها والمتوقع أن تنتهي إليه عمرانياً واجتماعياً، فعلى الرغم من ظهور العديد من النظريات التي تحاول أن تفسر نشأة المدن ونموها إلا أن نظرية Robert Emerson Lucas Junior (Lucas) تُعدُّ الأحدث بينها، والأقرب إلى حد كبير لتفسير نمو المدينة الجزائرية وتمددتها وتوسعها الرأسي والأفقي.. والنظرية تقسم نمو المدن ونشأتها إلى أربع مراحل وهي:

1- مرحلة التحضر: حيث يؤدي التوسع الصناعي إلى هجرة سكان الريف إلى المدن لأسباب عدة ومتداخلة، وبالتالي تزايد عدد سكان المدن بشكل مطرد، يقابله في الغالب تناقص في عدد سكان الريف. وهذا ما شهدته المدن الجزائرية منذ الحقبة الاستعمارية وبالتحديد منذ قيام الثورة التحريرية سنة 1954.

2- مرحلة النزوح إلى ضواحي المدن: وهي تحدث عندما تنمو دخول الأفراد بشكل ملحوظ نتيجة لزيادة أجر العمل، ولكن على الرغم من زيادة الدخل فإن الحياة في المدينة تبدأ في فقدان جاذبيتها لتعقد المعيشة فيها نتيجة ارتفاع أسعار السكن وغلاء أسعار السلع والخدمات والأراضي واتساع حجم المدينة، وهنا يلجأ أصحاب الدخل العالية والمتوسطة إلى النزوح إلى الضواحي، وهذا

1- السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري الجزء الأول، مرجع سابق، ص 424-425.

ما حدث في العاصمة الجزائرية، ويصبح وسط المدينة مقصوراً على النشاط الاقتصادي وإدارة الأعمال والبنوك التجارية وإن تخلل ذلك سكن بعض ذوي الدخل المحدودة في مبان سبق استئجارها منذ فترة طويلة بإيجارات زهيدة مما يدعو الملاك إلى إهمال صيانتها، وقد تتحول إلى مخازن ومستودعات، وأوكار للعمالة المخالفة، أو يُتجه في النهاية إلى هدمها، حتى تتاح الفرصة للملاك لتحويلها إلى مكاتب أو متاجر أو غيرها من مستلزمات النشاط الاقتصادي التي تدر عليهم قيمة إيجارات مجزية، ويتصاحب مع ذلك زيادة في النزوح إلى الضواحي مما يؤدي إلى ارتفاع أجور المساكن وأسعار الأراضي بهذه الضواحي وتبدأ بعض مشكلات المدن في الظهور، ثمّ يتبع ذلك نزوح جديد من هذه الضواحي إلى المدن الصغيرة القريبة والمحيطية بالمدن وهكذا، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في العديد من المدن الجزائرية وخاصة الكبرى منها مثل: مدينة الجزائر العاصمة، وهران، وعنابة، وقسنطينة وسطيف.

3-مرحلة التفكك الحضري: وهي تابعة للمرحلة السابقة ونتيجة لها، حيث يبدأ سكان المدن في التناقص، ولم تعد هناك أهمية لقرب مكان السكن من محل العمل، ويساعد على ذلك شق الطرق وتعبيدها والتطور في وسائل المواصلات وانتشار مرافق النقل العام والنمو النسبي للمدن المتوسطة الحجم والصغيرة وبعض القرى، وهنا تظهر مشكلات النقل، وتتلاشى التمايزات الحضرية بين المدينة والأطراف.

4-مرحلة إعادة التحضر: وهي مرحلة تالية لما سبقها وتظهر نتيجة للتدهور الشديد في حالة السكن وسط المدينة، حيث لم تعد المباني القديمة تتمشى مع المطالب السكنية الحديثة. ثم ظهور تجمعات سكنية جديدة يسكنها أشخاص لا تربطهم صلات اجتماعية ومتفاوتون في الثقافة والأذواق والطبائع. وفي الأخير هدم المباني القديمة والأثرية وإحلال بنايات حديثة مكانها مما يفقد المدينة طابعها التاريخي والثقافي المميز لها. هذه المرحلة عرفت الأغواط في شقها الأول، في حين مازالت تحافظ على مبانيها العتيقة.

ولا شك أنه لا توجد حدود فاصلة وحدية بين المراحل الأربع، بل هي متداخلة بشكل كبير يتباين بين مدينة وأخرى وفق مراحل التطور الاقتصادي والاجتماعي الأخرى. و المؤكد أن الاغواط مثلها مثل المدن الجزائرية ستشهد المزيد من التوسع، حيث لا يتوقع أن يكون هناك توقف في التوسع العمراني، سواء كان هذا التوسع رأسياً، ويمكن تصور العلاقات الاجتماعية في كلا الشكلين، أي عند التوسع الرأسي والذي أبرزه فقدان العلاقات الاجتماعية، أو التوسع الأفقي التمديدي وله مشاكله

الاجتماعية الأخرى، التي سيتم الحديث عنها. فواقع العلاقات الاجتماعية في ظل المزيد من التوسع في المدينة الجزائرية على العموم سوف ينتج عنه فقدان العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة والمجتمع بشكل عام، ويمكن أن يعبر عنه في أبرز مظاهره بضعف العلاقات بين سكان المدينة بشكل عام، وبين الجيران بشكل خاص، وهذا هو المشهد الأبرز الذي يمكن أن يلمسه كل متتبع للظواهر الاجتماعية في أي مجتمع مدني، وهذا ما تنبه له ابن خلدون قبل ستة قرون حيث أشار إلى أن المدن تطبع سكانها بطابع خاص، وتؤثر في ثقافتهم ونشاطاتهم، وعلاقاتهم الاجتماعية، كما أنها تتطور بسرعة من حيث الاتساع المكاني، وازدياد معدلات نمو السكان، ومظاهر العمران المختلفة، وهذا التطور من شأنه أن يحدث تطوراً مشابهاً في العلاقات والنظم الاجتماعية المميزة لسكان المدن، أما المناطق البدوية فهي تتطور، في رأيه، ببطء شديد، وتتسم الظواهر الاجتماعية السائدة فيها بطابع الثبات والاستقرار النسبيين.

انه على الرغم من تزايد عدد السكان في المدن بعد توسعها، وكان المتوقع أن تزيد العلاقات وتتشابك إثر تزايد عدد السكان، إلا أن الدراسات أثبتت أن نسبة العلاقة الاجتماعية بين السكان لا تزيد بكثرة عددهم وإنما تعتمد على الزيادة في نسبة تقابلهم وكثافة تفاعلهم، إن سكان المباني العالية ذات الأدوار المتعددة، وهو ما يكثر في المدن نتيجة للتوسع، قد يجدون صعوبة في تكوين علاقات مع الجيران، أو قد تكون هذه العلاقة ذات عمر قصير، شكلاً ومضموناً، فهذه العلاقات تنمو عند الالتقاء في المدخل أو المصعد أو ساحة العمارة، أو الشارع، أو مواقف السيارات المشتركة. «وقد دلت الدراسات على أن جيرة المداخل الخارجية في المساكن المنفردة الأفقية تزيد من فرص التعارف أكثر من جيرة المداخل الداخلية في المباني العالية، كما تظهر إحدى الدراسات أن (20%) من سكان المباني العالية لا توجد لهم أية علاقة مع الجيران من سكان الدور نفسه الذي يسكنون فيه، و(30%) منهم لا يوجد لهم علاقة مع الجيران في العمارة نفسها في أدوار أخرى، ولا شك أن المباني متعددة الأدوار التي حتمتها ظاهرة التوسع في المدن للتغلب على مشكلة الإسكان في المدن بعد توسعها قد أدت إلى قلة العلاقات وتقطعها بين السكان الناس في المدينة على الرغم من وجودهم في مبنى واحد»<sup>1</sup>. وفي المدينة الخليجية تظهر إحدى الدراسات الميدانية أنه في الأحياء التي تكثر

1- نوبي محمد حسن، النمو الراسي للعمران والتماسك الأسري والاجتماعي، في ندوة (الانفجار السكاني في المدن العربية وتحديات القرن الواحد والعشرين، المعهد العربي لإنماء المدن، الكويت، 2000، ص197.

فيها الفلل أو العمائر المتعددة الشقق والتي يتردد عليها نزلاء كثر وبشكل سريع غالباً ما تكون تلك العلاقات رسمية وفاترة، بخلاف طبيعة العلاقات في الحي الشعبي أو أحياء وسط المدينة التقليدية<sup>1</sup>. وتعتبر الفضاءات العمومية بأشكالها المادية المختلفة حجر الزاوية في جعل أفراد المجتمع المستحدث يلتقون مع بعضهم بعضاً ومما يسهل ذلك تعارفهم وتقاربهم من خلال الممارسات اليومية المختلفة لأفراد المجتمع، وخاصة الممارسات التي تتم بشكل جماعي، كتلك التي تتم في الفسحات المكانية بين العمارات التي تتيح إلتقاء أطفال الحي الواحد أو نساءه، والملاعب الجوارية التي تساعد على الاحتكاك بين السكان وتسمح بتكوين الجمعيات وإنتاج المواعيد والتطلعات والنقاشات، كذلك الساحات العامة والمساجد وما لها من دور في التفاعلات بين السكان، وليس ذلك عائد إلى طبيعة الممارسة في ذاتها فقط وإنما إلى الفضاء الذي تدور فيه، فهناك علاقة بين الفضاء والممارسات التي تتناسب معه مكانياً وزمانياً وفئوياً، والممارسة الجماعية عكس تلك الممارسات الفردية التي غالباً ما تنتج عزلة للفرد وبعداً عن حوله دونما شعور منه، وهذا يكثر في المدن الكبيرة والأماكن العامة التي يكون فيها الاختلاط كبير جداً..

يعتبر الانتقال إلى الحي الجديد مشكلة بالنسبة لكبار السن فهو يؤدي إلى ابتعادهم عن الأماكن العامة التي ترعرعوا فيها، ويسبب لهم صعوبة الوصول إليها وبالتالي ابتعادهم عن أقرانهم وتقليل فرص الالتقاء بهم إلى أقصى درجاته، وهذا يظهر مشكلة نتجت بشكل مباشر مع توسع المدن، ولا يقتصر الأمر على المسن ذاته وتدهور صحته النفسية والاجتماعية نتيجة لهذه العزلة بل يمتد الأمر إلى أسرته ومشاكل اجتماعية أخرى لعدم القدرة على تفهم احتياجات المسن النفسية والاجتماعية، وبالتالي قد يؤدي الأمر إلى مشكلات في محيط الأسرة الواحدة، إضافة إلى أن عدم تواصل المسن مع المجتمع يؤدي إلى مشكلة اجتماعية أخرى وهي فقدان قيمة احترام كبير السن في المجتمع وعدم وجود نقاط احتكاك بين الأجيال بشكل يضمن استفادة كل جيل من الجيل الآخر بما يؤدي إلى تراكم الخبرة في المجتمع وانتقالها من جيل إلى جيل آخر.

إن مما يؤكد قلق المختصين من هذه الانعزالية في طبيعة مساكن المدينة الكبيرة والواسعة جغرافياً أن الناس أصبحوا من كثرة تأقلمهم على هذه الحياة المنغلقة داخل مساكنهم يجدون صعوبة كبيرة في العيش وممارسة الحياة خارجها، ففي إحدى الدراسات الاجتماعية وجد أن (الناس المنغلقيين على أنفسهم في المساكن نفوسهم منكسرة وغير قادرين على النظر إلى الناس، ونتيجة لطول فترة

1- طلعت إبراهيم لطي، أثر الحضارية في جماعات الجيرة: دراسة ميدانية لعينة من أرباب الأسر في مدينة الرياض، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت، المجلد 16، العدد 4، 1985، ص89.

بقائهم داخل مساكنهم أصبحت مشاكل العالم الخارجي أقل إلحاحاً عليهم من المسائل البسيطة التي يقابلونها داخل مساكنهم؛ وفي دراسة أخرى تمّ إجراؤها على فتيات فُرض عليهن البقاء في الوحدة السكنية فترات طويلة معزولين عن المجتمع الخارجي تبين أن اختلالاً حدث في مقدرتهن على التفكير في المستقبل والقيام بأنشطتهن اليومية، وأصبحن يتقبلن الحكم والسيطرة من المسؤولين عنهن<sup>1</sup>.

كما أن هناك سبباً آخر لفقدان العلاقات الاجتماعية بين الناس، إثر التوسع في المدن، وهو عدم الاحتياج إلى بعضهم بعضاً، ففي السابق كانت الأدوات والمستلزمات قليلة على مستوى الحي الواحد مما يوجد حاجة للتواصل للاستفادة من بعض ما لا يوجد إلا عند الفرد الآخر، فحاجة بعضهم إلى بعض أوجدت نوعاً من التواصل وفرضته بشكل غير مباشر.

يعتبر السكن المؤقت وعدم الاستقرار الدائم احد اهم أسباب فقدان الرغبة في تكوين العلاقات الاجتماعية، فكلما كان ارتباط الفرد بمسكنة الجديد قويا، كلما زادت رغبته في نسج العلاقات الاجتماعية مع جيرانه، فسكان التجزئات اكثر ارتباطا بسكناهم من سكان السكن الاجتماعي الإيجاري بالنسبة للكثير منهم هو سكن مؤقت، بسبب صعوبة التملك أوجد مثل هذا الضعف في التواصل بين السكان بشكل عام، فالمستأجر هو الآخر يشعر أن وجوده في المنطقة مؤقت لذا قد لا يرى ضرورة لتكوين علاقات مع الجيران، لأنه يرى أنه سوف يرحل إن قريباً أم بعد مدة لن تطول لكي يستقر في منزل مملوك له، ولا شك أن قصر مدة بقاء الأسرة في المنزل سبب إلى عدم التواصل الكبير مع من حولها، وبخاصة في ظل الانشغالات المتوقعة في حياة المدينة لجميع أفراد الأسرة.

### 5- أشكال الفضاءات العمومية وعلاقتها بنوع الرباط الاجتماعي

يتصور البعض أن المدينة هي منطقة مستقرة ومكتظة بالسكان المتزاحمين والمتجاورين مجاليا والمتباعدين اجتماعيا، حيث ينعدم التعارف الشخصي والمتبادل بينهم<sup>2</sup>. غير أن هناك عوامل ثقافية، بالإضافة للعوامل الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، تلعب دورا مهما في تشكيل التنظيم الاجتماعي وخاصة في التوسعات العمرانية والمدن الجديدة، ويتجسد ذلك في فضاءات للتواصل، تتباين داخل نطاق ينحصر بين الأكثر خصوصية مثل غرف النوم والأكثر عمومية مثل الشارع، فما ينتجه المجال الخاص وفضاءاته من علاقات من حميمية إلى الشخصية كما هو الحالي في مجال التنشئة الأسرية والتربوية، إن غرفة النوم اشد الأماكن خصوصية والتي تدور في فلكها علاقات

1- نوبي محمد حسن، مرجع سابق، ص200.

2- السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري الجزء الأول، مرجع سابق، ص308.



حميمية تحدد على أساسها العلاقات الأسرية وأسرارها، وهي ترتبط بثقافة المجتمع وتقاليد، إن الشوارع الكبرى وطرق المواصلات ومحطات النقل والأسواق الكبرى كشكل من أشكال الفضاءات الأكثر عمومية تقعد في بعض الحالات قيمتها المكانية كفضاء للتواصل فتتحول من مكان للالتقاء والتواصل إلى مكان تكون فيه التقاطعات ظرفية وآنية وسريعة، صور تتلاشى وأخرى تظهر للمرء العابر لا يعيرها أي اهتمام ولا ينتبه إليها وقد يتحاشاها ويغفل عنها.

الحياة الاجتماعية تتدخل في تشكلها الفضاءات العمومية التي تمر عبرها مسارات يصنعها الأفراد لأنفسهم وفقا لمتطلبات شخصية في معظمها، ترتبط بالسن والفئة العمرية والجنس والثقافة والدين والظروف الاقتصادية وظروف العمل هذا بالنسبة للكبار، في حين نلاحظ أن الأطفال الصغار الذين هم دون سن التمدرس مساراتهم اليومية تنحصر بين المنزل واللعب في فضاءات خاصة وعامة، الخاصة هي المنزل والعامة هي الروضة ومدخل العمارة والفضاءات الخارجية برفقة الأهل، فمساراتهم اليومية بسيطة وتحوي إهتمام أساسي هو اللعب والرغبة في الحصول على الحاجات البيولوجية من مأكّل ومشرب، وتبقى تعليمات الأسرة النووية الضيقة المتمثلة في الأبوين هي الصانع للفضاء لديهم، الأطفال الصغار اقل تنوعا في استهلاك المجال، فهم يقضون معظم الوقت من الفضاء العائلي، فضاءاتهم تكاد تكون خاصة، ويبقى مدخل العمارة والسلم بالنسبة للسكن الجماعي والرصيف والساحة المحاذية للمنزل في التجزئات هي الأماكن المفضلة للعب الأطفال، وهي فضاءات مراقبة من طرف الكبار ، فالصغار غالبا لا يفرقون بين العام والخاص، فهم يلجون لكل المنازل المجاورة فالتقاليد المتوارثة تسمح للصغار بالدخول إلى المنازل دون استئذان، ولكن من خلال التنشئة والتربية يتعلم الطفل التفرقة بين الخاص والعام، يكون الصغار صورا تحفظ في الذاكرة لديهم عن الأمكنة ، ثم ما يلبث الصبي أو الفتاة أن يدرك أن هناك فروقات بين الفضاءات المستعملة، فمع مرور الوقت ومن خلال التنشئة يدرك أن المسجد مكان له من القداسة ما يجعل اللعب داخله غير مقبول ، ويدرك أن المدرسة مكان للتعلم وان المنازل المجاورة أماكن خاصة لا يمكن الوصول لها إلا بادن ، ويعرفون أن الشارع مسم إلى فضاء خاص بالراجلين(الرصيف) وفضاء خاص بالمركبات، إن الإحساس بالمكان تبدأ من هنا حينما يرد الفرد استعمال الفضاءات، فعلاقة الفرد بالمكان ترتبط ارتباطا وثيقا بنمط الحياة المعاش.

المراهقين هم الفئة الأكثر تذبذبا في استعمالات المجال والإحساس به، فهم يفضلون الأماكن المنعزلة داخل العمارات تفاديا لمراقبة الكبار والمتطفلين، المسارات التي يتخذها المراهقين في حياتهم

اليومية تتباين حسب طبيعة التنشئة والثقافة والحضور العائلي وخاصة الأبوي في مراقبة حياة المراهق.

إن أشكال الفضاءات العمومية التي يفرزها التقسيم المجالي للمدينة والتوسع العمراني لها دور مهم في طبيعة الروابط الاجتماعية التي تنشأ داخلها، فالتقسيم الجيد للأرض وتحديد طبيعة الأماكن والفصل الواضح بين العام والخاص كلها عوامل مادية من شأنها التقليل من الخلافات حول استعمالات الفرد للمجالات المختلفة. فالملاحظ أن الشوارع التجارية الكبرى وأماكن الحركة المرورية الكثيفة والمحلات التجارية الكبرى التي تتسع دائرة مرتادها إلى خارج نطاق الحي تتجول إلى فضاءات طاردة لفئات عمرية معينة مثل الصغار والمسنين، وهي أماكن تكون العلاقات بها عابرة (سلام-سلام) وهذا لا يمنع من جعلها أماكن للالتقاء وقضاء الحاجة ويتجسد ذلك في المقهى والمسجد...الح.

## 6- إعادة الإسكان وبناء الروابط الاجتماعية

التوسع العمراني الكبير الذي عرفته مدينة الأغواط ساعد بقسط وافر في نقص التواصل بين الأقارب، فالتقسيم المجالي التي اعتمده السلطات المحلية في الاستفادة من السكن أو الأراضي المخصصة له لا يأخذ بعين الاعتبار الروابط الاجتماعية ولانتماء القبلي والقربية كمعيار للحصول على سكن، فالملاحظ أن الجيرة بين الأفراد من عائلة واحدة في الأحياء الجديدة كمؤشر على وجود علاقات قرابية قوية وكثيفة داخل الحي الواحد أو العمارة الواحدة غير موجود إلا في بعض الأحياء القليلة مثل حي السكن التطوري، التباعد المكاني بين أفراد العائلة الكبيرة أدى إلى صعوبة التواصل المستمر بين الأقارب واقتصر على المناسبات وساعدت وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة هي الأخرى التقليل على ذلك، معظم المستجوبين يرون أن زيارة الأقارب والتواصل معهم أصبح محدد بظروف وأوقات معينة فرضتها حياه المدينة على سكان الأحياء الجديدة.

هناك محاولات من لبعض العائلات الكبيرة التجمع في مناطق معينة غير أنها نادرة لصعوبة توفر الشروط المؤدية لذلك، فالتعامل مع المسكن من طرف السلطات المحلية هو تعامل مع أرقام لا غير، فعند حصول الفرد على سكن يتم اختيار الموقع عن طريق القرعة مما يعلق فسيفساء من التناقضات الاجتماعية بين أفراد الطبقة الواحدة، كما أن صيغ السكن التي توفرها الدولة والكيفيات التي تطرحها للحصول على سكن والأنماط التي تجسدها على أرض الواقع فرضت تباعد مكاني بين افراد المنتمين لعائلة واحدة، هذا التباعد الذي أدى إلى تراخي في الروابط الاجتماعية القرابية.

سكان الأحياء الجديدة والذين غالباً هم عبارة عن عائلات نووية يؤكدون على تواصلهم مع العائلة الممتدة وقاربهم والتنقل باستمرار لمقر سكن العائلة الكبيرة وهو مرتبط بوجود الولدين على قيد الحياة، غير أن هذه الظاهرة مثل التنقل في نهاية كل أسبوع لمسكن الولدين أو الصهر تقل مع مرور الوقت وتصبح تقتصر على المناسبات فقط.

يحول كل فرد رسم لنفسه مسار يومي يتلاءم مع نمط وطريقة حياته الجديدة،

### 7- أنماط الرباط الاجتماعي في الحي الجديد

الرباط الاجتماعي في الوسط الحضري الجديد هو ناتج العلاقات الاجتماعية التي تنشأ من جملة التفاعلات بين الأفراد من أجل إشباع الحاجيات التي يسعون إليها في معيشتهم اليومي داخل الوحي أو المدينة، لذلك يعتبر الرباط الاجتماعي مصدر مهم لسيرورة الحياة الاجتماعية واكتمالها ومن ثمة العمل وفقاً لهذه العلاقات التي تتعدد وظائفها، وتختلف باختلاف طبيعة الحياة الاجتماعية والفضاءات التي تنشأ داخلها وسوف نتطرق إلى مجموعة الروابط التي تنشأ داخل الفضاءات العمومية بالحي ونصنفها بناء على بعدين مهمين هما الحماية والاعتراف على النحو الذي ذهب إليه سيرج بوغام.<sup>1</sup>

#### 7-1. رباط الانتساب أو رباط القرابة:

روابط قرابته: أساسها الأسرة، ونعني بذلك روابط الزواج والدم والتبني، ويعيش الأفراد معيشة واحدة ويتفاعلون كل مع الآخر في حدود أدوار الزوج والزوجة، الأم والأخ والأخت ويشكلون ثقافة واحدة ومشاركة.<sup>2</sup> وهي بصفة عامة تخص الأفراد الذين تربطهم روابط دموية واجتماعية متماسكة.<sup>3</sup> وهو أحد أهم مكونات الفضاء الخاص أي السكن، وإن كان الفضاء العام أحد مكوناته هو الآخر في شقه القبلي في المدن المحلية الصغيرة والقرية والمجالي (الحومة) في المدن الكبيرة، وهو أحد أهم العناصر في بناء العائلة ومن ثم العشيرة والقبيلة، وهو يتجسد في الحي ومكوناته الاجتماعية وما يتخللها من توافقات وصراعات، العلاقات في هذا المضمار تتميز بالديمومة والاستمرارية، وتشمل العلاقات القرابية والمصاهرة وروابط الدم.

روابط القرابة: موجودة بوضوح في أحياء السكن التطوري، والسبب يعود إلى عمليات الترحيل حيث تم نقل سكان الأحياء القصدية إلى أحيائهم الجديدة مع المحافظة على الجوار مما ساعد

1 - Serge Paugam, Le lien social, op.cit., p.106-130.

2- بيرى، الوحيشي أحمد، الأسرة والزواج: مقدمة في علم الاجتماع العائلي، الجامعة المفتوحة، طرابلس ليبيا، 1998، ص. 48.

3- محمد علي محمد، السيد عبد العاطي السيد، سامية محمد جابر، مرجع سابق، ص 177.

على بقاء على العلاقات القديمة كما هي وباعتبار أن سكان الأحياء القصدية تربطهم علاقة الدم يقول الحاج احمد (الوضع السكني تحسن كثيرا وأصبح عندنا الماء والصرف الصحي والكهرباء والغاز، الحمد لله، وجيراني كلهم نعرفهم ومن أقاربي وبني عمومتي ومازالت العلاقات طيبة كما كنا في حي الأفران القصدية).

### 7-2. رابطة المشاركة الاختيارية

الرابطة الاختيارية هي رابطة يكونها الفرد مع الآخر عن قناعة، وهي علاقة يقيمها الفرد مع من يتوافق معه في الأفكار والتوجهات وقد يكون السن والجنس والتقارب الاجتماعي والثقافي والعمل أو الوظيفة والجيرة أسباب محفزة لتكوين هذا النوع من العلاقات، فالأطفال الصغار عادة ما يميلون إلى من هم في سنهم ومن جنسهم، يرغبون في اللعب مع أبناء الجيران، والبنين يفضلون اللعب مع الذكور أكثر من اللعب مع البنات وكلما تقدموا في السن، كما أن المستوى الثقافي والتوجهات الأيديولوجية والسياسية والانتماءات الحزبية تفرض على الفرد تحديد الفئة التي يميل إليها والتي يرغب في تكوين صداقات وعلاقات معها.

من أهم الفضاءات في الحي إنتاجا لهذا النوع من الروابط نجد المقاهي والمدارس والمساجد وان كانت تنتج أنواعا أخرى من الروابط ولكن الغالب من الروابط التي تتم عبرها هي اختيارية لان الفرد له الحرية التامة في اختيار من يتواصل معه. وكذلك أماكن الترفيه وخاصة الجماعية منها مثل الملاعب الجوارية.

### 7-3. رابطة المشاركة العضوية

الانتماء بمفهومه العام هو أساس رابطة المشاركة العضوية، وتكون فضاءات مثل الأحزاب والمساجد من خلال الجمعيات والمنظمات المختلفة المحلية وغيرها والجمعيات هي البؤر التي تنشأ وتتطور بداخلها مثل هذه العلاقات، هناك تداخل في الفضاءات التي تنتج أنواع الرباط الاجتماعي، ورباط المشاركة العضوية هو نتاج لتعاون وتماسك الجماعة فيما بين أعضائها، وقد يضع الفرد في هذا النوع من الرباط إلى قيود محددة كالإطار القانوني للجماعة والالتزام بمبادئ معينة تحدد صلاحيات الفرد والأدوار التي يقوم بها.

## 7-4. رابط المواطنة

في قاموس علم الاجتماع تم تعريف المواطنة: بأنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة) ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول (المواطن) الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق أنظمة الحكم القائمة. ورابط المواطنة ليس بديلا عن الروابط الأخرى بل هو مكمل لها ويساعد على توسيع دائرة الانتماءات. وهو مبني على أسس " الحقوق والواجبات"<sup>1</sup>

من منظور نفسي: فالمواطنة هي الشعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية التي هي مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية، وبذلك فالمواطنة تشير إلى العلاقة مع الأرض والبلد. والمواطنة تعني حسب دائرة المعارف البريطانية: (علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق -متبادلة- في تلك الدولة، متضمنة هذه المواطنة مرتبة من الحرية مع ما يصاحبها من مسؤوليات).

وتعتبر الفضاءات السياسية والجموعية هي الأرضية الخصبة لتطور مثل هذا النوع من الرباط الاجتماعي، فالعلاقات الاجتماعية في هذا الاتجاه محدودة لدى المواطنين في الدول الشمولية أين يفقد الفرد حقوقه. وفي حي الونام لاحظنا وجود جمعيات معظمها ذات طابع تنظيمي لتسيير بعض المرافق العامة مثل جمعيات المساجد وجمعيات تسيير الملاعب الجوارية، وأخرى مدنية تعنى بشؤون الحي أو المجمع السكني وتتنحصر مهامها في المطالبة بالتهيئة والتحسين الحضري، في حين أن المنظمات والجمعيات ذات الطابع السياسي والاجتماعي فهي قليلة وان وجدت فهي ظرفية لخدمة فئة خاصة وفي وقت محدد.

1- Serge Paugam, Le lien social, op.cit., p.133..

## خلاصة الفصل

هذه المرحلة من الدراسة تطلبت منا مجهود كبير ووقت طويل فاق الثلاث سنوات من اجل الوصول إلى العينات وإجراء المقابلات المتعددة بأنواعها وتسجيل الوقائع الميدانية من خلال الملاحظات الميدانية، واختيار الأوقات والظروف المناسبة للقيام بذلك. فتحديد ميدان الدراسة تطلب الرجوع إلى الخرائط والوثائق الرسمية التي بحوزة البلدية ومديرية التعمير والهندسة المعمارية، وكانت عملية جمع المعلومات عن الحي جد صعبة وأخذت منا الوقت رغم علاقتنا الوثيقة بالمؤسسات التنفيذية للولاية، فكانت عملية الولوج إلى المعلومات تتطلب تدخلات وعلاقات خاصة.

كانت عملية اختيار الفضاءات العمومية وأوقات زيارتها هي الأخرى تتطلب عناية كبيرة وتركيز من اجل الوصول إلى نتائج أكثر مصداقية، وكانت عملية أخيار العينات وإجراء المقابلات بأنواعها المختلفة هي المرحلة الأكثر صعوبة في هذه المرحلة. وتطلبت وقت وجهد كبيرين من اجل الحصول على العينات المطلوبة.

يعد المسكن اهم مكونات المدينة على الإطلاق وهو من الحاجات الأساسية للفرد، ولا يمكن الاستغناء عنه في الحياة العادية للأفراد، ويعتبر توفره بشكل مناسب أهم مؤشرات المستوى المعيشي للفرد، والتكوين المورفولوجي للمجتمع. وقد تؤثر هندسة بناء المساكن وأنواع مواد البناء وشكل وطبيعة الفضاءات المكونة له مثلاً: اتساع الحجرات أو ضيقها وحالة التهوية وغير ذلك، تأثيراً كبيراً في نوع العلاقات الاجتماعية، بين أفراد الأسرة، وكذلك تلك التي يمكن أن تقوم بين سكان الحي الواحد.

مسألة مكان لإقامة والعلاقة التي تربط الفرد به، كانت ولا تزال من أولى اهتمامات علم الاجتماع لأنها تختزل العلاقات الاجتماعية والرمزية لعدد من المجتمعات.1 فالأفراد يختارون مساكنهم بناء على معطيات اقتصادية واجتماعية وثقافية وحتى بيئية وهو بدوره يؤثر في شخصية الفرد وعلاقاته بالمجتمع.

إذا كان المسكن هو الملجأ أو السقف الذي يقي الفرد من العوامل الطبيعية، فهو كذلك الفضاء الخاص الذي يؤسس لبناء الهوية الشخصية للفرد والعائلة ويساعد على تنظيم العلاقات الاجتماعية.2 سواء كان ذلك في الفضاء الخاص أو الفضاء العام بطريقة غير مباشرة، فالراحة

1- Pierre Lamaison, op.cit.

2 - Changer de ville, changer de vie Utopies, aspirations et engagements habitants à Villeneuve d'Ascq Michel Rautenberg Dans Ethnologie française 2017/1 (N° 165), pages 121,

النفسية والجسدية التي يوفرها المسكن تغني الفرد عن البحث عن أماكن أخرى للراحة وخاصة تلك الموجودة في الفضاء العام كالمقاهي والساحات وقاعات اللعب والترفيه.

في معظم قصور ومدن المناطق الصحراوية وحى المناطق الجبلية الداخلية ومنطقة القبائل نجد المنزل أو ما يسمى بـ"أغام" ذو مواصفات هندسية خاصة، مغلق تماما من الخارج، مفتوح عن السماء، يمثل الإطار المثالي للحياة التقليدية في المنطقة المتميز بخصوصية الحياة الأسرية للأسرة الممتدة المبنية على رابطة الدم،<sup>1</sup> ويتوافق مع النظام الأبوي للأسرة ومكانة الحرمة بالنسبة للرجل والمجتمع معا، لارتباطه بالعقلية المحلية من جهة والثقافة العربية الإسلامية من جهة أخرى، وباعتبار أن " كل شعب قد أنتج هندسته المعمارية يخرج من خلالها خطوطه الخاصة به كما يفعل مع لغته أو لباسه أو فولكلوره. 2

1 - Pierre Bourdieu, « La maison kabyle ou le monde renversé, op.cit.

2 - Hassan Fathi, op.cit.,p 60

## الفصل الثامن:

عرض وتحليل البيانات الميدانية ونتائج الدراسة

أولاً: مورفولوجيا الفضاءات العمومية

وعلاقته بإعادة بناء الرباط الاجتماعي

ثانياً: الإسكان وازمه الرباط الاجتماعي

ثالثاً: مراحل تشكل العلاقات في الأحياء

رابعاً: الفئات الاجتماعية ومحددات

الفضاء وإعادة بناء الرباط الاجتماعي

خامساً: قضايا للنقاش



## الفصل الثامن: الدراسة الميدانية وعرض وتحليل البيانات الميدانية ونتائج الدراسة

سوف نتطرق في هذا الفصل، الذي يعنى بعرض وتحليل البيانات الميدانية ونتائج الدراسة، إلى تحديد الفضاءات العمومية المنتشرة بالحي وتقسيمها حسب الوظائف المنوطة بها ومعرفة الفئات التي ترتادها، ورصد ممارسات الأفراد والمعاملات التي تجري هناك من خلال نتائج الملاحظات والمقابلات ومن ثم معرفة نوع وكثافة العلاقات الاجتماعية التي ينتجها كل فضاء. تأتي المرحلة الأخيرة وهي مرحلة تحليل البيانات وتفسير النتائج التي تعتبر من أهم المراحل الأساسية وأخرها التي يشتمل عليها البحث الاجتماعي عامة.

### أولاً: مورفولوجيا الفضاءات العمومية وعلاقته بإعادة بناء الرباط الاجتماعي.

إن التوسع العمراني الذي شهدته مدينة الأغواط -كباقي المدن الجزائرية - والديناميكية العمرانية المتسارعة التي عرفتها وما صاحبها من تحولات عمرانية فرضت حراكا مكانيا واجتماعيا، أنتج روابط اجتماعية جديدة، ومجتمعات محلية مستحدثة وأثر على أنماط السلوك والقيم المحلية. التصورات المعمارية الحديثة كانت تختزل المدينة في أربع وظائف أساسية: السكن، الشغل، النقل، الترفيه، وهي من المبادئ المعمارية الوظيفية المستوحاة من ميثاق أثينا<sup>1</sup>، ورغم أن وظيفة السكن هي الأكثر وضوح في سياسة النمو الحضري، فإن هذه الوظائف في الأصل تعبر عن ثنائيات (وظيفة-فضاء) منتجة بذلك لأنساق من العلاقات الاجتماعية، فالسكن رغم انه فضاء خاص فهو تلازمه فضاءات عامة تابعة (مثل موقف السيارات، مدخل العمارة، المصعد، السلم الجماعي، المساحات الخضراء)، والشغل هو الآخر له فضاءه العام ممثلا بالمؤسسة، والنقل فضاءه العام هو الحافلة والقطار وكل وسائل النقل الجماعية والنصف جماعية إذا ما استثنينا النقل الفردي، وترفيه له فضاءاته العامة من ساحات ونوادي وملاهي ومقاهي، والتنشئة لها فضاءاتها المتمثلة في المؤسسات التعليمية والثقافية والدينية.

يتربع حي الوئام على مساحة تقدر بحوالي 288 هكتار تقريبا، وهو عبارة عن توسع على الجهة الغربية، وهذا ما أحدث عدم توازن في النسيج العمراني، حيث كان مركز المدينة القديم على حافة الجهة الشرقية للمدينة، مما أفقدها توازنها العمراني، وأرغمها على التنازل عن مركزيتها لصالح التوسعات الجديدة، فأصبح حي الوئام بما يحتويه من مرافق عمومية وإدارية وبرامج سكنية بكل

1 - Le Corbusier, La Charte d'Athènes, avec un discours liminaire de Jean Giraudoux, Editions de Minui, collection forces vive, Paris, 1957.

أنواعها أحد أهم أحياء المدينة. لقد شهد ميدان الدراسة-وهو يمثل التوسع في الجهة الغربية للمدينة وهي الجهة تقريبا الوحيدة التي تتوسع نحوها المدينة-توسعا عمرانيا سريعا ونمو ديمغرافي يبدو رهيب للوهلة الأولى ولكنه في الواقع عبارة عن حراك مكاني من المركز للأطراف في أكثر الحالات، مع بقاء الأنشطة مركزة في مركز المدينة، غير أن الوظائف وخاصة المؤسسات الحكومية هي الأخرى شهدت حراكا مكانيا عكس ما حدث في الجزائر العاصمة<sup>1</sup>.

هناك عدد كبير من الفضاءات العمومية بالحي سوف نتطرق لها في هذه الدراسة ، فمنها ما هو ذكوري خالص مثل الملاعب والمقاهي وقاعات حلاقة الرجال وسوق السيارات ومنها ما هو أنثوي خالص مثل قاعات حلاقة النساء وقاعات الأفراح والحمامات النسوية ومنها ما هو مختلط كالشوارع والحدائق والأسواق الجوارية والمتاجر والمؤسسات العمومية والخاصة، ومن أجل تسهيل عملية الدراسة تم تقسيم هذه الفضاءات إلى نوعين اثنين: النوع الأول هو الفضاءات العمومية المفتوحة: والمقصود بها الشوارع والساحات العامة والحدائق والأسواق وكل الأماكن الغير مغطاة بالإضافة إلى وسائل النقل الجماعي، أما النوع الثاني فنقصد به الفضاءات العامة المغلقة مثل المقاهي والحمامات والمساجد والمرافق والمؤسسات العمومية المختلفة .

تختلف الفضاءات العمومية بالحي من حيث أهميتها وقدرتها على المساهمة في إعادة بناء الروابط الاجتماعية، لعدة اعتبارات منها ما يتعلق بالفضاء في حد ذاته ومنها ما يتعلق بالأفراد ومنها ما يتعلق بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والبيئية.

كانت الملاحظة بأنواعها من أهم الأدوات التي اعتمدها في دراسة دور الفضاءات العمومية في بناء الرباط الاجتماعي لدى سكان حي الوئام وخاصة تلك التي يكون الفضاء العام منشأ لها، ولقد توصلنا من خلال الملاحظات والمعاشية اليومية الميدانية لسكان عبر الفضاءات المختلفة على مدار ثلاث سنوات كاملة إلى التمييز بين الأدوار التي يمثلها كل فضاء في إعادة وبناء الرباط الاجتماعي بهذه الأحياء والتجمعات السكانية الحديثة النشأة، فالفضاءات العمومية تختلف من حيث الهدف الذي وجدت من أجله، فهناك ثلاثة أنماط من الفضاءات العمومية وهي الفضاءات ذات الطابع والوظيفي العمراني، والفضاءات ذات الطابع تجاري والخدماتي، والفضاءات ذات الطابع

1 - Madani Safar-zitoun., op.cit., pp. 37-38.

الثقافي الترفيهي. كل هذه الفضاءات ترتبط بوظيفة تقدمها للأفراد ويستعملونها استعمالاً كلياً أو جزئياً، وبصفة دائمة أو مؤقتة، وهي أماكن للتعايش وكل التبادلات المادية واللفظية.

### 1- فضاءات الوظيفة العمرانية

وهي تتمثل في شبكة الطرق الموجودة داخل المدينة والتي وجدت لغرض تسهيل الحركة والمرورية وتنقل الأفراد والسلع والخدمات، وتتضمن الشوارع والأزقة والسلالم ومواقف السيارات والحافلات وأماكن الانتظار والأرصفة، هذه الفضاءات أغلبها مفتوح ويتميز بالعمومية المطلقة وله استعمال عام وبدون مقابل في الأساس، والشوارع تتفاوت من حيث الأهمية والاستعمال، وهي بمثابة الشرايين في جسم الإنسان، وهي فضاءات توجد بكل المدن الحديثة والقديمة.

هي أهم الفضاءات العمومية استعمالاً في المدن، يستعملها كل السكان دون استثناء فهي تبدأ من مدخل المسكن، حيث يبدأ الفضاء العمومي في التجلي في أشكاله المادية (سلم جماعي، ساحة مشتركة بين سكان العمارة، موقف سيارات خاص بمجمع العمارات، ساحات لعب للأطفال العمارة أو المجمع السكني)، وببدا المكان في فقدان خصوصيته شيئاً فشيئاً ويزداد عمومية كلما ابتعدنا عن الأحياء السكنية المغلقة والشوارع المؤدية لها، وتبدأ مظاهر التباين والاختلاف أكثر وضوحاً كلما انتقلنا من حي إلى آخر.

إن محاور الحركة أحد أهم المحددات المادية لنوع العلاقات الاجتماعية والتواصل بين الأفراد، فاللقاء التحية يكون واجباً بين أفراد العمارة الواحدة أو الشارع الواحد والنساء يشعرن بالراحة أثناء التواصل فيما بينهم في تلك الأماكن التي تحتفظ بجزء من خصوصيتها.

### 1-1. الشوارع:

الملاحظ أن مورفولوجيا الشارع بحي الونم تختلف من حي إلى آخر فمكوناتها و تراسفها، فنجدها بالتجربئات محددة وواضحة المعالم والحدود بواسطة تراسف المباني على جنباتها وهي تشبه إلى حد بعيد شوارع الأنسجة العمرانية الشطرنجية وتتميز بتعامدها وخطيتها، غير أنها تفقد حدودها المادية في تجمعات السكن الجماعي والنصف جماعي وتفقد خاصية الشارع المستقيم والتعامد وتخضع لمنطق يصعب على القارئ فهمة، حيث تختلط بالفضاءات الأخرى كالساحات ومواقف السيارات، وهي مقسمة إلى جزئين رئيسيين هما الرصيف الذي يتباين في اتساعه حسب عرض الشارع وأهميته العمرانية ويكون عادة كواسطة بين الفضاء الخاص المتمثل في المسكن والطريق المعبد

الشوارع هي فضاءات وجدت في الأساس من أجل العبور تنقل الأشخاص والمركبات والحركة العامة بكل أنواعها، ويمكن تصنيفها حسب أهميتها العمرانية إلى شوارع رئيسية وأخرى ثانوية وثالثة محلية، ويمكن تصنيفها حسب وظيفتها إلى شوارع تجارية وشوارع للتسوق اليومي وشوارع للنزهة والترفيه وأخرى للملاهي وشوارع للسكن وشوارع للمرور. الملاحظ أن الشوارع بحي الوثام يمكن تصنيفها بناء على الأنماط السكنية التي تتخللها، فشوارع التجزئات تختلف عن تلك الموجودة بأحياء السكن الجماعي، وهي تتمايز حسب طبيعة النسيج العمراني الذي يحتويها.

**الشوارع الرئيسية:** وهي ثلاثة أنواع الشوارع التجارية وشوارع الحركة المرورية السريعة وتلك التي تفصل الأحياء عن بعضها البعض، ونلاحظ أن الشوارع التجارية وتلك التي تتواجد بها المرافق هي أكثر الأماكن حركة لسير للراجلين وكذا السيارات، وهنا تكون التقاطعات لحظية ويميزها طابع اللامبالاة بالآخر، وتكون العلاقات نفعية ووظيفية بما يتطلب الموقف، فالعبارات قصيرة تخلو من المشاعر، تتمثل في أسئلة يطرحها الزبون وأجوبة هي الأخرى محددة يقدمها البائع، العلاقات هنا يحددها في الغالب البعد الاقتصادي، دائرة العلاقات بهذه الشوارع تتعدى حدود الحي وحتى حدود المدينة، فالخدمات التي يقدمها الشارع لا تقتصر على سكان الحي ويكون البعد التجاري للشارع هو السائد على حساب الحركة المرورية، قد تنسج علاقات غير تجارية بين الأفراد لكنها محدودة مقارنة بتلك النفعية، هناك صراع ومنافسة خفية بين التجار تظهر في شكل علامات وزمور دلالاتها تزيين الواجهات وعرض السلع و تقديم الخدمات. فالاستحواذ على الفضاءات المكونة للشارع تبدو أكثر وضوحا في ظل الغياب الكامل أو الجزئي للسلطة المحلية، فاستغلال الرصيف وتحويله من فضاء لحركة الأفراد إلى فضاء لعرض السلع لجذب المارة، هنا يفقد المكان المعنى الذي انجز لأجله، فالرصيف هنا أصبح فضاء مغتصبا حوله التجار إلى فضاء خاص، مما يجبر الراجلين على استعمال الطريق المشي. الملاح طان الشوارع الرئيسية هي فضاءات طاردة للفئات الصغرى ويعود السبب في ذلك لكثرة الغرباء، فنادرا ما نجد الأطفال بهذه الشوارع وان كان هناك أطفال فعادة ما يكونون برفقة الكبار، كلما زادت أهمية الشارع التجارية وأصبح يقدم خدماته خارج الحي وخارج المدينة كلما أصبح جسما غريبا داخل جسد الحي، يتحاشاه جزء كبير من سكان الحي ولا يرتادونه إلا للضرورة وفي أوقات محددة من اليوم كالصباح الباكر أو في الأوقات المتأخرة من اليوم بعد مغادرة الغرباء عن الحي، وتبقى المقاهي هي الأماكن الشاذة عن هذه القاعدة فروادها من الحي يرتادونها في كل الأوقات وهي أماكن مفضلة للالتقاء وخاصة في الفترات المسائية.

تعتبر الشوارع التجارية فضاءات مقصودة وجالبة للسكان وهي أماكن تكثر بها الحركة المرورية وهي فضاءات ذات بعد اقتصادي تجاري تؤسس لبناء علاقات اجتماعية وأماكن للتواصل وتكوين العلاقات من العابرة كتلك التي تتم في الرصيف إلى الدائمة كتلك التي تكون المقهى والسوق والمحلات مسرحاً لها، وهي فضاءات منها ما هو مخطط له مسبقاً ومنها ما هو نتيجة لحركة تجارية مستحدثة من طرف السكان، كتلك الأماكن التي يتم إنتاجها من طرف سكان أحياء البناء الذاتي، تتجمع التجارة في أماكن تجعل منها فضاءات يقصدها الأفراد لغرض التسوق في الغالب.

يشكل الباعة المتنقلون خطراً كبيراً على المارة بحي الونام، حيث يحتل أصحاب السيارات النفعية والشاحنات المحملة بأنواع الخضر والفواكه، كل مساءً، حافتي الشارع الرئيسي بالحي، مشكلين بذلك ازدحاماً كبيراً يهدد سلامة وأمن السكان، لاسيما وأنه بين الحين والآخر تتشب مشادات كلامية بين الباعة والمارة وبخاصة مستعملي السيارات الذين يصعب عليهم المرور، خاصة وأن هذا الشارع لا يتجاوز عرضه اثنا عشر متراً بما فيها رصيف الجانبين، وهو عبارة عن طريق منفرد يؤدي إلى اتجاهين متعاكسين.

ويعتبر الشارع الرئيس الفاصل بين حي الونام جنوباً وتجمع المحافير شمالاً من أهم الفضاءات على المستوى الاقتصادي لما يحتوي عليه من أنشطة تجارية فأكثر من نصف المقاهي تتواجد بهاذ الشارع وهناك عدد كبير من المطاعم هذا ما يعطي للشارع خصوصية تجارية ترفيهية خدماتية وما يميزه عن باقي الشوارع هو وجود مساحة خضراء على طول امتداده تفصل بين الحيين، تستعمل كفضاء عمومي ترفيهي ومكان للالتقاء والجلوس، وهي عبارة عن ساحة عمومية تتخللها ممرات بها كراسي جماعية تستعمل للجلوس وفي فصل الصيف يتخذ منه السكان في الليل فضاءاً للهروب من حر السكنات التي يرى البعض أنها لا تتلاءم والطبيعة المناخية والاجتماعية للمنطقة، الفضاءات المادية المتواجدة بالشارع تجعل منه محورا مفصليا مهما له تأثير يتعدى حدوده المكانية فيقصد سكان المدينة وحتى المناطق المجاورة في شهر رمضان ويتحول إلى مقصد للراحة والترفيه وللتقاء وخاصة في الليالي الرمضانية.

أبدى بعض سكان الحي، استياءهم من الفوضى التي يشهدها هذا الحي الجديد الذي أنشأ مع بداية القرن الحالي إلا أنه سرعان ما عرف توسعا كبيرا جعل منه قبلة للتجار الطفيليين والفوضويين الذين يحتلون به كل مساءً المحاور الهامة، ومن أهمها الشارع الرئيسي المقابل لمتوسطة

المصالحة، الذي كانت السلطات المحلية قد اتخذت إجراء يجعل هذا الشارع يؤدي إلى اتجاه واحد إلا أن ذلك لم يدم طويلاً.

السكان عجزوا عن منع التجار الفوضويين من مواصلة نشاطهم الذي لم يجنوا من ورائه سوى كل ما هو سلبي بسبب الألفاظ التي يتفوه بها البعض من غير احترام لساكنة المنطقة، فضلاً عن الحركة المرورية المزدحمة من صلاة العصر إلى ما بعد صلاة العشاء، إضافة إلى القمامة التي يخلفونها بعد حمل باقي بضاعتهم من جديد.

**الشوارع الثانوية:** وهي شوارع تتفرع عن الشوارع الرئيسية وهي تجمع بين وحدات الحي الواحد، هذه الشوارع ويكون الانتقال عبرها لغرض الوصول إلى وحدات الحي تنخفض حدة الحركة التجارية بها، فهي تقتصر على بعض المحلات التموين الغذائي المحدود ومداخل الحمامات وحلاقة النساء وبعض الخدمات والنشاطات التي لا تتطلب الإشهار، كورشات التصليح والخياطة والمكاتب. الإيجار بهذه الشوارع يكون منخفض مقارنة بالشوارع الرئيسية، حيث يكون هنا الحي بمفهومه السكني أكثر دلالة.

**الشوارع الثالثة المحلية (Tertiaire):** هي نهايات وممرات تتفرع عن الشوارع الثانوية، نجدها على شكل متسع أو رحبة صغيرة كما هو بتجزئة 551 قطعة. الحركة بها محدودة والانتقال عبرها لغرض الوصل إلى المسكن الأفراد المتنقلون عبرها غالباً من سكان الحي أو الوحدة السكنية (ilot) يعرفون بعضهم البعض وهي فضاءات لتجمع الصغار ولعبهم في غياب ساحات اللعب، هي أماكن جاذبة للفئات الصغرى، فالحركة مراقبة والغرباء عادة ما يتحاشون التنقل عبرها، هذه الخاصية موجودة في العمارات ذات السكن الجماعي التي لها الشكل الحلقي فمدخل الوحدة السكنية التي هي عبارة عن مجمع سكني لعدد من العمارات ذات الشكل المغلق.

## 2-1. مداخل العمارات

مداخل العمارات في التجمعات العمرانية ذات السكن الجماعي والنصف جماعي، هذه الفضاءات يقابلها مورفولوجيا في أحياء البناء الذاتي الشوارع الداخلية والشوارع الثانوية، والأرصفة، هذه الفضاءات نطاقها المجالي ضيق نوعاً ما، لا يتعدى الفضاء المماثل المقابل له أو المجاور، تعتبر هذه الفضاءات هي الأماكن المفضلة لدى الفئات الصغرى من البنين والبنات الذين تقل أعمارهم في الغالب عن سن التمدرس، تكون تحركات الأطفال مراقبة ومحروسة من طرف الكبار (الآباء والأمهات والأخوة والجيران)، ويكون اللعب جماعي وهناك تناسب عكسي بين متغيري السن والاختلاط بين الجنسين، فكلما زاد عمر الطفل قل الاختلاط والعكس صحيح، غير أن هذه

الفضاءات تستعمل في بعض الحالات من طرف كبار السن كذلك، الذكور أكثر تشتتاً وحركية في استعمال المجال، والألعاب المفضلة لديهم صراعية وتنافسية يستعمل فيها العنف أحياناً مثل كرة القدم، المصارعة، الركض. في حين البنات أكثر استقراراً وتجمع وقل حركة ويفضلون الألعاب الهادئة، مثل ألعاب العرائس والألعاب الجماعية الناعمة المنظمة التي يستعمل فيها الغناء والرقص واستعمال الدريوكة(الطبل) وكل الإيحاءات التي يتم استنساخها من العالم النسوي. تساهم هذه الفضاءات في التربية الأولية للطفل فمن خلالها يتعلم لغة الحوار ويكتسب مهارات جديدة عن طريق الاختلاط مع أولاد الجيران. وهنا تصبح العائلة تلعب دور المراقب والموجه وهي بمثابة الغربال الذي من خلاله تتم عملية غربلة المقبول عائلياً من المرفوض، باعتبار أن الزنقة فضاء سيئ السمعة عند بعض العائلات والآباء، فعلى العموم التمثيلات الاجتماعية السائدة ترى أن "الطفل لا يعرف" و"الطفل لا يفهم"<sup>1</sup>.

الإحساس بالانتماء للمكان عند الأطفال أكثر من الكبار، فكما اتسع مجال ممارسات الطفل مع مرور السنين أدى إلى ضعف الارتباط بالمكان، فالانتماء إلى المجال يعوض بالانتماء إلى جماعة الأقران ثم ما يلبث أن يتطور إلى انتماءات متعددة على أسس مختلفة إيديولوجية، ثقافية، واقتصادية. تفرضها المراحل العمرية التي يمر بها الفرد.

### 1-3. أماكن الانتظار

هناك أماكن للانتظار متعددة وجدت لأغراض مختلفة لتلبية حاجيات السكان، فهناك مواقف الحافلات ومداخل المؤسسات التربوية ومراكز التكوين وقاعات الانتظار بالمرافق العمومية والحمامات وأمام محلات بيع الخبر والصيدليات... الخ، كل هذه الفضاءات هي بؤر للتواصل تؤسس لتكوين علاقات اجتماعية بين أفراد الحي الواحد.

**1-3-1. مواقف الحافلات:** تعتبر معالم تحدد من خلالها خريطة الحي، وهي نقاط لتجمع قسري للمتقلين عبر شبكة النقل العمومي، فالاستعمال المتكرر للمكان يخلق نوع من الألفة بين المستعملين وخاصة أولئك المداومين على استعمال تلك الخطوط، وتكرار نفس الصور والمواقف يشعر الفرد بالأمان والارتياح للمكان، ويشجع الأفراد على التواصل وفتح باب النقاشات بين مستعملي المكان، والدخول التدريجي في علاقات اجتماعية فيما بينهم.

1 - Nouria Benghabrit Remaoun, L'enfant et la rue-espace jeux, in Insaniyat n°2 année 1997 (Espaces habité) p43-57.

**1-3-2. مداخل المدارس:** تعتبر المدارس من أهم العناصر الرئيسية المكونة للحي وهي الأكثر انتشاراً في الأنسجة العمرانية، ويعتبر الانتظار قبل الدخول إلى المؤسسة من أهم اللحظات التي تكون لدى التلميذ صورة ذهنية عن أقرانه وتقمه في نسج علاقات اجتماعية جديدة تؤسس لتكوين صداقات داخل محيطه السكني، والملاحظ دائرة معارف الطفل تنمو من خلال المدرسة فكلما زادت دائرة استعمال المؤسسة التربوية زادت دائرة معارفه. هناك ظاهرة انتظار الأولياء لأبنائهم أمام المدارس وخاصة الابتدائية منها، فانتشار ظاهرة خطف الأطفال وتوسع المدينة والتموضع الغير مدروس لبعض المدارس اجبر بعض الأولياء على اصطحاب أبنائهم من وإلى المدرسة، ومن خلال معاينة عدد من المدارس لاحظنا أن هذه الظاهرة رغم أنها نعبر عن هاجس أمني وعن الخوف من الآخر فهي من جانب آخر محطة لتلاقي الأولياء وخاصة النساء منهم ويصبح التلميذ هنا حلقة وصل في عمليات التواصل الاجتماعي وتخلق هذه الظاهرة نوع من التضامن بين الأولياء. الملاحظ أن النساء أكثر استعمالاً لهذه الفضاءات حيث تكون أوقات الانتظار محددة بخروج التلاميذ، ويكون الحضور متكرر ويأخذ الانتظار وقتاً يتراوح بين الخمسة عشر والخمس دقائق وهي مدة كافية لتبادل التحيات والتحدث في بعض الشؤون المختلفة يحددها الموقف والسياق المكاني. نلاحظ أنه كلما تعزز الرباط الاجتماعي داخل الحي قلت ظاهرة اصطحاب الأولياء لأبنائهم، حيث يكون الانتقال إلى المدرسة جماعياً بين الجيران ويصطحب الكبار منهم الصغار.

## 2- الفضاءات الثقافية والترفيهية

من أهم مكونات المدينة المادية التي يرتادها شرائح متعددة من مجتمع المدينة، وهي أماكن تتباين في أهدافها بين الترفيه والتسلية والتنظيف والتعلم، لها خاصية العمومية ولها مساحة مهمة في حياة الأفراد اليومية، ونجد منها ما هو مغلق مثل القاعات الرياضية والنشاطات والدور الشباب والمكتبات، ومنها ما هو مفتوح ويشمل الحدائق والملاعب والساحات، الهدف منها التسلية والترفيه والرياضة والثقافة، وهي فضاءات عمومية تساعد على الاحتكاك والتواصل بين أفراد المجتمع.

## 2-1. الفضاءات المغلقة:

نقصد بها هنا كل ما هو عام ويقدم خدمة عمومية للعامة، يمكن اللجوء إليه بمقابل أو بدونه، وتتمثل هذه الفضاءات العمومية في المرافق العمومية الثقافية والدينية والخدماتية والمؤسسات التعليمية ومراكز التكوين المهني، وسوف نتطرق إلى ما هو متواجد بالحي منها.



## 2-2. دار الشباب من الصراع إلى الاعتراف والتعايش.

يقع هذا المرفق بين وسط حي الوثام وجنوب تجمع المحافير على الطريق الرئيس الفاصل بينهما، وهو عبارة عن بناية من طابقين، تتربع على مساحة 1200م<sup>2</sup>، بدأت في الاستعمال الفعلي بداية 2018، المدخل الرئيسي يؤدي مباشرة إلى البهو الذي يوجد به طاولتين للعبة كرة قدم الطاولة، وطاولة للعبة تنس الطاولة، وواحدة للعبة البلياردو، البهو كان شبه مك تقع هذه الدار وسط حي الوثام على الطريق الرئيس الفاصل بينهما بجانب مقر الفرع البلدي ومكتب البريد والسوق الجوارى المغطاة ويحدها من الشرق الحي الجامعي 3000 سرير. تضج بالأولاد معظمهم في سن التمدرس (الطور الابتدائي والمتوسط والثانوي)، يتناوبون على اللعب، الضجيج هو السمة السائدة بالبهو، يوجد بالبهو كذلك جهاز تلفزيون مشغل على قناة ناشيونال جيوغرافيك أبوظبي يبدو أن لآحد يهتم له ولما يعرضه، فهو يكون دو قيمة أثناء المقابلات الدولية للفريق الوطني، كان اهتمام الحضور هو حول طاولات اللعب في لهفة وتشوق في انتظار دور اللعب، اللعب على هذه الأجهزة مجاني حسب تصريح الحارس الموجود بالبهو الذي أوكلت له حماية هذه الأجهزة من التخريب، ومنع الأولاد من الشجار أثناء استعمالها، فهذا البهو في بدايات استعمال الدار كان مسرحا لبعض الشجارات والصدامات التي وصلت إلى استعمال أسلحة البيضاء (استعمال الخنجر)، فكان القادمون من التجزئات يحتقرون القادمين من تجمع المحافير وينعتونهم بالبرانية والبدو، حيث كان اذا حضر أولاد تجمع المحافير يغيب أولاد تجمعات الجهة الجنوبية والعكس صحيح، المقهى الموجود بالطابق الأرضي والحجرات غير مستغلة نظرا لانعدام الاطار البشري الملحوظ، يوجد بالبهو سلم يؤدي إلى مجموعة من الحجرات مستعملة كمكاتب للجمعيات بالإضافة إلى مكتب المديرية.

منذ البدايات الأولى - تقول مديرة دار الشباب - لاستعمال هذا الفضاء العمومي واكتشافه من طرف سكان الحي وخاصة الفئة الشبانية منهم، حيث بدأ الصراع يطفو للسطح بين الشباب القادمين من الأحياء المجاورة لدار الشباب حول استعمال الفضاء ومحاولة امتلاك هذا المجال والسيطرة على مكوناته، وظهر ذلك - على حد قول مديرة المركز - في أول الأمر في شكل خلافات ومشادات كلامية ووصم (معايرة) بين سكان الأحياء المختلفة، ثم تحولت مع الأيام إلى شجارات استعملت فيها في احد المرات الأسلحة البيضاء وانتهت في الأخير إلى تقاسم المجال زمانيا، بعد تدخل المديرية المكلفة بإدارة هذا المرفق، حيث كان سكان الأحياء يتحاشون الالتقاء في نفس الوقت فاذا ما دخلت مجموعة من حي معين غابت مجموعات الأحياء الأخرى، استغرقت هذه الخلافات مدة فاقت السنة

ثم ما لبثت أن ذابت تدريجياً مع مرور الوقت، وانتهى الأمر بالجميع إلى تقبل الأمر الواقع وتبني استراتيجيات التعايش المشترك في تقاسم استعمالات هذا الفضاء العمومي ومن ثم الاعتراف بالآخر وبداية تكوّن العلاقات وتحول هذا الفضاء إلى همزة وصل ومكان مشترك ساعد على نسج علاقات اجتماعية جديدة بين أطفال الحي، مما سمح لبعض الشبان من الحيين من تكوين علاقات اجتماعية خارج حيهم (يقول مراد في البداية كانت هناك حساسية في التعامل مع الشبان من الأحياء الأخرى غير أنها زالت مع مرور الوقت وأصبح لي أصدقاء خارج الحي ويرجع الفضل في ذلك إلى دار الشباب التي جمعتنا بها أوصل الصداقة).

الملاحظ أن دار الشباب هي أحد أهم الفضاءات الأكثر جلباً للفئات العمرية الصغرى والشبابية وخاصة تلك الفئات التي تهوى ألعاب الفيديو والبلياردو والبابي فوت، وهي تعتبر مكاناً للتواصل بين شبان الأحياء المجاورة ونقطة تمفصل بين حي الوئام في جزئه الشمالي والجنوبي مما جعلها فضاء للصراع في بداية استعمالها بسبب الخلفيات الثقافية المختلفة لروادها.

### 2-3. القاعة المتعددة النشاطات: نقص التأطير ثم إهمال ثم الزوال.

عبارة عن بناية من طابقين يتربع على مساحة إجمالية تقدر بـ: 700م<sup>2</sup> منها 270م<sup>2</sup> مبنية، تابع إدارياً للجمعات المحلية لبلدية الأغواط، من الفضاءات التي أنجزت لغرض تقديم نشاطات متعددة لفائدة الفئات الشبابية، غير أن غياب التأطير، وعدم اهتمام مصالح البلدية بهذا المرفق الذي تعرض للإهمال والسرقعة عدة مرات، ويرى ممثل البلدية المكلف بالحراسة أن المرفق أصبح غير صالح وهم مغلق منذ سنين، ونرى أن سبب في عدم نجاحه في تأدية الدور المنوط به يرجع إلى عدة أسباب تخطيطية وتشريعية، فمن الجانب التخطيطي توجده بالقرب من دار الشباب ومن الجانب التشريعي عدم تحديد الجهة المسؤولة عن تسييره ( وزارة الثقافة، وزارة الشباب والرياضة، وزارة الداخلية) مما خلق أزمة تسيير هذا المرفق الذي أصبح عالاً على كاهل البلدية.

تم تأثيثه في السنوات الأولى من إنجازه بواسطة مبادرات محلية من طرف الولاية خبير الإعانات التابعة للصندوق التضامن والضمان للجماعات المحلية، وتم تكليف طاقم إداري لتسييره من طرف أعوان بلدية بمرافقة جمعيات شبانية من الحي، غير أن هذه التركيبة لتسيير لم تتج وسرعان ما تعرض المرفق للإهمال وإتلاف جميع ممتلكاته وسرقعة البعض منها، المرفق كان في السنوات الأولى من إنشائه يقدم خدمات شبانية فهو يحتوي على ناد وقاعة للإعلام الآلي وقاعات للألعاب المختلفة. يرى بعض رواده السابقين أن عدم تحديد المسؤوليات والصراع بين أعضاء الجمعيات

وأعوان البلدية كان وراء إخفاق هذا المرفق في تقديم خدماته للشباب، وبفقدانه تحول معظم الشباب إلى دار الشباب التي أصبحت هي المتنفس الوحيد لهذه الفئات.

بيدي شباب الحي نوع من السخط على المسؤولين المحليين لعدم اهتمامهم بهذا المرفق العمومي الترفيهي، ويرون انب فقده فقد الشباب فضاء مها في حياتهم اليومية وخاصة الفئة التي كانت ترتاده وكانت تجعل منه مكانا للتلاقي والترفيه.

## 2-4. المكتبة البلدية: فضاء مناسباتي بارد.

بناية من طابقين مساحتها الإجمالية تقدر ب: 1350م<sup>2</sup> المبنية منها 250م<sup>2</sup> بها مكتبة تحتوي على عدة فضاءات أهمها قاعتين للمطالعة وقاعة عرض ومخزن للكتب ومكاتب، تسييرها تابع للبلدية من خلال تسميتها يتجلى ذلك فهي مرفق بلدي بها ثلاثة عمال إدماج من الجنس النسوي وثلاثة حراس ذكور، تحتوي على مجموعة من الكتب ذات الطابع التعليمي والتثقيفي وبعض المراجع الخاصة بطلبة المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية، روادها من طلبة المدارس يستعملها الطلاب لتحضير البحوث والمراجعة أيام الامتحانات، زوارها من الفتيان والفتيات. رغم الهدوء التي تلاحظه عند الدخول إليها، وهذه سمة من سمات أماكن المطالعة، لا يشترط في الولوج إليه أي وثيقة أو مبلغ مادي، غير أن الانخراط بهذه بالمكتبة يكون بمبلغ رمزي وملف واستخراج بطاقة خاصة بالمكتبة لاستعارة الكتب. هذا الفضاء يجلب إليها مجموعات شبابية من الجنسين تشترك في بعض الصفات مثل حب المطالعة والاجتهاد وروح المثابرة والبحث العلمي، فهي فضاء تعليمي تثقيفي وليس ترفيهي بالمفهوم العام، يشكوا الواقفون عليها من قلة الرواد وان وجدو فهم في أوقات معينة من السنة ترتبط بالموسم الدراسي والفترات التي تسبق الامتحانات. في حين يرى بعض الرواد انه فضاء مناسب للتحضير للامتحانات وكتابة البحوث. وهو فضاء للالتقاء بالأقران للمطالعة والقيام بالأعمال الجماعية ذات الصبغة التعليمية، يبدو أن هذا الفضاء من الفضاءات المكتملة لفضاء المدرسة. بحكم طبيعة رواده وعلاقتهم بالمدرسة.

الفضاء يرتاده طلاب المدارس المتوسطة والابتدائية المجاورة،

## 2-5. الفضاءات الترفيهية المفتوحة:

### 2-5-1. ساحات لعب الأطفال

ساحات لعب الأطفال عادة ما تكون تتوسط المجمعات بين العمارات، لاحظنا أن العمارات التي تتخذ الشكل الحلقي أو الدائري أو أي شكل مغلق يفصل المجمع السكني عن الفضاءات الأكثر

عمومية ويفصل الحركة المرورية الخارجية عن أماكن لعب الصغار، هي أكثر الأشكال الملائمة تجسيد هذه الفضاءات التي يرى السكان أنها مكون أساسي في تركيبة الحي، وتبدو أكثر أهمية في تجمعات السكن الجماعي أين يفتقد هذا النمط من السكن للفضاءات الداخلية المخصصة للعب الأطفال، الأطفال الصغار أكثر احتكاراً لهذه الأمكنة وهم وينظرون إليها على أساس أنها جزء تابع للمسكن، الأطفال في اتصال مباشر مع أوليائهم أو من يتكفل برعايتهم أثناء لعبهم بهذه الفضاءات الداخلية، وترى بعض العائلات أنها مصدر إزعاج وخاصة ممن يسعون لتربية أبنائهم تربية خاصة، فهي أماكن مهمة في الحياة اليومية للصغار نظراً لقلّة أماكن الترفيه وخاصة أولئك الذين هم في السنوات الأولى من التمدرس، فمن الصعب مراقبة الأطفال وخاصة الذين ينتقلون إلى المدرسة لوحدهم أو مع أبناء الجيران، وهي أماكن تحدث بها بعض المشادات الكلامية بين الجيران بسبب الأطفال، الملاحظ أن هذا الفضاء المشترك يفرض نفسه على الجيران وهو مصدر للتفاعلات المباشرة بين أبناء الجيران، ويخلق نوع من التواصل تتباين العلاقات التي ينتجها فهو يترجمها إلى روابط اجتماعية مختلفة حسب التمايز الذي يعرفه المجمع السكاني، الملاحظ كذلك أن هذه الفضاءات لها خصوصية تتعلق بمجموعة محددة من السكان دون غيرهم، فعادة كل المستعملين للفضاء من نفس العمارات المجاورة والتي لها اتصال مباشر بالساحة أو من تربطهم علاقة قوية بمن يسكن بتلك العمارات، تقول إحداهن "أبناء أختي يأتون للعب عندنا مع أولادي لسببين الأول أنها وحيدة وأولادها صغار والثانية أن أبناء الجيران موش مرتبيين ويضربون أولادي وأنا لا أريد المشاكل مع الجيران وخاصة أن زوجي يعمل بعيد ولا يأتي إلا في نهاية اليوم"، وهناك من يرى من السكان أن أماكن لعب الأطفال غير مهيئة ولا يمكن السماح لأولاده للعب داخلها لأنها لا تتوفر على الأمن والراحة وانها مصدر للتربية السيئة للأطفال وانها مصدر للمشاكل مع الجيران حول الأطفال. تبقى أصول السكان المقيمين بالحي هي أحد العوامل الرئيسية في النظر لهذه الفضاءات والكيفيات التي يتم بها استهلاكها والتعامل معها. والخلاصة انه كلما كان الفضاء يجمع حوله مجتمع متجانس كان مصدر للتوافق والتواصل بين السكان والعكس صحيح، وان الفضاء كلما كان مغلق كان أكثر استعمالاً من طرف الأطفال وكلما كان مفتوح كان أكثر إهمالاً من السكان وكان أكثر استعمالاً من العامة.

يشعر الأطفال بخصوصية المكان كلما كان قريباً من مقر سكنهم، ويشعرون بالأمان كلما كان أكثر انغلاقاً وبعداً عن الاستعمال من طرف الكبار، فظاهرة ترك الأطفال لوحدهم خارج المسكن

ظاهرة منتشرة في كل جهات الحي وتبدو أكثر حدة في أحياء السكن الاجتماعي، فلعبة أبناء الجيران وأبناء الحي مع بعضهم من الأمور المسموح بها لدى اغلب العائلات وخاصة تلك التي تجمعها علاقات قرابة أو انتماء مشترك.

### 2-5-2. المساحات الخضراء

تتباين المساحات الخضراء داخل المجمعات السكنية في أهميتها والاعتناء بها من حي إلى آخر، فهو فضاء يعبر عن نوعية العلاقة بين سكان المجمع، فنجد انه كلما كان السكان أكثر ترابط كانت الفضاءات المحيطة بالمجمع أكثر نظافة وزاد الاهتمام بها واستعمالها من طرف السكان، وهي في الغالب فضاءات مهملة يرى البعض أن قلة مياه السقي وعدم وجود من يتكفل بها جعل منها فضاءات تفتقد للمعنى الذي وجدت من أجله.

معظم المساحات الخضراء بهذه الأحياء طالها الإهمال وأصبحت

### 2-5-3. الحدائق العامة

لا وجود للحدائق العامة داخل الحي السكني، ما عدى تلك التي تقع في الشارع الرئيسي، وهي عبارة عن شريط اخضر غير مسيج به ممرات للراجلين وكراسي من الحديد الثقيل للجلوس، به عدد من الأشجار في طور النمو وزعت بطريقة عشوائية ومن نوعيات غير مدروسة يقول أحد المختصين في تهيئة الحدائق العامة، هذا الفضاء له أهمية كبيرة في حياة المدينة ككل فهو مكان للتجمع في الليل أثناء فصل الصيف، حيث تستعمله العائلات لترويح، وأصبح يستقطب كبير من الزوار من خارج الحي.

### 2-5-3. الملاعب الجوارية

يحتوي مجال الدراسة على 9 ملاعب جوارية انظر الجدول (9)، وهي عبارة عن أماكن تمت تهيئتها من طرف البلدية في اطار البرنامج التنموي للبلديات وهي مخصصة للعب الجماعي وخاصة كرة القدم والكرة الطائرة وكرة السلة داخل الأحياء، هذه الفضاءات مساحاتها متباينة مما يدل على العفوية في الاختيار الناتج عن سوء التخطيط العمراني، يتم اختيار الأرضية بناء على محضر تحرره اللجنة الولائية لاختيار الأراضي، دون مراعاة الجوانب الاجتماعية التي تترتب على هذا الاختيار، ومنذ أن يتم إنجاز الملعب يترك بدون إسناده إلى جهة معينة لتسييره مما يجعل منه ريعاً تتصارع الفئات الشبانية على الاستيلاء عليه واستغلاله، معظم هذه الفضاءات الترفيهية يتم تم تهيئتها من طرف البلدية أو تكييفها من طرف السكان، ففي حي الوثام يوجد ثلاث ملاعب جوارية

مستغلة اصغرها ملعب معشوشب صناعيا مساحته 500م<sup>2</sup> وهو محاط بسياج وشبكة لمنع خروج الكرة، الملعب انجز منذ ثلاث سنوات وهو يقع داخل حي تجزئة 591 قطعة، يرى الجيران أن هذه الساحة تشكل مصدر إزعاج للسكان المجاورين للملعب، حيث وقعت عدة مشادات بين بعض الحيران ورواد الملعب، وخاصة في الصيف حيث يقول حسن- وهو احد جيران الملعب- أن احد السكان قام بتخريب إنارة الملعب، لان بعض الأولاد يستعملون الساحة لساعات متأخرة من الليل ( الثالثة صباحا هذا في شهر رمضان)، وأن الكرة وصلت عدة مرات إلى شبابيك المساكن المجاورة، إن الاختيار السيئ لموقع هذا الملعب جعل منه فضاء لهدم الرباط الاجتماعي، بالإضافة إلى ذلك فقد ساعد على خلق صراع بين فئة الشباب والأطفال الصغار من جهة وبين الكبار والشباب من جهة أخرى، لقد اصبح البعض ينظرون له على أساس انه فضاء مدنس ومجلبة للمشاكل بين أفراد الحي الواحد، في حين نرى بعض الملاعب مثل ملعب حي خزان الماء (château) وهو ملعب بأرضية ترابية وبمساحة معتبرة حوالي 4500م<sup>2</sup>، فهو ملعب لا يسبب مشاكل تذكر للجيران، يقول سعيد وهو احد مرتادي الملعب (الملعب بعيد عن واجهات المساكن واغلب مرتاديه من الكبار واللعب منظم وهناك منافسات محلية تجري بالملعب بين الأحياء، وهو مصدر للمتعة والتلاقي)، الملعب تم إنشاءه بمبادرات محلية من طرف شباب الحي يقول احد السكان، وهو يستعمل في الفترات المسائية ونهاية الأسبوع، هناك ملعب آخر ترابي وبمساحة 2600م<sup>2</sup>، ورغم انه يوجد داخل حي تجزئة 591 قطعة، وبعض واجهاته مقابلة لسكنات فردية فإنه لا يشكل مصدر إزعاج وذلك لعدة أسباب منها أن واجهاته غير مقابلة للسكنات مباشرة ولا يوجد به إنارة فهو يستعمل في الفترات المسائية من طرف الكبار فقط، وإن كان هناك تدمر فهو نادر ومن أشخاص قلائل، فهو في الغالب مصدر فرجة لبعض السكان. هناك ملعب جوارى معشوشب يقع في الشارع الفاضل بين حي الوئام الجنوبي والشمالي، هذا الملعب محاط بسياج وشبكة بعلو 6متر لتقادي خروج الكرة، هو ملعب يستعمله الشباب في الفترة المسائية والأطفال في الفترة الصباحية والظهرية.

هذه الملاعب هي فضاءات يتم تقاسمها بتعاقد ضمنى مبدؤه، الكبار قبل الصغار والأكبر سنا له الأولوية، وسكان الحي لهم الأولوية عن غيرهم من الأحياء المجاورة، إلا في الدورات المنظمة، يشكو الصغار من استيلاء الكبار على معظم الملاعب، في حين يشكو الكبار من العمليات التخريبية التي يقوم بها الصغار أثناء غيابهم، الملاحظ أن الصراع داخل هذه الفضاءات هو صراع بين فئات عمرية من اجل الاستحواذ على المكان هي السمة السائدة.

الملاحظ أن غياب الدولة في تنظيم وهيكله هذه الفضاءات جعل من قانون الأقوى هو الأداة الوحيدة في تنظيم المجال وخلق نوع من الصراع أثر سلباً على علاقات اجتماعية بين أفراد الحي الواحد والفئات العمرية من جهة أخرى. انظر الجدول رقم (09)

الجدول رقم (09): توزيع الملاعب الجوارية بالحي

| الموقع  | صاحب المشروع | الحالة | القياسات | المساحة م <sup>2</sup> | الإحاطة  | طبيعة الأرضية  |
|---|--------------|--------|----------|------------------------|----------|----------------|
| تجزئة 591 قطعة  | البلدية      | متوسطة | 20*26    | 520                    | مسيح     | عشبية          |
|   | الجمعيات     | متوسطة | 40*65    | 2600                   | مسيح     | ترابية         |
| FMPOS مجمع  | البلدية      | جيدة   | 15*42    | 630                    | مسيح     | عشبية          |
| و 203 قطعة تجزئة 239<br>200 سكن تساهمي                            | البلدية      | سيئة   | 15*30    | 450                    | مسيح     | عشبية          |
| مجمعات تساهمية (68+127)<br>مجمعات إيجارية (152)<br>تجزئة 144 قطعة | غير رسمي     | متوسطة | 50*90    | 4500                   | غير مسيح | ترابي          |
| تجمع 484 سكن إيجاري   | البلدية      | جيدة   | 20*40    | 800                    | مسيح     | عشبية          |
| تجمع 600 سطن إيجاري<br>تجمع 60 سكن إيجاري                         | البلدية      | سيئة   | 22*42    | 924                    | مسيح     | عشبية          |
| تجمع السكن التطوري (242+264)                                      | البلدية      | جيدة   | 27*46    | 1242                   | مسيح     | عشبية          |
| تجمع السكن التطوري (242+264)<br>88 سكن إيجاري 56 سكن تساهمي       | البلدية      | جيدة   | 20*30    | 600                    | غير مسيح | خرسانية مسامية |

المصدر: من إعداد الباحث

هذه الفضاءات هي أماكن لممارسة رياضة كرة القدم وهي اللعبة الجماعية أكثر ممارسة، وهي وسيلة للترويح، ومن خلال المقارنة بينها نلاحظ ما يلي:

- انتشار هذه الملاعب عبر الأحياء جاء بطريقة ملاء الفراغ العمراني ولم يكن بناء على دراسات ومخططات مسبقة، ولم يراعى في إنشائها داخل المجمعات السكنية خصوصيات الجوار والتوزيع العادل.

- الملاعب الرسمية التي تم إنجازها من طرف السلطات المحلية تركت عرضة لكل

هذه الملاعب هي فضاءات يتم تقاسمها بتعاقد ضمنى مبدؤه، الكبار قبل الصغار والأكبر سنا له الأولوية، وسكان الحي لهم الأولوية عن غيرهم من الأحياء المجاورة، إلا في الدورات المنظمة، يشكو الصغار من استيلاء الكبار على معظم الملاعب، في حين يشكو الكبار من العمليات التخريبية التي يقوم بها الصغار أثناء غيابهم، الملاحظ أن الصراع داخل هذه الفضاءات هو صراع بين فئات عمرية من أجل الاستحواذ على المكان هي السمة السائدة.

الملاحظ أن غياب الدولة في تنظيم وهيكله هذه الفضاءات جعل من قانون الأقوى هو الأداة الوحيدة في تنظيم المجال وخلق نوع من الصراع أثر سلبا على طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الحي الواحد من جهة وبين الفئات العمرية من جهة أخرى. وسرع في عملية تدهور البنية التحتية لهذه المرافق العمومية، بسبب الإهمال والاستعمال المكثف لهذه الفضاءات ذات الصبغة العمومية البحتة. فمجانبة الولوج لمثل هذه الأمكنة يزيد من كثرة الطلب عليها ويجعلها بؤرا للتنافس على استغلالها.

وكذلك ما استنتجته خلال دراستنا البحثية أن هناك نسبة كبيرة ممن يحضرون إلى هذه الفضاءات هم من فئة صغار السن، تلك الفئة والتي مهما اختلف سبب تواجدها سواء كان من أجل اللعب أو الفرجة، إلا أنها موجودة وبقوة حاملة معها أفكار وسلوكيات وممارسات بنية جديدة من شأنها أن تعيد نمط الروابط بشكل آخر في المجال العمراني الجديد، وبالتالي هم يجددون من خلال تلك الممارسات إعادة بناء الرباط الاجتماعي داخل الحي ككل.

### 3- الفضاءات الخدماتية والتجارية.

#### 3-1. المقاهي

المقهى مكون أساسي في النسيج العمراني وأحد المعالم المحددة للمكان، يستعمله الأفراد في رسم مساراتهم اليومية، وهو موروث يدخل في الذاكرة الجمعية للسكان، كان المقهى في مدينة الأغواط قديما فضاء مدنسا لا يدخله المتدينون فهو مكان للهو والقمار ومضيعة الوقت وتبادل أخبار الناس وأسرارهم والتحدث في أعراضهم تارة، وتارة أخرى يعتبر فضاء للإبداع وتبادل الأفكار بين المثقفين ومصدر للإلهام والإيحاء عند الشعراء والأدباء، إذ تعد بعض المقاهي مجلسا للمناظرات الشعرية وسرد سير الأبطال والعظماء، فقد كان عبد الله بن كريو والشيخ السماتي، وهم من أبرز شعراء المنطقة، من رواد المقاهي ومرتابيها.



يوجد بمجال الدراسة عشرة مقاهي موزعة توزيع عشوائي عبر النسيج العمراني للحي، تسعة منها تتواجد بالمحلات الموجودة في الطابق الأرضي للعمارات التابعة لديوان الترقية ولتسيير العقاري، والسبب الرئيس في ذلك أن المقهى مازالت في الذاكرة الجمعية للسكان المحليين مكانا مدنسا، فمعظم أصحاب المقاهي والعاملين بها ليسوا من سكان المحليين، هذا ما جعل الخواص لا يحبذون الاستثمار في المقهى رغم ما تدره من أرباح، وكذلك الخوف من الضرائب وصعوبة الحصول على الرخص الخاصة بالمقهى. انظر الجدول رقم (10)

الجدول رقم (10) توزيع المقاهي بالحي

| اسم المقهى | الموقع                      | ملكية الأرض | تلفاز | حلويات | سعة الطاولة | الجلوس |
|------------|-----------------------------|-------------|-------|--------|-------------|--------|
| النخيل     | مجمع 450 سكن تساهمي         | د ت ع       | م     | م      | 4-2         | كرسي   |
| لمار كافي  | طابق ارضي عمارة سكن تساهمي  | د ت ع       | م     | م      | 8-2         | أرائك  |
| الذهبي     | مجمع 450 سكن تساهمي         | د ت ع       | م     | م      | 8-2         | أرائك  |
| الجوهرة    | طابق ارضي عمارة سكن تساهمي  | د ت ع       | م     | م      | 4-2         | كرسي   |
| الزهراء    | طابق ارضي بعمارة سكن تساهمي | د ت ع       | م     | م      | 4-2         | كرسي   |
| داماكوس    | تجزئة 591                   | خاص         | م     | م      | 4-2         | كرسي   |
| الاقواس    | تجزئة 591                   | خاص         | م     | م      | 4-2         | كرسي   |
| الوئام     | طابق ارضي بعمارة سكن تساهمي | د ت ع       | م     | م      | 4-2         | كرسي   |
| النجمة     | طابق ارضي بعمارة سكن تساهمي | د ت ع       | م     | م      | 4-2         | كرسي   |
| اسبيرانس   | مجمع 28 سكن تساهمي          | د ت ع       | م     | م      | 4-2         | كرسي   |

المصدر: من إعداد الباحث

الحسين شاب في العقد الثالث من العمر يشتغل نادل (قهواجي) منذ نعومة أظفاره، يرى أن المقهى في الوقت الحالي هو مكان لتقديم المشروب مثل القهوة والشاي والمشروبات الغازية والعصائر، وفي بعض الحالات مع بعض الحلويات، عكس ما كانت عليه قديما مكان للعب الدومينو ولعب الورق والنرد. وفي الغالب يرتادها الأفراد لشرب فنجان القهوة أو الشاي مع الأصدقاء أو فرادي ثم الانصراف وخاصة الفترات الصباحية قبل الذهاب إلى العمل، أما الجلوس الطويل فهو غير مسموح به، ومن شروط الجلوس في المقهى هو طلب مشروب، أما بخصوص دور المقهى في بناء العلاقات الاجتماعية، ونرى أن المقهى قد تنازلت عن دورها في تشكل صناعة الرأي العام ووسائل

التواصل الاجتماعي الحديثة، وبسبب النزعة الربحية التي طغت على أصحابها تحولت إلى مكان تجاري أكثر من كونه مكان ترويحي، ففي القديم كانت ملتقى الفنانين والمتقنين والشعراء والأدباء والرياضيين وغيرهم.

بيدوا أن مورفولوجيا المقهى من خلال شكل الطاولة وموقعها وكذا سعتها (من 2 إلى 4 كراسي) لا يشجع على التجمع والجلوس حول طاولة واحدة لأعداد كبيرة، يقول -أحد الكبار في سؤال حول ارتياده للمقهى- أنها أي المقهى كانت مكان مدنس قديما، كان لا يدخله الأب مع ابنه أو المعلم مع الطالب أما الآن فهو مكان عام يمكن الولوج إليه من طرف كل الناس، وهو فضاء ربحي يقدم خدمة لزيائنه.

من خلال تنقلاتنا بين المقاهي العشرة، نستنتج أن المقهى في الأحياء الجديدة وفي مجتمع الأغواط بصفة عامة لا تمثل جزء مهم من الثقافة المحلية، وأنها مصدر للرزق قبل أن تكون مجال عام كما كان في المجتمع الغربي. ورغم ذلك تبقى من الأماكن المحببة للتواصل واللقاء بين الأصدقاء من فئة العمال والموظفين والمتقاعدين والكبار الذين لا يدمنون وسائل التواصل الاجتماعي.

### 3-2. الحمامات

الحمام من أهم مكونات المدينة الأغواطية الحديثة كما كان هو الحال في المدينة القديمة، وهذا ما يفسر وجود 07 حمامات بحي الوثام (انظر الجدول رقم 11)، رغم وجود كل متطلبات- الحمام المنزلي- النظافة في المنازل، حيث أصبح الحمام (salle de bain) من أهم مكونات السكن الحديث وأصبح البعض يتقن في عمارته وإنجازه. ويجمع كل المستجوبين من أصحاب الحمامات، أن الحمام كان في السابق إلى غاية بداية سبعينيات القرن الماضي فضاء رجاليا بامتياز، وكان من الأماكن المحرمة على النساء، وكان فضاء للالتقاء وتبادل الأخبار والإشاعات، يأتيه الرجال من داخل المدينة وخارجها وخاصة أيام السوق الأسبوعي ويوم الجمعة والأعياد والمناسبات، وهو مكان مخصص للرجال دون النساء، له هدف ديني يتمثل في الطهارة الجسدية من الحدث الأكبر، وهدف صحي يتمثل في النظافة والتداوي من بعض الأمراض الجلدية والروماتيزمية، أما في الآونة الأخيرة وخاصة بعد الانفتاح السياسي والاقتصادي الذي شهدته الجزائر المستقلة والانتقال من النظام الاشتراكي إلى النظام الرأسمالي ظهر نوع من الحمامات بطرق حديثة وبمواد بناء مستوردة وبمخططات معتمدة تقسم الفضاءات داخل الحمام بطرق مدروسة ومستمدة من الحمامات في المدن المتوسطية، في حين كان الحمام في المدينة القديمة ينقسم إلى فضاءين فقط (الدار السخونة والدار

الباردة)، الدار السخونة للطهارة والدار الباردة للانتظار والتواصل مع الآخرين وتبادل الأخبار ويقدم فيها المشروبات الساخنة كالزعر والشاي والقهوة

الجدول رقم(11): توزيع الحمامات بالحي

| الخدمات الثانوية                | إمكانية الولوج |      | الموقع    | اسم الحمام   |
|---------------------------------|----------------|------|-----------|--------------|
|                                 | صباحا          | مساء |           |              |
| مستلزمات الاستحمام + حلاقة نساء | رجال           | نساء | تجزئة 591 | حمام نونا    |
| مستلزمات الاستحمام              | رجال           | نساء | تجزئة 171 | حمام الأندلس |
| مستلزمات الاستحمام              | رجال           | نساء | تجزئة 171 | حمام الأقواس |
| مستلزمات الاستحمام              | رجال           | نساء | تجزئة 414 | حمام الرحمة  |
| مستلزمات الاستحمام              | رجال           | نساء | تجزئة 414 | حمام قرطبة   |
| مستلزمات الاستحمام + مرقد       | رجال           | نساء | تجزئة 591 | حمام غزة     |

المصدر: من إعداد الباحث

برى البعض أن الحمام فقد البعض من قيمته الاجتماعية فأصبح مكانا للطهارة فقط، فرواد الحمام لا يعرفون بعضهم البعض ويخاف الواحد منهم التكلم أمام الآخرين، وأصبح تجنب الكلام مع الآخر هي الصفة السائدة في الحمام الحديث خوفا من ردة فعله.

الملاحظ أن المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لم يعتمد ضمن مخططاته الحديثة أماكن مخصصة لبناء الحمامات فهي فضاءات تم استدراكها داخل الأنسجة العمرانية الذاتية من طرف السكان، فكل الحمامات المنجزة بنيت على قطع الأراضي المخصصة للسكن الذاتي، هذا ما يفسر القصور الذي تعرفه مخططات التعمير، وإهمالها لفضاءات مهمة في الحياة اليومية للفرد كالحمام والمسجد.

يستدرك الحمام الذاكرة الجمعية المفقودة للامة الإسلامية، وما التسميات التي يحملها والدلالات التي تنطوي عليها معاني الأسماء التي يحملها ( القدس، قرطبة، غزة) هي جزء من الذاكرة الجمعية المهذورة، الحمام جزء من حضارة مفقودة وتاريخ مغتصب لم يتغيب يوما عن مخيلة الفرد العربي، هو جزء من الهوية الإسلامية الحضارية التي كانت في وقت مضى تقود العالم وتعلم الأمم كيفية التطهر الجسدي ومعنى نظافة البدن، وهناك تسميات تفلت من عبق التاريخ وترتبط بالمكان وتزاحم الفضاءات الحديثة فهناك حمام الأقواس نسبة للواجهة التي تميز الشارع الذي يتواجد به عن

غيره من الأمكنة، وهناك أسماء مبتذلة في ظاهرها تداعب عقول المرتادين وتستعطف جيوبهم (حمام الرحمة)، يبدو الحمام مغروس في أعماق نفس الإنسان الأعواطي فله به طقوس وعادات ترتبط بالمناسبات السعيدة كالأعراس والأعياد الدينية، وان قلت في كثافتها وأدواتها ومركبات طقوسها فهي باقية محفورة في ذاكرة الأفراد، وما الأماكن إلا دلالات عن أحداث، وما المسارات إلا تاريخها، وما الاجتماع إلا بحضور الآخر.

### 3-3. الفضاءات التجارية:

تتعد فضاءات التجارية بالحي وتتمركز في أجزاء معينة منه، منها ما هو مخطط له كتلك المجمعات المنجزة من طرف الدولة كالمحلات التجارية وتلك المخصصة للخدمات المنتشرة عبر الحي وخاصة في الشوارع الرئيسية وهي في الأصل ملك للدولة يتم التنازل عنها لفائدة الخواص عبر مراحل ويتم الاستفادة منها عبر المزايدات، وهي تنتشر بالأحياء السكن الاجتماعى الإيجاري والسكن التساهمي والسكن الترقوي، وهناك الفضاءات تجارية داخل أحياء السكن الذاتي وهي مراكز تجارية غير مخطط لها أنتجها راس المال وازدهرت بها التجارة تتعدد بها النشاطات التجارية ومجال تأثيرها في الغالب يتعدى حدود الحي الجديد وقد يتجاوز إقليم المدينة والولاية.

السوق بأشكاله المادية المختلفة من اهم عناصر المدينة وهو فضاء ذو طابع تجاري اقتصادي خدماتي يلبي حاجيات السكان وهو نقطة التقاء لكل شرائح المجتمع وهو عادة فضاء انسيابي يخضع لقانون العرض والطلب والتعاقد والمفاوضات، كل ما يدور بداخله من تفاعلات الغرض منها المنفعة والربح هذا بالنسبة للبائع أما بالنسبة للزبون فهو يتردد على هذا الفضاء لغرض البحث عن مقتنيات هو بحاجة لها في حياته اليومية، الأحياء الجديدة الغرض الأساسي من إنشائها هو الإسكان والفضاءات التجارية اهم ملحقاته فهي تلبي حاجياته اليومية، فمحلات الخضر والفواكه واللحوم والمواد الغذائية والخبر كلها فضاءات تابعة للحي السكني غير أنها تختلف في تموضعها ، ففي مجمعات السكن الاجتماعى والتساهمي تقوم الدولة والهيئات المسؤولة عن التخطيط بتحديد مواقعها مما يجعلها في بعض الأحيان غير وظيفية كما هو الحال بالنسبة للسوق البلدي، أما بالنسبة لسكان التجزئات فان فضاءات التجارة تتحكم فيها عدة عوامل أهمها الموقع وراس المال كما هو الحال في الشارع التجاري بحي 591 قطعة. هذه الفضاءات هي مواقع لحركة كثيفة وتفاعلات بين الأفراد غير أن تأثيرها يتعدى حدود الحي مما يفقدها صبغة التفاعل الدائم فالعلاقات عابرة ومنفعية في الغالب، ومرتادي هذه الأماكن لا يقتصر على سكان الحي، وتنتشر بها ظاهر التعدي على الأرصفة

من طرف بعض الباعة المتقلين كما أن أصحاب المحلات هم الآخرين يستغلون واجهات محلاتهم لعرض السلع مما يفقد الرصيف دوره وتختلط حركة المارة بحركة السيارات، هنا يكون حضور السلطة ضروري لتخفيف من الفوضى المرورية.

الفضاءات التجارية من طبيعتها تميل إلى التجمع في أماكن معينة لتجذب لها أكبر عدد من الزبائن، ففي حي الواحات الشمالية هناك تشتهر تجارة مواد البناء وفي الحي القديم تشتهر تجارة المواد الإلكترونية والألبسة وفي حي المعمورة تشتهر محلات تجارة مواد التجميل والألبسة. هذه الفضاءات تؤسس لشبكة من العلاقات الاجتماعية ذات طابع تجاري واقتصادي بين التجار فيما بينهم من جهة، والتجار والزبائن من جهة أخرى، وهي تخلق نوع من المنافسة التجارية، مما يرفع من قيمة الأرض، فتصبح فضاءات جاذبة لرأس المال، وتتحوّل إلى مركز تجاري متكامل يفرض نوع من القيم والمعاملات، الملاحظ أن هذه الأماكن طاردة للفئات الصغرى، فالأطفال الصغار لا يترددون لوحدهم على الأماكن التي يكثر بها الغرباء عن الحي وهي كذلك غير محببة لدى الفئات المسنة لكثرة الحركة والضوضاء وقلة الأماكن المخصصة للتجمع والجلوس. فكلما اتسعت دائرة تأثيرها ازداد عدد الغرباء بها وقل الأمان، فيرى معظم السكان الحي أن التسوق في هذه الأماكن يكون في أوقات محددة من اليوم وخاصة في الفترات الصباح الباكر وفي الفترات المسائية لتفادي الاحتكاك والزحام والفوضى الناجمة عن ذلك.

#### 4- مؤسسات التنشئة

**4-1. المدارس الابتدائية:** المدارس بمختلف أطوارها هي الفضاءات أكثر انتشارا بالحي فهناك 12 مدرسة ابتدائية يتمدرس بها حوالي 3425 تلميذ ما يمثل خمس سكان إلي يقضون بها خمس ساعات يوميا خلال تسعة شهور من السنة، رغم أن المدرسة فضاء له خصوصيته، فإن له عمل الفضاءات العمومية التي تحارب تشقق المجتمع الذي تحاول العولمة فرضه من خلال آليات التواصل الحديثة، وظيفة المدرسة هي إعادة إنتاج قسري للمجتمع بالمفهوم البورديوي وعبر التربية ينقل كل مجتمع المعايير الاجتماعية والثقافية التي تؤمن التضامن بين أعضاء كل المجتمع التي يجد فيها أنفسهم ملزمين بطريقة أو بأخرى على تبنيها<sup>1</sup>. وهي مجال للتربية والتعليم بالمفهوم الوطني، فهي أداة لإنتاج المجتمع، وهي كذلك فضاء لنسج العلاقات الاجتماعية وتكوين الذاكرة، فالصداقات

1- دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: منير السعيداني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007، ص45.

الأولى للطفل يكون فضاء المدرسة مسرحاً لها، فممارسة اللعب بساحة المدرسة أثناء فترات الراحة تجعل الأطفال يتواصلون فيما بينهم ويكتشفون الآخر وطرق التعامل معه ويطورون مهارات التكلم. المدرسة هي فضاء يساعد على تكوين الروابط الاجتماعية بين سكان الحي الواحد وتعزيزها، حيث يلتقي من خلاله أولياء التلاميذ وخاصة في الأيام الأولى من الدخول المدرسي وفي المناسبات والأعياد وفي آخر كل موسم دراسي، يتجمعون في ساحة المدرسة ويتبادلون أرقام الهواتف ويناقشون أوضاع المدرسة والحي ويحاولون الضغط على السلطات المحلية لتلبية احتياجات المدرسة ويشركون في الأعمال التطوعية والبحث عن الآليات التي تساعد الطاقم التربوي في القيام بواجبه التربوي، والملاحظ أن هناك اهتمام أكبر لدى العائلات المثقفة بهذا الجانب من العلاقات وأن هناك ارتباط قوي بين المستوى الثقافي للعائلات والاهتمام بالجانب التعليمي للأبناء ولتغييرات التي تحدث في الإطار التربوي للمدرسة، فتغيير الأستاذ أو المدير يحظى باهتمام أرباب عائلات التلاميذ ويصبح حدث مهم ومفصلي في حياة المدرسة، ومن خلال المعاينات والملاحظات الميدانية يبدو أن الأمهات أكثر اهتمام بهذا الجانب ويرجع ذلك لعدة أسباب منها أن النساء الماكثات بالبيت أكثر من الرجال وأن مشاغل الرجال اليومية تعيق عملية التتبع والاهتمام اليومي بالأولاد المتمدرسين.

#### 4-2. المتوسطات والثانويات ومركز التكوين المهني: التجمع هنا يخص الطلاب دون

غيرهم، فهم يمضون جزء من الوقت في انتظار ساعة الدخول، يقول أحد الطلبة 'نجلس مع بعض نناقش في مواضيع مختلفة ونتبادل الأخبار حول الدراسة والرياضة ويعتبر الميول والاهتمامات من العوامل المساعدة في تكوين العلاقات الاجتماعية، ...، وعن العلاقات بين سكان الأحياء أنه لا يوجد هناك تحيز للحي أو الجهة التي يسكن بها الطالب بل هناك معايير أخرى مثل الجنس، والميول والاتجاهات القيمية، والاهتمامات، وهي مرحلة تتم عن بداية تكون الشخصية لدى أفراد هذه العينة.

#### المتوسطة كفضاء لبناء العلاقات الاجتماعية (متوسطة المصالحة أنموذج):

العلاقات تبنى على أساس الزعامة التي يؤسس لها الموقع الاجتماعي للأباء والموقع السكني وطابع والمستوى المعيشي للعائلة وكذلك المستوى الثقافي بالإضافة إلى شخصية الطالب، يرى بعض الأساتذة الذين تم استجوابهم أن المؤشرات الاقتصادية والثقافية هي أهم مدلولات عن تكوين شخصية الطفل في هذه المرحلة، فأبناء العائلات الفقيرة ونظراً للوصم الملصق بهم يبدوون في أغلب الحالات أقل عدوانية ظاهرياً، وهم أكثر انغلاقاً، لا يبحثون عن الزعامة كالتلاميذ الذين يعيشون حياة أكثر رفاهية وخاصة أبناء الطبقة العاملة الميسورة من عمال الشركات الكبرى الذين يعملون

بعيدا عن مقر سكناهم لعدة أيام ، غير أن هذه الظاهرة ليست قاعدة فهناك من تلاميذ سكان الأحياء من هم على شاكلة أبناء الأغنياء، ويبدو أن العلاقة بين التلميذ من جهة والأستاذ والعمال من جهة أخرى تتميز بالتوتر والشدة والحزم من طرف الاطار التربوي والعصيان والتمرد من طرف التلميذ. فأغلب المستجوبين من الإطار التربوي بمتوسطات مجال الدراسة يشكون صعوبة التواصل في التعامل مع هذه الفئة من التلاميذ.

وجدنا صعوبة كبيرة في التعامل المباشر مع تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط، فالسلوك العدواني هو السائد في تصرفات التلاميذ، فهذه الفئة إجاباتها مزاجية وغير نمطية تختلف من تلميذ لآخر والعلاقات فيما بينهم متغيرة ومشوشة، هناك ظاهرة الزعامات وسيطرة الكبار واستعمال القوة كوسيلة لامتلاك الزعامة، يبدو الموقع الاجتماعي للآباء له دور في ذلك، يقول مراد وهو ابن احد عمال سوناطراك وهو يتزعم مجموعة من الطلاب وهو اكبر سنا مقارنة بزملائه، يرجع ذلك لعدة أسباب اجتماعية ونفسية أهمها التغييرات المورفولوجية التي تحدث للتلاميذ في هذه السن وضهور علامات البلوغ بالإضافة إلى التغيير في المعاملات من طرف الآخر.

في مقابلة مع التلاميذ، الملاحظ أن التلاميذ بعد الخروج من المدرسة كانوا اكثر نشاط من العادي دخلت معهم في نقاش مباشر كان عددهم أربعة تلاميذ ذكور وكانت الأسئلة في الأول مقتضبة حول حي سكناهم وعن علاقتهم بتلاميذ الأحياء المجاورة للمدرسة، إجاباتهم كانت فيها نوع من السخرية وقلة الاحترام لبعضهم البعض قد يرجع ذلك للمرحلة العمرية، ينعنون طلبة جهة المحافير " الرتمة" وهي كلمة تتم عن وصم، وهي من وحي خيالهم ولما سالتهم عن معناها قالوا أن تلميذ منهم يكون سمين طويل وشعره متسخ، وينعون حي الوئام بال هم التلاميذ السمان والطوال ، و هم يطلقون على سكان كل حي الشاطو حي "جفت" ألقاب يكون في اغلب الأحيان معاني تدل عن وصم ، فكلمة "جفت" والتي تعني الجلوس تحت الحائط في مجموعات دون هدف معين وهو قريب في معناه من كلمة "حيطيست" وهو تعبير عن وضع اجتماعي يعيشه سكان الحي يتمثل في البطالة فمعظم سكان الأحياء المشكّلة من المساكن الاجتماعية هم من البطالين و من الطبقات الهشة. وهو نتيجة لسياسة اعتمدها الدولة في تقسيم السكن ومن خلاله تقسيم المجتمع إلى طبقات غير متجانسة وخلق نوع من العزل المكاني داخل المدينة، قد يستدعي استعمال حواجز مادية كما هو في حي عمال سوناطراك وحي أساتذة التعليم العالي والأحياء الترقوية، إن التضييق في حدود العام ومحاولة إضفاء طابع من الخصوصية عليه يترتب عنه تقيئة للمجتمع مجاليا مما يخلق نوع من الشعور

بالخصوصية ولانتماء. والعلاقات البينية في هذه الفئة من العمر تتميز بعدم الاستقرار ويكون فيها الحدود المكانية أكثر وضوح.

### 5- الأنماط السكنية والفضاءات المشكلة لها.

العلاقة بين الحي السكني والرباط الاجتماعي تتحدد من خلال بعض السمات التي تميز الحي عن باقي أجزاء المدينة، من هذه السمات أو الخصائص تلك التي لا يمكن تغييرها وهي الخصائص المكانية والتي تتمثل في موقع الحي، وتوزيع الأنماط السكنية، الفضاءات العمومية، فالأنماط السكنية التي تتبناها السياسات الحضرية تتجسد عبر المخطط التوجيهي ومخططات شغل الأراضي، وعمليات الإسكان والاستفادة من الصيغ السكنية عبر حي الوئام تمت بناء على محددات اجتماعية ذات طابع اقتصادي أساسها الدخل الفردي، مما خلق فئات اجتماعية متميزة ولو نسبياً. عمليات الإسكان المختلفة التي اعتمدها السلطات المحلية إلى أحياء سكنية الجديدة أدى إلى اضطراب في نظام العلاقات الاجتماعية بالحي اثر في كل من التنظيم الاجتماعي وفي مسارات الحياة الفردية، وهما نتيجتان مرابطتان ومتلازمتان، فالأفراد الذين ينخرطون في الأعمال الجماعية والمشاركة في المحافظة على مكتسبات الحي والدفاع عن حقوقه عبر فضاء المسجد والمدرسة والساحة وموقف والمناسبات والأطر الاجتماعية المختلفة، يكسبهم ثقة الآخرين بهم، ويوسع من دائرة معارفهم، فمن خلال المقابلات وجدنا أن أكثر الناس اندمجا في الحي الجديد أولئك الأكثر ثقة في تغيير حيهم نحو الأفضل.

ومن خلال المقابلات التي قمنا بها ومقارنة بين ساكني الأنماط السكنية المختلفة، لاحظنا أن العامل الاقتصادي للأفراد له دور في تطور الحي أو تدهوره، فالتجمعات التي يسكنها أصحاب الدخل المنخفضة هي أحياء طاردة للنشاطات التجارية من محلات ومراكز تجارية، كما أن العامل الأمني في الحي هو الآخر له تأثيره على الرباط الاجتماعي، وان نقص تقديم الخدمات بالحي يؤدي إلى الصراع عليها هو الحال بالنسبة لساحات اللعب والملاعب الجوارية ومواقف السيارات.

شكل العائلة بالحي الجديد تتباين من صيغة سكنية إلى أخرى، فساكن السكن الاجتماعي الإيجاري الذي في الغالب عبارة عن مجتمعات جماعية من ثلاث إلى اربع طوابق، تتميز العائلة في هذا النوع من الإسكان بكثرة العدد، حيث أن نسبة 65 بالمائة من المستفيدين وقت الاستفادة أعمارهم تفوق 35 سنة رغم أن السكنات كلها من نوع F3، فكل العائلات المستفيدة التي لديها ذكور وإناث بعضهم يستغل الصالون في الليل كغرفة لنوم الذكور، وبعضهم يستعمل المطبخ للنوم في الليل، وان



هناك عدد كبير منهم من زوّج أولاده وهم يقيمون معه، هذه السكنات غير قابلة للتوسع مما اجبر العائلات على القيام بتحويلات داخلية وتغييرات لتكييف المكان تماشياً من النمو العددي للعائلة، هذا النقص في الفضاءات الداخلية نجم عنه استغلال مكثف للفضاء الخارجي وخاصة الساحات والمساحات الموجودة بين العمارات والمساعد.

في مجتمعات السكن الترقوي المدعم معظم العائلات نوية وصغيرة العدد، والجانب الاقتصادي للعائلات مريح مقارنة بمجتمع السكن الاجتماعي، هناك مؤشر يدل على قوة الرباط الاجتماعي يتعلق بنظافة المجمع وصيانته والمحافظة على تأثيثه، فالعمارات الأكثر نظافة وهودو يبدي سكانها تضامناً أكثر فيما بينهم. من هنا يمكن القول أن الحي يرتبط بعامل تصنيف المساكن والوضعية الاقتصادية للسكان، فأصحاب الدخول الضعيفة والأسر التي تعاني من مشكلات اقتصادية عرضة للمشكلات اجتماعية، كما هو الحال في مجتمعات السكن الاجتماعي الإيجاري الذي يشكل ثلث مساكن الحي، هذه الأحياء تكاد تتعدم بها خدمات القطاع الخاص، ما عدا تلك الموجودة بالمحلات الموجودة في الطابق السفلي لبعض العمارات، وجل السكان في حاجة إلى المساعدات الحكومية، فهم عاجزون عن تسديد فواتير الكراء والكهرباء والغاز، السمة السائدة لدى السكان البعض منهم هو الشعور بالنقص وفقدان الثقة في السلطات، وصعوبة الاندماج في الحياة العامة وخاصة لدى كبار السن القادمين من الأحياء العتيقة بوسط المدينة. هناك ملاحظات تم تسجيلها من خلال المقابلات الفردية والجماعية حول علاقات الجيرة بهذه الأحياء بأنها غير ثابتة وترتبط بالجار أكثر منها بطبيعة السكن، وتعتبر الفضاءات المشتركة مثل ساحات اللعب ومواقف السيارات والمساحات الخضراء هي أماكن للمعايشة اليومية وتشارك أفراد المجمع الواحد وخاصة الصغار منهم في النشاطات المختلفة تستغل في حالات الوفاة والأعراس.

### 5-1. التجزئات (السكن الفردي)

يوجد بالحي 10 تجزئات ترقوية واجتماعية منتشرة داخل حدود الحي بها 2316 قطعة ارض صالحة للبناء يمكنها استيعاب خمسة طوابق حسب المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير البلدية. انظر الجدول رقم (12)

الجدول رقم (12) التجزئات بحي الوئام

| التجزئة   | عدد القطع | مساحة القطعة م <sup>2</sup> | المساحة التجزئة | نسبة الانجاز | السكنات المأهولة | عدد الطوابق | تقديرات السكان |
|-----------|-----------|-----------------------------|-----------------|--------------|------------------|-------------|----------------|
| تجزئة 591 | 591       | 240-300                     | 38 هـ 53 آر     | 80%          | 372              | 4-1         | 1860           |
| تجزئة 203 | 203       | 150-220                     | 3 هـ 22 آر      | 70%          | 124              | 4-1         | 620            |
| تجزئة 239 | 239       | 220-280                     | 6 هـ 74 آر      | 70%          | 110              | 4-1         | 550            |
| تجزئة 171 | 171       | 150-200                     | 5 هـ            | 80%          | 98               | 4-1         | 490            |
| تجزئة 144 | 144       | 280-320                     | 4 هـ 7 آر       | 70%          | 62               | 4-1         | 310            |
| تجزئة 264 | 264       | 180                         | 11 هـ           | 85%          | 192              | 4-1         | 960            |
| تجزئة 80  | 80        | 180                         | 59 آر           | 85%          | 65               | 4-1         | 325            |
| تجزئة 242 | 242       | 150-200                     | 8 هـ 25 آؤ      | 60%          | 124              | 4-1         | 620            |
| تجزئة 269 | 269       | 250-300                     | 5 هـ 65 آر      | 60%          | 132              | 4-1         | 660            |
| تجزئة 113 | 113       | 200-300                     | 2 هـ 56 آر      | 85%          | 74               | 4-1         | 370            |
| مجموع كلي | 2316      |                             | 85 هـ 61 آر     | 74%          | 1353             |             | 6765           |

المصدر: مكتب الإحصاء بالبلدية+ المحافظة العقارية

#### 6- الفضاءات الغير مادية:

يعتبر اشتراك سكان الحي والمجمعات السكنية في مواجهة المشكلات والمتطلبات المحلية المشتركة بينهم يؤدي إلى تدعيم الرباط الاجتماعي بين الجيران، فقد صرح عدد كبير من المبحوثين وخاصة سكان المجمعات السكنية الجماعية عن القيام بعض السكان باجتماعات دورية غالبا ما تكون بعد الانتهاء من صلاة العشاء وفي أماكن عامة كالساحات الداخلية أو في احد المنازل من اجل التطرق للمشاكل التي يعاني منها المجمع أو الحي وطرح بعض الانشغالات ومحاولة إيجاد الحلول إن امكن ذلك أو محاولة التنسيق من اجل الاتصال بالسلطات الوصية اذا استعصى الأمر عليهم. عادة ما توضع ملصقات في مسجد الحي بالنسبة لسكان السكن الفردي أو بمدخل العمارات بالنسبة لسكان المجمعات السكن الجماعي، التجمع من اجل المصلحة العامة في البداية وطرح الانشغالات العامة ثم الدخول في علاقات أكثر كثافة وتفاهم وتواصل أكثر قوة وديمومة وهو نوع من الاعتماد الوظيفي المتبادل، وهو أحد شوط فيشر في تدعيم علاقات الجيرة بين السكان.

## ثانياً: الإسكان وازمه الرباط الاجتماعي

نحاول هنا تبيان العلاقة الإسكان والفضاء العمومي وما ينتج عنه من روابط اجتماعية باعتبار أن الفضاء العمومي متغير وسيط بين متغيرين هما السكن والرباط الاجتماعية.

## الإسكان وإعادة إنتاج الفضاء العمومي:

يبدو أن الممارسات والأنشطة والعادات والتصرفات التي يحافظ عليها الأفراد فترة طويلة تخلق مسارات رتيبة لديهم، تأخذ مع الوقت مكانا في عقول الأفراد وتتحول إلى تطبع (هابتوس). والمسارات اليومية للأفراد تختلف حسب العمر والجنس والوظيفة، واستهلاك الفضاءات العمومية واستعمالها يكون وفق الحاجات المختلفة للفرد، فتبدوا الأماكن متشابهة في نظر المتفرج، غير أنها متباينة في نظر الأفراد المداومين على استغلالها، المكان الواحد قد يكون مرغوب فيه إلى درجة القداسة في نظر البعض ومحبيب إلى نفسه، في حين يكون نفس المكان عكس ذلك في نظر آخر، وأقرب مثال إلى ذلك المقهى، هذا فضاء الذي يفضله البعض في حين يتجنبه آخرون لاعتبارات قيمة لها علاقة بالتنشئة، أو اعتبارات دينية أو حتى اقتصادية ترتبط بالجوانب المادية.

تم تكييف استعمال فضاءات الحي حسب رغبات السكان لا كما خططت له السلطات المحلية، فسكان الحي يستغلون فضاءات حيهم وفق معطيات قيمة وثقافية ودينية واقتصادية يحملونها معهم، واستعمالات مكونات الحي تمت بناء على مؤشر الجنس هو الأقوى والأكثر وضوحاً وكذلك مؤشر العمر هو الآخر من المؤشرات القوية الدالة على استعمال الفضاء العمومي واستغلاله، وتبقى المؤشرات التي تتعلق بالثقافة والاقتصاد والدين هي الجانب الخفي في الكيفيات والطرق التي بموجبها تتحدد الأمكنة والفضاءات التي ترتبط بها، فالبيئة المادية تخضع للتطوع والتحوير المادي والرمزي الذي يتوافق مع متطلبات الفرد النفسية قبل المادية. فالاجتماع يكون انتقائياً يخضع لعدة عوامل ترتبط بالفرد والمكان والظروف الاجتماعية والبيئية.

## 1-تلازم أزمة السكن مع أزمة الرباط

ازمه السكن أنتجت أزمة في الرباط الاجتماعي، هي اهم الملاحظات والاستنتاجات التي توصلنا إليها في مجتمعات السكن الجماعي وخاصة في أوساط العائلات التي تحول تحسين وضعها الاقتصادي، فبعض الأسر تعاني مما يعرف بـ "عدم الاستقرار" (la précarité) فالغالبية منهم يرى أن الإقامة بالحي الاجتماعي "مؤقتة"، إلى حين الوصول إلى إنجاز سكن خاص في التجزئات، فهم غير راضون عن وضعهم الاجتماعي الجديد وخاصة نجد ذلك عند كبار السن والمتقاعدين

والعائلات الكثيرة العدد، فهناك الكثير من المستفيدين من قام بتأجير الشقة التي منحت له وعاد إلى الوضعية التي كان يعيشها في حيه السابق، فأعباء كثيرة مثل دفع الإيجار بالإضافة لفواتير الكهرباء والغاز والماء، وتتأزم الوضعية أكثر بالنسبة للأسر التي فقدت موارد دخلها من العمل غير الرسمي الذي لم تستطع إعادة إنتاجه في الحي الجديد. في ظل هذا التغير السوسيو-اقتصادي والتدهور البيئي لظروف عيش الأسر المرحلة، تتطور استراتيجيات من قبيل إعادة بيع مفتاح الشقة بطريقة غير رسمية وبأسعار اقل من القيمة الحقيقية للمسكن والانتقال إلى مسكن آخر أقل تكلفة في منطقة شعبية أين تكون المنازل في متناول الطبقات الهشة، أو العودة ببساطة إلى المنزل الأصلي في الحي الأصلي.

تؤدي صعوبات الاندماج في الفضاء الاجتماعي الجديد الذي يفرض منطقه في تبني ممارسات ونمط عيش معين، يختلف عن سابقه في الحي القديم، فتعدد الأنماط والصيغ السكنية وتمايها مكانيا يعكس اختلاط السكان أو الأفراد ويعني اختلاط المستويات السوسيو-اقتصادية، في ظل اختلاف وتباين أنماط العيش والتصورات حول العالم المحيط.

الاختلاط الاجتماعي الحاصل في حي الوثام لم يكن اعتباريا بل جاء نتيجة لتخطيط عمراني رسمي برعاية الهيئات والمؤسسات الرسمية، ممثل في المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير (1994-2014)، الهدف منه حل أزمة السكن بالدرجة الأولى والقضاء على الاختناق داخل المدينة القديمة وإنشاء مركز إداري جديد يتماشى مع المعطيات الاجتماعية والاقتصادية الجديدة لمدينة الأغواط. هذه المعالجة التي بدل أن تقلص من استفحال أزمة المسكن الكمية أسهمت في تحويلها إلى أزمة سكن بالمفهوم السوسولوجي أي أزمة رباط اجتماعي. إذ أن المشكل الذي يطرح نفسه في وضعية تبدو عادية أو طبيعية لأن التفاوت منطقي، تكمن في "مخرجات" أو نتائج التفاعل الذي يحدث عندما تلتقي التفاوتات والاختلافات. فبعض سكان التجزئات وسكان السكن التساهمي والترقوي من الطبقة المرفهة يرون أن كل الآفات والمشاكل الاجتماعية التي يتخبط فيها سكان الحي عامة وصعوبة العيش فيه، وحتى وضعيته الإيكولوجية من أوساخ وتلوث مردها إلى بعض أن لم نقل الكل من سكان مجتمعات السكن الاجتماعي الإيجاري المرطلون من الحي القصديري ببوخنفوس والمرطلين من الأحياء القديمة للمدينة. الخطاب المطور تجاه هؤلاء يحتكم في نظرنا، إلى "موازين الهيمنة" التي تتمثل هنا في راس المال الاجتماعي والثقافي ولاقتصادي الذي يطفو لسطح على شكل انتماءات قبلية وسياسية ومنه الانتماء للمدينة والمكانة الاجتماعية والقرب من دواليب الحكم والسلطة

بها، وهذه الموازين قد لا تلتزم بنظرية العدد. فكثرة عدد المرحلين أو كثرة الوضعيات المشتركة لا تعني بالضرورة حيابة هذه الجماعات على الهيمنة الرمزية، بل بالعكس، فالجماعة أو الجماعات ذات الأقلية المهيمنة بفضل "راس المال" هي التي طورت هذه الخطاب ورفعته إلى درجة "واقع ملموس"، استبطن حتى في تصورات الجماعات "الهشة" نفسها، ونلاحظ ذلك في خطابات الوصم التي يعتمدها التلاميذ وفي تواصلهم وتصرفاتهم تجاه أقرانهم من سكان المجمعات الاجتماعية الإيجارية وجهة المحافير، فعبارات مثل "حي جفت" والتي تعني انتشار البطالة و "حي النوماد" السكان "الحي التطوري" رغم انهم الأقدم بالحي. هذا النوع من خطاب بعض السكان حول "السكان المرحلين" يثير مسألة "الحق في المدينة"، أو مسألة الحق في الانتماء إلى الحي الجديد، بعد أن كانت في مستوى "الحق في المسكن". فمن تصريحات بعض المبحوثين يبدو الأمر وكأن هناك غزل مكاني ناتج عن تمايز سكاني أدى إلى أزمة في الرباط الاجتماعي، فسكان الحي التطوري المرحلين من حي بوخنفوس القصديري ورغم وصولهم الأول، يستشعرون أنهم مهمشين ومعزولين وكأن ليس لهم الحق في السكن في حي الوئام وبالأحرى ليس لهم الحق في المدينة، لأن عاداتهم وممارساتهم لا تتوافق مع ما يجب أن يكون، فهم بدو بعيدون عن التحضر. إذ صرح لنا أحد المبحوثين بخصوص سكان جهة المحافير التي هي جزء من حي الوئام، قائلاً: هم غرباء عن المدينة جاو من خارج الولاية واستفادوا من سكن من حق أهل المدينة الأصليين، وبخصوص السكان الأصليين يرى بعض المستجوبين أن الانتماء القبلي هو المؤشر على الانتماء للمدينة في حين يرى البعض أن الأقدمية في السكن بالمدينة هي الأساس، ويذهب آخرون إلى أن التقسيم الإداري الجديد فمكان الميلاد وشهادة الإقامة والوثائق الرسمية هي المؤشر على الانتماء للمدينة، ومن خلال المقابلات ترددت على مسامعنا مفردات من قبيل: "برانيا"، "نوماد موسخين"، "راهي اختلطت لبلاد وفسدت"، "راح الحياء"، "راحوا ناس لغواط الحقانيين"، بالإضافة إلى تعابير تتم عن الحماية القبلية والانتماء للعرش. هي كلها محددات عامة يؤسس من خلالها عمليات نسج العلاقات الاجتماعية بين الأجزاء المكونة للحي الواحد. فهناك "نحن الكبيرة" وتعني حي الوئام "ونحن الأصغر" زهم سكان مجمع ما داخل الحي، كما أن هناك "هم الكبيرة" والتي تعني سكان المدينة ككل و "هم الصغيرة" والتي تعني سكان باقي التجمعات داخل الحي الواحد. الوضعية هنا شبيهة بتلك التي وصفها عبد القادر لقعج<sup>1</sup>، حيث

1 - Abdelkader Lakjaâ, « L'habiter identitaire, éléments d'une problématique d'une urbanité en émergence », in INSANIYAT, N° 2, CRASC, Oran, 1997, pp 77-103.

يتشكل قطبان: موجب وسالب، وبالطبع الجميع يريد أن يكون في القطب الموجب في حين يضع الآخرين في القطب السالب، إلا من تشابهت ظروف وجودهم مع ظروفه.

هناك تفاوت في مسألة الإحساس بالانتماء إلى الحي السكنى والإحساس بالانتماء إلى الجماعة التي تسكنه، فهذه الرابطة ترتبط ارتباطا وثيقا بالكيفيات التي تمت بها عملية الترحيل من جهة وبمكان الإقامة القديم من جهة أخرى وكذلك بطبيعة الحي المرحل نحوه، فعلاقات الجيران في السكن الجماعي تختلف عن تلك العلاقات التي نسجت داخل مجتمعات السكن الفردي، وعلاقات الجيرة بين المرشحين جماعيا أكثر ثباتا عكس السكان المرشحين من مناطق مختلفة، فمن الصعب الفصل بين الانتماء إلى فضاء سكني معين والانتماء إلى الجماعة التي تسكنه. فالسؤال حول الارتباط بالحي القديم والتردد عليه أحيانا، كانت الإجابات بـ"نعم" هي الغالبة لدى السكان القادمين من وسط الأحياء الشعبية بالمدينة القديم، في حين كانت بـ"لا" بالنسبة لسكان الأحياء القصدية.

إن أزمة السكن عندما تحل بالطريقة الكمية فقط (العرض والطلب) دون مراعات خصوصيات المجتمع المرحل وخاصة الجوانب القيمة للمجتمع فهي تتحول إلى أزمة مسكن (فضاء خاص) بما يحمله من معنى فقد تعجز المساكن الجديدة عن تجسيد تطلعات المستفيدين منها ولا تستجيب لخصوصيات الأسر التي تسكنها، كما هو في أحياء السكن الجماعي، ومنه أزمة في الحي السكني ككل باعتباره (فضاء عام)، يتجلى ذلك في تصرفات الأفراد داخل الفضاءات العمومية للحي واستعمالاتها، وينتهي ذلك في الأخير بأزمة في الرباط الاجتماعي دخل الحي الواحد.

وبطريقة استرجاعية يمكن للفضاءات العمومية المكونة للحي أن تكون أداة لإعادة بناء الرابط الاجتماعي ومنه الحد من الأزمة التي تعرض لها المسكن، فمثلا استبدال الفضاءات القديمة التي تربي بها الفرد بالفضاءات المتواجدة بالحي الجديد من المؤشرات على بدايات الاندماج الحضري بالحي الجديد ومؤشر على بداية نسج وتكوين علاقات اجتماعية جديدة بالحي. يعتمد ذلك بالطبع على أسس أخرى منها ما تعلق بنوع المسكن وطبيعته ومحاولة تكيفه ومنها ما تعلق بالزمن والجيرة والظروف الاجتماعية والاقتصادية للأفراد. انظر الجدول رقم(13)

الجدول رقم(13) أنواع الروابط بالحي

| نمط الفضاء | طبيعته        | أشكاله المادية  | نوع الرباط الاجتماعي         | الفئة                                    |
|------------|---------------|---|------------------------------|--|
| السكن      | خاص           | منزل الأيوين، منزل الأقارب. منزل الجيران                        | نسب، قرابة، بنوة.            | الأسرة، الأقارب، الجيران.                |
| الإقامة    | عام           | الإقامة الجامعية، بيت الشباب، النزل، الفندق. إقامة العمال.      | صداقة، مصلحة                 | الطلاب، الأصدقاء<br>النزلاء، العمال.     |
| العمل      | عمومي         | المؤسسات العمومية   | مصلحة، صداقة،                | العمال، الزبائن                          |
|            | شبه خاص       | المؤسسات العمومية والخاصة المستقبلية للجمهور                    |                              | العمال، الزبائن                          |
|            | خاص           | المؤسسات الخاصة   |                              | العمال.                                  |
| العمراني   | عمومي         | الشارع، الطريق، الرصيف، الرحبة، الموقف، الممر.                  | مصلحة، صداقة                 | المارة من كل الفئات                      |
| خدماتي     | عمومي/<br>خاص | لمؤسسات عمومية وخاصة، الأسواق، أماكن التسوق، المقاهي، الحمامات. |                              | العمال، الزبائن، الأصدقاء.               |
| التنشئة    | عمومي/<br>خاص | السكن، الشارع، المدرسة، المسجد. دور شباب، مكتبات، مراكز ثقافية. | قرابة، جيرة،<br>صداقة، مصلحة | الأقارب، الجيران،<br>التلاميذ، الأصدقاء، |
| الترفيهي   | عمومي         | الحديقة، الملعب، الساحة، النادي،                                | قرابة، صداقة، جيرة           | أصدقاء، أقارب، غرباء.                    |

المصدر: من إعداد الباحث

## 2- الأحياء السكنية بين الاندماج والاستبعاد.

الأنماط السكنية المختلفة التي يتشكل منها حي الوئام تكشف عن الأشكال الاجتماعية المتباينة ويتجلى ذلك في بعض المظاهر والتصرفات، فهناك التسميات التي يطلقها السكان على أحيائهم وينعت بها أحياء الآخرين، فالوصم والازدراء والإحساس بالدونية كلها مؤشرات على تمايز اجتماعي داخل الحي الواحد، هذا الحي الذي ساهمت السلطة في إنشائه ومن خلاله خلق أشكال اجتماعية متناقضة.

**التجزئات:** تمثل التجزئات تقريبا ثلث مساحة الحي وهي تحتل الصدارة من ناحية قيمة الأرض، وفي الغالب هي انسجه عمرانية شطرنجية أو على شاكلتها يعطى أهمية كبرى للخط المستقيم في مثل

هذا النوع من السكن مما يوحي بوضوح الهدف المتمثل في السكن والخصوصية التي يرمز لها، وهي تتميز بالخصوصية فساكنها غالبا ما يشعرون بالارتياح والرضى عن المسكن والانزعاج الوحيد يأتي من الجيرة والطريق والحركة المرورية والباعة وكل ما هو آت من الخارج، تبدو التجزئات هي الجزء الوحيد المتحرك في المدينة فهي دائمة التغير والنمو وخاصة بالاتجاه العمودي، كما يسميه البعض (ديار الشعب) ويسمونها آخرون (lotissement)، الاسم له دلالة وعمق على الارتباط بالمكان والأنسان، واستقلاليته عن الدولة، فساكن هذه الأحياء من الطبقة الميسورة التي لها الإمكانيات المادية التي تخول لها بناء مسكنها بمفردها ودون الاعتماد على الدولة، ولها الحرية في اختيار طريقة البناء والطرز المعماري والذوق والتحكم في الأشكال المورفولوجية للمسكن ومكوناته الداخلية، واختيار الألوان والهندسة ومواد البناء والزخارف... الخ، كلها دليل على القيمة الاجتماعية لهذا النوع من السكن الذي يعتبر من ارقى أنماط السكن داخل المدينة وله علاقة مباشرة بالجانب الاقتصادي للعائلة فكلما كان المستوى الاقتصادي مرتفع ظهر ذلك على مورفولوجيا المسكن، وله جانب ثقافي يظهر في الاختيار والذوق والألوان والتكوينات الداخلية. ساكن التجزئات هم أكثر السكان ارتباطا بسكنهم واهتماما بالجوانب الهندسية والتزيينية، وأكثر استقرارا وتشبثا بمساكنهم وبحيهم، ومن خلال المقابلات نجد أن نسبة الرضى عن المسكن مرتفعة مقارنة بسكان الأنماط السكنية الأخرى. ويعتبر سكن التحصيصات أكبر مساحة من باقي الأنماط الأخرى، فهو يتراوح بين 2م350 و150م2، والانتقال من الخاص إلى العام يبدو أكثر وضوحا فالشوارع محددة بواجهات المنازل ومداخل السكنات تطل مباشرة على الشارع، وهي مساكن تتمتع بخصوصية أكثر من تلك الجماعية، والفتحات على الفضاء العام غير موجودة وان وجدت فهي بتحفظ ومعظم الفتحات تطل على حوش داخلي أو فناء يكون خاص، وسكان هذا النمط يتمتعون بحرية كبيرة في التحرك داخل المسكن وفق مساحات رسموها هم لا أنفسهم تلبي رغباتهم السكنية وحاجياتهم داخل المسكن.

الجيرة في السكن التجزئات ولا نقول السكن الفردي، لان السكن مكون في العادة من عدة طوابق تتراوح بين الاثنتين والأربعة طبقا لتعليمات المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير<sup>1</sup> في الغالب ساكن الطوابق هم من أفراد العائلة الواحدة الأب والأولاد المتزوجون، فالعلاقة هنا علاقة قرابة دموية، بين افراد عائلة ممتدة تتفرع منها عائلات نووية هي الأخرى لها نوع من الاستقلالية داخل المسكن المكون من طوابق مستقلة عن بعضها البعض، هذا النوع من السكن هو الشائع وهذا النوع من

1- المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية الأغواط، نسخة1994. ص56.



التخطيط هو الأكثر رواجاً وإنجازاً، معظم الإباء يحبذون قرب سكن الأبناء منهم، للحفاظ على الرابطة الأبوية.

الملاحظ أن اختيار الجار الجنب غير متوفرة في هذا النوع من السكن ما عدى ما حدث لدى سكان المحافير أثناء منحهم سكنات تطويرية غير أن هذا النوع من الجيرة ورغم ما يعتريها من حذر في معاملة الجار، لكن يبدو من خلال المقابلات أن الغالبية لهم علاقات طيبة مع جيرانهم، باستثناء المناوشات النادرة حول الأولاد والإزعاج الناجم عن عمليات البناء.

السكن الجماعي: إن صغر المساحة المخصصة للسكن الاجتماعي الإيجاري والسكن التساهمي (تتراوح بين م 245 و م 65) وكبر حجم الأسرة في بعض الحالات، وعدم وتوفر فراغات مفتوحة للعب داخل المسكن، يفرض على الأطفال غزو الفضاء العام للحي، كما أن استعمال فضاءات مثل السلالم والمساحات الخضراء والباحات وساحات وسط المجمعات تساعد الأطفال على التواصل والتعارف فيما بينهم من خلال اللعب الجماعي، فتزداد الأطفال على هذه الأماكن مصدر من مصادر تعزيز العلاقات الاجتماعية بين الأسر، ويسمح بتنشيط الرابط الاجتماعي بين الجيران. خديجة ربة بيت تسكن بإحدى عمارات السكن الاجتماعي الإيجاري، تقول في الفترة المسائية أخرج مع ابني الصغير واتركه يلعب مع أبناء الجيران وأنا اجلس مع جارتني أمام مدخل العمارة أراقبه، إن الفترة التي تقضيها في مراقبة ابنها هي فترة للتعارف مع جاراتها. أما حميد وهو موظف بمؤسسة عمومية، يسكن بمجمع تساهمي له بنتان يخرج معهما في الفترة المسائية ليلعبا في الساحة المتواجدة وبوسط المجمع فهو يخاف عليهما من أولاد الجيران ويخشى الاحتكاك مع الجيران من أجل خلافات حول الأولاد.

### 3- الفضاءات العامة داخل الحي الجديد بوتقة للتفاعل الاجتماعي:

الفضاءات العامة هي بؤر للتفاعل الاجتماعي، وهي أنواع متعددة تتباين في أشكالها وأحجامها واختصاصاتها وتوزيعها على الخريطة العمرانية للمدينة، وجدت لأغراض عمرانية واجتماعية واقتصادية، تنسج بداخلها روابط اجتماعية تتطور مع الوقت تحدها طبيعة الفضاء، فهناك على سبيل المثال روابط تكون في البداية ذات بعد اقتصادي ما تلبث حتى تتحول إلى علاقات ذات بعد اجتماعي يتعدى دائرة العمل لينتقل إلى المقهى والسوق والمسجد و كل الفضاءات الأخرى المشكلة للمدينة، ويتم خلالها مناقشة قضايا ذات أبعاد مختلفة سياسية وبيئية وثقافية، العمل فضاء للصراع هو الآخر والتنافس، فالأفراد يحاولون دائماً الدفاع عن مصالحهم الشخصية من خلال المحافظة

على فضاء العمل باعتباره احد اهم المصادر الرئيسية لكسب لقمة العيش، فالمحافظة على النسق هي مهمة كل الأعضاء للدفاع عن بقاءه ومحاولة تطويره وتحديثه من اجل تأقلمه ومسايرته للوضعيات المستجدة.

الفضاءات ذات البعد الاقتصادي: هناك علاقة متينة بين الاقتصاد والتحضر<sup>1</sup>، واهم المحددات يمكن معرفتها من خلال تقسيم العمل وطبيعته، وقيمة الأرض ونوع وطبيعة المباني وحجم المبالغ المصروفة على الواجهات وتأثير الشارع، وتوزيع الفضاءات المدرة للفوائد والأرباح، فالشوارع الرئيسية ذات الطابع التجاري، هي ذات قيمة عقارية أكبر من غيره، ما يجعلها مصدر للمنافسة والصراع على استغلالها.

### ثالثا: مراحل تشكل العلاقات في الأحياء الجديدة من الصراع إلى الاعتراف.

هناك عدة ترتيبات تسيق عمليات الإسكان، تكون السلطة هي المسجد لها، ممثلة في الإدارة المحلية بشقيها السياسي والذي يمثله المنتخبون بالمجلس البلدي والبيروقراطي الذي يمثّل في الدائرة والولاية، تلعب هذه الترتيبات دورا بارزا في الكيفيات التي يعاد بها بناء الروابط الاجتماعية، بدءا من الصراع بين الاثنيين، ولقد لاحظنا أن هناك ثلاثة أنواع من الطرق التي تبنتها السلطات المحلية في عمليات الترحيل و الاستفاداة من السكن والأراضي الصالحة للبناء، اختلفت هذه الطرق حسب نوعية الاستفاداة والشريحة المعنية بالاستفاداة والمراحل الزمنية والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي مرت بها البلاد.

**الطريقة الأولى:** وتتمثل في ترحيل السكان مع الأخذ بعين الاعتبار الوضعيات المكانية التي كانوا عليها، وقد خصت هذه العملية سكان الحي التطوري، حيث تم ترحيلهم من الحي القصديري ببوخنفوس موطن إقامتهم القديم إلى حيهم الجديد، وهو عبارة عن سكنات تطويرية نصف جاهزة قابلة للتوسعة مكونة من طابق واحد مساحتها 120م<sup>2</sup> مغطاه ومحاطة، مع مراعات الحفاظ على الجيرة القديمة، ونظرا لطبيعة المجتمع نجحت السلطة هنا إلى حد ما في ذلك، فمعظم السكان راضون على تموضعهم الجديد فالروابط القرابية المتينة التي سبقت الترحيل هي المؤشر على نجاح العملية، فعلاقات القرابة أولية مبنية على العصبية والمصاهرة فتردد عبارات الأخ والعم والخال والصهر والعائلة أثناء المقابلات هي العبارات الأكثر تداولاً، قرابة الدم ساعدت السكان في الحفاظ الروابط القديمة، فالتقاسم بدل الصراع والتنازل السماح للقریب سمات سائدة، غير أنها كانت عائقا

1- محمد بومخلوف، التحضر: التوطين الصناعي وقضايا التنمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2001، 2001، ص.98-99.

في سرعة الاندماج الحضري مع باقي سكان الأحياء المجاورة فالانطواء والخوف من الآخر سمة سائدة والفضاءات العمومية داخل الحي تفقد دورها في إعادة نسج العلاقات الاجتماعية وإن كانت فضاء للالتقاء والتواصل وهي مختزلة في الشارع والرصيف وبعض الفراغات المهمة داخل النسيج العمراني يستعملها الكبار للالتقاء والتجمع، الشارع هنا فضاء عام منقوص العمومية فرقابة الضبط الاجتماعي للمجتمع المحلي المنغلق يفقده بعض خصوصياته خاصة لدى النساء و الفتيات الذين يريدون الإفلات من الرقابة الأسرية و عيون أبناء الجيران والأقارب.

الطريقة الثانية: الترحيل العشوائي ويخص سكان عمارات السكن الاجتماعي، وهنا تتم العملية بعد دراسة ملفات المرشحين واختيارهم يتم تعيين سكانه عن طريق القرعة، مع مراعاة الظروف الصحية والاجتماعية لبعض العائلات في تحديد طابق الاستفادة فالمعوقون وكبار السن تمنح لهم الأولوية في الاستفادة من الطوابق الأرضية، وما إن تتم عملية القرعة حتى يمنح للمستفيدين مهلة للتبادل فيما بينهم وذلك في مدة أسبوع، وتعتبر هذه المهلة عملية مفصلية مهمة في مستقبل العلاقات الاجتماعية بالحي، غير أن عمليات التبادل التي عايناها في مجملها قليلة فمن مجموع حصة توزيع 2456 سكن تمت 23 عملية تبادل، ويعزى السبب في ذلك إلى أن المستفيدين من مناطق متفرقة من المدينة لا يعرفون بعضهم مما يصعب من عمليات التوافق أثناء عمليات التبادل، فكل التبادلات التي تمت كانت الأسباب وظروف غير تلك التي تتعلق بالجيرة، كالموقع العام والطابق.

هذه السكنات عرفت في مرحلة تالية ازمه في بناء العلاقات ومن نتائجها كراء المسكن والانتقال إلى حي آخر. وهناك من قام ببيع المفتاح والشراء مسكن قديم في وسط المدينة، ففي إحدى العمارات بعد مرور عام واحد لم يبق 04 سكان من مجموع 16 مستفيد بالعمارة ويرجع ذلك لعدة أسباب منها البعد من مركز المدينة، عدم توفر وسائل النقل، عدم الحاجة للمسكن، استعمال المسكن مصدر دخل، عدم التأقلم مع السكان، الخوف والوحدة، الغالبية رجعوا لوسط المدينة وسكن داخل العائلة الممتدة أو الشراء في مكان آخر.

### 1-مرحلة الحذر

الخوف من الآخر ظاهرة تخص الأحياء المختلطة وخاصة الاجتماعية وحتى التخصيصات المخصصة للبناء الذاتي أين يكون الأفراد المستفيدين يمثلون شرائح مختلفة ولا يعرفون بعضهم البعض قبل الرحيل إلى حيهم الجديد، فالصورة التي يحملها الساكن عن جاره تكون غامضة، وهنا ينطوي الساكن عن نفسه، غير أن صغار السن والمراهقين يباشرون في تكوين علاقات صداقة مع

أبناء الجيران منذ الأيام الأولى للإقامة بالحي رغم تحذير الوالدين في بعض الحالات، تبدأ العلاقات بين الجيران تتشكل مع مرور الوقت وتكون الأطر الاجتماعية من أعياد ومناسبات دينية واجتماعية هي القنوات التي من خلالها يتعارف أفراد الحي الواحد، والفضاءات العمومية مثل الحديقة المشتركة هي مكان لربط علاقات بين الجيران واختلفت قيمة هذه الأماكن من حي إلى آخر حسب نمط السكن والكثافة السكانية والموقع والمكونات المادية للمكان فالمساحات ما بين العمارات يستعملها الأطفال والمراهقين وهي مصدر للصراع فيما بينهم ويتداول عليها الإناث والذكور وتكون الغلبة عادة للذكور نظرا لطبيعة المجتمع الذكورية فيلجأ البنات عادة للعب في أماكن هامشية داخل الحي تكون أقرب إلى أماكن الإقامة هذا في الأحياء ذات النمط الجماعي، أما أحياء التخصيصات نلاحظ أن كثافة تواجد الأطفال بالشارع قليلة نسبيا ويرجع ذلك لكون سكان هذا النوع من السكن يتحفظون في علاقاتهم مع الآخر وكذلك لوجود ما يسمى بالحوش أو الفناء الداخلي وهو فضاء خاص يستعمله الإخوة في اللعب مع بعضهم أو أبناء الجيران من الأقارب أو الذين تربطهم معهم علاقات الجيرة، يستعمل الأطفال عادة الشارع فضاء للعب وخاصة المراهقين منهم فلعبة كرة القدم بالشارع منتشرة بالأحياء السكنية وهي من جهة وسيلة لتعارف أبناء الحي فيما بينهم ومن جهة أخرى مصدر لإزعاج لكبار السن والنساء والفتيات من المارة.

## 2-مرحلة الترقب الحذر

باستثناء سكان الحي التطوري وسكان التجزئات، يتفق معظم سكان الأحياء السكنية الاجتماعية والتساهمية وسكنات عدل ، على أنهم عايشوا مدة انغلاق على انفسهم تراوحت ما بين الستة اشهر والسنة، غير أن الزمن والظروف الاجتماعية كفيلا بتفعيل عملية التواصل وجعل سكان الحي الجديد يتفاعلون فيما بينهم، فالسكان خلال هذه المدة يكون انغراسهم بالحي الجديد ضعيف في حين يكون ارتباطهم قوي بمكان إقامتهم القديم، إن التغيير في المسارات اليومية لحياة الأفراد، يؤدي لظهور تغيير في سلوكيات الأفراد، فينزح الفرد إلى الانعزال والتفوق والانطواء، ثم ما يلبث أن يبدأ في صناعة مسارات جديدة تكون لفضاءات العمل والتسوق وفضاءات الممارسات الدينية والترفيهية دور في بداية نسج علاقات تكون تتسم بالحذر الممزوج بالخوف من الآخر، الذي يعتبر بمثابة العلة السوداء، فيكون التواصل مقتضب ولا يتعدى المصلحة والضرورة، إن المناسبات والأطر الاجتماعية وخاصة الدينية منها وما تصنعه من فضاءات تساهم في التقارب بين الأفراد

والعائلات فالزيارات في هذه المناسبات تؤسس لبناء علاقات صداقة، كما أن للفضاءات التربوية الأهمية لدى المتعلم في تكوين شبكة من العلاقات الاجتماعية مع أقرانه.

### 3-مرحلة الهجوم والاحتلال

ما إن يتوافد السكان المرحلين إلى حيهم الجديد حتى تطفو إلى السطح بوادر الصراع فيما بين الأفراد، وهذه الظاهرة تخص كل الأحياء دون استثناء، فاحتلال الفضاءات العامة، وخاصة موقف السيارات والأرصفة والمساحات الخضراء وأماكن اللعب ومداخل العمارات ونواصي الأحياء، يكون أحد الأسباب الرئيسية لبداية الخلافات، فتعارض المصالح في استعمال العام هو مؤشر على بوادر ظهور ازمه ولو مؤقتة في الرباط الاجتماعي.

### 4-مرحلة الصراع:

تعارض المصالح في استعمال العام مصدر للصراع بين الأفراد، يتجسد في تصرفات تتراوح بين العدوانية والانسحاب حسب طبيعة الشخص، فالأطفال الصغار تتشكل ملامح الصراع لديهم حول استغلال فضاءات اللعب والزعامة في استعمالها، في حين يكون الصراع بين الكبار حول استعمال المساحات المجاورة للمسكن واستغلالها لأغراض شخصية، فالاستعمال اليومي لموقف السيارات يشكل اهم مصادر الصراع بين الكبار، أما الصراع بين الأجيال ظاهرة منتشرة كثيرا في أحياء السكن الجماعي، يعزي البعض ذلك لقلّة الفضاءات العامة التي وضعها المخططون ويرى آخرون أن توزيعها سيء لا يتلاءم وطبيعة الحي، غالبا ما يكون التنافس حول احتلال أماكن التجمع والملاعب الجوارية داخل الحي، الكبار يحبذون الأماكن المكشوفة كالنواصي ومفترق الطرقات.

### 5-مرحلة تقاسم الغنيمة

يلعب التخطيط دورا بارزا في خلق فضاءات للنزاع بين السكان فالجيوب العقارية وخاصة في التخصيصات المخصصة للسكن الذاتي هي مصدر للصراع بين المستفيدين وخاصة بعد الغياب الملاحظ للسلطات المحلية في تسيير العقار العام، وإصدار ومتابعة رخص البناء ومرافقة السكان في عمليات البناء فالمناوشات بين الجيران وسوء العلاقات من أسبابه التنازع عن الغنائم التي تركها القائمون عن التخطيط وراءهم من جراء تقسيم الأرض، يحول الساكن عادة البحث عن فضاء خارج مجاله الخاص للتوسع فيه للقيام بنشاطات خاصة، فمواقع المداخل والمراب هي مصدر إزعاج لبعض الجيران والفتحات الخارجية كالنوافذ والأفنية كمصادر للضوء التهوية هي الأخرى مسبب للنزاعات، وتعتبر ممارسة النشاطات داخل المسكن هي الهاجس الكبير لدى بعض السكان ومصدر

دائم للإزعاج فالنشاطات التجارية والحرفية وخاصة المصدرة للإزعاج والمستقبلة للسكان هي في البداية خلق نوعا من التذمر لدى الجيران وما أن يلبث البعض في التعود عليها أو تغيير مكان الإقامة.

مع مرور الوقت يتأقلم السكان مع وضعهم القائم ويتوصلون إلى مرحلة من التفاهم النسبي فيما بينهم دون اللجوء إلى سلطة خارجية لحل المشاكل القائمة، فالصراع داخل الأحياء متعدد الجوانب والأطراف، فهناك صراع بين السلطة المحلية والسكان من جهة يحاول السكان التغلب عليه فيلجؤون إلى إنشاء جمعيات مدنية والانخراط فيها للدفاع عن حقوقهم ومن الغنائم التي يتقدمها السلطة للمدينة، تكون بمثابة الوساطة بين السكان والسلطة المحلية من جهة وبين السكان من جهة أخرى في حل بعض النزاعات القائمة بين السكان، إن الجمعيات بمختلف توجهاتها واهتماماتها هي مؤسسات مصغرة وفضاءات عامة يحاول المنخرطين فيها الدفاع عن مصالحهم التي عادة ما تكون مصالح عامة تخص فئة معينة كالجمعيات الرياضية وجمعيات الأحياء والجمعيات الثقافية، في الأحياء التي تراوح بين الاندماج والانطواء والانسحاب،

#### 6-مرحلة الاعتراف

مرحلة الاعتراف هي آخر مراحل عمليات الإسكان حيث يتقاسم الأفراد المكانة وتتحدد الأدوار ويذوب جليد الصراع وتتحدد مواقع ومسارات الأفراد، هنا تنتهي عملية الفرز ويقرر كل فرد في شبكة المجتمع الجديد تحديد مجالات تدخله في عملية التركيب الجديد لانساق المجتمع وتمثيل الأدوار المسندة إليه، تظهر تكتلات من نوع آخر غير ذلك الذي تنتجه خطابات السياسة والمصلحة المؤقتة، وتبدأ العوامل الثقافية والقيمية والدينية في خلق انساق من العلاقات تتحدد من خلالها هوية الحي الجديد أو بالأحرى ملامح تشكل هوية مشتركة.

السكان الجدد للمجتمع المدروس رغم نزوحهم من منطقة واحدة لا تتعدى مجالها الجغرافي حدود الولاية وبعض الولايات المجاورة، غير أن المنطلقات الثقافية مختلفة بين ذوو الأصول البدوية والريفية والحضرية، فأنماط المعيشة وطرق الحياة تجعل السكان مختلفين إلى حد بعيد ويظهر ذلك في طريقة البناء كما هو في تجزئات البناء الذاتي، أو التعامل معه كما هو في البناء الاجتماعي والتساهمي والأنماط المختلفة الأخرى، واستعمال الفضاء العام دليل كاف لتحديد هوية لفرد التي جاء بها إلى الحي الجديد، إن الاختلالات التي يحدثها تغيير مكان الإقامة وخاصة القسري منه بمثابة تحريك إناء يحوي ماء عكر من مكونات مختلفة، فعملية الترسيب تتطلب وقتا معين تحددته مكونات

السائل المراد تصفيته ، كذلك الأفراد كلما اشتد التباين طالت مدة التأقلم والتفاهم وظهرت الفوارق جليا للملاحظ. من خلال عملية الانسحاب والانطواء، أو تشكيل كيانات داخل الحي الواحد وتقمص هويات فرعية غير تلك التي تمثل الحي بكامله، يكون للمنطقات الثقافية دور فيها،

#### رابعاً: الفئات الاجتماعية ومحددات الفضاء وإعادة بناء الرباط الاجتماعي

##### 1- النوع (الجندر)

من خلال تتبع مسار الحياة اليومية للسكان، نلاحظ أن المسارات التي تتبعها النساء تختلف عن مسارات ينتهجها الرجال في حياتهم اليومية، النوع يمكن أن يتحدد من خلاله الفضاء، فلا يمكن مثلاً للنساء دخول المقاهي والجلوس فيها، في حين لا يمكن للرجال دخول صالونات الحلاقة الخاصة بالنساء، هناك أماكن مشتركة كثيرة كالأسواق وأماكن العمل ووسائل النقل، هناك معايير وقيم تحدد استعمال الأمكنة العامة ترتبط بالعرف والثقافة والدين تتجسد في المعاملات مع العام وداخله.

الملاحظ أن الرجال أكثر استعمالاً للأماكن المفتوحة التي تفتقد للخصوصية في تعاملاتهم وتواصلهم، فهم يستعملونها لمدة طويلة من الزمن، الذكور يتخذون من النواصي ومفترقات الطرق والساحات أماكن للالتقاء والجلوس ومراقبة المارة، في حين النساء والفتيات لا يمكنه الجلوس بالشارع وإن حدث ذلك يكون لمدة قصيرة لغرض تبادل التحية وبعض الحوارات المهمة والمقتضية.

من الفضاءات العمومية التي يشترط فيها النوع وتنتج روابط اجتماعية بين الأفراد من نوع الجنس، هي كل الفضاءات الغير مختلطة، والتي لا يمكن للجنسين الدخول لها معاً، نجد في مقدمتها الحمامات فهي أماكن تتميز بخصوصية ويمنع فيها استعمال الهواتف والآلات التصوير والتسجيل وهناك رقابة شديدة من طرف أصحاب هذه المرافق خوفاً على سمعة المرفق وحماية للزبائن مما يترتب على ذلك، الدخول إلى هذه الفضاءات ينقسم إلى قسمين أوقات الصباح وهي مخصصة للنساء حتى أذان صلاة الظهر وأوقات للرجال تبدأ من قبل وقت صلاة العصر إلى وقت متأخر من الليل، أصبحت هذه الفضاءات وخاصة لدى الرجال فضاءات فارغة من المعنى فهي أماكن للتطهر فقط، والعلاقات داخلها بين الزبون والكياس وصاحب المحل تنتهي بانتهاء الخدمة ومنذ الخروج من الحمام، أما بخصوص تناقل الأخبار التي كان يقدمها الحمام في السابق فقد أوكلت إلى وسائل التواصل الحديثة التي هي أكثر تطوراً وسرعة وفعالية، لكن هناك جزء خفي من الأخبار لا يمكن لهذه الوسائط الحديثة تناقله قد تسمعه داخل هذه الفضاءات كـ بعض التفاصيل أو سرد لقصص

وحكايات وأحداث في الماضي أو تعليقات وتحليلات خاصة وما تفرزه من نقاشات حول مواضيع عامة وخاصة.

من الأماكن التي يرتادها النساء بكثافة أماكن التسوق والحمامات وصالونات الحلاقة وهي فضاءات تلتقي عبرها الفئات النسائية ويتبادلن الأحاديث والأخبار، ففي أماكن التسوق يكون اللقاء مقتضب ولا يتعدى بضع دقائق يتبادلن التحية ويسألن بعضهن عن الأحوال الصحية والعائلية، ويكون الحوار قصير، أما في الحمامات وصالونات الحلاقة تكون المواضيع كثير ومختلفة والاحاديث مطولة وتكون الأخبار الزواج والطلاق والإشاعات من أهم المواضيع المطروقة، الفئات الصغرى من الفتيات اللواتي هن في سن الزواج والمتزوجات من أهم رواد قاعات الحلاقة، في حين الحمام يرتاده النساء من كل الأعمار وحتى البنات الصغار، تعتبر مدة المكوث بالفضاء و المداومة على زيارته من العوامل المنتجة والمجسدة للعلاقات الاجتماعية وتوطيدها، فبعض النساء ممن لا يسمح لهن بالخروج إلى الأماكن العامة وأماكن التسوق والعمل يجعلن من الحمامات وصالونات الحلاقة أماكن للالتقاء وتكوين العلاقات وتبادل أرقام الهواتف. الحمام زيادة على أنه مكان للتطهر فهو كذلك أصبح مكان للتجارة والمقايضة واستبدال الذهب والألبسة وبيعها، والملاحظ أن وجود الحمام أصبح مقترن بوجود صالون الحلاقة، فتقريبا الحمامات الحي يوجد بجوارها صالون للحلاقة.

## 2- السن

الفئة العمرية أحد أهم محددات استعمالات الفضاءات التي يرتادها الأفراد، وبالتالي نوع الروابط الاجتماعية التي تنشأ من خلالها وبين الأفراد داخلها، فكبار السن من المتقاعدين والباطلين يختارون أماكن التقائهم وتجمعهم حسب معطيات متعددة ترتبط بالذاكرة الجمعية والتمثلات التي يحملها الأفراد معهم من مكان إقامتهم القديم، يقول احد المستجوبين أثناء المقابلات الجماعية " **نعدو مع بعض ونتفكروا الوقت الزين والناس الزينة** " ، حيث وتعتبر الفضاءات المفتوحة الغير ربحية من حدائق عامة وساحات وباحات المساجد والفسحات الموجودة بين العمارات والأماكن المشمسة في الشتاء والمظلة في الصيف والأماكن الخضراء من الأماكن المحببة لديهم، ويفضلون الأماكن الهادئة والبعيدة عن الحركة العامة، والكبار أكثر الأفراد ارتباطا بأماكن إقامتهم القديمة، ونستنتج من ذلك أن العلاقات بين الأفراد المسنين تبنى على الذاكرة التي يحملها كل فرد معه إلى مكان إقامته الجديد، فالتواصل بينهم تتحكم فيه المشاعر والعواطف التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالماضي الذي يمثل المرحلة المفضلة من مراحل حياتهم، فالحديث السائد عادة ما يكون حول وقائع



وأحداث ارتبطت بالماضي ويكون للحاضر تصورات مرتبطة بالذاكرة الجماعية لهؤلاء الأفراد. أما بخصوص العلاقات الاجتماعية توصلت الدراسة إلى انتصار العلاقات القرابية لدى كبار السن، فشبكة العلاقات تكون على أساس قرابي وعلى أساس الوجه للوجه وهذا بفعل طغيان التقاليد والضوابط الاجتماعية. بمعنى أن السكان الجدد حافظوا على النزعة العصبية والولاء لأفراد مكان الإقامة الأول والانتماء إليهم والتمسك بنظامهم الاجتماعي القديم.

في حين نجد من هم في سن البلوغ من الطلاب والعمال وحتى البطالين يحبذون في تفاعلاتهم وتواصلهم الأماكن المغلقة مثل المقاهي أو قاعات الشاي وقاعات الرياضة أو تلك التي تكون فيها الحركة كبيرة مثل الملاعب الجوارية، هذه الأخيرة المشتركة بين الصغار والكبار، الشباب أكثر ارتباطاً بالحاضر وأكثر اتصالاً بالواقع ومخرجات شبكات التواصل الحديثة، وعلاقات الصداقة هنا هي الأكثر انتشاراً بين هذه الفئات. والملاعب الجوارية هي المطلب الأول لدى الفئات الشبانية بالحي الجديد وخاصة في أوقات الراحة حيث يكثر الطلب عليها مما يجعل منها أماكن للتصادم نتيجة الاستعمال المكثف بسبب كثرة مرتاديها من الأطفال والكبار، ما يجعلها فضاءات لتجاذبات مختلفة.

أما الفئات الصغرى فهناك تشويش في الأماكن التي يختارونها فهي مرتبطة بالتنشئة الأسرية والفضاءات المتاحة وكذلك الجوانب الاقتصادية للأسرة والجوانب الأمنية التي تتوفر عليها الحي، فنجد مثلاً سكان بعض العمارات يجعلون من مداخل العمارات وباحاتها أماكن للعب أطفالهم وغالباً ما يكون هذا تحت أعين الكبار، في حين نجد سكان التجزئات يفقدون للفضاءات العامة داخل التجمع مما يضطرهم لترك أولادهم داخل المنزل، هذه السكنات عادة ما تتوفر على فضاء مفتوح (حوش) وهو فناء يستعمله الصغار للعب مع أبناء الجيران. هناك عائلات وخاصة العائلات القليلة الأولاد ومن هم في بداية زواجهم عادة ما يصحبون معهم أولادهم أثناء التسوق أو التنزه.

ظاهرة الخوف من رفقة السوء هي هاجس كل السكان تجمعات الحي الجديد فكل أب أو أم يتخوف من ترك أولاده لوحده حتى داخل ساحات اللعب الموجودة والقريبة من السكن، وخاصة الأولاد الصغار، ففي المرحل الأولى من السكن تكون الصورة عن الجيران غير مكتملة وخاصة لدى سكان العمارات، ولكن مع مرور الوقت يحدد الطفل مع توجيهات الوالدين الرفقة، لكن هذا يبقى غاية صعبة المنال، في الخالات التي يكون فيها الوالدين عاملين وخاصة بعدما يبلغ الأولاد سن التمدرس وتتسع دائرة تحركهما وتكبر مع ذلك شبكة علاقاتهما.

## 3-المكانة والوضع الاقتصادي

الملاحظ أن الحي مجزأ إلى مجتمعات سكنية متعددة حسب الصيغ السكنية المختلفة ، والاستفادة من أي نوع من السكن يرتبط مباشرة بالدخل، فالدخل هو المعيار الأهم في الاستفادة من نمط السكن، فوجد الأفراد معدومي الدخل أو الذين لا يجاوز دخلهم الأربعة وعشرين ألف دينار جزائري، مستفيدين مجتمعات السكن الاجتماعي الإيجاري، بالإضافة إلى سكان السكن التطوري الذين تم ترحيلهم من الأحياء القصديرية في بداية نشأة الحي، وهم يمثلون نسبة 30% ، في حين نجد أولئك الذين يفوق دخلهم الأربعة والعشرين ألف دينار ولا يتعدى المائة وثمانية آلاف دينار من العمال والموظفين والحرفيين والمتقاعدين، ويمثلون نسبة 55% وهم سكان المجتمعات السكنية التساهمية في حين الفئات الميسورة والتي لها الإمكانيات المادية والمالية تتجمع في التجزئات السكنية للبناء الذاتي، بالطبع هذا لا يعني أن كل سكان التجزئات من الطبقة المرفهة فهناك من مهم متوسطي الدخل نجدهم في هذه المجموعة، من هنا العامل الاقتصادي جد مهم في نسج العلاقات الاجتماعية وطبيعتها بين السكان الجدد، فهو أولا محدد لفضاء الإقامة حيث يتم الإسكان واختيار المسكن وفقا لدخل الفرد.

الفرد يرتاح لمن يتشابه معه في نفس المستوى الاقتصادي والثقافي معه، فمظاهر الحسد والغيرة والتكبر والحقد التنافر بين الجيران ترتبط بدرجة التمايز الاقتصادي والثقافي بين السكان الحي، فنوع السيارة وطبيعة المسكن وطريقة اللباس والمصروف اليومي هي كلها دلالات عن الوضع الاقتصادي للفرد والعائلة، وهي منطلق لنمط العلاقات الاجتماعية ومحدد للفئة التي يرغب الفرد في بناء روابط اجتماعية معها. فالمكانة الاجتماعية قد يصنفا موقع السكن وقيمتها المادية كما هو الحال بالنسبة للدخل والمركز الاجتماعي المتعلق بالوظيفة والثقافة.

## 4-طبيعة العمل

العمل هو من الفضاءات الأكثر أهمية في صناعة الرباط الاجتماعي في الأحياء الجديد، فالمصلحة وحدها تولد الصداقة<sup>1</sup>. فالوظيفة هي راس مال يجلبه الفرد مع إلى الحي الجديد، وبواسطته يبدأ في تكوين العلاقات الاجتماعية، عادة ما يكون فضاء العمل خارج الحي الجديد، فالفرد يقضي وقت طويل خارج الحي ومن هنا تكون علاقاته مع الجيران محدودة، ومختصرة في بعض الإشارات والإيماءات والتصرفات والاتصالات المقتضبة والقليلة التي تتم في بعض التقاطعات

1- تزييفتان تودوروف، الحياة المشتركة، ترجمة منذر العياشي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2009، ص.18.

النادرة، غير أن هناك فضاءات داخل الحي وجدنا أنها تعوض هذا النقص وتصنع الفارق وتجعل من العمل في بعض الحالات عنصر مهم في توين العلاقات الاجتماعية داخل الحي، ففي حالة بعض الجمعيات الخاصة بالمساجد والتجمعات السكنية أن معظم أفرادها من العمال والموظفين، فالوظيفة تكسب الفرد راس مال ثقافي يسهل عليه الولوج إلى الفضاءات البيروقراطية المختلفة والصراع من أجل كسب المنفعة العامة.

يميل الأفراد إلى الاختلاط مع لولائك الذين يماثلونهم في الوظيفة أو العمل، فمجالات التوصل ولعة الحوار تكون أكثر جلاء، فمنظومة العمل تخلق نوع من التماسك بين أفراد المهنة الواحدة ولو شكليا فالتعاملات بينهم وحتى المنافس بينهم وخاصة في مجال التجارة والخدمات هي منتجة لأشكال متعددة من الروابط، وتعد الأزمات والمخاطر والتهديدات التي يتعرض لها نسق العمل هي الحلقة التي تربط أفراد الجماعة المهنية في الحالات التي يشعر فيها النسق بالخطر، وتظهر في شكل تكتلات وتنظيمات هدفها المحافظة على النسق.

هناك من يرى أن العمل بدأ يفقد مكانه كمبدأ للاندماج وبناء العلاقات الاجتماعية، فتقلص مدة العمل هذا لا يعني أن العلاقات التي ينتجها هذا الفضاء لم يعد لها قيمة في بناء الحياة الاجتماعية للأفراد، فالشغل والتفاعلات التي تحدث أثناء القيام به والتنقلات التي يوفرها داخل فضاءاته المتنوعة تتيح للفرد الميكانيزمات التي تخول له فرص كثيرة للتعبير عن الذات وبناء الهوية والمكانة الاجتماعية، فالفرد الذي يقصى من فضاء الحياة المهنية هو شخص فاقد لجزء كبير من تبادلات الحياة الاجتماعية، ويبقى العمل بأشكاله المختلفة من أهم الفضاءات التي تساعد الفرد على الاندماج في المجتمع فهو المدمج الكبير "le grand intégrateur" <sup>1</sup> مثلما يرى اشنابر (Dominique Schnapper).

أفضت المقابلات التي قمنا بها إلى أن العمل مازال وهو فضاء فاعل في إعادة بناء الرباط الاجتماعي وبناء الحياة الاجتماعية وكذلك هو عامل مهم في تشكل هالة من التصورات حول الفرد العامل، فبناء الشخصية والتي هي أحد المقومات التي تبني عليها شبكة العلاقات الاجتماعية تبدأ من الموقع أو المكانة التي يحددها نوع العمل وقيمه الاجتماعية والاقتصادية داخل البناء الاجتماعي، وهو المحدد لطبيعة العلاقات الاجتماعية والشريحة التي يتعامل معها الفرد في حياته المهنية، فالعمل في المؤسسات المفتوحة والمستقبلية للجمهور يسمح للفرد بتكوين دائرة أكبر و أوسع

1 - Dominique Schnapper, Qu'est-ce que l'intégration, Éditions Gallimard, Paris, 2007, p.138.

من العلاقات مقارنة بالعمل في المؤسسات المغلقة والتي لا تتعامل مباشرة مع الجمهور، وكذلك أهمية وفضاء العمل عدد العاملين به هو الآخر يحدد طبيعة العلاقات و تنوعها ومدى ديمومتها، وهناك النشاطات الخاصة التجارية والخدمية والحرفية التي تدخل تحت غطاء فضاء العمل هي الأخرى لها أهمية كبيرة داخل شبكة العلاقات الاجتماعية التي تحاك داخل هذه الأحياء المستحدثة.

### 5- المستوى الثقافي

الثقافة تعد الآلية التي يبتكرها المجتمع لتحافظ على تماسكه فهو يوظفها في معاملاته واستعمالاته للمجال وتصوراته له، فمن خلال نتائج المقابلات والمناقشات مع الجماعات البورية فيما يخص تفضيل الفضاءات العمومية، حيث تضاربت الآراء في استعمالات هذه الفضاءات العمومية المختلفة، ويبدو أن مؤشر الثقافة وانتماءات الفرد تحتم عليه في بعض الحالات أن يسلك طرقا في معاشه اليومي تختلف عن الآخر الذي يتعارض معه في التفكير والانتماء الثقافي والديني، فالجلوس في المقهى يعتبر عند البعض 'عيب' كما يدلي بذلك أحد الشيوخ فالمقهى بالنسبة إليه مكان مدنس لا يجب الجلوس فيه، في حين يرى أحد المتقاعدين أن المقهى هو المكان المفضل للجلوس هربا من ضيق المنزل، وهو المكان المضل للالتقاء بالأصدقاء وخاصة في الفترة المسائية. واستعمال الشارع لغرض الجلوس يعتبره البعض عادة سيئة ومنهي عنها في الدين، حيث تقول إحدى السيدات "لقاعد في الشارع عادة شينة"، النساء والفتيات هم الأكثر انزعاجا من الوقوف في الشارع، فالشباب وخاصة من هم في سن المراهقة يحبذ الوقوف في النواصي وتقاطعات الشوارع وفي الأماكن المنزوية داخل الحي للتجمع وللقاش والمشاحنات ومراقبة المارة وخاصة الفتيات والنساء، وفي سؤال لإمام أحد المساجد حول استعمالته للفضاءات العمومية يعتبر أن مقصورة المسجد وباحته من الأماكن المفضلة لديه، فهو يرى أن لكل فضاء حقه الذي يجب مراعاته أثناء الاستعمال، الانتماء السياسي والمستوى الاقتصادي هو الآخر مرتبط بالفضاء العمومي، فهناك مقهى الرند ومقهى " البنزاسة" les affairistes.

### خامسا: نتائج الدراسة

#### 1- الفضاءات العمومية تتفاوت في دورها في إعادة بناء الرباط الاجتماعي

يعتبر حي الوثام من الأحياء الرسمية الحديثة النشأة والكبيرة نسبيا بمدينة الأوغاط، ظهر بعد الإصلاحات العميقة التي مست كل المنظومات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية في

تسعينيات القرن الماضي وبدايات القرن الحالي، وهو حي نعتبره نموذجي لمثل هذا النوع من الدراسة لما يحتويه من صيغ سكنية مختلفة تعكس كل شرائح المجتمع الاغواطي وفضاءات عمومية كثيرة، من طرق ومرافق ووسائل نقل ترفيه وخدمات وان تباينت في كثافتها وقدرتها على تلبية حاجيات السكان.

إن الاهتمام بمعرفة دور الفضاءات العمومية في بناء الرباط الاجتماعي تعتبر من اهم المواضيع التي تهتم بها «سوسيولوجيا الرباط الاجتماعي» وخاصة تلك العلاقات التي تنشأ في الأوساط الحضرية الجديدة. وهذا ما حفزنا على طرح تساؤل حول دور هذه البنيات المادية والغير مادية التي تحمل الطابع العمومي، لمعرفة كيف تؤثر في سيرورة البناء الاجتماعي الذي سوف يتشكل عبرها، وماهي الدواعي والأسباب التي تجعل هذه الفضاءات تختلف في الأهمية لدى الأفراد، والجواب عن مثل هذه الأسئلة سيكون عبر هذه الدراسة الميدانية.

هناك أسباب عديدة ومتنوعة في اختيار الفضاءات العمومية لدى الأفراد، أهمها عامل الجنس والعمر والثقافة والعمل. وهذا ما لاحظناه من خلال مسارات الأفراد في حياتهم اليومية العادية. فمن الطبيعي أن الجنس الذكر يختلف تماما في مساراته عن جنس الأنثى ولا يكون التقاطع إلا في بعض الأماكن المحددة. وكذلك العمر هو الآخر يعتبر عامل كبير في رسم مسارات الأفراد في معيشتهم اليومي وتنقلاتهم اليومية، وتأتي الثقافة بمؤشراتها المختلفة كأحد المحددات للاماكن واستعمالاتها اليومية، وكذلك فضاءات العمل باعتبارها فضاءات مفروضة نوعا ما عن البعض فهي صانعة لنمط الرباط الاجتماعي، وتبقى الوسائط المادية والغير مادي والأطر الاجتماعية وتمثلاتها وتمظهراتها المدركة والرمزية لها أهمية كبيرة في نسج العلاقات الاجتماعية في الأوساط الحضرية الحديثة التكوين.

إن الطريقة التي يتم بها الانتقال إلى الحي الجديد وبالتالي تغيير مقر الإقامة عديدة ومتنوعة، فهناك الانتقال الطوعي وخصوصا سكان التجزئات أين يكون للنازح مساحة اختيارات واسعة وكذلك هي بالنسبة لسكان بعض الصيغ السكنية مثل الترقوي المدعم والتساهمي أما سكان السكن الاجتماعي الإيجاري فيكون نوعا ما اضطراريا وليس اختياريا بحتا، فالمستفيد لا يختار الموقع ولا الجيران ولا يشارك في عملية إنجاز المسكن وبالتالي لا تكون هناك علاقة حميمية بين المسكن وساكنه قبل الانتقال إليه، فالمساهمة في مراحل بناء المسكن تعتبر نقطة هامة في مسالة الانغراس والانتماء للمكان، لان تغيير مكان الإقامة يعني للكثير ترك الأهل والأصدقاء وذكريات الطفولة والشباب

والكهولة والحي الذي تربي في فضاءاته والذي يمل هويته ويحفظها وكوّن صورة ذهنية تبقى راسخة في مخيلته لا يمكن محوها مع مرور الوقت، وسنحاول هنا - عبر المقابلات مع عينات من مختلف الفئات المقيمة بالحي- الوصول إلى ضبط وتوضيح امرين أساسيين:

- دور الفضاءات العمومية في بناء الرباط الاجتماعي
- العلاقة بين الفرد أو الجماعة من جهة والفضاء العمومي الذي تدور عملية التفاعل من جهة أخرى.

من خلال قراءتنا المتعددة لمختلف المقابلات المنجزة، وخصوصا ما تعلق منها بأهمية الفضاءات العمومية في حياة الأفراد من خلال تتبع مسارات الحياة اليومية للمستجوبين، اتضح لنا أن للفضاءات العمومية دور مهم في بناء الرباط الاجتماعي لدى كل الفئات والشرائح الاجتماعية المختلفة المقيمة بالحي الجديد، غير أن هذه الفضاءات تتباين في دورها وأهميتها من فئة إلى أخرى. فهناك ما تعلق منها بالفضاء ومنها ما تعلق بالفرد.

تعتبر الصورة التي يظهر عليها الفضاء العمومي سواء كانت مادية أو معنوية لها أهمية كبرى في صناعة الرباط الاجتماعي، فالأشكال المادية للفضاءات العمومية، كأن يكون المكان ذا شكل معين ينم عن نظام ما، فقد يكون رحب أو ضيق، مغطى أو مفتوح، فهذا "التجلي" المادي ينعكس على حياة الفرد والجماعة وتصرفاتهم ويرتبط بنفسياتهم وطبائعهم التي يحملونها معهم أو تلك التي يتطبعون بها مع مرور الوقت. فكبار السن والنساء يجذبون الأماكن الواسعة ويتقادون الزحمة والضجيج، وهناك كذلك المداومة في استعمال الفضاء وهي مرادف للتكرار والحميمية والارتباط والتعلق والانغراس بالمكان وكثافة استعمالته وتترجم في مظاهر تتباين بين الصداقة والصراع بين الرواد للفضاء، إضافة إلى القدسية والرمزية التي يحملها المكان في حد ذاته، كأن يكون مسجد أو ضريح أو زاوية وهي فضاءات تسعى لتكريس قدسية المكان وقدسية العلاقات التي ينتجها.

إن تتبع مسارات المعيش اليومي للأفراد المبحوثين ومن خلال شهاداتهم يتأكد أن هناك علاقة وطيدة بين "تجليات" الفضاء العمومي المختلفة وبناء الروابط الاجتماعية وأنواعها. فالفرد يصنع لنفسه، وبطريقة واعية وغير واعية، مسارات يومية محددة في تنقلاته اليومية تمكنه من نسج أنواع مختلفة من الروابط الاجتماعية تحدد سرعة ومدى اندماجه في البيئة الاجتماعية الجديدة.

فما إن أقوم بإنجاز عدد من المقابلات المعينة عادة لا يفوق عددها الخمسة أو الستة مع فئة معينة من الأفراد حتى اشعر بالتشبع، وهذا ما يدفعني إلى الانتقال إلى فئة أخرى، وكان اختيار الفئات بناء على مؤشرات التي اعتمدها في الدراسة وأهمها العمر ومدة الإقامة ونوع المسكن والموقع والجنس ومستوى الدخل والمستوى الثقافي.

## 2- فضاءات عمومية تنتج التباين الاجتماعي

إن تعدد مسارات الأفراد يقابله تعدد في الفضاءات العمومية التي يستعملها الأفراد في معيشتهم اليومي، فتعدد الفضاءات وتنوعها يخلق مساحة من الحرية في الاختيار، ويوفر للفرد فرص الاختيار فيخلق انساقا داخل النسق الواحد قد تتعارض وتتنافس أو تتصارع فيما بينها، وقد تتفاهم وتتعاون لتتعايش معا. هذه الكيانات التي ينخرط فيها الأفراد هي بمثابة محفزات لنسج العلاقات الاجتماعية داخل البيئة الواحدة في جانبها الإيجابي، لكنها قد تخلق عزلة مكانية واجتماعية عن باقي الكيانات الأخرى المكونة للحي، يصرح أحد المصلين " من الجامع للدار" ويقول أحد المتقاعدين "عندي جماعتي نتلاقو في الرحية فقط" ويقول أحد التلاميذ "من المدرسة للدار" يبدو أن تحديد الفضاءات هو تحديد للمسارات وهو يكشف عن نوع من العزلة المكانية التي بدورها تخلق نوع من العزلة الاجتماعية. وهي مبررات للخوف من التواصل مع "الآخر" الغريب والغير معروف لدى "الأنا".

إن الخوف والهاجس الأمني يحد من تحرك الأفراد وتنقلاتهم ويحد من تعدد استعمالهم للفضاءات العمومية، ويكون الخوف من الآخر هو الدافع وراء تحفظ الأشخاص في نسج علاقات اجتماعية جديدة، من خلال المقابلات ترد على مسامعنا عبارات مثل "سلام، سلام" و " صباح الخير، مساء الخير" و"صلى وارفح صباطك" جمل تكشف وضع حدود للتواصل مما يبطئ من عمليات التكيف والتأقلم داخل المجتمع الجديد.

إن الصورة المسبقة التي يكونها الفرد عن جيرانه الجدد في الغالب تكون غير واضحة، وعادة ما تكون مخرجات لتجارب مر بها في مكان إقامته القديم، يلتزم من خلالها بالتحفظ في تواصله مع السكان الجدد، على الأقل في الأشهر الأولى من مدة الإقامة في الحي، فعبارة " ما نعرفوش" تدل عن تشوش الصورة نحو الآخر، وعبارة "سلام سلام" هي دال على محدودية التواصل وعبارة " حاكم قديري" توحى بالخوف من الآخر. هذه الفجوات المظلمة والمخيفة في عقل الفرد عن تاريخ أفراد المجتمع الجديد الذي يعيش فيه تجعله يتردد كثيرا في نسج علاقات اجتماعية وطيدة داخل المجتمع الجديد إلى حين تتشكل الصورة بطريقة واضحة عن الآخر المقابل له.

## 3- الأحياء السكنية علاقات اجتماعية أم علاقات تعايش؟

هناك علاقة بين سكان الفضاءات السكنية المختلفة والوضع الاجتماعي لسكان هذه الفضاءات الغير طبيعية، والذي ساهمت السياسات الحضرية المحلية في إنتاجها، وإذا ما اعتبرنا أن هناك تجانس بين سكان الوحدات والصيغ السكنية المشكلة للحى، وانهم متشابهون في وضعهم الاقتصادي والاجتماعي، هذا لا يعني أن العلاقات الاجتماعية داخل هذه القطاعات السكنية المتشابهة فيما بينها هي علاقات اجتماعية بمفهومها التقليدي، وإنما هي علاقات تعايش في مجملها فرضتها الظروف الحضرية، يحتفظ فيها السكان على المسافات الاجتماعية بالرغم من القرب المكاني.

رغم وجود محرضات على الاحتكاك والتوصل بين سكان الحي الواحد، كالفضاءات عمومية مشتركة، وساحات لعب، والملاعب، وأماكن التسوق، ومع ذلك تبقى العلاقات الاجتماعية متباينة من مجمع أو وحدة سكنية إلى أخرى، ويخضع لعدة مؤثرات خارجية ترتبط بالبيئة الاجتماعية وتتعلق بالطباع والميول والاهتمامات والتقارب الثقافي والانتماء السياسي والقبلي والمستوى المادي والمكانة...، كما أن عامل الزمن هو المحك الذي تمر عبره كل التجارب التي من شأنها أن تؤثر على الوتيرة التي يتم من خلالها نسج العلاقات الاجتماعية.

الفضاءات العمومية التي تتواجد عبر القطاعات السكنية المختلفة التي يتشكل منها الحي هي "قطاعات طبيعية وإطارا مرجعيا يتم من خلاله مراقبة الحياة الاجتماعية للسكان ودراسة سلوك الأفراد في الوسط الجديد. لمعرفة في نهاية الأمر الصيرورة التي ينتهي إليها الرباط الاجتماعي. وان العلاقات الاجتماعية على عمومها ماهي إلى محصلة لسلوك ومواقف الأفراد في الفضاء العمومي. الأحياء الجديدة هي مصدر للتغير الاجتماعي المتسارع، وهذا ما يجعلها فضاءات لظهور وانتشار المشاكل الاجتماعية، الناتجة عن الحراك المكاني والهجرة، والصراعات بين الجماعات المتباينة، ولاحظنا ذلك من خلال الاستراتيجيات المتخذة لتعزيز المكانة والسيطرة ومحاولة كل فرد أو جماعة الانفراد بالمكاسب المتوفرة لصالحه أو صالحهم، وإعادة تكييف البيئة الحضرية لفائدته أو فائدة جماعته. وهنا يمكن القول ان التغيير الفيزيقي يتبعه تغيير اجتماعي يؤدي الى أزمات مؤقتة تمس الرباط الاجتماعي وتؤدي الى مشاكل اجتماعية تطفو على السطح.

الحي الجديد هو المكان الذي تنبثق فيه فضاءات عمومية جديدة، على حساب فضاءات سابقة في أجزاء مختلفة من المدينة في نفس الوقت الذي تضعف او تتحول او تزول وتندثر اثارها



وتبعاتها من الحي الجديد. ويتعدى ذلك الى الاشكال المختلفة للمجال الى الاشكال المختلفة للتنظيم الاجتماعي والوحدات المركب منها.

#### 4- التمايز المجالي وبناء الرباط الاجتماعي

لا يمكن تناول أو دراسة العلاقات الاجتماعية ومراحل تكوينها دون الرجوع إلى الوسط المادي الذي نشأت فيه، والفضاءات التي حكمت بها وتطورت عبرها الممارسات اليومية للسكان، إن دراسة وتحليل الرباط الاجتماعي في الأحياء الجديدة يعود بنا إلى البدايات الأولى لنشأة الحي ومراحل نموه مورفولوجيا، بالإضافة طبعا النمو السكاني والفئات الاجتماعية التي توافدت عليه، فلا وجود للمدينة بدون سكان ولا وجود لسكان بدون سكن ولا وجود لعلاقات اجتماعية بدون وسط عام ينشأ ويتطور داخله الرباط، ويرتبط ذلك بمدى تواجد هذه الأمكنة وتوزيعها داخل الأنسجة العمرانية المتباينة للحي الجديد.

المجال الحضري بأشكاله العمومية هو المكان الذي يمارس فيها الأفراد من سكان الحي الجديد حياتهم العامة، وهو مجال مبني ماديا وذهنيا في آن واحد. ذلك أن (الجماعة ما إن تستقر في جزء من المجال حتى تشرع في تحويله بحسب تصورهما الخاص لما ينبغي أن يكون عليه المجال. غير أن هذه الجماعة تخضع وتتأقلم مع الأشياء المادية التي تقاومها في نفس الوقت. فهي تتحصن في الإطار الذي بنته لنفسها. إن المكان يتغير تحت تأثير الجماعة. كما أنها هي بدورها تتأثر به.1)

المدينة كلما كبرت، واتسعت رقعتها، وكثرت فضاءاتها العمومية وتعددت، وزاد عدد سكانها، وتوعدت الأنماط السكنية، أدى ذلك إلى تمايز مجالي، فظهرت الأحياء السكنية المختلفة، والمناطق الصناعية والمناطق التجارية ومناطق النشاطات، ومناطق الترفيه، بالإضافة إلى الضواحي، هذا التوسع والتمايز المجالي بالضرورة سيفضي إلى تمايز اجتماعي، يؤثر على الرباط الاجتماعي، وهذا ما حدث بحي الوئام فخلق تشكيلة أكثر اتساعا من الاختلافات الفردية، فكلما كبر عدد الأفراد الذين تشملهم دائرة التفاعل، زاد ذلك من احتمالية الاختلاف فيما بينهم، وهذا الاختلاف له حدان، الأول يتجسد في القدرة على التكيف، رغم الاختلاف الذي يبديه الأفراد تجاه الجماعة والمجتمع الجديد في بداية الأمر، ولكن مع مرور الوقت تنقلص المسافات الاجتماعية بين الأفراد وتظهر

1 -Maurice Halbwachs, «Des changements décisifs dans la notion d'espace », in : P. Rambaud (dir) Sociologie rurale, Ed. Mouton, Paris-La Haye, 1975, p. 74.

نتائج ذلك في شكل تنازلات من البعض أو تقضي إلى سيطرة فرد أو جماعة على البقية، أو يؤول ذلك التسامح أو إلى تقاسم الأدوار وتحديد المكانات، هنا يكون المجتمع أكثر استقرارا وأكثر اندماجا وتناسقا. والثاني يقضي بالفرد إلى سلك طريق البحث داخل فضاء المدينة المتنوع عن الجماعة التي تلائمه وتقبل بأفكاره وتتبنى طموحاته ويندمج معها مشكلين بذلك نسقا مستقلا عن الجماعات الأخرى، ويأخذ أشكالا مادية مختلفة في ميادين العمل والنشاطات والهويات والحرف وكل التخصصات التي تعرفها المدينة الحديثة، وفي حال عدم الحصول على مبتغاه يسلك الطريق الذي يؤدي به إلى الانزواء والابتعاد عن الجماعة وعدم الاندماج، ويتجسد في تغيير مكان الإقامة.

كلما كانت التجمعات السكانية أكثر تجانسا، ساعد ذلك الأفراد على الاندماج في المجتمع الجديد، فالجوانب الاقتصادية والثقافية والانتماء القبلي هي محددات يقاس بها مدى تقبل الأفراد المرحلين من عدمه للمجتمع الجديد، يبدو أن الانتماء القبلي ومكان الإقامة السابق والمعرفة بالآخر أهم المحددات التي يتبناها الأفراد في اختيار الجيران وتحديد مكان الإقامة، غير أن هذا نجده غير متاح في حي الوثام، وإن كان قد تم العمل به في بعض الحالات أثناء عمليات التقسيم والاستفادة الطوعية من مختلف الأنماط السكنية حيث يسمح للأفراد في الأيام الأولى من الاستفادة في تبادل السكنات فيما بينهم، فالبحث عن الجيرة الطيبة وطلب الأمان والاستقرار والهدوء والثقة كلها مطالب يبحث عنها الساكن في جاره الجديد.

تبين أن استعمالات الأرض والطريقة التي تتم بها عمليات التوزيع لها أثارها المباشرة والميدانية على توزيع السكان ومن ثم على العلاقات الاجتماعية، فالمجاورات السكنية التي تراعي خصوصيات الساكنة ومتطلباتهم الثقافية وتحترم القيم والتقاليد المتعارف عليها تعزز من بناء روابط اجتماعية أكثر متانة واستقرار وتحفز على الاندماج في الوسط الحضري المستحدث، وهذا ما لاحظناه في السكن الفردي والتطوري والتجزئات.

إن الوضوح في رسم الحدود المادية للمكان وما ينتج عنه من تغييرات يجعل السكان أكثر تأقلا معه، وهو بذلك يرسم الحدود الصورية التي يتبناها الفرد أثناء ممارساته اليومية داخل فضاءاته، ويتحرر من عقدة التمثلات الغير متكاملة مع المكان، فالضبط الاجتماعي يتأثر ويؤثر في المكان. فالفضاء الخاص له حرمة والمكان المقدس كذلك له قدسيته الخاصة التي لا يمكن المساس بها، ومكان العمل له قوانينه المنظمة للوقت والاستعمال والتعاملات، والفضاء التجاري هو الآخر يبدو

أكثر الأماكن ابتداءً وأكثرها استعمالاً وتفاعلاته تتم عن علاقات مصلحية وانيه وتصرفات غايتها محددة.

### 5-الرباط الاجتماعي واستعمال الفضاءات العمومية بالحي الجديد

يقضي الفرد في المدينة جزء هام من حياته وممارساته اليومية في الأماكن التي نسميها بالعمومية، وتكون هذه النسبة مرتفعة عند الرجال أكثر من النساء وهذا ما يظهر بجلاء في مجتمع الدراسة وينطبق ذلك على معظم المجتمعات العربية، ونجد ذلك بوضوح كذلك عند العاملات أكثر من الماكثات بالبيت، وعند المراهقين والأطفال أكثر من الكبار، وعند العزاب أكثر من المتزوجين، وهناك أنماط كثيرة من التفاعل تحدث في الأوضاع الاجتماعية المختلفة التي يعيشها الفرد في مساراته اليومية

من التفاعلات الاجتماعية الأكثر حدوثاً هي تلك تتم أثناء التقاطعات أو اللقاء العابرة أو ما يسميها غوفمان بالتفاعل الغير مركز، وهي عبارة عن تقاطعات بين الأفراد الغرباء عن بعضهم في مواقف مختلفة تحدث في الشوارع العامة والمنتزهات وفضاءات التجارية، والأسواق وقاعات الحفلات والملاعب الجوارية والمدارس والمقاهي وبدرجة اقل في أماكن العمل والأماكن الأكثر تجزراً بالحي وانتماء إليه مثل الحلاق والمخبرة والساحات الداخلية والسلام الجماعية، هذه اللقاءات العابرة حينما تتكرر مع مرور الوقت تتحول من تفاعل غير مركز إلى تفاعل مركز يؤسس لبدائيات تكون علاقات ذات معنى.

التفاعلات الممركزة هي التي تتم بين الأفراد وجها لوجه وتحدث كذلك في الأماكن التي تكون مسرح للقاءات الغير مركزة، ونجدها في دراستنا هذه أكثر شيوعاً في الشوارع الثانوية والداخلية والتي تتفرع منها السكنات والسلام المشتركة والساحات الداخلية، والمقاهي والحمامات وأماكن العمل ووسائل النقل الجماعي، وبذلك فهي الفضاءات الأكثر أهمية في بناء الرباط الاجتماعي الذي يبنى على الجيرة والمعرفة بالآخر، ونلاحظها في الحوارات التي بين الجيران عند مداخل العمارات وفي السلام الجماعية وأماكن العمل والمقاهي والحمامات وهو تواصل يبيدي فيه كل طرف اهتمام لما يدلي به الآخر من أقوال وأفعال وحركات، وهي علاقات مرشحة للنمو والتطور والتواصل. هذا النوع من التواصل أو ما يسمى باللقاء المركز وهو نوع من اللقاءات المخطط لها ويحدث عادة بين الأصدقاء والأقران ومن فضاءات الطريق من والى المدرسة لدى الطلاب والطالبات والمقهى

والملاعب الجوارية والمؤسسات الثقافية والرياضية والنوادي وأماكن العمل، وهو مرحلة من اللقات التي تقضي إلى توطيد العلاقات الاجتماعية.

### 6- نقص الفضاء العمومي يخلق نوع من الصراع على استعماله

الملاعب الجوارية اهم فضاءات التي ترتادها الفئات الشبانية ويتصارع على استعمالها الصغار والكبار، والملاعب الجوارية هو فضاء يحمل دلالات لها معاني ترتبط بالصحة والرشاقة واللياقة البدنية هذا بالنسبة للفرد أما بالنسبة للجماعة فهي من الفضاءات المساعدة على الاندماج والتعاون والتواصل بين فئات الشباب وهي أماكن للإبداع والتعبير عن الذات وهي تتنافى مع الأماكن التي تنتشر فيها المخدرات والتدخين وكل ما هو فهو من الأماكن التي يرتادها الصغار والكبار سويا، وهي أماكن منتجة لعلاقات الصداقة ومنشأة للجماعة. الملاحظ أن هذه الفضاءات تدخل في مسارات الحياة اليومية للعديد من الشباب وحتى الكهول، لكن اختيار الموقع في إنشائها له دور كبير في نجاحها من عدمه، فعند معاينتنا للعديد منها لا حظنا انه كلما كانت هذه الفضاءات قريبة من السكنات العائلية كانت مصدر إزعاج للسكان.

ساحات اللعب هي أفضل الفضاءات للعب الأطفال الصغار وخاصة تلك المجهزة بالألعاب الفردية والجماعية، تواصل الأطفال يكون عبر اللعب الجماعي ولأطفال هم في حد ذاتهم أداة للتواصل بين الكبار، فعادة الأطفال الصغار يتجاوبون مع الغرباء مما يجعل منهم موضوع للنقاش والتواصل بين الاولياء وخاصة النساء منهم.

### 7- الرباط الاجتماعي وفضاءات الاستهلاك

نتيجة لثقافة الاستهلاك الجماعية التي عرفتها مدينة الأغواط في السنوات الأخيرة وهي ظاهرة اجتماعية حضرية جديدة في المجتمع المحلي، وهذا يعني أن صورة المدينة ومنها الحي الجديد كفضاء استهلاكي تتنافس فيه جماعات وأفراد غير متشابهين، كشف عن صراع طبقي يبدأ في الضهور منذ بداية تكوين الحي الجديد، لكنه ما يلبث أن يظهر أحيانا بقوة ليعيد تعريف المدينة ككل ويضفي عليها طابعا جديدا لم تكن تعرفه في مراحل تكوينها السابقة. فمدينة الأغواط في السابق وإلى وقت قريب (قبل التحول الاقتصادي في نهاية الثمانينات من القرن الماضي) كانت متجانسة اجتماعيا واقتصاديا وطرق العيش فيها تميل إلى البساطة، ولا تمثل فيها الثقافة الاستهلاكية عاملا مقسما أو طبقيًا على عكس تشهد المدينة هذه الأيام. فالمشاركة أصبحت مشاركة في نوع من

الاستهلاك، والانتماء أصبح انتماء لشريحة استهلاكية معينة تكون علامة على المكانة أو المستوى الاجتماعي، والحقيقة أن التوسعات العمرانية الكبيرة المتسارعة التي عرفتها المدينة في السنوات الأخيرة ومنها حي الوثام وما تبعه ذلك من حراك مجالي واجتماعي وتغيير في النمط الاجتماعي والشكل عمراني فرض حالة من الاختلالات في البناء الاجتماعي وشكل العلاقات الاجتماعية لا يمكن تفاديها، فعلاقة الإنتاج المجالي والاجتماعي بالاستهلاك في هذا الإطار تمثل نتيجة لسيرونة الثقافة الحضرية التي تعرفها المدينة الحالية، وبالتالي فإن تفادي الاستهلاك بالمفهوم الحديث وما يفرضه من روابط اجتماعية جديدة وما ينجم عنه من فئات اجتماعية طبقية، هو امر يستحيل التحم فيه، لكن هذا لا يعني الغلبة التامة لهذه الأنماط الحضرية على الرباط الاجتماعي الذي توطئه الفضاءات الدينية والموروثات الثقافية والرواسب ذات الصبغة القبلية والأعراف المتوارثة التي تعيد إنتاج نفسها في هذه الكيانات "مجتمع الحي الجديد" الحديثة، والاستسلام لهذا النمط من الحياة، كما لا يعني أنه يشكل أزمة على مستوى الروابط الاجتماعية، بقدر ما هو تحول طبيعي في الحياة الحضرية.

ومن هنا فإن الحي الجديد بالمعنى الاستهلاكي ليس مجرد فضاء عام/خاص تابع ومرتبب مباشرة بالفضاءات التي سبقته في النشأة والتطور ومركز المدينة، فهناك ما يمكن أن نسميه المفهوم الاجتماعي للاستهلاك الذي يجعل من الحي الجديد عبارة شكل من أشكال الحراك الذي يمثل فيه نمط الاستهلاك ظواهر عمرانية يمكن رصدها بسهولة، فمركز المدينة وباقي أجزائها الأخرى تحمل كل هذا الصراع الاجتماعي الاستهلاكي الذي يحاول أن يعبر فيه الناس عن أنفسهم وهوياتهم. ويرى (مانويل كاستلز) أن الاستهلاك هو العملية الاجتماعية لاختيار المنتج من قبل الناس/الطبقات الاجتماعية.<sup>1</sup> ومن هنا فمن منظور الطبقات الاجتماعية يمثل الاستهلاك تعبيراً أو وسيلة وممارسة اجتماعية يتم فهمها وإدراكها بإطار ومحتوى أيديولوجي يكرس على مستوى العلاقات في التوزيع التنزاعات والصراعات التي تقررها علاقات الإنتاج.

الأحياء الجديدة والتوسعات العمرانية التي عرفتها مدينة الأغواط منذ سنة 1995 جاءت طبقاً لقانون التهيئة والتعمير<sup>2</sup>، المعتمد منذ سنة 1990 كنتيجة للتحويلات الاقتصادية التي عرفتها البلاد، هذه التوسعات تمت بإيعاز مركزي وبإرادة محلية غابت فيها القاعدة عن المشاركة في الإنتاج العمراني وحضرت في استهلاكه بدون إرادتها، ومن المؤكد أن المدن تتشكل في الأساس وفق مبدأ

1 - Miles, S., & Miles, M. (2004). Consuming Cities. London, New York, NY: Palgrave Macmillan.  
2- القانون 90/29 المؤرخ في 14 جمادى الأولى عام 1411 الموافق أول ديسمبر سنة 1990 المتعلق بالتهيئة والتعمير

مادي أساسه الحاجة المادية المتنامية ومحاولة إشباعها والمتمثلة في الاستهلاك الجمعي كما يقول جون بودريار، خصوصا وأن السياسات الحضرية الحديثة أصلا تنمو حسب ما يمليه هذا الاستهلاك المتنامي هو الآخر<sup>1</sup>. وان الشكل الحضري يمثل انعكاسا لاجاه الأيديولوجي والسياسي المعتمد من السلطة المنتجة لل عمران وأن الثقافة الحضرية هي أداة لإنتاج الطبقات الاجتماعية الحضرية، وهذه الطبقات تركز نفوذها الاجتماعي عبر هذه الثقافة الحضرية الاستهلاكية<sup>2</sup>، ولعل هذا يعيدنا إلى موضوع "الأخلاق الحضرية" المرتبط بشكل عميق بظاهرة الاستهلاك الجماعي، كون أن ما ينتجه الاستهلاك من أنماط اجتماعية/أخلاقية له أبعاده العميقة على شكل الحي ليس فقط كمكون مادي من خلال وجود مجتمعات للأغنياء وأخرى لمتوسطي الدخل أو الفقراء بل من خلال النمط العام للتفاعل الاجتماعي الذي يجعل من مفهوم الطبقة المبنية على الحالة الاقتصادية واقعا لا يمكن تفاديه وهو واقع يتمظهر ماديا/بصريا عبر فضاءات الحي ونسيجه العمراني. وبالتالي يعيد ترتيب العلاقات الاجتماعية وفق البعد الاقتصادي.

#### 8-مسألة إنتاج الفضاءات العمومية والعلاقات الاجتماعية

التخطيط بصفة عامة هو العملية التي تجعل من المدينة بؤرة للاجتماع وتحدد فضاءاته المختلفة وطبيعة استعمالات الأرض فيها، وبالتالي خلق فضاءات متباينة مترابطة فيما بينها وهي بيئات للممارسات مختلفة تتعارض فيما بينها في بعض الأحيان، والتخطيط العمراني أحد الأسباب التي تساعد على تغذيته<sup>3</sup>. فصناعة المدينة يتطلب مراجعه دورية لمعرفة أماكن التوتر والعقد، ومحاولة إيجاد الحلول لمشكلات التي تعيشها المدن كتلك المتعلقة بالنقل والمرور والتموين والتوازنات في تقاسم الامتيازات التي تقدمها المدينة للسكان، فتمركز الخدمات وخاصة تلك التي تنتجها الدولة نوع من التفاضل والتمايز الذي يخلق الطبقات التي هي أساس الصراع، فسكان الأحياء الجديدة عادة ما يتدمرون ويشعرون "بالحقرة"، فتصريحات أولئك المغادرين للحي كانت احدى اهم أسباب مغادرة الحي هي نقص الخدمات أو بعدها منه.

إن التقسيم العادل لاستعمالات الأرض وما ينجم عنها من توزيع للخدمات والمرافق العمومية والتهيئات المختلفة وتخطيط للشوارع والمساحات الترفيهية كل ذلك يضيف نوع من العدالة الاجتماعية

1- Jean Baudrillard, La société de consommation ses mythes ses structures, Denoël, 1970, p.37.

2- Max Weber, La Ville, traduit de l'Allemand par Philippe Fritsch, préface de Julien Freund, Paris, Aubier-Montaigne, collection « Champ urbain », 1982, p.26.

3 - Pierre Merlin et Françoise Choay, op.cit., p880.

في استعمال المجال العام ويساعد السكان على الاستقرار، فالتوزيع السكاني الغير عادل أساسه التوزيع الغير عادل في توزيع الخدمات والمرافق العامة.

يجذب سكان الأحياء الجديدة المرافق ذات الاستعمال الواسع الاستعمال اليومي كالمدارس والمتاجر والمنتزهات والمرافق الصحية، يرى بعض السكان أن قرب المدرسة وخاصة الطور الأول من السكن مهمة جدا ومدعاة للاستقرار وان ساحات لعب الأطفال وموقف السيارات ومحلات التموين الغذائي هي الأكثر أهمية في حياة السكان الجدد وهي فضاءات لتعارف السكان، كما أن الطرقات والتهيئات المختلفة هي الأخرى لها أهمية في تعزيز استقرار السكان بحيهم الجديد.

المساجد هي الأخرى محطات مهمة في الحياة اليومية لفئة كبيرة من المجتمع الجديد وهي بؤر لنسج علاقات اجتماعية بين مرتاديها، والملاحظ أن كل مساجد الحي الجديد تتجسد عنها جمعيات مختلفة ذات طابع اجتماعي وثقافي. ما يصلح على المساجد ينطبق على المركز الثقافي والمكتبة والملاعب الجوارية. فهناك نوادي مختلفة بالحي لها دور كبير في بعث روح التضامن والتواصل داخل الحي.

#### سادسا: قضايا للنقاش

من خلال المشاهدات الميدانية والمقابلات الفردية والجماعية والخاصة وتتبع للمسارات اليومية للأفراد وخلاصة لهذا البحث تكشفت الدراسة عن أربع مسائل يمكن أن تكون مواضيع تؤسس لدراسات مستقبلية تتعلق بالفضاء العمومي والعلاقات الاجتماعية تحدد دور الفضاء العمومي في إعادة بناء الرباط الاجتماعي وهي:

#### 1-مسألة الحدود:

ونقصد بالحدود هنا تلك العلاقات الرمزية والمادية التي يكوّنها الأفراد عن حيهم في مواجهة الآخر. وهي حدود وهمية في الغالب يتصورها الأفراد للدفاع عن الخصوصيات التي يمتلكونها، وتعزز لديهم الشعور بالانتماء للحي وتقوي الروابط الاجتماعية فيما بينهم، فالانتماء للجماعة والدفاع عنها يرتبط بالمكان باعتباره أحد المكونات الرئيسية الثلاثة في تشكل الحي (الفرد-المجتمع-المكان). هناك ثلاث متدخلين فاعلين في إنتاج وصياغة الفضاءات العمومية ورسم حدودها في المدينة وهم الدولة والمجتمع والبيئة بأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والطبيعية. فالدولة بترسانتها القانونية والبشرية هي الراعي الأول لعمليات التخطيط الحضري والتقسيم المجالي لاستعمالات الأرض، فمسألة الحدود المادية بين الأحياء، على سبيل المثال، تظهر في شكلها

المادي من خلال ما أنتجته السلطة من تقسيمات مكانية قامت بتجسيدها السلطات المحلية بناء على قرارات وأوامر وتعليمات السلطة المركزية المنتجة للقوانين وللقرارات السياسية، هذه الحدود التي رسمتها الخرائط من خلال أدوات التهيئة والتعمير، والتي يتم بموجبها التخصيص المجالي واستعمالات الأرض، وشاركت في إنتاجها عوامل بيئية وطبيعية واقتصادية وسياسية فرصت نفسها على هذا التقسيم المجالي خضع لمنطق الدولة الأبوية، فإننتاج التعمير بحي الوئام تم بموجب اتفاق بين مديرية التعمير والبناء والهندسة المعمارية لولاية الأغواط باعتبارها صاحب المشروع المنتدب عن البلدية، وفي نفس الوقت المكلف بالمرافقة التقنية والقانونية ومكتب الدراسات (URBATIA) المكلف بالدراسة وإنجاز المخططات والمقترحات في ظل قوانين التعمير السارية المفعول، ففي سؤال للاحد مهندسي مكتب الدراسات المشرف على المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير المراجع، يقول إن البداية الأولى تكون على شكل اقتراح أو اثنين من طرف مكتب الدراسات تم إعداده من طرف مجموعة محدودة من المهندسين العمرانيين والمعماريين، ثم تمت المصادقة عليه من طرف هيئة مشكلة من ممثلي القطاعات العمومية والبلدية المعنية، إن التخصيص الوظيفي للاستعمالات الأرض هو أول المؤشرات على تشكل الحدود الرمزية، فمط السكن ينتج عنه خصوصية السكان فيما يتعلق بمدخلهم ومستواهم التعليمي والثقافي وطبيعة السكن تحدد شكل العلاقات المستقبلية بين السكان، والأولى التي بموجبها أخضعها السكان المحليين لمنطقهم الخاص وانتجوا بدورهم حدود رمزية بناء على معطيات مسبقة يكوونها الناس عن مكان إقامتهم، فتصورات الأفراد للحدود الرمزية تختلف عند الأطفال الصغار عن الكبار، فالأطفال الذين هم في سن ما قبل التمدرس يكون بناء علاقاتهم في الفضاء محدود مكانيا، فهو لا يتعدى ردهة المنزل أو مدخل العمارة، ومحدود وزمانيا، بحيث تكون أوقات اللقاءات تحت سلطة الكبار وراقبتهم، أما أطفال المدارس الابتدائية لهم تصورات وتمثلات عن حيهم تعتبر الأكثر وضوح فهم يتخذون منها احد اهم العوامل في نسج وبناء علاقاتهم الجديدة بأقرانهم، ويبقى فضاء المدرسة هو المكان الأكثر تحفيزا لإعطاء صورة عن الحدود التي تساعد على تشكّل العلاقات بين التلاميذ المرحلة الابتدائية، أما تصور الحدود وفق التحرك داخلها يزداد اتساعا مع تلاميذ المتوسطات ويكاد يتلاشى في الثانويات ولا تظهر هذه الحدود إلا في حالات ظرفية يكون للصراع حول الزعامة أو السيطرة دور فيها، أما لدى الكبار الذين كانت طفولتهم بكاملها وذاكرتهم مرتبطة بأماكن أخرى خارج الحي الجديد، مختلفة عن تلك التي وتختلف عند النساء عن الرجال، فالمرأة تمثلاتها للمكان تختلف عن الرجل، فهي لا تهمها الحدود المكانية، مثل الرجل بدرجة كبيرة،



بقدر ما تهمها العلاقات الاجتماعية في حد ذاتها، وهذا بحكم طبيعة المجتمع الذكوري الذي يختزل الفضاء العمومي في المعاملات النسوية- المحدودة -في أماكن معينة مثل الحمام وقاعات الحلاقة النسوية وقاعات الحفلات، وفي أوقات معينة ومخطط لها.

يعتمد الأفراد في رسم حدود حيهم، على المعالم والعلامات والمعالم المادية والرمزية منها، بين الأحياء، ولدى الأفراد عدة مؤشرات لها دلالات مجسدة في أماكن وأوقات معينة، بناء على واقع معاش يحاول أن يفرض نفسه هو الآخر.

## 2- مسألة الانغراس:

التعلق بمكان الإقامة حالة إنسانية عامة تُشعر المرء بالانتماء لمجموعة ما، يرى نفسه جزء منها، ويولد الانتماء والتجذر لدى الفرد شعوراً بالأمان مصحوباً برغبة كبيرة في التواصل والاستمرار. ولانغراس المحلى أو الارتباط بالمكان له محددات عدة، فملكية المسكن هي أحد أهم محددات الانغراس أو الارتباط بالحي السكني، إن الشعور بالانتماء والأمان يساعد الأفراد على الانغراس والاندماج الاجتماعي، فالأصول الجغرافية والاجتماعية المختلفة لسكان الضواحي واختلاف مساراتهم وخبراتهم الحضرية تساعد على تطور طرق مختلفة للارتباط السكني. يقاس الانغراس المحلى بدرجة ومدى الارتباط الأفراد بمكان إقامتهم الجديد، وهو حالة عاطفية وجدانية ونوع من الحنين يتكون عند الفرد، وتلعب الظروف الاجتماعية المتعلقة بالمكان ومدة الإقامة وبكيفية الحصول على المسكن ومعاناه الأفراد دور في تقوية هذا الإحساس وتمنحهم أحقية الولوج إلى الفضاءات العمومية، فسكان المحافير أكثر ارتباطاً بمكان إقامتهم الجديد، فالحي هو أول مكان يمنحهم الحق في المدينة ويقف في وجه الوصم (برانية) الذي ينعتهم به الآخر ممن يرى أنه الأحق والأولى في المدينة، ورغم أن الحي كان في الأول جزء منفصل عن المدينة ويفتقر إلى ادنى مرافق الحياة لكن السكان كانوا يرون فيه الملاذ الوحيد الذي يمكنهم من خلاله الولوج إلى فضاء المدينة والمطالبة بالحقوق (المطالبة بالتهيئات المختلفة، مياه صالحة للشرب ومياه الصرف الصحي وكهرباء وعاز) يقول احد السكان (يقولو علينا برانية) إن الشعور بالوصم هو حافز يدفع بالسكان إلى التضامن فيما بينهم ويقوي من الروابط العاطفية بين أفراد الطبقة الواحدة، سكان تجمع المحافير ذوو الأصول بدوية نزحوا إلى الأغواط في بداية سبعينيات القرن الماضي واستوطنوا المناطق المحاذية للمدينة وشكلوا أحياء قصديرية على الأطراف الشمالية للمدينة، وفي بداية التسعينات ولأغراض امنية سارعت الدولة إلى منحهم في البداية قطع أراضي وإعانات مالية آنذاك في اطار البناء التطوري تم ترحيلهم إليها قسراً،

رغم عدم جاهزيتها للسكن، فالمكان بالنسبة لهم هو دلالة مادية تثبت أحقيتهم في الانتماء للمدينة وينتج نوع من الروابط الاجتماعية القوية فيما بينهم-روابط الإحساس بالمصير المشترك- بين سكان الحي الواحد، فالشعور بالوصم كان دافع لتثبيت المكان وأداة لتعزيز الروابط الاجتماعية بين سكان الحي.

من خلال المقابلات المتكررة نستنتج أن سكان الأحياء القصديرية (حي بوخنفس، والمرجة، وبرج السنوسي) أكثر انغراس وارتباط بحيهم الجديد، باعتباره الملاذ الوحيد المتبقي الذي يربطهم بالذاكرة الجماعية التي باتت مهددة بالنسيان بسبب فقدانها لاهم مكوناتها ونقص ذلك المكان(الحي القصديري) الذي تمت إزالته، بالرجوع إلى بعض الطقوس الاحتفالية كالأعراس والجنائز والمناسبات الدينية، باعتبار أن التذكر لدى الفرد لا يتم إلا في إطار اجتماعي محدد، وهذا بيان لعلاقة الذاكرة الفردية بوقائع المجتمع كما يؤكد موريس هالبواك (هالبواش، 2014). فغالبا ما يكون كل أقاربهم وأترابهم ممن تربوا معهم وتربطهم بهم علاقات صداقة قديمة متواجدون معهم بنفس الحي الجديد بالإضافة إلى فقدانهم لمكان إقامتهم الأول الذي تم اجتثاثهم منه، وفي العادة يكون قد تم مسح معالمه (الحي القصديري) من الخريطة العمرانية للمدينة، ومما يجعل الأفراد يحملون معهم ماضيهم إلى مكان إقامتهم الجديدة، غير إن هناك فئة تشذ عن هذه القاعدة وخاصة الكبار ومن كان لهم أنشطة اقتصادية تم فقدانها بعد الترحيل كتربية الماشية والفلاحة المعاشية، فهناك من يرى أن الحي الجديد - تبدو أكثر وضوح لدة العائلات التي تم ترحيلها إلى سكن العمارات الجماعية وبحدة اقل لدى سكان العمارات النصف جماعية والفردية، وفي الغالب هذا النوع من السكان لا يتأقلم مع السكن الجديد وسرعان ما يغير من مكان إقامته متخذا عدة استراتيجيات ككراء المسكن والكراء بدوره في جهة أخرى، أو بيع المسكن كليا والشراء سكن فردي أو الانتقال إلى الضواحي والبلديات المجاورة أو الرجوع إلى المناطق الريفية.

سكان التجزئات أكثر ارتباطا بحيهم من سكان العمارات، فالساكن هو من انتج مسكنه ولاحظ مراحل بنائه وهي تعتبر من جزء من الذاكرة لدى صاحب المسكن، أما سكان العمارات فهناك عدة مؤشرات تحدد مدى ارتباط الفرد بمسكنه، المؤشر الأهم هو طبيعة الجيرة، فكلما كان الجيران أكثر تقاهما واتساقا ساعد ذلك على نشوء علاقات جيرة متينة مبنية على الاحترام والتسامح والتعاون وزادت من ارتباط الفرد بمكان إقامته، وحلق نوع من الألفة بين المكان والأفراد، فمؤشرات مثل طبيعة الجيرة ونوع الملكية والوظيفة وطبيعة العمل، تعزز علاقة الفرد بالمكان أو تضعفها، فالنمط العمراني

قد يؤثر أيضاً على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، ولا يتوقف على كونه مجرد ناتج لها. ففي كتاب «الآثار الاجتماعية للتوسع العمراني: المدينة الخليجية نموذجاً» لعبد الله بن ناصر السدحان، الذي يناقش العلاقة بين التوسع العمراني الخليجي وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، ينقل السدحان عن إحدى الدراسات الحديثة أن جيرة المداخل الخارجية في المساكن المنفردة الأفقية تزيد من فرص التعارف بين المواطنين أكثر من جيرة المداخل الداخلية في المباني العالية.1 وهذا ما لمسناه في المقارنة بين أحياء السكن الجماعي والسكن الفردي بحي الوئام. وهو ما يؤكد على أن القرب المكاني لدى سكان العمارات لا يعتبر مؤشر مؤثر في عملية بناء العلاقات الاجتماعية، وإن كان في بعض الحالات مجدي وخاصة في الأحياء الأكثر تجانسا عمل مهم وخاصة لدى سكان التحصيصات وسكن الأساتذة والبناء الترقوي.

قد يرح كثافة العلاقات الاجتماعية داخل أحياء السكن الفردي في دراستنا إلى عدة عوامل مهمة وهي:

حرية اختيار الفرد لمسكنه وبالتالي اختيار جيرانه أثناء عملية شراء الأرض. هناك تقلص واضح في مسافة التمايز الاجتماعي والاقتصادي بين أفراد الحي الواحد. الكثافة المنخفضة مما يقلل من حدة الصراع في استعمال الفضاء العام والأماكن المشتركة. طبيعة البناءات الأفقية تحرر الفرد من الرقابة الاجتماعية من طرف جيرانه. مما يخفف من ظواهر مثل الحسد والبغض والتجسس والسرقة.

### 3-مسألة إنتاج المجال

تبقى الدولة الأبوية هي المبرمج و المخطط والمنتج والمسير للفضاء العمومي على كل الأصعدة، فالقوانين المعتمدة تعطي الدولة الأحقية في تولى عملية إنتاج التعمير، فهي التي تتولى إعداد أدوات التعمير وبطريقة تعسفية أحادية يتم المصادقة عليها، دون الإشراف الفعلي لمؤسسات المجتمع المدني والأطراف الفاعلة في الساحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خارج خانة الدولة الأبوية، وإن كان هناك إشراف شكلي تترتب عنه تناقضات و اختلالات مجالية واجتماعية تظهر في شكل تصرفات وأفعال يقوم بها السكان الجدد مخالفة لقوانين التعمير المعمول بها. فيحاول السكان منذ وصولهم إلى مقر إقامتهم الجديد الشروع في إعادة صياغة الفضاء العمومي وفق

1- علي، أحمد حسن علي. «الآثار الاجتماعية للتوسع العمراني [عرض للكتاب]»، الجزيرة.

تطلعاتهم والخلفيات الثقافية التي يجلبونها معهم من مكان سكنهم القديمة، وهو نوع من الرفض وعدم الاعتراف الضمني بالواقع الجديد ونجد ذلك جليا لدى السكان المرشحين بالطرق القسرية، في حين نجد هذه الظاهرة تقل جدتها لدى سكان الأحياء التساهمية أين يكون هامش التدخل في تغيير ضعيف فالسكن العمودي يكون الملكية العقارية جماعة مما يصعب من عملية التحويل التي قد تضر بالجيران وهيكل البناء، وتكاد تنعدم لدى سكان البناء الذاتي حيث يقوم هنا السكان باختيار الطريقة والتصاميم والكيفيات التي تبنى بها منازلهم، وهي ترتبط كذلك بطابع الملكية ونوع السكن. ولوحظ أن التحويلات التي تمس الفضاءات العمومية ومحاولة إعادة استعمالها لأغراض غالبا ما تكون شخصية دليل على عدم الرضى الكيفيات التي من خلالها تم إنتاجها.

تعتبر كل الفضاءات ذات الطابع التجاري من محلات تجارية ومراكز تسوق و مطاعم ومخابز وحمامات وقاعات للنشاطات الحرفية كلها مجالات ينتجها السكان ويجعلون منها فضاءات للالتقاء لأغراض تجارية، فالفضاءات التجارية هي بيئة للتواصل بين الأفراد، فالعلاقات التجارية بين البائع والمشتري و التاجر والتاجر وما يصاحبها من تطور في العلاقات التي يكون أساسها الأول المصلحة ، فالبائع مع الوقت يكوّن لنفسه شبكة من العلاقات الاجتماعية مع الزبائن تتعدى علاقات المصلحة، يقول سعيد وهو تاجر مواد غذائية عامة انه في حواراته مع الزبائن تتوسع دائرتها فهو يسأل عن أحوالهم الصحية والمادية.

تعتبر الشوارع الرئيسية في أحياء السكن الذاتي، أو كما يسميها بعض السكان ديار الشعب، هي البيئة الخصبة لنمو الأنشطة التجارية وتوسعها، وذلك لأن البناء الذاتي أكثر مرونة مورفولوجيا وله القابلية على تحويل طبيعته، فصاحب المسكن يمكن ان يقوم بتحويلات متى شاء داخل المنزل فقد يغير طبيعته السكنية إلى طبيعة تجارية حسب المستجدات الاقتصادية التي تطرأ على الحي، في حين ذلك يعتبر مستحيل في السكن الجماعي بكل أنواعه وذلك بسبب الملكية الجماعية ، فالشوارع التي تزدهر بها التجارة يبدأ سكانها في تحويل طبيعة مساكنهم كأن يحولوا الطوابق السفلية من طابع سكني إلى طابع تجاري، ونلاحظ ذلك في بعض شوارع حي تجزئة 591 قطعة، ويرجع الفضل في ذلك إلى موقعها وكذلك إلى تدفق رؤوس الأموال فمعظم السكان هم من التجار وأصحاب العقارات والطبقة المتوسطة من الموظفين المستفيدة من الريع العقاري، فالنشاطات التجارية باعتبارها فضاءات عامة تحاول ان تجد لنفسها أماكن وسط المدينة وفي المناطق الأكثر حركة، فهناك علاقة متبادلة بين النشاط التجاري و الحركة السكانية.

وهناك فضاءات أخرى تنازلت الدولة في إنتاجها لصالح السكان كإنشاء المساجد وبنائها وتهيئة الملاعب الجوارية واستغلال مواقف السيارات، واستعمال الرصيف والمساحات العامة لأغراض غير تلك التي أوكلت لها. وهي فضاءات منتجة للروابط الاجتماعية والصراع.

من خلال الملاحظات الميدانية والجلسات التي قمنا بها في بعض المواقع والدورات الاستطلاعية يمكن أن نخلص إلى أن هناك حقائق اجتماعية تتجسد في أشكال مختلفة من حياة الأفراد في المدينة ودلالاتها ورموزها قد لا يُنْتَبه إليها من طرف الفاعلين السياسيين والمخططين والفاعلين الاجتماعيين، فالأسماء الرسمية وكذا الاستعمالات الممنوحة للاماكن العامة مثل الشوارع والأحياء والمؤسسات قد لا تستعمل من طرف السكان مثلما خطط لها، فالسكان لهم استراتيجيات معقدة يتخذونها في استعمالاتهم للمجالات العامة، فهناك بعض الشوارع بمقارنة ما خطط لها من طرف الهيئات الرسمية وتحولت إلى سوق تجارية كبيرة وخاصة شارع بتجزئة 561 قطعة، في حين هناك أسواق رسمية هُجِرَتْ من طرف مستأجريها كتلك الفضاء التجاري الذي أنجزته البلدية، وهناك ملاعب ومساجد بنيت في أماكن غير مخطط لها.

#### 4-مسألة استهلاك المجال

فإذا كانت الدولة هي المنتج بامتياز للعمران بفضاءاته الخاصة والعامة، فإن الأفراد هم المستهلك الأول والأهم لهذه المجالات ماديا ورمزيا، فهم الذين يبادرون بتسميتها فنجد كلمة المحافير هو اسم للموقع قبل أن يدخل في النسيج العمراني ومعناه الأرض المحفورة أو المكان الذي يجلب منه التراب، وأحياء السكن الاجتماعي تسمى بعدد سكانها فنجد حي 500 وحي 200 أو بنوعها أو صيغها فنجد حي التساهمي وحي التطوري وحي OPGI وحي FNPOS، فأول شيء يتخذه الأفراد هو تحديد هوية لحيمهم الجديد من خلال إعطائه اسم يعبرون به عن حدود رمزية لوجودهم مجاليا و هوياتيا، في حين يحاول البعض الآخر من خارج الحي إعطائه اسم محالف عكس ما يتمناه المقيمين بالحي وقد يكون فيه نوع من الوصم، وفي التنقل عبر حافلات النقل الجماعي يخترع السكان من مستعملين الحافلات وسائقيها أسماء لمواقف الحافلات ويكون هذا الاسم مرتبط بمعلم معين للمكان فهناك موقف الجامع نظرا لوجود مسجد بالقرب منه وهناك موقف يتخذ من الصيدلية المجاورة اسما له، وهناك وموقف يتخذ من احد ملتقيات الطرق "العقد" (rondpoint) احد محدداته، فالحدود المجالية لها هي الأخرى معنى في تحديد وجهة السكان، وعادة ما يكون الموقف له دلالات رمزية تخبرك بالخروج من حير والولوج إلى آخر.

ومنذ الأيام الأولى للإقامة بالحي تطفو للسطح بوادر لصراعات من أجل السيطرة والاحتلال للفضاءات العمومية ولو سيطرة رمزية، هذه الصراعات التي تمر بمراحل مختلفة تنتهي إلى نوع من التعاقد الضمني للكيفيات التي يتم بها تقاسم المجال بعدما يفشل كل طرف في السيطرة عليه وخاصة إذا كان هذا الفضاء خارج الحدود الرمزية للأفراد المحتلين كالفضاءات العمومية المشتركة والمشتركة وأماكن التمثيل والالتقاء والأماكن المفروضة بواسطة السلطة أو تلك التي تفرضها العادات والتقاليد، إن الأفراد هم الذوات العاقلة الوحيدة المتحركة في المحال الخاص والعام، الذين تحكمهم في ذلك أطر قانونية ودينية وثقافية وضوابط من عادات وتقاليد في تسيير أفعالهم وتمثلاتهم في الفضاءات العمومية، إن تصور الأفراد للمكان يبني على مرجعيات لها علاقة بذاكرة جمعية يجلبونها معهم يحاول أن يكيّفوها مع وضعهم الجديد بحثاً منهم عن متلازمة يتخلون عنها قسراً في كل الأحوال، وإن كان يبدو في بعض الأحيان هذا التخلي طوعياً، فالفرد في الغالب - وإن كان لم نلاحظ هذا لدى المرحلين من الأحياء القصديرية - تربطه عاطفة قوية بمكان إقامته المتخلي عنه، فهو يحاول في كل مرة الرجوع له من خلال المسار اليومي.

لوحظ أن هناك أمكنة ذات طابع عمومي يستعملها السكان في تنشئة أطفالهم من خلال ممارسة اللعب، فسكان عمارات السكن الجماعي لوحظ أنهم يستعملون ساحات اللعب المتواجدة بين العمارات رفقة الأطفال الصغار وخاصة رفقة أمهاتهم وإخوتهم، وبدرجة أقل آبائهم وأقاربهم تبعاً لخصوصية العائلة. إن استعمال الفضاءات العمومية من طرف العائلات يتباين من فترة إلى فترة ومن مناسبة إلى أخرى، فالمساحات الخضراء تكون في فصل الصيف وفي الليالي الرمضانية وفي الفترات المسائية والليلية أكثر جذبا للسكان وتكون أماكن مفضلة للعائلات لقضاء وقتاً طويلاً داخلها، فاستهلاك المجال اضحى يتقاسمه الأفراد بطريقة أفقدته بعض خصوصياته، واضحى التداخل بين الفضاء العام والفضاء الخاص من خلال علاقات الأفراد فيما بينهم يوحى بتقلص الفضاء الخاص، لعدة أسباب منها طبيعة المسكن (نقول خديجة لازم نخرج مع وليدي يلعب اشويه في الساحة الموجودة بين العمارات) فمشاركة أفراد العائلة الواحدة للفضاء العام في اللعب والتنشئة وتطوير العلاقات العائلية رفقة الأطفال دليل على ذلك، وهناك عائلات أخرى تنتقل رفقة أفرادها إلى فضاءات بعيدة عن الحي ( الحديقة الواحية النباتية، وحديقة المريغة وأماكن قد تكون خارج المدينة...) فيشاركونهم ألعابهم وأفراحهم.

استهلاك الفضاءات العمومية يتحدد من خلال كثافة الاستعمال والمدة الزمنية والطبقات والفئات الوافدة والمستعملة له، فالولوج إلى المكان العام ومدة المكوث به وكثافة استعماله وتنوع الفئات الوافدة عليه والديمومة وطابع التكرار، كلها محددات للدور الذي يلعبه في إعادة بناء الرباط الاجتماعي بالأحياء الجديدة، فكلما كان استعمال الفضاء العمومي كثيف من طرف سكان الحي كلما كانت مساهمته كبيرة في بناء الرباط الاجتماعي.

## الخاتمة

ختاما لهذا البحث الذي تأكد لنا فيه أهمية الفضاءات العمومية بالأحياء الجديدة في إعادة بناء الرباط الاجتماعي بين السكان الجدد. حيث تم التعامل خلال الدراسة مع ثلاث متغيرات أساسية وهي الفضاء العمومي والرباط الاجتماعي والإسكان بالأحياء الجديدة. وارتبط متغير الفضاء العمومي بمتغيرات ثانوية تتمثل في الأشكال المختلفة للفضاءات العمومية من خلال الموقع والوظيفة والقيمة والكثافة، كما ارتبط متغير الرباط الاجتماعي بالفئات المختلفة من السكان الجدد من خلال الجنس والسن والدخل والمستوى الثقافي والانتماء، أما متغير الإسكان وهو متغير وسيط ارتبط بعمليات الترحيل والطرق التي تتم بها عملية توزيع المساكن ومسائل الانغراس والاندماج ومسألة الحدود ومسائل إنتاج المجال واستهلاله.

أكدت هذه الدراسة أن تباين الفضاءات العمومية يقابله تباين في إنتاج العلاقات الاجتماعية. وان هناك تفاوت في أهمية الفضاءات العمومية في إعادة نسج الروابط الاجتماعية، وان طبيعة الفضاء ووظيفته المنوط بها هي التي تحدد نوع العلاقات الاجتماعية التي تنشأ داخل حدوده. وكيف أن مسألة الحدود في بناء العلاقات الاجتماعية تتجسد من خلال التفاعلات اليومية داخل الفضاءات العمومية المختلفة.

إن مسألة الانغراس بالحي الجديد تتحدد من خلال طبيعة الارتباط بمكان الإقامة القديم ومن ناحية ونمط السكن الجديد من ناحية أخرى، الملاحظ أن مستوى رضى الأفراد عن سكنهم يحفزهم على التواصل عبر فضاءاته والمحافظة عليها، إن الاستمرارية في المكان والبقاء به مؤشرات على تقبل السكان لحيزهم الجديد مما يسرع من عملية الاندماج في المجتمع الجديد.

إن التقسيم العادل لاستعمالات الأرض وما ينجم عنها من توزيع للخدمات والمرافق العمومية المختلفة وتخطيط للشوارع والمساحات الترفيهية كل ذلك يضيف نوع من العدالة الاجتماعية في استعمال المجال العام ويساعد السكان على الاستقرار والاندماج في الحياة العامة ويزيد من فرص التوافق والاستعمال العقلاني لفضاءات الحي. فالتوزيع السكاني الغير عادل والتوزيع الغير مدروس لخدمات والمرافق العامة، ينجم عنه تمايز اجتماعي وشعور بعدم الرضا لدى بعض الفئات ويخلق نوع من الصراع على استعمالات المكان تؤثر سلبا على عمليات بناء الرباط الاجتماعي.

الأحياء الجديدة بالمفهوم العمراني يقابلها في الجانب الاجتماعي مجتمع جديد يتكيف بمرور الوقت مع بيئته الجديدة وينسج داخلها عوالم من العلاقات الاجتماعية تتطور مع الأجيال الجديدة



لتنجح هوية تخص الحي تحاول أن تميزه عن غيره من الأحياء وتدافع عنه في وجه الآخر، وعملية الاندماج في هذه الأحياء تمر بمراحل ثلاث تبدأ المرحلة الأولى بهشاشة العلاقات والتحفظ والحذر في بدأها يحول من خلالها الأنا تقييم الآخر، ثم ما تلبث أن تتحول إلى صراع حول السيطرة على العام وامتلاكه في مرحلة الثانية وهذه المرحلة ترتبط بالخلفيات الثقافية والاجتماعية للسكان الجدد، والمرحلة الثالثة وهي التأقلم والتكيف مع الوضع القائم والاعتراف بالآخر وفي المرحلة الرابعة والأخيرة هو الاستيعاب والتوافق والتسامح من خلال تقاسم استعمالات الفضاء وتحديد الحدود. أو عدم الاعتراف بالآخر والانسحاب والانعزال أو مغادرة الحي تماما.

إن السكن الجديد يخلق هو الآخر مسارات جديدة للمعيش اليومي في حياة الأفراد والجماعات، قد يؤثر ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على مسار حياتهم الاجتماعية، بدء من كيفية إنتاج الفضاء العمومي واستعمالاته واستهلاكه والتمثلات التي يكونونها عنه وعن مكان إقامتهم الجديد بصفة عامة، إن الإسكان في الأحياء الجديدة هو الطريق المؤسس لبداية ملامح العلاقات الاجتماعية المستحدثة التي ينسجونها داخل هذه الفضاءات العمومية، ويعتبر المعيش اليومي هو من أكبر المؤشرات عن علاقة الأفراد بالفضاء العمومي والكيفيات التي يتخذونها في التعامل معه ومع الآخر داخله.

تصبح الفضاءات العمومية، في غياب الدولة أو التخلي عنها وحتى في حضورها حلبة للصراع بين الأفراد والجماعات من أجل امتلاكها والسيطرة عليها (الاستغلال-الاستعمال-السيطرة)، وخاصة في المراحل الأولى من الإسكان، ويمكن أن نسمي المرحلة الأولى بمرحلة الاستكشاف، حيث من خلالها تبدأ عملية جس النبض والبحث عن نقاط ارتكاز يعتمدها الأفراد للاستحواذ على الفضاء العام بطرق تختلف في طبيعتها، وثم تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة التصادم، يستعمل خلالها الأفراد كل مظاهر القوة الجسدية والرمزية للدفاع عن ذواتهم في تجليات مجالية تحدد الأنا ودون مرعاه للآخر، صراع قد يطول ومعركة لا يتحدد فيها الفوز، فالكل صد الكل مما يجعل فكرة التقاسم "للغنيمة" فيما بين السكان ممكنة، وقد تكون لأطراف أخرى رسمية وغير رسمية دور في التخفيف من حدة الصراع أو إفشاله، وغالبا ما يكون الاعتراف والتسامح أو الانسحاب آخر المراحل. إنّ الفضاءات العمومية هي محطات للتواصل والتفاعل بين الأفراد والجماعات يتجلى ذلك من خلال تتبع لمسارات المعيش اليومي للسكان بكل أطيافهم وأعمارهم وجنسهم، هذه الفضاءات تتيح للفرد فرص بناء شبكة من العلاقات الاجتماعية من خلال التواصل والتفاعل والالتقاء مع الآخرين، وتأخذ هذه العلاقات الاجتماعية عدة أشكال في الحياة اليومية كالتواصل المباشر عبر

تبادل التحية، طلب معلومات أو مساعدة، أو تواصل ضمني غير مباشر يكون تبادل النظرات، وتعابير الوجه والتصرفات والإيماءات. وهذه الممارسات والتصرفات بكل صورها وتجلياتها داخل هذا الوعاء العام المكشوف تارة والمستتر في بعض الأحيان يتولد عنه بيئة اجتماعية بكر تؤسس لنشأة مجتمع جديد وهوية حضرية جديدة بداياتها ومهد ولادتها فضاءات الحي الجديد العمومية.

تستغل الفضاءات العمومية كاداه لبداية نسج وبناء أي علاقة اجتماعية جديدة بالحي، يتفاعل الأفراد عبرها بطرق مختلفة تخضع لظروف وبيئات وأمكنة وحالات نفسية واجتماعية وأوقات وأزمنة متفاوتة، تصنع من المكان بوتقة للتفاعل الفردي والجماعي وتصنع مشهدا وفسيفساء من العلاقات لا يمكن حصرها وفهمها في لحظة وقوعها فهي لها دلالات ومعاني تتكشف للملاحظ عن وجوه عدة، لا يجب النظر إليها في سياقها المستقل والمنفرد، وعزلها مكانيا وزمانيا، فتفقد الكثير من مركباتها العلائقية، وتتخلى عن روح الاجتماع التي ربطت المكان بالإنسان والغايات، فإذا كان النظر إلى هذه العلاقات على أساس أنها أفعالا فردية، فانه من الأجدر والأصح النظر إليها كذلك في سياق عام لكي نتمكن من تتبع مراحل نمو النسيج الاجتماعي المعتبر الذي تتضمنه.

الفضاءات العمومية هي الأماكن التي يعبر فيها الفرد عن رغباته المكبوتة وآماله وطموحاته بطرق مختلفة واعية وغير واعية، ويصارع فيها من اجل اكتساب المكانة والزعامة التي يبحث عنها أو التي قد يكون فقدتها في خضم الحراك المكاني الذي عرفه، ومن هنا فان صياغة مقارنة سوسيولوجية لدراسة الفضاءات العمومية، باعتبارها شكلا من الأشكال المختلفة للتفاعل البشري، يمكن أن تساهم في فهم العلاقات الإنسانية التي تدور في فلكها، وبالتالي معرفة كيف يعاد بناء الرباط الاجتماعي من جديد.

إن التصورات الإيجابية التي يكونها الأفراد عن مكان إقامتهم الجديد، تمثل مصدرا مهما لنسج العلاقات وتعزيز التضامن وأشكال المشاركة الاجتماعية، تتطور عبر مجموعة من العمليات العقلية التي يكون فيها التواصل بكل أشكاله المباشرة وغير مباشرة والحادة منها والعنيفة والرمزية وسطحية، والدائمة والمؤقتة، والظرفية والعابرة، وتعتبر في نفس الوقت آلية مهمة لنسج علاقات اجتماعية ذات طبيعة تضامنية وتشاركية. في حين أن التصورات السلبية عن المكان الجديد تحد من قدرة الفرد والجماعات على الاندماج وتضفي على العلاقات الاجتماعية نوع من التراخي والتلاشي مع الوقت، وهنا تكمن ارمه الرباط الاجتماعي الذي يفضي إلى ظواهر سلبية تتجلى في أشكال من العنف والفقر والانعزال وما إلى ذلك من الآثار السلبية على حياة السكان الجدد.

وفي الأخير نرى انه من المفيد ولكي يكون الفضاء العمومي جزء مهم في جسم المدينة، وتقاديا لإنتاج أنسجة عمرانية مشوهة، ترغم السكان على إعادة إنتاجها، لابد من إشراك كل الفاعلين الاجتماعيين والاقتصاديين والسياسيين ومنظمات المجتمع المدني بكل أطرافه في عملية إنتاج التعمير قبل استهلاكه، وتحديد المجالات واتخاذ القرارات في صناعة المدينة التي سوف تستعمل من طرفهم أي السكان، وتصبح جزء من حياتهم اليومية وذلك لتحقيق التناغم بين المجتمع وبيئته العمرانية وخلق نوع بين الحميمة بين الفرد-الجماعة-المكان.

# المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

## الكتب

1. إبراهيم عبد الباقي، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، القاهرة، 1986.
2. ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان الأردن. بدون سنة نشر.
3. \_\_\_\_\_، المقدمة، تحقيق: حامد احمد طاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2004.
4. ابن منظور محمد بن مكرم، معجم لسان العرب، دار صادر، ط3، ج8، بيروت، 1414هـ.
5. أبو العباس بن ناصر احمد بن محمد بن ناصر الدرعي، تحقيق عبد الحفيظ ملوكي، الرحلة الناصرية، ط1، دار السويدي للنشر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011.
6. أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس الأخلاق والفعل التواصل، التتوير للطباعة والنشر، بيروت، 2012.
7. أبي عبد الله محمد ابن احمد الحضيكي السوسي، الرحلة الحجازية، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، 2011.
8. أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، دار الصحة للنشر، القاهرة بدون سنة نشر.
9. اجي ميشال، أنثروبولوجيا المدينة، ترجمة: سعيد بلمبخوت، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2019.
10. إحسان محمد الحسن، الموسوعة في علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1999.
11. \_\_\_\_\_، النظريات الاجتماعية المتقدمة: دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة، ط3، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2015.
12. \_\_\_\_\_، مناهج البحث الاجتماعي، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2005.
13. \_\_\_\_\_، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 1999.
14. احمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008.
15. آدامز لورا، تقنيات قياس الهوية في البحوث الاثنوغرافية، في قياس الهوية دليل للمتخصصين في العلوم الاجتماعية، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2014.
16. إدغار موران، إلى أين يسير العالم؟ ت: احمد العلمي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2009.
17. إدواردز مايكل، المجتمع المدني النظرية والممارسة، ترجمة عبد الرحمان عبد القادر شاهين، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2015.
18. إريك هوبز باوم وتيرينس رينجر، ت احمد لطفي، اختراع التقاليد، دار الكتب الوطنية، ص1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2013، ص07
19. إسماعيل إبراهيم الشيخ دره، اقتصاديات الإسكان، عالم المعرفة، الكويت، يوليو 1988.
20. الأشرف مصطفى، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
21. أفاية محمد نورالدين: الحداثة والتواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 1989.
22. الأفغاني سعيد، أسوق العرب في الجاهلية والإسلام، ط3، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 1974.
23. أكبر جميل عبد القادر، عمارة الأرض في الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت لبنان، 1998، ص159.

24. أنجريس موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية تدريبات عملية، ت: بوزيد صحراوي وآخرون، ط2، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2013.
25. أنصار بيار، العلوم الاجتماعية المعاصرة، ت: نخلة فريفر، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992.
26. اهرنبارغ جون، التاريخ النقدي للفكرة، ت: علي حاكم صالح وحسن ناظم، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2008.
27. اوجيه مارك، اللا أمكنة مدخل إلى أنثروبولوجيا الحداثة المفرطة، ترجمة ميساء السيوفي، ط1، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، 2018.
28. أولسون منصور، السلطة والرخاء نحو تجاوز الديكتاتوريتين الرأسمالية والشيوعية، ترجمة: ماجدة بركة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2003.
29. أيمرسون روبرت وآخرون، البحث الميداني الاثنوغرافي في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.
30. باومان زيجموند، الحب السائل عن هشاشة الروابط الإنسانية، ترجمة حجاج أبو جبر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016.
31. بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي فرنسي عربي، مكتبة لبنان، بيروت، 1982.
32. بعلبكي احمد وآخرون، جديليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، ط1، بيروت، 2014.
33. بن عثمان خوجة حمدان، المرأة، ت: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر 2005.
34. بن عمار الصغير: الفكر العلمي عند ابن خلدون، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1984.
35. بن نبي مالك، ميلاد مجتمع " الجزء الأول: شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، إصدار ندوة مالك بن نبي، طرابلس لبنان، بدون سنة نشر.
36. بوتقنوش مصطفى، العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة، ترجمة: أحمد دمري، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1984.
37. بوجمعة خلف الله، تخطيط المدن ونظريات العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016.
38. بورديو بيبير، بؤس العالم الجزء الأول رغبة الإصلاح، إشراف بيبير بورديو، ترجمة: محمد صبح، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، دمشق، سوريا، 2010، ص 241.
39. ———، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ت: درويش الحلوجي، ط1، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، دمشق، سوريا، 2004.
40. بورديو بيبير وآخرون، حرفة عالم الاجتماع، ترجمة: نظير جاهل، ط1، دار الحقيقة، بيروت، 1993.
41. بورديو بيبير وجان كلود باسرون، عادة الإنتاج، في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم" ترجمة وتقديم تريمش ماهر، بيروت، ط1، نوفمبر 2007.
42. بوعزيزي محسن، السومولوجيا الاجتماعية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2010.
43. بوغام سيرج، ممارسة علم الاجتماع، ترجمة: منير سعيداني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012.
44. بوكبوس سعدون: الاقتصاد الجزائري، محاولتان من أجل التنمية (1962-1989) و(1990-2005)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2012.
45. بومخلوف محمد، التوطين الصناعي وقضايا التنمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2001.
46. بيري الوحيشي أحمد، الأسرة والزواج: مقدمة في علم الاجتماع العائلي، طرابلس، الجامعة المفتوحة، 1998.

47. بينيت طوني، غروسبيرغ لورانس، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2010.
48. تايلر تشارلز، المتخيلات الاجتماعية الحديثة، ترجمة الحارث النبهان، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، بيروت، 2016.
49. التلمساني احمد ابن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري: إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004.
50. تورين الان، براديجما جديدة لفهم علم اليوم، ترجمة: جورج سليمان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2011.
51. تونيز فرديناند، الجماعة والمجتمع المدني، ت: نائل الحريري، لمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، دبي، 2018.
52. تيماشيف نيكولا، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة: محمد عودة وآخرون، ط 8، دار المعارف، القاهرة، 1989.
53. ثورنس ديفيدس، كيف تتحول المدن النظرية المدنية وحياة المدنية، ترجمة: أحمد رامو، منشورات وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، 2010.
54. جليبي علي عبد الرازق وآخرون، البحث العلمي الاجتماعي لغته ومداخله ومناهجه وطرائقه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003.
55. جليبي علي عبد الرازق، المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2012.
56. الجولاني فادية عمر، علم الاجتماع الحضري، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1997.
57. حمداوي جميل، نظريات علم الاجتماع، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2017.
58. حمدوش رشيد، مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة، دار هومة، الجزائر، 2009.
59. حملاوي علي، نماذج من قصور منطقة الأغواط دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.
60. خروف حميد، سلاطينة بلقاسم، قيرة إسماعيل، الإشكالات النظرية والواقع، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1998.
61. خليل يوسف وآخرون، مفاهيم العلوم العامة والصحة في الصفوف الأربعة الأولى، ط1، مطابع وزارة التربية والتعليم، اليمن، 1995.
62. خواجه عبد العزيز، سوسيولوجية الرباط الاجتماعي بناءات مفاهيمية ومسارات نظرية، ط1، داية للطباعة، غرداية، 2018.
63. الخوالدة محمد محمود، وآخرون، طرائق التدريس العامة، ط1، مطابع الكتاب المدرسي، صنعاء، 1995.
64. دافيد استوارت، بريم شامداساني، دينيس روك، الجماعات البؤرية النظرية والتطبيق، ت: راقية جلال الدويك، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012.
65. دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: منير السعيداني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.
66. دوركايم إميل، في تقسيم العمل الاجتماعي، ت: حافظ الجمالي، المكتبة الشرقية، بيروت، 1982.
67. ديوبولد فان دلين، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ت: محمد نبيل نوفل وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1979.
68. رشوان حسين عبد الحميد: المجتمع، دراسة علم الاجتماع، ط 2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1993.
69. ريمون أندريه، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ت: لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.
70. زرواتي رشيد، تدريبات على منهجية البحث في العلوم الاجتماعية، دار هومة، الجزائر، 2002.
71. الزباني أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991.

72. زيمل جورج، الفرد والمجتمع المشكلات الأساسية للسوسولوجيا، ت: حسن أحجيج، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017.
73. الزين هدى، المقاهي الأدبية في باريس حكايات وتاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2014.
74. السرياني محمد، الأسواق في المدينة الإسلامية، مجلة البلديات، العدد 24 السنة السادسة، نوفمبر 1990، الأردن. 1990.
75. سعدالله أبو القاسم، رحلة الاغواطي الحاج ابن الدين، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2011.
76. سلفاتوري أرمادو، المجال العام الحداثة الليبرالية والكاثوليكية والإسلام، ترجمة احمد زايد، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012.
77. سند السويدي جمال، وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية: من القبيلة إلى الفيسبوك، ط4، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، الإمارات، 2014.
78. سوتيريوس سارانتاكوس، البحث الاجتماعي، ت: شحدة فارغ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017.
79. السيد الحسيني، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، ط2، دار المعارف القاهرة، 1981.
80. السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري الجزء الأول، ط4، دار الميسرة، عمان الأردن، 2017.
81. \_\_\_\_\_، علم الاجتماع الحضري الجزء الثاني، ط4، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2017.
82. شالين كلود، السياسات الحضرية الجديدة، ترجمة: سمير نور الدين الوتار، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 2013.
83. صياد عبد المالك، بؤس العالم الجزء الأول رغبة الإصلاح، إشراف بيير بورديو، ترجمة: محمد صبح، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، دمشق، سوريا، 2010، ص 51-75.
84. الضبع عبد الرؤوف، علم الاجتماع الحضري، عن دار الوفاء، ط3، الإسكندرية، مصر، 2008.
85. الطبري محمد بن جرير بن يزيد، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المجلد السابع، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994.
86. طربية مأمون، علم الاجتماع في الحياة اليومية قراءة سوسولوجية معاصرة لوقائع معاشة، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2011.
87. عابد الجابري محمد، فكر ابن خلدون العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993.
88. \_\_\_\_\_، مسألة الهوية العروبة والإسلام والغرب، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012.
89. عبد الباري محمد داود، القدوة الصالحة وأثرها في تنشئة الطفل، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996.
90. عبد المعطي نها السيد، صحافة المواطن نحو نمط اتصالي جديد، دار الكتاب الجامعي القاهرة، 2015.
91. عبد المنعم شوقي: مجتمع المدينة، دار النهضة العربية، ليبيا، 1981.
92. عبد الهادي نبيل، تشكيل السلوك الاجتماعي، دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن، 2016.
93. عبد الوهاب المسيري وآخرون، إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد (الجزء 1)، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن-فرجينيا-، الولايات المتحدة الأمريكية، 1996.
94. العتيبي شاعر، العمارة الذكورية: فن البناء والمعايير الاجتماعية والأخلاقية في العالم العربي، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، بيروت، 2007.
95. عرفان سامي، نظريات العمارة، دار المعارف، القاهرة، 1998.
96. العزوي فهمي سليم وآخرون، مدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2006.
97. عزيز حنا داود وأنور حسين عبد الرحمان، مناهج البحث التربوي، جامعة بغداد، دار الحكمة، الموصل، العراق، 1990.
98. عفيفي احمد كمال الدين، نظريات في تخطيط المدن. جامعة الأزهر، مصر، بدون سنة نشر.



99. عكاشة علياء، العمارة الإسلامية في مصر، بردي للنشر، الجيزة، مصر، 2008.
100. علي معمر عبد المؤمن، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية الأساسية والتقنيات والأساليب، ط1، منشورات جامعة 7 أكتوبر، بنغازي، ليبيا، 2008.
101. عوض السيد حنفي، إنسان المدينة بين الرمان والمكان، دار النهضة، ط4، القاهرة، 1998.
102. العياشي عبد الله بن محمد، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، الرحلة العياشية، المجلد الثاني، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ضبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006.
103. عيسى إبراهيم عثمان، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008.
104. غدنز انتوني، علم الاجتماع، ترجمة فاير الصياغ، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2005.
105. \_\_\_\_\_، قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع نقد إيجابي للاتجاهات التفسيرية في علم الاجتماع، ترجمة: محمد محي الدين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000.
106. غرافيتز مادلين، مناهج العلوم الاجتماعية الكتاب الثاني منطق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة: سام عمار، ط1، المركز العربي للترجمة والتأليف والنشر، دمشق، سوريا، 1993.
107. غوشيه مارسيل، الدين في الديمقراطية مسار العلمنة، ترجمة شفيق محسن، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.
108. الغادي محبوب عطية، علم الاجتماع الحضري، دار المكتبة الوطنية، ط1، تونس، 2004.
109. فوكوياما فرنسيس، الثقة الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي، ترجمة: معين الإمام ومجاب الإمام، ط1، منتدى العلاقات العربية والدولية، قطر، 2015.
110. \_\_\_\_\_، النظام السياسي والانحطاط السياسي من الثورة الصناعية الى عولمة الديمقراطية، ترجمة: معين الامام ومجيب الامام، منتدى العلاقات العربية والدولية، ط1، الدوحة، 2016.
111. فيبر ماكس، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ترجمة محمد علي مقلد، مركز الإنماء لقومي، بيروت، 1990.
112. \_\_\_\_\_، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة صلاح هلال، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011.
113. قباري محمد إسماعيل: أصول الأنثروبولوجيا العامة، منشأة المعارف، القاهرة، 1971.
114. قنوص صبحي محمد، دراسات حضرية، مدخل نظري، الدار الدولية للنشر والتوزيع 1994.
115. كابان فيليب، دورتيه جان فرانسوا، ترجمة الياس حسن، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات، ت: إياس حسن، ط1، دار الفرقد، 2010.
116. كاتولا بيرنار، الإشهار والمجتمع، ترجمة: سعيد بن كراد، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2012.
117. كارل ماركس، راس المال المجلد الأول عملية إنتاج راس المال، ترجمة: فالح عبد الجبار، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2013.
118. كاستلز مانويل، سلطة الاتصال، ترجمة محمد حرفوش، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.
119. \_\_\_\_\_، شبكات الغضب والأمل، الحركات الاجتماعية في عصر الأنترنت، ترجمة هايدي عبد اللطيف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017.
120. الكردي محمود، النمو الحضري، دراسة لظاهرة الاستقطاب الحضري في مصر، دار المعارف، القاهرة، 1980.
121. لايدر ديرك، قضايا التنظير في البحث الاجتماعي، ترجمة عدلي السمري، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2000.
122. لوبون غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012.
123. لوجلي صالح الزوي، علم الاجتماع الحضري، منشورات جامعة غار بونس، ليبيا، 2002.

124. لورونار أميلي، النساء والفضاءات العامة في المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الحق الزموري، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2013.
125. لونيبي رابح، رؤساء الجزائر في ميزان التاريخ، تقييم أكاديمي لنصف قرن من مسيرة الجزائر المستقلة، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
126. ماركس كارل، إنجلز فريدريك، البيان الشيوعي، ت: العفيف الأخضر: منشورات الجمل، بيروت، 2015.
127. ماركليود جولي وطومسون ريتشيل، بحث التغيير الاجتماعي المقاربات الكيفية، ترجمة: سحر توفيق، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2014.
128. المالكي عبد الرحمان، الثقافة والمجال دراسة في سوسولوجيا التحضر والهجرة في المغرب، منشورات مختبر سوسولوجيا التنمية الاجتماعية جامعة سيدي محمد بن عبد الله-كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهزاز، فاس، ط1، 2015.
129. \_\_\_\_\_، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسولوجيا التحضر والهجرة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2016.
130. محسن عبد الباسط محمد، علم الاجتماع الصناعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1972.
131. محمد علي محمد: علم الاجتماع والمنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986.
132. محمد علي محمد، السيد عبد العاطي السيد، سامية محمد جابر، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985.
133. مروان عبد المجيد إبراهيم، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، مروان عبد المجيد إبراهيم، ط1، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000.
134. معن خليل عمر، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1983.
135. معيرش موسى، المعرفة والبحث العلمي-مدخل إلى المنهجية العامة، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2009.
136. مغربي عبد الغني، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.
137. ممفورد لويس، المدينة على مر العصور أصلها وتطورها ومستقبلها، ت: إبراهيم نصحي، ج1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016.
138. \_\_\_\_\_، المدينة على مر العصور أصلها وتطورها ومستقبلها، ت: إبراهيم نصحي، ج2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016.
139. مؤنس حسن، المساجد، عالم المعرفة، العدد 37، الكويت، يناير 1981.
140. ميوساك جان ماري، مدن وحضر، ضمن كتاب: المغرب العربي الإنسان والمجال، إشراف جان فرانسوا تراون، ترجمة: علي التومي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، الرباط، 1997.
141. ناصر إبراهيم، أسس التربية، ط5، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 2000.
142. هابرماس يوغين، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ت: جورج كتورة، ط1، المكتبة الشرقية، بيروت، 2006.
143. هالبواك موريس، الذاكرة الجمعية، ت: نيرين الزهر، بيت المواطن للنشر والتوزيع، دمشق، 2014.
144. هاو ألن، النظرية النقدية مدرسة فرنكفورت، ترجمة: تائر ديب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.
145. الوازن الحسن ابن محمد الفاسي (ليون الأفريقي)، وصف أفريقية، ترجمة حجي محمد والأخضر محمد، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
146. اليعقوبي احمد، تاريخ احمد ابن أبي يعقوب ابن جعفر ابن وهب ابن واضح الكاتب العباسي، ج2، طبع في مدينة ليدن المحروسة، بمطبع بريل، 1883.

## المقالات والتقارير

147. إبراهيم ناصر أحمد، «آداب وطقوس شرب القهوة في القاهرة العثمانية»، | 2-48 Annales islamologiques, 2014, 217-247.
148. احمد عبد الكريم احمد سليمان، السلوك الاجتماعي ضمن بعض الأحياء الداخلية والجوارية للإسكان الأفقي المخطط لذوي الدخل المحدود في المنطقة العربية. مجلة المخطط والتنمية، 2012، ص 128-142.
149. إدراك النجبة الحاكمة في مصر لقضية إسكان ذوي الدخل المنخفض” - ورقة بحث مقدمة للمؤتمر الدولي للإسكان بالقاهرة - فبراير 1992
150. بلباس، ليوبولدو توريس، الأبنية الإسبانية الإسلامية-مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، عدد 1 من مجلد 1، سنة 1953، ص 122-123.
151. بن هونات يزيد، القبيلة كأفق سياسي في الجزائر، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 15 المجلد الرابع، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، شتاء 2016.
152. بو وشمة الهادي، الحمّام الشعبي بتلمسان / Insaniyat , إنسانيات, 63-64 | 2014, 143-166.
153. بون عبد العزيز، التحضر في الجزائر، مجلة الباحث الاجتماعي العدد 5، 2004، الجزائر.
154. تصريح للوزير المكلف بوزارة الإسكان وسياسة المدينة، أمام لجنة الداخلية والجماعات الترابية والسكنى وسياسة المدينة بمجلس النواب، 10 مايو 201
155. تونيلا ستيفان، سوسبيولوجيا الفضاءات الحضرية العامة. ت: الغزواني إدريس، إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع، مج. 2018، ع. 46، ص ص. 147-162.
156. جاسم التميمي طاهر، مسارات التحول الحضر، مجلة المدينة العربية، السنة 4، الكويت، 1985.
157. حاتم العلاونة سليم، دور مواقع التواصل الاجتماعي في تحفيز المواطنين على المشاركة في الحراك الجماهيري ورقة مقدمة للمؤتمر العلمي 17 بعنوان "ثقافة التغيير"، كلية الآداب جامعة فيلادلفيا، عمان، 2012.
158. الحسوني عمر، إشكالية الأبنية الأليّة للسقوط بالمغرب - نموذج فاس - مجلة تقنية البناء، العدد 15، الرياض، يونيو 2008.
159. حوار تليفزيوني مع إبراهيم محلب وزير الإسكان -قناة mbc مصر - نوفمبر 2013.
160. حوالم رحيمة، التكاليف الاقتصادية والاجتماعية للسكنات العشوائية في الجزائر، على الموقع <https://knepublishing.com/index.php/KnE-Engineering/article/view/2181/4723>
161. الخضيرى محمود، ازمه الإسكان المشكّلة والحل، جريدة المصري، العدد 2016، القاهرة، السبت 08/09/2012.
162. خواجه عبد العزيز، ساحة السوق التقليدية من علاقة الأنا بالآخر، الفضاءات العمومية في البلدان المغاربية، إشراف حسن رمعون وعبد الحميد هنية، المركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافة، وهران، الجزائر، 2013.
163. دهيمي زينب، إشكالية تطبيق المقابلة في العلوم الاجتماعية "دراسة ميدانية في قسم علم الاجتماع على بعض طلبة الماجستير جامعة الجزائر" الملتقى الوطني الأول حول " إشكالية العلوم الاجتماعية في الجزائر واقع وآفاق «07-08 مارس 2012، جامعة قاصدي مرباح ورقلة. الجزائر.
164. دي بينوا الان، نقد الأيديولوجية الليبرالية، ترجمة رشا طاهر، مقال بمجلة الاستغراب 2015، ص 147-164.
165. رشيق عبد الرحمان، الحركات الاحتجاجية في المغرب: من التمرد إلى التظاهر، ترجمة: الحسين سحبان، تقديم: كمال لحبيب الرباط: (منتدى بدائل المغرب، 2014). تقرير باللغتين العربية والفرنسية، أنجز لفائدة ملتقى البدائل المغرب في إطار مشروع حريات التجمعات والتظاهرات في المغرب بدعم من الاتحاد الأوروبي.

166. رشيق عبد الرحمن، السياسة العمرانية والعلاقات الاجتماعية في المغرب، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 18 المجلد الخامس، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، خريف 2016.
167. السعودية، وزارة الإسكان، على الموقع: <https://www.housing.gov.sa/ar/about-us>
168. السيوف أمجد، مشكلة الوطن العربي هي "الرصيف"، مقال منشور في موقع مدونات الجزيرة، بتاريخ 2017/1/2.
169. شهاب دينا كمال الدين، الطلب على "الحمام" في مصر المعاصرة، انسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، الحمام في البلدان المغاربية، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، عدد مزدوج 63-64، وهران، الجزائر، 2014.
170. شومان محمد، ثقافة المول وثقافة السوق، مقال جريدة اليوم السابع، بتاريخ لأحد 21 أغسطس 2016 11:00 م على الموقع <https://www.youm7.com>
171. صواب ماجدة والخزان بوشتي، الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية لعملية إعادة هيكلة السكن غير القانوني بالمدن المغربية: دراسة حالات، ندوة دولية بالمدينة المنورة المملكة العربية السعودية، من تنظيم المعهد العربي لإنماء المدن أيام 8-10 أبريل 2013.
172. طلعت إبراهيم لطفي، أثر الحضرية في جماعات الجيرة: دراسة ميدانية لعينة من أرباب الأسر في مدينة الرياض، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت، المجلد 16، العدد 4، 1985.
173. عبد الرؤف على، الفوضى العمرانية الخلاقة في فضاءات مدينة القاهرة بعد ثورة يناير 2011 جسور النيل وميدان التحرير، مجلة عمران، العدد 19 خريف 2016.
174. عبد الرؤف على، لغز الرصيف في مدن العرب، مقال منشور في موقع مدونات الجزيرة، بتاريخ 2017/11/20.
175. عبد الرؤف على، مدونات عمرانية إنسانية، خيمياء العمارة، الناس والأماكن، 2018. منشور برخصة المشاع الإبداعي على الموقع: <http://creativecommons.org>
176. عبد المحسن سمية، حول مفهوم المجال العام وجدوى دراسته في مجتمعاتنا، مقال نشر بتاريخ 09 أيار 2016، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، مصر. العدد الخامس 2016.
177. عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، العدد 128، علم المعرفة، الكويت، أغسطس 1988.
- العزاوي قيس، المواطنة في مجتمع متعدد القوميات والأديان، المواطنة والتعايش، العدد 01، 2007.
178. العلوي رشيد، الفضاء العمومي المعارض: نقد أطروحة هابرماس، مقال منشور بتاريخ 31 أكتوبر 2016 على موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث:
179. علي أحمد حسن علي. «الآثار الاجتماعية للتوسع العمراني [عرض للكتاب]»، الجزيرة.
180. عفيفي أيمن محمد نور، نحو تفعيل استراتيجية متكاملة لتطوير سياسات توفير وتيسير الإسكان بالعالم العربي: دراسة تحليلية للتجربة المصرية. ندوة للسكان 2: المسكن الميسر. الرياض، المملكة العربية السعودية: الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2004.
181. العمري عبد الرحمن، عبداللطيف بن عبد الله، شفيق وجدي. الأبعاد المجتمعية للإسكان العامودي: دراسة ميدانية عن عينة من سكان شقق التمليك ببعض أحياء مدينة جدة. جامعة أبها، كلية الآداب، 2009.
182. فباض حسام الدين، العلاقات الاجتماعية، 2016، متاح على الرابط المباشر (<https://koutobe.blogspot.com>) ص. ص. 14-15 يوم 2017/06/28 ساعة 19:15.
183. فتحي حسن، عمارة الفقراء تجربة في ريف مصر، ت: مصطفى إبراهيم فهمي، ص 68. على الموقع: <http://www.hassanfathy.webs.com>
184. الفضاء-العمومي-المعارض-نقد-أطروحة-هابرماس-

على الموقع: <https://www.mominoun.com/articles/4456>

185. فوكو ميشال، الجسد الطوباوي، أماكن أخرى، ت: محمد العرابي، منشورات الانتهاكات، العدد السادس، بدون سنة نشر.
186. قسطناني بن محمد، ما هو المجال؟ مجلة فكر ونقد المغربية، العدد 22.
187. قموح نجية، المكتبات العامة بالجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي: 1830-1962. العربية 3000، فصلية متخصصة، س5، ع1 (مارس 2005). النادي العربي للمعلومات، سوريا، ص. ص. 91-109.
188. كارليي عمر، لرهانات الاجتماعية للجسد. الحّمّ المغاربي (في القرنين التاسع عشر والعشرين) بين الدوام والزوال أو الإحياء، ترجمة: محمد داود، إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، الحمام في البلدان المغربية، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، عدد مزدوج 63-64، 2014، وهران.
189. كعنيش عادل، هل ثمة أزمة سكن في تونس؟ مقال بجريدة ليترز العربية بتاريخ 2016/07/18.
190. الكناني كامل، تخطيط المدينة العربية الإسلامية الخصوصية والحداثة، مجلة المخطط والتنمية العدد 15، جامعة بغداد، 2006.
191. لحياني عثمان، مقاهي الجزائر... للتفيس، مقال بجريدة العربي الجديد، بتاريخ 2017/10/24.
192. المحمود محمد علي، التقليدي. جدلية الإنسان والمكان، جريدة الرياض الخميس 21 رجب 1429 هـ - 24 يوليو 2008 - العدد 14640.
193. مكي غازي عبد الواحد، الدورة الحيوية للإسكان الحضري دراسة مقارنة لتمويل المساكن في الدول النامية والدول الصناعية، مجلة جامعة أم القرى، السنة الخامسة، العدد السابع، مكة المكرمة، السعودية، 1992-1993.
194. نوبي محمد حسن، النمو الراسي لل عمران والتماسك الأسري والاجتماعي، في ندوة (الانفجار السكاني في المدن العربية وتحديات القرن الواحد والعشرين، المعهد العربي لإنماء المدن، الكويت، 2000.
195. الهيلوش محمد، إشكالية تهيئة وتدبير المجال العمومي بالمدن المغربية منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، الدورة الخامسة والعشرون، 2014.

#### مذكرات

196. الخولي مصطفى محمد عطية، التنمية العمرانية من خلال تطوير الأنماط السكنية كمدخل لدراسة التجمعات العمرانية حول القاهرة، عين شمس، الهندسة المعمارية، دكتوراه 1996.
197. روابحي سناء. الخصائص الاجتماعية والعمرانية للمناطق الحضرية الجديدة دراسة ميدانية بمدينة باتنة-حملة 03 انموذجا-رسالة دكتوراه، جامعة باتنة -سنة 2019.
198. زرقة دليلة، سياسات السكن والإسكان بين الخطاب والواقع: دراسة ميدانية بمدينة وهران، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية جامعة وهران، السنة الجامعية 2015/2016.
199. مختار هشام أمين. تخطيط وتنمية المجتمعات الجديدة في جمهورية مصر العربية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الهندسة جامعة القاهرة، بدون سنة نشر.

#### المراجع باللغات الأجنبية

200. Aballéa François, Les grands courants de la sociologie urbaine», Recherche sociale, N°101, Janvier-Mars, 1987.
201. Adams Thomas, the design of residential areas: basic considerations, principals, and methods, Cambridge Harvard university press, 1934.
202. Akkar Abdeljalil i, Payet Jean-Paul, Transformations des systèmes éducatifs dans les pays du Sud : Entre globalisation et diversification, De Boeck Supérieur, Bruxelles, 2010.
203. Aldo Rossi, L'architecture de la ville, trad par. Françoise Brun, L'Équerre, Paris, 1981.
204. Anatole Kopp, Changer la vie changer la ville, Paris, 1975.
205. Ansart Pierre et Akoun André, Dictionnaire de Sociologie, le Robert. Seuil, paris, 1999.
206. Arab Abdelhamid, Contribution à l'étude des institutions culturelles de l'Algérie. Évolution des bibliothèques durant la période coloniale 1830-1962. 2 Tom Université d'Alger. 2000.
207. Arendt Hannah., condition de l'homme moderne, Éditeur : Pocket, Paris.2002.

208. Ariff, Nor Rima Muhamad. Davies, Hilary. Multi-owner. Low -cost housing management in Malaysia. International Journal of Housing Markets and Analysis, 4 (3) 268- 289. (2011).
209. Bardin Laurence. L'analyse de contenu. éd, PUF, Paris.2013.
210. Bardo, John,W and Hartman, John.J.Urban sociology: a systematic introduction, F. E .Peacock publishers, Tennessee, 1982.
211. Barus- Michel Jacqueline, and Giust-Desprairies Florence (sous la direction. Scène sociale : crise, mutation, émergence. ESKA, Paris, 1998.
212. Bassand Michel et autres, vivre et créer l'espace public, presses polytechniques et universitaires romandes, 2001.
213. Baudrillard Jean, La société de consommation ses mythes ses structures, Denoël, 1970.
214. Bel Jean, L'espace dans la société urbaine Japonaise, Publications orientalistes de France, Paris, 1980.
215. Bellil R., Ksour et saints du Gourara dans la tradition orale, l'hagiographie et les chroniques orales, Mémoires du Centre national de recherches préhistoriques, anthropologiques et historiques, Alger, No 3, 2003.
216. Benabou M., Une oasis du Sahara occidental (Timimoun), thèse de 3e cycle, EPHE IVe section, Paris, 1972.
217. Benatia Farouk, agrégat ou cité, Reghaia. SNED, Alger, 1980.
218. Benatia Farouk, le travail féminin en Algérie, SNED, Alger.1970.
219. Benghabrit Remaoun Nouria, L'enfant et la rue-espace jeux, in Insaniyat n°2 année 1997 (Espaces habités) p43-57.
220. Bertaux, Daniel. (1980) Approche biographique, sa validité méthodologique, ses potentialités. Cahiers internationaux de sociologie, XIX, 197-225.
221. Billiard Isabelle. L'espace public. In : Les Annales de la recherche urbaine, N°32, 1986. Compositions urbaines.
222. Bisson Jean « le nomade, L'oasis et la ville » URBAMA, n °20, 1989.
223. Bisson Jean et Jarir. Mohamed, Ksour du Gourara et de Tafilet ; De l'ouverture de la société oasisienne à la fermeture de la maison, in Éditions du CNRS Annuaire de l'Afrique du Nord Tome XX V, 1986.
224. Blanchet Alain, Gotman Anne, L'enquête et ses méthodes : l'entretien, Paris, Nathan, 1992.
225. Bonte Pierre et Ben Hounet Yazid, «La Tribu à l'heure de la globalisation : Introduction,» in revue Etudes rurales, no.184.
226. Bouayed Mahmoud. Le livre et la lecture en Algérie. Unesco, 1985.
227. Bouchrara Traki Zannad, La ville mémoire : Contribution à une sociologie du vécu, sociologies au quotidien, Méridiens-Klincksieck, Paris. 1994.
228. Bouhdiba Abdelwahab, la sexualité en islam, quadrigé, Paris presses universitaires de France, 1975.
229. Bourdieu Pierre « La maison kabyle ou le monde renversé », in J. Pouillon et P. Maranda (éds), Échanges et communications. Mélanges offerts à Claude Lévi-Strauss à l'occasion de son 60e anniversaire, Paris-La Haye, Mouton, 1970, p.739-758
230. Bourdieu Pierre, La misère du monde, Le Seuil, Paris : 1993.
231. Bourdieu Pierre, Passeron Jean-Claude, La reproduction. Éléments pour une théorie du système d'enseignement, Minuit, coll. « Le sens commun », Paris, 1970.
232. Bourdieu. Pierre et Sayad. Abdelmalek, Le déracinement, la crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie, Paris, Minuit, 1964.
233. Boutefnouché Mustafa t, La société Algérienne en transition, OPU, Alger, 2004.
234. Bouvier Pierre, Le lien social, édition Gallimard, 2005.
235. Breton Philippe, L'explosion de la communication, éd. casbah, Alger, 2000.
236. Capot REY « le Sahara Français » PUF, 1953, Paris.
237. Capron Daniel, L'appropriation citadine d'une ville nouvelle par une société nouvelle, l'exemple de Chandigarh en Inde du Nord. Thèse soutenue à l'Université Paris Ouest Nanterre La Défense, 2014.
238. Capron G., 2012, « Auto-ségrégation résidentielle et ordre urbain chez les classes moyenne et supérieure à Mexico : une question d'échelle ? ». L'Espace Politique, n°17
239. Castells Manuel : La question urbaine. François Maspero, Paris, 1981.
240. Castells Manuel, théorie et idéologie en sociologie urbaine, in sociologie et société, volume1, n°2, novembre 1969.p 171-192.
241. Castells Manuel. Y a-t-il une sociologie urbaine ? In : Sociologie du travail, 10e année n°1, Janvier-mars 1968.
242. Ch.R.Ageron : Histoire de l'Algérie contemporaine, P.U.F, 1964.
243. Chamboredon Jean-Claude, Madeleine Lemaire, Proximité spatiale et distance sociale. Les grands ensembles et leur peuplement.p.11.
244. Chombart de Lauwe Paul-Henry., Groupe d'Ethnologie sociale, In : Revue française de sociologie, 1963, 4-4. Problèmes noirs.
245. Claude Danièle. E, Dictionnaire d'Économie et de Sciences Sociales, Ed BERTI, Alger, 2009.
246. Coenen-Huther Jacques, « Jules Romains, « poète de la sociologie » », Revue européenne des sciences sociales, 54-2 | 2016, 251-276.
247. Cote Marc, Dynamique urbaine au Sahara, in Insaniyat n°05.Mai Aout 1998.
248. Cottureau Alain et Ladrière Paul, Pouvoir et légitimité : éd. école des hautes études en sciences sociales, Paris, 1992.
249. Coulon Gérard. Les voies romaines en Gaule, éditions errance, «Promenades archéologiques», 2007.
250. Csilla Pordany-Horvath, la genèse des jardins en islam et les jardins historique de Marrakech, Université de Montréal. Canada, 2004.

251. Cusset Pierre-Yves, Le lien social : Domaines et approches, 2ed, Armand-Colin, collection 128, 2011,
252. Cusset Pierre-Yves, Les évolutions du lien social, un état des lieux. Dans Horizons stratégiques 2006/2 (n° 2), pages 21 à 36.
253. David Jean-Claude, Espace public au Moyen-Orient et dans le monde arabe, entre urbanisme et pratique citoyennes, in Géocarrefour Année 2002, 77-3 pp. 219-224.
254. Dawod, Hosham., Tribus et pouvoirs en terre d'Islam : ed. Armand Colin, Paris, 2004.
255. De Benoist Alain, Contre le libéralisme : La société n'est pas un marché, Éditions du Rocher. France. 2019.
256. De Sablet. Michel, Des espaces urbains agréables à vivre, édition Du Moniteur, Paris, 1988.
257. Desmet-Gregoire. Hélène. Une approche ethno-historique du café : évolution des ustensiles servant à la fabrication et à la consommation du café in Le café en Méditerranée, Institut de recherches et d'études sur les mondes arabes et musulmans, 1980.
258. Dickau A30 Farming older than thought», University of Calgary. Web site , 19/2/2007, <http://www.ucalgary.ca/news/feb2007/early-farming>
259. Dictionnaire de l'académie française, 5ème Edition, Paris. 1832.
260. Direction de la Programmation et Suivi Budgétaire, Monographie de la Wilaya de Laghouat Edition 2018.
261. Djeradi Mustapha Ameer, L'architecture k'sourienne (Algérie) entre signes et signifiants, in L'Architecture vernaculaire Tome 36-37 (2012-2013).
262. Dorier-Apprill, Élisabeth, et Philippe Gervais-Lambony. Vies citoyennes. Belin, 2007.
263. Drevon Guillaume, Mobilité quotidienne et stratégies d'adaptation spatio-temporelles des ménages. Université Grenoble Alpes, 2016
264. Driss Nassima, la ville mouvementée : Espace public, Centralité, mémoire urbaine à Alger, Éditions L'Harmattan, 2002.
265. Dupont Véronique, « Création de nomades urbains et appauvrissement. Impact des politiques d'éradication des camps de squatters à Delhi », Revue Tiers Monde 1/2010, n° 201, p. 25-45.
266. Durkheim Émile, De la division du travail social, Paris, PUF, 1986.
267. Ehora de Camargo Cavalheiro, & Alex Abiko, Evaluating slum (favela) resettlements: The case of the Serra de Mar Project, s-ao paulo Brazil. Habitat International, 49.340-348. (2015).
268. El djounid Hadjidj, Urbanification et appropriation de l'espace, le cas de la ville d'Oran, thèse de doctorat d'État en sociologie, Université d'Oran, juin 2010.
269. Eleen O'Dea, "Irish Housing Policy, Citizenship and Limerick Regeneration" (2012) 3(2) *Limerick Student Journal of Sociology* volume 3 , issue 2, p.23-39.
270. Eliade, Mircea, Le Mythe de l'éternel retour, Paris, Gallimard, 1969, p. 30.
271. Ellickson Robert, Order Without Law: How Neighbors Settle Disputes, Harvard University Press, Massachusetts. 1994.
272. Farrugia Francis, La crise du lien social, essai de sociologie critique, collection Logiques sociales, L'Harmattan, Paris, 1997.
273. Fathi Hassan, « Construire avec le peuple histoire d'un village d'Égypte, Gourni » 4e, Sindbad, Paris 1985.
274. Fourcaut Annie, « Les premiers grands ensembles en région parisienne : ne pas refaire la banlieue ? », French Historical Studies, vol. 27, no 1, winter 2004, New perspectives on modern Paris, p. 194-218.
275. Fromentin, Eugene, Sahara et Sahel, éditions Paris Méditerranée, Paris, 2004.
276. Geoffroy, Éric, « La diffusion du café au Proche-Orient arabe par l'intermédiaire des soufis : mythe et réalité » in Tuchscherer, Michel (éd.), Le commerce du café avant l'ère des plantations coloniales : espaces, réseaux, sociétés (xve-xixe siècle), Ifao, Le Caire, 2001.
277. Gharbi-Abdellilah Radia, Ville, Acteurs sociaux et rapports à l'espace urbain, Thèse de doctorat en sociologie urbaine, Université d'Oran, Faculté des Sciences Sociales, 2011-2012.
278. Gibbal Jean-Marie : Citadins et villageois dans la ville africaine l'exemple d'Abidjan, Presses Universitaires de Grenoble, François Maspero (Bibliothèque d'anthropologie) Paris, 1974.
279. Godelier Maurice, Au fondement des sociétés humaines : Ce que nous apprend l'anthropologie. Flammarion, Champs essais, Paris, 2010.
280. Goffman Erving, Les Rites d'interaction, Traduit par Alain Kihm, Minuit, Paris, 1974.
281. Goffman Erving, Behavior in Public Places, notes on the social organization of gatherings, THE FREE PRESS, New York, 1963
282. Goffman Erving, La mise en scène de la vie quotidienne, les éditions de minuit, Paris, 1973.
283. Grawitz Madeleine, Méthodes des sciences sociales, 8ème éd, Paris, Ed, Dalloz, 1990.
284. Grinda Olivier, Can good come from our next housing crisis? WFG National Title Company, 20 June 2018.
285. Habermas Jürgen. Trad: Marc Buhot de Launay. L'espace public : Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise, Broché, Paris, 1988.
286. Halbwachs Maurice, « Des changements décisifs dans la notion d'espace », in : P. Rambaud (dir) Sociologie rurale, Ed. Mouton, Paris-La Haye, 1975.
287. Halbwachs Maurice, La mémoire collective. Presses Universitaires de France, Paris, 1968.
288. Hartani wahiba. la lecture publique en Algérie : une manifestation culturelle, "la semaine du livre et des bibliothèques". École nationale supérieure de bibliothécaires. 1980.

289. Hartman Chester. The Housing Part of the Homelessness Problem. In E.L. Bassuk (Ed), *The Mental Health Needs of Homeless Persons* (p. 71- 85). San Francisco : Jossey-Bass.1986
290. Harvey David, *Social Justice and the City, Geographies of Justice and Social Transformation*; 1, Rev. Ed University of Georgia Press, . Athens & London, 2009.
291. Henni Samia *Architecture de la contre-révolution ; L'armée française dans le nord de l'Algérie*, éd B42, Paris.2009
292. Hirtz George. "L'Algérie nomade et ksourienne" Ed P. Tacussel, 1989.
293. Hughes Lagrange. *Le Déni des cultures*, Éditions Le Seuil, septembre 2010.
294. Icheboudene Larbi, *Alger Histoire d'une capitale*. Éditions CASBAH, Alger.2014.
295. Illich, Iva, *Une société sans école*, traduit de l'anglais par Gérard Durand, Seuil. Première publication, Paris, 1971.
296. Irak Aziz i, le Tellier Julien. *Habitat social au Maghreb et au Sénégal : gouvernance urbaine et participation en questions*, L'Harmattan, Paris, 2009.
297. Jacobs Jane, *Déclin et survie des grandes villes américaines*, 1961 traduction française par Claire Parin, Liège, Mardaga, 1991.
298. Jonas Stéphane « La grosztadt-metropole européenne dans la sociologie des pères fondateurs allemands » chapitre 1 dans Rémy, Jean (dir.) *Georg Simmel : ville et modernité*, L'Harmattan, Paris, 1995.
299. Joseph, Isaac., *La ville sans qualités*, Éditions de l'Aube, La Tour d'Aigues. 1998.
300. Kateb Kamel, *Européens, « indigènes » et juifs en Algérie (1830-1962). Représentations et réalités des populations*, Paris, INED, travaux et documents, cahier 145, 2001, p. 115.
301. Kaufmann Jean-Claude. *L'entretien compréhensif*. Éd Nathan. Paris. 1996.
302. Kitzinger Jenny, Ivana Markova, Nikos Kalampalikis. *Qu'est-ce que les focus groups ? Bulletin de psychologie, Groupe d'étude de psychologie, tome 57 (3) / 471/ mai-juin 2004*
303. Kluge Alexander, Oskar Negt, *Public Sphere and Experience: Analysis of the Bourgeois and Proletarian Public Sphere*, Translated by Peter Labanyi, Jamie Owen Daniel, and Assenka Oksiloff, p. cm. — (Theory and history of literature ; v. 85), The University of Minnesota is an equal-opportunity educator and employe, 1993.
304. Kopp Anatole, *ville et révolution, Architecture et Urbanisme soviétiques des années vingt*, 2eme Editions Anthropos, Paris.1969.
305. Krueger R. A, *Focus Group : A Practical Guide for Applied Research*, London, Sage, 1994; Morgan D. L., *Focus Groups as Qualitative Research*, London, Sage, 1997 et Barbour R S., Kitzinger J. Eds., *Developing Focus Group Research. Politics, Theory and Practice*, London, Sage, 1999.
306. Lahouari Addi, *Les mutations de la société algérienne. Famille et lien social dans l'Algérie contemporaine*, La Découverte .1999.
307. Lakjaâ Abdelkader, « L'habiter identitaire, éléments d'une problématique d'une urbanité en émergence », in *INSANIYAT*, N° 2, CRASC, Oran, 1997.
308. Lakjaâ Abdelkader, *Les périphéries oranaises : urbanité en émergence et refondation du lien social*, in *Les Cahiers d'EMAM n° 18*— Juillet 2009.
309. Lakjaâ. Abdelkader, *introduction-Rapports à l'espace résidentiel acte de la journée d'étude du 29 juin 1988*.
310. Lalonde Martin, *La crise du logement en Algérie : des politiques d'urbanisme mésadaptées*, Mémoire présenté à la Faculté des études supérieures en vue de l'obtention du grade de Maître ès science en Anthropologie, Université de Montréal. Avri1e2010.
311. Lamaison Pierre, « La notion de maison : entretien avec Claude Lévi-Strauss », *Terrain*, 1987.
312. Lanzaro Marie, *Sous la direction de Driant Jean-Claude, Sortir de l'hébergement d'insertion vers un logement social en Ile-de-France Des trajectoires de relogement, entre émancipation et contraintes*. Université de Paris-est.2014.
313. Lapeyronnie Didier, *Ghetto urbain : Ségrégation, violence, pauvreté en France aujourd'hui*, avec Laurent Courtois, (Paris : R. Laffont, 2008)
314. Laure Célérier, « Yves Grafmeyer, Jean-Yves Authier, *Sociologie urbaine* », *Lectures [En ligne]*, Les comptes rendus, 2009, mis en ligne le 22 novembre 2009, consulté le 01 septembre 2020. URL : <http://journals.openedition.org/lectures/825>
315. Le Corbusier, *La Charte d'Athènes, avec un discours liminaire de Jean Giraudoux*. Paris : Editions de Minui, collection forces vive.1957.
316. Lebaron Frédéric, *la Sociologie de A à Z*, Dunod, Paris. 2009.
317. Lefebvre Henri, *La production de l'espace*, Anthropos, Paris. 2000.
318. Lefebvre, Henri, *La Révolution urbaine*, Gallimard, coll. « Idées ». Paris, 1970.
319. Lefebvre, Henri. *Le Droit à la ville*, Éd. Anthropos, 2me éd., Paris, 1968
320. Lenoble Jacques, et Bertin André, *L'espace public comme procédure, pouvoir et légitimité, Figures de l'espace public, textes réunis par Cottereau Alain, et Ladriere Paul*, éd. École des hautes sciences sociales, Paris, 1992.
321. Lesbet Djaffar, *Les 1000 villages socialistes en Algérie*, OPU, SYROS, Paris.1983.
322. Létourneau Alain, *Remarques sur le journalisme et la presse au regard de la discussion dans l'espace public* », in ,( P. J. Brunet, P.-J, Éd.) *L'Éthique dans la société de l'information*, /L'Harmattan, Paris, 2001.
323. Lvinger George. *Development and change* .In H.H. Kelley, et al. (Eds.), *Close relationships*. (pp. 315–359). W.H. Freeman and Company, New York. 1983.
324. Lévy. J, *Le tournant géographique. Penser l'espace pour lire le monde*, Paris, Belin, coll. «Mappemonde», 1999.



325. Liauzu Claude [et al.], Enjeux urbains au Maghreb : Crises, pouvoirs et mouvements sociaux, cahier d'études, Édité par L'Harmattan. Paris, 1985
326. Lojkine Jean, J, le marxisme, l'état et la question urbaine, PUF, Paris, 1977.
327. Mangin David, Philippe Panerai : le temps de la ville : l'économie raisonnée des tracés urbains, Versailles, 1988.
328. Mangin, E. notes sur l'histoire de Laghouat ' revue africaine ' vol37 ' annee1893.
329. Mantran Robert, Le café à Istanbul au XVIIe siècle in Le café en Méditerranée, Institut de recherches et d'études sur les mondes arabes et musulmans, 1980.
330. Marçais (G.), « L'urbanisme musulman », in Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman, 2 vol. Alger, 1957
331. Marouf Nadir, Terroirs et villages algériens, OPU, Alger, 1981.
332. Mathilde, Servet. Les bibliothèques troisièmes lieu. Mémoire d'étude / Diplôme de conservateur des bibliothèques, Bulletin des bibliothèques de France, janvier 2009.
333. Mélià Jean, Laghouat ou les maisons entourées de jardins, ed : librairie plon, Paris, 1923.
334. Memel-Foté Harris, Le système politique de Lodjokrou, Présence Africaine .Paris, 1980.
335. Mendel Gérard, "Peut-on répondre à 'la crise' sans modifier la structure des organisations ?" In: Barus - Michel and Giust - Desprairies, 1998.
336. Mengin Christine, « La solution des grands ensembles », Vingtième siècle, « Villes en crise ? », no 64, octobre-décembre 1999, p. 105-111.
337. Merle, P. La démocratisation de l'enseignement, La Découverte, Paris, 2002.
338. Merlin Pierre et Choay Françoise, Dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement, PUF, Paris, 2010.
339. Mermier Franck, Souk et citadinité dans le monde arabe in, Jean-Luc Arnaud, L'urbain dans le monde musulman de méditerrané, Connaissance du Maghreb, Tunis, 2005.
340. Miles, S., & Miles, M. Consuming Cities. London, NY: Palgrave Macmillan. New York, .2004.
341. Miner Horace Mitchel.; De Vos George, Oasis and Casbah: Algerian Culture and Personality in Change, Ann Arbor, and University of Michigan.1960.
342. Miner Horace Mitchell, Saint-Denis, un village québécois, Traduit de l'anglais par Édouard Barsamian et Jean-Charles Falardeau, Édition complétée le 2 janvier, 2008 à Chicoutimi, Québec.1939.
343. Moignard Benjamin, Sauvadet Thomas, Espaces scolaires et éducatifs : Les liaisons nouvelles entre l'école et le champ éducatif », Espaces et sociétés, 2016/3 (n° 166), p. 7-13. 2016.
344. Mongin, Olivier, La condition urbaine la ville à l'heure de la mondialisation. Éditions du Seuil, Paris.2005.
345. monographie Laghouat 2018
346. Mousaoui. Abderrahmane, Logiques du sacré et modes d'organisation du sacré de l'espace dans le sud-ouest algérien, Thèse de Doctorat nouveau régime, IDEMEC Aix En Provence, 1994.
347. Nachi Mohamed, Les espaces publics au Maghreb. Éléments pour la construction d'une problématique sociohistorique contextualisée à partir du cas tunisien. Éditions du CRASC, 2013.
348. Nacib Youcef, cultures Oasiennes, ENAL, Alger, Algérie, 1986.
349. Navez-Bouchanine Françoise, Habiter la ville marocaine. l'Harmattan, Paris. 1997.
350. Navez-Bouchanine Françoise, Prise en compte des dimensions sociales, in Patrimoine et Développement Durable dans les Villes Historiques du Maghreb Contemporain Enjeux, diagnostics et recommandations, Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture, Bureau de 'UNESCO à Rabat, Maroc.
351. Navez-Bouchanine, Françoise, Collectif, Agnès Deboulet, et Annick Osmont. 2012. Effets sociaux des politiques urbaines. L'entre-deux des politiques institutionnelles et des dynamiques sociales. Rabat Paris Tours : Karthala.
352. Negt Oskar, A, Kluge : l'espace public oppositionnel, traduction par Alexander Neumann, Payot, Paris, 2007.
353. Nelly Hanna « Coffee Merchants in Cairo 1580-1630 » in Tuchscherer, Michel (éd.), Le commerce du café avant l'ère des plantations coloniales : espaces, réseaux, sociétés (xve-xixe siècle), Ifao, Le Caire, 2001.
354. O'Dea, Eileen (2012), Irish housing policy, citizenship and Limerick regeneration, in Socheolas Limerick Student Journal of Sociology; Volume3, Issue2, 2012.
355. Oldenburg, R. The Great Good Place: Cafés, Coffee Shops, Bookstores, Bars, Hair Salons, and Other Hangouts at the Heart of a Community. New York: Marlowe.1999
356. Overman, Henry.G. Neighborhood effects in large and small neighborhoods. Urban Studies, 39(1): 117-130. January 2002.
357. Ozel, Derya. 2011. « Les ONG contre les habitants. La gestion du relogement et de la réinsertion des populations des bidonvilles à Mumbai ». Métropoles (9)
358. Paquot Thierry, L'espace public, Éditions La Découverte, Paris ,2015
359. Parraton Charles et Bonenfant Maude, Vivre ensemble dans l'espace public, Québec Presses de l'Université, Canada, 2009.
360. Patrick Sharkey) Stuck in Place: Urban Neighborhoods and the End of Progress toward Racial Equality, University of Chicago Press. 264 pages, Chicago.2013.
361. Paugam Serge, Le lien social, PUF, coll. « Que sais-je ? », Paris, 2008.
362. Paugam Serge, les 100 mots de la sociologie. PUF. Paris. 2010.
363. Paul Dresch, «Les Mots et les choses : L'Identité tribale et son contexte en Arabie,» Etudes rurales, no. 184 (2010), pp. 185-202.
364. Pein Théodore., Lettres familières sur l'Algérie : un petit royaume arabe, Ed :T .Martin, Paris, 1871.

365. Phillips, D. & Harison, M. Constructing & Integrated Society: Historical Lesson's for Tackling Black and Minority Ethnic Housing Segregation in Britain, *Housing Studies*, v.25, n.2, 2010, P:221-235.
366. Pommerol Jean, une femme chez les sahariennes entre Laghouat et In-salah, E Flammarion éditeur, Paris, 1900.
367. Poor Nathaniel, Mechanisms of an online public sphere: The website Slashdot, *Journal of Computer Mediated Communication*, Vol. 10, No. 2, January 2005.
368. Potter D., The bazaar merchant, in S. N. Fisher (éd.), *Social Forces in the Middle East*, Greenwood Press, New York, 1968.
369. Quère Louis, *Agir dans l'espace public, les formes de l'action*, éd. de l'EH, ESS, Paris, 1990.
370. Rautenberg Michel, *Changer de ville, changer de vie Utopies, aspirations et engagements habitants à Villeneuve d'Ascq*, Dans *Ethnologie française* 2017/1 (N° 165).
371. Rémy Jean-, L-Voyé, ville : ordre et violence, 1er édition PUF. Paris. 1981.
372. Rémy Jean. Georg Simmel : ville et modernité, L'Harmattan, Paris, 1995
373. Robert Ilbert, la ville islamique : Réalité et abstraction. *Les Cahiers de la recherche architecturale*, vols 10-11 (avril 1982).
374. Roger Bautier, Habermas et le champ de la communication : *Revue CinemAction*, éd. SFSIC collet, N°36, Paris, 1992.
375. Rolland Martin. *Recherches sur l'agora grecque. Études d'histoire et d'architecture urbaines*, Paris, De Boccard. 1951. 1 vol. in-08, 570 pp, 83 fig., 12 pll. (bibliothèque des écoles français d'Athènes et de Rome ? fasc. 174)
376. Safar-Zitoun Madani, *Alger d'aujourd'hui : une ville à la recherche de ses marques sociales*, in « *Insaniyat* » n° 44-45, avril - septembre .2009.
377. Safar-Zitoun Madani, *Dynamiques sociales et rigidités institutionnelles ou la ville confisquée par l'état : le cas d'Alger*, collection *Villes et développement*, Montréal, 1994.
378. Safar-Zitoun Madani, Hafiane Abderrahim, L' "entre-deux" dans les opérations de relogement en Algérie : l'émergence problématique d'un tiers acteur urbain, in "L' "entre deux" des politiques institutionnelles et des dynamiques sociales", programme PRUD, 2006.
379. Safar-Zitoun Madani, *Le logement en Algérie : programmes, enjeux et tensions, inforevue-confluences-mediterranee-2012*.
380. Safar-Zitoun Madani, *Les politiques urbaines en Algérie : une réforme libérale inachevée Habitat sociale au Maghreb et au Sénégal*. J. Le Tellier et A. Iraki (dir.) : Éditions l'Harmattan, Paris, 2009, pp.65-73.
381. Safar-Zitoun Madani, *Stratégies patrimoniales et urbanisation. Alger 1962-1992.-*, L'harmattan, Paris. 1996.
382. Safar-Zitoun Madani, *Urbanité(s) et citadinité(s) dans les grandes villes du Maghreb*, *Les Cahiers d'EMAM*, 19 | 2010, 33-53.
383. Safar-Zitoun Madani, *Violence et rente urbaines : quelques réflexions critiques sur la ville algérienne d'aujourd'hui*, *Insaniyat /*, 57-58 | 2012, juin 2015.
384. Sayad Abdelmalek, les effets naturels du relogement, *sciences sociales Panorama*, n°4 et 5, spécial habitat, oct-nov, Alger. 1980.
385. Schnappe Dominique, *Qu'est-ce que l'intégration*, Éditions Gallimard, Paris, 2007.
386. Scheingart M., *La production de l'espace habitable : État, les entreprises et la société à Mexico*, Centre d'études démographiques et du développement urbain, Mexique. 2001
387. Scott Norman, *Gras Brien*. In *Introduction to Economic History*. Harper & Bros. New York. 1922
388. Semmoud Nora., *Nouvelles significations du quartier, nouvelles formes d'urbanité : la périphérie du Sud-Est d'Alger*. *Les Cahiers d'EMAM* n° 18, pp. 45-54. Juillet 2009.
389. Sennett Richard, la conscience de l'œil, in *l'espace du public*, Actes de colloque, de l'Arc de Senan, Paris, recherche/ Plan Urbain, 1991.
390. Sennett Richard, *Les tyrannies de l'intimité*, Paris, Seuil, 1979.
391. Service de Statistique Générale, *Gouvernement Générale, de l'Algérie. Résultats Statistiques du Dénombrement de la Population Effectué le 31 octobre 1948( Algiers : Service de Statistique Générale, 1950).* p. xxvii.
392. Simmel George, *Sociologie, étude sur les formes de la socialisation*, PUF, Paris, 2013.
393. Stadnicki Roman, *Introduction – Les acteurs urbains à l'épreuve de la transition en Égypte* in *La revue Égypte/Monde arabe*, n°11, année 2014.
394. Steward, Julian H. *Theory of Culture Change*. University of Illinois Press, 1990
395. Stromer Galley Jennifer, *New voices in the public sphere: Political conversation in the internet age*, Ph.D. Dissertation, University of Pennsylvania, 2002.
396. Terwillige John Ronald, *USA – Solving the Affordable Housing Crisis – The Key to Unleashing America's Potential*, in *Journal of Affordable Housing & Community Development Law*, Mar-2018.
397. Thiébault Jean-Louis, « Les travaux de Robert D. Putnam sur la confiance, le capital social, l'engagement civique et la politique comparée », *Revue internationale de politique comparée*, vol. 10, no 3, 2003.
398. Thorne, Barrie, *You Still Takin' Notes? Fieldwork and Problems of Informed Consent* *Social Problems*, Volume 27, Issue 3, 1 February 1980, Pages 284–297.
399. Tomas François, *L'espace public, concept moribond ou en expansion ?/ Public space : a dying or expanding concept ?* *Geocarrefour*, 76, p. 75 à 84. 2001

400. Tonnelat Stéphane, «The Sociology of Urban Public Spaces »: in: Hongyang Wang, Michel Savy and Guofang Zhai, eds., Territorial Evolution and Planning Solution: Experiences from China and France (Paris: Atlantis Press, 2010).
401. Tönnies Ferdinand, Communauté et société. Catégories fondamentales de la sociologie pure. Introduction et traduction de J. Leif. Paris : Retz-Centre d'Études et de Promotion de la Lecture, 1977, 285 pages. Collection : Les classiques des sciences humaines.
402. Tönnies, Communauté et société, Paris, trad. Française, 1970.
403. Touraine Alain. Manuel Castells, La Question urbaine, 1972. In : Sociologie du travail, 14<sup>e</sup> année n°4, Octobre-décembre 1972.
404. Toussaint Jean-Yves, Zimmermann Monique, L'espace public et l'espace du public. Politique et aménagement, in User, observer, programmer et fabriquer l'espace public, Lausanne, Presses polytechniques et universitaires romanes, pp. 73-91.2001.
405. Turner J, John Turner au Pérou Slum of Hope, Laboratoire urbanisme insurrectionnel, Mars 2016, Edition N°01.
406. Turner J. Housing by people· Marion Boyard, 1976.
407. Turner, Tom , Garden history : philosophy and design, 2000 BC-2000 AD, Spon Press, Londres, 2005.
408. Valladares Licia, La favela d'un siècle à l'autre. Éditions de la MSH, coll. Horizons américains, Paris, 2006.
409. Vézina Mireille, Transformation du lien social en milieu urbain : un examen des pratiques de sociabilité et du rapport au quartier chez les jeunes adultes qui habitent seuls dans les quartiers centraux Montréalais, mémoire présenté comme exigence partielle de la maîtrise en études urbaines. Institut National de la Recherche Scientifique – Centre urbanisation culture société. Montréal. 2007.
410. Warren, Donald I, The functional diversity of urban neighborhoods. Urban Affairs Quarterly, Volume: 13 issue: 2, page(s): 151-180, Issue published: December 1, 1977
411. Weber Max, La Ville, traduit de l'Allemand par Philippe Fritsch, préface de Julien Freund, Paris, Aubier-Montaigne, collection « Champ urbain », 1982.
412. Wellman Barry and Leighton Barry. Networks, Neighborhoods and Communities: Approaches to the Study of the Community Question. Urban Affairs Review, 14, 363-390. 1979.
413. Wiley-Blackwell, D. Fée, "Le logement social en Angleterre : trente ans de déclin", Informations. 1995.
414. Wittfogel Karl August I, Oriental Despotism: A Comparative Study of Total Power, New Haven and London: Yale University Press, 1967.
415. Wolton Dominique, Communication politique construction d'un modèle : Revue Hermès, N°4 le Nouvel espace public, éd. CNRS, Paris, 1989.
416. Wust Sébastien, Métropolisation, habitat précaire et relogement forcé : entre phénomènes d'exclusion et tactiques populaires d'intégration le cas du canal Nhieu Loc-Thi Nghe à Ho Chi Minh-Ville, Vietnam. Thèse de doctorat n°2330, Lausanne, EPFL.
417. www.persee.fr/doc/rfsoc\_0035-2969\_1963\_num\_4\_4\_7192
418. Zhang Kai Sous la direction de Jian Zhou et d'Isabelle Thireau, Droit au délogement et protection du patrimoine : Xiangyuan Lu et Gujia Lu, deux projets de rénovation dans la Vieille Ville de Shanghai (2003-2009)

## القوانين والمراسيم

419. الأمر رقم 69/74 المؤرخ في 12 جمادى الثانية عام 1394 الموافق 2 يوليو سنة 1974 يتعلق بالإصلاح التنظيمي للولايات، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 55، مؤرخة في 09 يوليو 1974.
420. الأمر 67-75 المؤرخ في 26 سبتمبر 1975 المتعلق برخصة البناء ورخصة التجزئة.
421. تقرير اللجنة الخاصة عن مشكلة الإسكان في مصر - دور الانعقاد العادي الثالث - مجلس الشورى - 1983.
422. جريدة الاقتصادية على الموقع: حلول أزمة الإسكان تبدأ من القضاء على أسبابها | صحيفة الاقتصادية بتاريخ: 21 أوت 2017.
423. جريدة اليوم السابع المصرية - 23 / 2 / 2015، على الموقع: <https://www.youm7.com>
424. القانون 90/29 المؤرخ في 14 جمادى الأولى عام 1411 الموافق أول ديسمبر سنة 1990 المتعلق بالتهيئة والتعمير، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 52، مؤرخة في 02 ديسمبر 1990.
425. القانون رقم 90-25 المؤرخ في 18 نوفمبر سنة 1990 والمتضمن التوجيه العقاري، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 49 مؤرخة في 18 نوفمبر 1990.

426. قرار ممضي في 19 يونيو 2013، يحدد كفاءات الحصول على المساعدة المباشرة الممنوحة من الدولة لبناء سكن ريفي. الجريدة الرسمية عدد 32 مؤرخة في 23 يونيو 2013، المعدل والمتمم بقرار ممضي في 18 يونيو 2014، الجريدة الرسمية عدد 52 مؤرخة في 14 سبتمبر 2014.
427. قرار وزاري مشترك ممضي في 15 نوفمبر 2000، يحدد كفاءات تطبيق المرسوم التنفيذي رقم 94-308 المؤرخ في 28 ربيع الثاني عام 1415 الموافق 4 أكتوبر سنة 1994 الذي يحدد قواعد تدخل الصندوق الوطني للسكن في مجال الدعم المالي للأسر. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 16 مؤرخة في 11 مارس 2001.
428. مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الملتقى الدولي حول ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 21-26 جوان 1975.
429. المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، تقرير عن السكن الاجتماعي، الجلسة العامة الرابعة، تشرين الأول/أكتوبر 1995.
430. المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لمدينة الأغواط 1996.
431. المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لمدينة الأغواط 2014.
432. المرسوم التنفيذي رقم 07-275 مؤرخ في 6 رمضان عام 1428 الموافق 18 سبتمبر 2007، يحدد القانون الأساسي لمكتبات المطالعة العمومية. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 58، مؤرخة في 19 سبتمبر 2007.
433. المرسوم التنفيذي رقم 08-142 المؤرخ في 11 ماي 2008 المحدد لشروط لقواعد الحصول على السكن العمومي الإيجاري، الجريدة الرسمية رقم 24 الصادرة بتاريخ 2008/05/11.
434. المرسوم التنفيذي رقم 08-142 المؤرخ في 5 جمادى الأولى عام 1429 الموافق 11 مايو سنة 2008 يحدد قواعد منح السكن العمومي الإيجاري. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 24، مؤرخة في 11 مايو 2008.
435. المرسوم التنفيذي رقم 09-346 مؤرخ في 3 ذي القعدة عام 1430 الموافق 22 أكتوبر 2009، يتم المرسوم التنفيذي رقم 08-236 المؤرخ في 23 رجب عام 1429 الموافق 26 يوليو سنة 2008، والمتضمن إنشاء مكتبات المطالعة العمومية. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 62، مؤرخة في 28 أكتوبر 2009.
436. المرسوم التنفيذي رقم 10-235 المؤرخ في 5 أكتوبر سنة 2010 الذي يحدد مستويات المساعدة المباشرة الممنوحة من الدولة لاقتناء سكن جماعي أو بناء سكن ريفي أو سكن فردي منجز في شكل مجمع في مناطق محددة في الجنوب والهضاب العليا ومستويات دخل طالبي هذه السكنات وكذا كفاءات منح هذه المساعدة، المعدل والمتمم، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 58 الصادرة في 2010/10/07.
437. المرسوم التنفيذي رقم 12-234 مؤرخ في 3 رجب عام 1433 الموافق 24 مايو سنة 2012، يحدد القانون الأساسي للمكتبات الرئيسية للمطالعة العمومية. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 34، مؤرخة في 03 يونيو 2012.
438. المرسوم التنفيذي رقم 14-203 المؤرخ في 15 جويلية 2014 المحدد لشروط وكفاءات اقتناء السكن الترقوي العمومي. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 44، مؤرخة في 27 يونيو 2014.
439. المرسوم التنفيذي رقم 14-203 المؤرخ في 15/07/2014 المحدد لشروط وكفاءات شراء السكن الترقوي العمومي، الجريدة الرسمية العدد 44 الصادرة في 2014/07/27.
440. المرسوم التنفيذي رقم 15-19 ممضي في 25 يناير 2015، يحدد كفاءات تحضير عقود التعمير وتسليمها. الجريدة الرسمية عدد 7 مؤرخة في 12 فبراير 2015.
441. المرسوم التنفيذي رقم 15-19 مؤرخ في 25 يناير سنة 2015 الذي يحدد كفاءات تحضير عقود التعمير وتسليمها. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 07، مؤرخة في 12 فبراير 2015.

442. المرسوم التنفيذي رقم 91-176 المؤرخ في 28 مايو سنة 1991 الذي يحدد كفايات تحضير شهادة التعمير ورخصة التجزئة وشهادة التقسيم ورخصة البناء وشهادة المطابقة ورخصة الهدم وتسليم ذلك المعدل والمتمم. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 26، مؤرخة في 01 يونيو 1991.
443. المرسوم التنفيذي رقم 94-414 مؤرخ في 26 جمادى الثانية عام 1415 هـ الموافق 30 نوفمبر سنة 1994، يتضمن إحداث مديريات للثقافة في الولايات وتنظيمها. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 79، مؤرخة في 30 نوفمبر 1994.
444. المرسوم التنفيذي رقم 94-308 الصادر في 4 أكتوبر 1994 يحدد قواعد تدخل الصندوق الوطني للسكن في مجال الدعم المالي للأسر. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 66، مؤرخة في 16 أكتوبر 1994.
445. المرسوم التنفيذي رقم 98-42 المؤرخ في 01/02/1998 يحدد شروط الحصول على المساكن العمومية الايجارية ذات الطابع الاجتماعي وكفايات ذلك. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 05، مؤرخة في 04 فبراير 1998.
446. المرسوم الرئاسي رقم 21-137 مؤرخ في 24 شعبان عام 1442 هـ الموافق 7 أبريل سنة 2021، يحدد الأجر الوطني الأدنى المضمون. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 28، مؤرخة في 14 أبريل 2021.
447. وزارة السكن والعمران، مجلة السكن، العدد 6، كانون الثاني/يناير 2011.

### الموقع الإلكترونية:

448. <http://dx.doi.org/10.1177/107808747901400305>
449. <http://journals.openedition.org/insaniyat/13658>
450. <http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/j.1083-6101.2005.tb00241.x/full>
451. <http://www.alriyadh.com/2008/07/24/article361883.html>
452. <http://www.elkhabar.com/ar/economie/421502.html>
453. <https://ar.leaders.com : tn/article/1030> -هل-ثم-ة-أزمة-سكن-في-تونس.
454. <https://doi.org/10.1177/107808747701300202>
455. <https://doi.org/10.3406/geoca.2001.2509>
456. <https://doi.org/10.4000/insaniyat.13658>
457. <https://doi-org.eres.qnl.qa/10.2307/800247>
458. <https://journals.openedition.org/metropoles/4438#tocfrom1n3>
459. <https://knepublishing.com/index.php/KnE-Engineering/article/view/2181/4723>
460. [https://www.academia.edu/313641/The\\_Sociology\\_of\\_Urban\\_Public\\_Space](https://www.academia.edu/313641/The_Sociology_of_Urban_Public_Space)
461. <https://www.alaraby.co.uk/society/2017/10/23/1-مقاهي-الجزائر-للتفتيش>
462. <https://www.wikiwand.com/ar/ولاية-الأغواط>
463. <https://orbi.uliege.be/handle/2268/201016>.
464. <https://search.emarefa.net/detail/BIM-903518>
465. [https://fr.wikipedia.org/wiki/Lien\\_social\\_\(sociologie\)](https://fr.wikipedia.org/wiki/Lien_social_(sociologie))
466. [www.persee.fr/doc/rfsoc\\_0035-2969\\_1963\\_num\\_4\\_4\\_7192](http://www.persee.fr/doc/rfsoc_0035-2969_1963_num_4_4_7192)

# الملاحق

## دليل المقابلة (1)

### المحور الأول: البيانات الشخصية.

- أ. السن، الجنس، المستوى الدراسي، المهنة، الحالة العائلية،  
ب. نوع الأسرة، عدد الأفراد، الأصل الجغرافي.

### المحور الثاني: البيانات حول المسكن

- أ. بيانات عن السكن السابق:  
ب. كيفية الحصول على المسكن الحالي: مستفيد، مستأجر، مالك.  
ت. بيانات حول المسكن الحالي: نوع السكن، المساحة الإجمالية، مكونات المسكن، عدد الأفراد في المسكن، مدة الإقامة بالمسكن.

### المحور الثالث: بيانات حول الحي (فضاء تنسج داخله علاقات الجيرة)

- أ. نوع الحي: اجتماعي، تطوري، تساهمي، تجزئة، أخرى، استعمالات المساحات الخضراء، مواقف السيارات، المرافق العامة، أخرى.

### المحور الرابع: بيانات مسار الحياة اليومية

أين تقضي أوقات اليوم، الفترة الصباحية، وقت الغذاء، الفترة المسائية. أثناء الليل (قبل النوم)؟

### المحور الخامس: بيانات حول مكان العمل (المكان الثاني)

مكان العمل: وصف لمكان العمل والفضاءات المكونة له، نوع العمل: عمومي / خاص، عدد العمال، عدد ساعات العمل، العلاقات مع العمال، العلاقات مع الزبائن، كيفية، بعد العمل عن المسكن، الانتقال إلى مكان العمل.

### المحور السادس: أوقات الفراغ ووسائل الترفيه وأماكن الراحة

أين تقضي باقي الأوقات خارج المسكن، بعد الانتهاء من العمل، نهاية الأسبوع، العطل السنوية.

### المحور السابع: وسائل النقل كفضاء للتواصل

وسائل النقل المستعملة: معدل استعمالها في اليوم/ساعة، التصرفات والأفعال أثناء التنقل،

### المحور الثامن: أماكن التسوق (فضاءات للالتقاء)

أوقات التسوق، الأماكن المفضلة للتسوق: مدة التسوق/يوم، علاقتك مع الباعة والمتسوقين.

### المحور التاسع: شبكات التواصل الاجتماعي فضاءات افتراضية لبناء العلاقات الاجتماعية

الشبكات المستعملة، مدة الاستعمال اليومي، الأهداف والغاية لهذه الاستعمالات،

### المحور العاشر: الأطر الاجتماعية فضاءات للحفاظ على التضامن الاجتماعي

المسار اليومي للأعياد الدينية (عيد الفطر، عيد الأضحى، عاشوراء، أول محرم، ... أخوى)

المسار اليومي للأعياد الوطنية (أول نوفمبر، عيد الاستقلال، مناسبات وطنية أخرى)

المسار اليومي للمناسبات (رأس السنة الميلادية، المواسم، الأفراح، المآتم، ... الخ)

### المحور الحادي عشر: المؤسسة التعليمية فضاء للتنشئة وإنتاج الرباط الاجتماعي.

العلاقة بالمؤسسات التعليمية، ومن يعمل بها ومع من يرتادها.

### المحور الثاني عشر: المسجد

أوقات الذهاب للمسجد، أسئلة حول العلاقة بالإمام وبالمصلين وجمعيات دينية.

### المحور الثالث عشر: المقهى

أوقات الجلوس في المقهى، ومدة وأسباب استعمالها، مع من تجلس وماهي المواضيع المطروقة.

### المحور الرابع عشر: الحمام

أوقات الذهاب للحمام، مدة البقاء في الحمام، أسئلة حول الصداقات، المواضيع المطروقة.

### الخامس عشر: السوق

المحور السادس عشر: استعمال الساحات العامة وأماكن أخرى.

ملاحظات مختلفة



## دليل المقابلة (2) - خاص بالمقابلات الجماعية بالفضاءات العمومية

- 1- برأيكم هل الفضاءات العمومية متوفرة بالحي وماهي أهمها برأيكم؟
- 2- كيف ترون دور هذه الفضاءات في الممارسات اليومية؟
- 3- ماهي الأسباب التي تجعل فضاء ما له الأولوية؟
- 4- كيف تم اختيار هذا المكان؟
- 5- ماهي المواضيع المطروقة؟
- 6- كيف ينظر لكم الجيران؟
- 7- ماهي ميزة هذا المكان المختار للقائكم هذا، وماهي الفضاءات التي تفضلونها للالتقاء؟
- 8- كيف يخطط للالتقاء، مدته، تكراره، أوقاته، أعضاءه؟

## دليل المقابلة (3) - مقابلات مع مديرين موظفين عمال سياسيين رؤساء جمعيات.

- 1- معلومات عن الفضاء الذي تسيرون أو ترتادونه (بطاقة تقنية)
- 2- معلومات عن الفئات الاجتماعية التي ترتاده والخدمات التي يقدمها.
- 3- الأطوار الزمنية التي عرفها الفضاء العمومي وعلاقتها بالسكان.
- 4- الفضاء العمومي وعلاقته بالرباط الاجتماعي (الوظيفة، كثافة الاستعمال، الأهمية، الخدمات العامة، التركيز، العدد، التواتر، الانتشار)